المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم

جامعة الجوف
Jouf University

مجلة جامعة الجوف للعلوم الإنسانية
Jouf University Humanities Journal

مجلة علمية محكمة

العدد العاشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

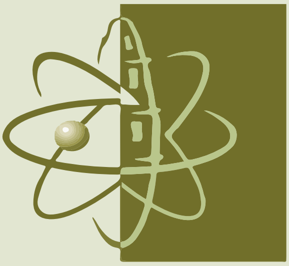

جامعة الجوف

Jouf University

مجلة جامعة الجوف للعلوم الإنسانية

Jouf University Humanities Journal

مجلة علمية محكمة

مجلة جامعة الجوف للعلوم الإنسانية
Jouf University Humanities Journal

مجلة علمية محكمة

العدد العاشر

العدد العاشر من المجلد السادس
ابريل ٢٠٢١م
شعبان ١٤٤٢ هـ
رقم الإيداع ١٤٣٩/٤٥٣٧
ردمد ٧٨١٢ -١٦٥٨

المملكة العربية السعودية
الجوف - سكاكا
الهاتف : ٠١٤٦٥٤٤١٨٠ ص.ب ٢٠١٤
البريد الإلكتروني : Auhsj@ju.edu.sa
موقع المجلة : http://www.ju.edu.sa/index.php?id=5922

مجلة جامعة الجوف للعلوم الإنسانية
Jouf University Humanities Journal

مجلة علمية محكمة

هيئة تحرير المجلة

المشرف العام على المجلة
سعادة الدكتور سالم بن مبارك العنزي
وكيل جامعة الجوف للدراسات العليا والبحث العلمي
رئيس التحرير
الأستاذ الدكتور فهد بن عبد العزيز بدر العسكر
أستاذ الإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أعضاء هيئة التحرير

أ.د. ماهر بن مهل الرحيلي
أستاذ الأدب بكلية اللغة العربية ، بالجامعة الإسلامية

أ.د عبدالسلام بن صالح الجار الله
أستاذ التفسير وعلوم القرآن ، بجامعة الملك سعود

أ.د. عبدالرحيم حامد مقدم
أستاذ اللغويات الاجتماعية بكلية الآداب ، بجامعة الجوف

د. وادي بن براك الزعيلي العنزي
أستاذ الإدارة الصحية المشارك ، بكلية إدارة الأعمال
بجامعة الملك سعود
ووكيل الكلية للدراسات العليا والبحث العلمي
ورئيس قسم الإدارة الصحية

مدير التحرير

د. عبدالحميد بن مهطلس العنزي
أستاذ دراسات الترجمة المساعد، ووكيل كلية الآداب بجامعة الجوف

سكرتير التحرير

د. حامد بن محمد بن عبدالعزيز أيوب
أستاذ النحو والصرف والعروض المشارك بكلية الآداب
بجامعة الجوف

التعريف بالمجلة

إنَّ مجلة جامعة الجوف للعلوم الإنسانية مجلة علمية محكمة تصدر عن وكالة جامعة الجوف للدراسات العليا والبحث العلمي في أبريل، وأغسطس، وديسمبر من كل عام؛ إيمانًا منها بالدور الذي تؤديه المجلة في خدمة البحث العلمي؛ والرقي العلمي بجامعتنا ومملكتنا.

وتهدف المجلة إلى الريادة، ومواكبة أحدث المستجدات العلمية؛ من خلال أمرين؛ الأول: الجهود المخلصة، والالتزام بأخلاقيات البحث العلمي، والمنهجية العلمية، أما الآخر: فهو إتاحة الفرصة للباحثين الجادين لنشر إنتاجهم العلمي الذي يتسم بالأصالة والجدة في مجال العلوم الإنسانية باللغتين العربية والإنجليزية في تخصصات: الدراسات الإسلامية، والعلوم الشرعية، وفروعهما، واللغة العربية وآدابها، واللغة الإنجليزية، وإدارة الأعمال، والمحاسبة، والاجتماعيات (التاريخ والجغرافيا)، والقانون.

وقد صدر العدد الأول من المجلة في شهر سبتمبر عام ٢٠١٤م (ذي القعدة ١٤٣٥هـ) بمسمى مجلة جامعة الجوف للعلوم الاجتماعية حتى بلغت ثلاثة مجلدات بواقع ستة أعداد في شهر يوليو عام ٢٠١٧م (شوال ١٤٣٨هـ)، وفي العام الجامعي ١٤٣٩/١٤٣٨هـ أقر مجلس الجامعة ضوابط النشر بمجلة جامعة الجوف للعلوم الإنسانية، ومن هذا التاريخ صارت تحمل هذا الاسم، وهي مدرجة ضمن فهرس الدوريات العلمية تحت رقم إيداع ١٤٣٩/٤٥٣٧ وتاريخ ١٤٣٩/٥/٢٧هـ، ورقم ردمد ١٦٥٨-٧٨١٢.

الرؤية: الريادة، والتميز في نشر الدراسات الإنسانية؛ لأجل تنمية مستدامة تحقق للجامعة والمجتمع التطور، والنهوض.

الرسالة: النهوض بالمنظومة البحثية في مجال الدراسات الإنسانية، وفق معايير الجودة العالمية؛ لتحقيق مجتمع المعرفة.

الأهداف:

تهدف المجلة إلى تحقيق الأهداف الآتية:

١–نشر الدراسات العلمية الأصيلة والمبتكرة في مجال الدراسات الإنسانية.
٢–تعزيز الصلات العلمية والفكرية مع الجامعات المحلية ومراكز البحوث والمؤسسات المتخصصة في جوانب الفكر والتنمية، وتبادل الإصدارات العلمية معها.
٣–تسليط الضوء على الدراسات الجديدة في مجال الدراسات الإنسانية.
٤–تلبية حاجة الباحثين على المستويات المحلية والإقليمية والعالمية للنشر في مجالات العلوم الإنسانية.

***

Jouf University Humanities Sciences Journal (AUHSJ)

It is a peer-reviewed academic journal issued in April, August and September and concerned with research on a variety of issues related to fields of humanities. It is published by Jouf University and it welcomes researchers worldwide to publish their original and innovative research. Every research submitted to the journal has to meet the demands of academic ethics and scientific methodology.

The journal aims to pioneer and keep up-to-date of the latest scientific developments through, firstly, sincere efforts and commitment to the scientific research ethics and methodology, and secondly, to provide an opportunity for thoughtful researchers in the fields of humanities, either Arabic or English language, namely, Islamic studies, Arabic language and literature, English language, Business Administration, Accounting, Social Sciences (History and Geography) and Law.

The first Issue of the journal was released in September 2014 under the name Journal of Jouf University for Social Sciences till the sixth Issue in July 2017. In 2018, Jouf University council has renamed the journal to AUHSJ. It is listed in scientific journals index with ISSN 7812-1658.

Vision:

Leadership and excellence in publication of distinguished research in humanities to achieve sustainable development for the university and society.

Mission:

Developing research in humanities in accordance with global quality standards to build a knowledgeable society.

Objectives:

1. Publishing original and innovative research studies in the field of humanities.
2. Enhancing intellectual and scientific communication with local universities, research centres and specialized institutions concerned with intellect and development, and exchanging academic publications with them.
3. Highlighting new studies in the discipline of humanities.
4. Meeting the demands of researchers at local, regional and international levels to publish leading research in humanities.

قواعد النشر في المجلة

١. يقدم الباحث الرئيس تعهدًا موقعًا منه، ومن جميع الباحثين المشاركين (إن وجدوا) يفيد أن البحث لم يسبق نشره، وأنه غير مُقدَّم للنشر، ولن يقدم للنشر في جهة أخرى حتى تنتهي إجراءات تحكيمه، ونشره في المجلة.

٢. لهيئة التحرير حق الفحص الأوّلي للبحث، وتقرير أهليته للتحكيم، أو رفضه.

٣. في حال قبول البحث للنشر تؤول كل حقوق النشر للمجلة، ولا يجوز نشره في أي منفذ نشر آخر ورقي أو إلكتروني، دون إذن كتابي من رئيس هيئة التحرير.

٤. الآراء الواردة في البحوث المنشورة تعبر عن وجهة نظر الباحثين فقط، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

٥. لهيئة التحرير الحق في تحديد أولويات نشر البحوث.

٦. تُقَدَّمُ البحوث إلكترونيًّا من خلال بريد المجلة الإلكتروني الرسمي:

Auhsj@ju.edu.sa

٧. يجب ألا يتجاوز البحث المقدم للنشر (٤٠) صفحة، متضمنة المستخلصين: العربي، والإنجليزي، والمراجع، والملاحق إن وجدت.

٨. يُعَدُّ ملخّصان للبحث: أحدهما: باللغة العربية، والآخر: باللغة الإنجليزية، لا تتجاوز كلمات كل منهما (٢٠٠) كلمة، يليهما كلماتٌ مفتاحية (Key Words) لا تزيد على خمس كلمات (غير موجودة في عنوان البحث)، تعبر عن المجالات التي يتناولها البحث؛ لتستخدم في التكشيف.

٩. تكون أبعاد جميع هوامش الصفحة الأربعة (العليا، والسفلى، واليمنى، واليسرى) ٣ سم، والمسافة بين الأسطر مفردة، ويكون ترقيم صفحات البحث في منتصف أسفل الصفحة.

١٠. يكون نوع الخط في المتن للبحوث العربية (Traditional Arabic)، فأما العناوين

الرئيسة فتكون باللون الغامق وحجم الخط(١٨)، وأما متن البحث فحجم الخط (١٦)، والهوامش بحجم (١٢)، والجداول بحجم (١٠)، وللبحوث الإنجليزية (Times New Roman)، بحجم (١١)، والجداول بحجم (٨).

١١. يكتب عنوان البحث، واسم الباحث، أو الباحثين، والمؤسسة التي ينتمي إليها، وعنوان المراسلة، على صفحة مستقلة (باللغتين العربية والإنجليزية). ثم تتبع بصفحات البحث، بدءًا بالصفحة الأولى حيث يكتب عنوان البحث فقط، متبوعًا بالمستخلص العربي والمستخلص الإنجليزي، ثم كامل البحث.

١٢. يراعى في كتابة البحث عدم إيراد اسم الباحث، أو الباحثين، في متن البحث صراحة، أو بأي إشارة تكشف عن هويته، أو هوايتهم، وإنما تستخدم كلمة (الباحث، أو الباحثين) بدلًا من الاسم أو الأسماء، سواء في المتن، أو التوثيق، أو في قائمة المراجع.

١٣. يوثق البحث في التخصصات الشرعية واللغوية وفق الآتي:

أ- كتابة الحاشية السفلية يكون بذكر (عنوان الكتاب، واسم المؤلف، والجزء/الصفحة).

ب- يوثق الباحث المراجع في نهاية البحث وفق الآتي:

١-إذا كان المرجع (كتابًا) : (عنوان الكتاب، فالاسم الأخير للمؤلف، فالاسم الأول والأسماء الأخرى، فاسم المحقق -إن وجد-، فبيان الطبعة ، فمدينة النشر: فاسم الناشر فسنة النشر).

٢-إذا كان المرجع (رسالة علمية لم تطبع) : (عنوان الرسالة، فالاسم الأخير للباحث، فالاسم الأول والأسماء الأخرى، فنوع الرسالة(ماجستير-دكتوراه)، فالمكان: فاسم الكلية، فاسم الجامعة، فالسنة).

٣-إذا كان المرجع (مقالًا من دورية): (عنوان المقال، فالاسم الأخير للمؤلف، فالاسم الأول والأسماء الأخرى، فاسم الدورية، فالمكان، فرقم الدورية، فسنة النشر، فالصفحة من ص... إلى ص...).

١٤. يوثق البحث في غير التخصصات الشريعة اللغوية بأسلوب جمعية علم النفس الأمريكية، الإصدار السادس:

(American Psychological Association – APA – 6th Ed.)

١٥. ينظم البحث وفق الآتي:

أ/ البحوث التطبيقية: يورد الباحث مقدمة تبدأ بعرض طبيعة البحث، ومدى الحاجة إليه ومسوغاته، يلي ذلك استعراض مصطلحات البحث، ومشكلة البحث، ثم تحديد أهدافه، فأهميته، ثم تساؤلات البحث أو فرضياته. فحدوده، فالإطار النظري والدراسات السابقة، ثم تعرض منهجية البحث؛ مشتملة على: مجتمع البحث، وعينته، وأدواته، وإجراءاته، متضمنة كيفية تحليل بياناته. ثم تعرض نتائج البحث ومناقشتها، والتوصيات المنبثقة عنها. وتوضع قائمة المصادر في نهاية البحث بإتباع أسلوب التوثيق المعتمد في المجلة.

ب/ البحوث النظرية: يورد الباحث مقدمة يمهد فيها للفكرة المركزية التي يناقشها البحث، مبينًا فيها أدبيات البحث، وأهميته، وإضافته العلمية إلى مجاله. ثم يعرض منهجية بحثه، ومن ثم يقسم البحث إلى أقسام على درجة من الترابط فيما بينها، بحيث يعرض في كل منها فكرة محددة تكوِّن جزءًا من الفكرة المركزية للبحث. ثم في ختام البحث يقدم خلاصة شاملة متضمنة أهم النتائج والتوصيات التي خلص إليها البحث.

١٦. يتأكد الباحث من سلامة لغة البحث، وخلوه من الأخطاء اللغوية والنحوية.

١٧. توضع قائمة بالمراجع العربية، تليها قائمة بالمراجع الإنجليزية، وفقًا لأسلوب التوثيق المعتمد في المجلة.

١٨. يحصل مؤلف (مؤلفو) كل بحث على (١٠) مستلات من كل بحث دون مقابل. ويتحمل المؤلف (المؤلفون) تكاليف ما زاد على ذلك، وعلى المؤلف طلب المستلات الإضافية قبل الإحالة للطبع، ويكون السداد مقدمًا.

Publishing Rules

1. The manuscript must be accompanied by a statement that the manuscript has not been submitted simultaneously for publication elsewhere.

2. The editorial board has the right to decide if the research is valid to be sent to the scientific arbitration or not.

3. All accepted manuscripts become the property of AUHSJ, and must not be published in any other vessel whether in paper or electronically without a written permission from the editor in chief.

4. Opinions in the manuscripts do not express AUHSJ view; rather they express only the researchers' views.

5. The editorial board has the right to set priorities in publication of research papers.

6. Manuscripts are submitted electronically through the e-mail address: auhsj@ju.edu.sa.

7. The research has to be written on A4 paper. The manuscript must not exceed 40 pages including Arabic and English abstracts and references.

8. Arabic and English abstracts have to include the following: research topic, objectives and methodology; the most important results; and the most important recommendations. Each abstract must not exceed 250 words, and it has to be very well written. Each abstract is followed by no more than five key word, which do not exist in the title of the manuscript - for indexing.

9. Page margins of the manuscript pages (top, bottom, left and right) must be 3 cm and the line spacing should be single. Also, a manuscript should include page numbers at the middle bottom of the page.

10. The font type in Metn for Arabic research is Traditional Arabic, the headlines are bolded and the font size is 18, the research body font size is 16, margins size 12, and tables size 10, and for English research (Times New Roman), size 11, and tables size 8.

11. Basic information about the research has to be written in both Arabic and English, and it has to include the following: research title; researcher's full name(s), affiliation, corresponding address typed on a separate page, followed by the manuscript pages where the title of the manuscript is typed at the top of the first page.

12. In initial submission of research papers, name/names of the author/authors should not be openly expressed in the manuscript or expressed by any indication that might reveal their identity; however, the word (researcher/researchers) may be used instead of the name in the manuscript, citation and references list.

13. Research in Sharia and linguistic specializations documented as follows:

A- Footnote should include the title of the book, the name of the author and the part / page.

B- The bibliography at the end of the research shall be according to the following:

1) Books: title of the book, last name of the author, first name and other names, name of the investigator - if any -, edition no., city of publication: name of the publisher and year of publication).

2) Unprinted thesis: title of the thesis, last name of researcher, first name and other names, type of thesis (Master or Ph.D.), location: College name, university name, year.

3) Article: title of the article, last name of author, first name and other names, name of the periodical, location, the number of the periodical, the year of publication, the page from... to ....

14. AUHSJ adopts the American Psychological Association (APA) Style-6th ed.

15. The manuscript must be organized as follows:

A) Empirical Research: Starts by an introduction that presents the background of the research, for it, and justifications for conducting it. Related studies should be integrated included in the introduction without allocating sub-titles. Then, present the problem followed by the objectives and questions or hypotheses. Afterwards, methodology should include: population, sample, materials, and procedures. Data analysis should be given and then followed by the results and discussion including recommendations. References should be at the end of the manuscript according to the APA Style.

B) Theoretical Study: starts by giving an introduction that paves the way for the central idea to be discussed in the research and illustrates the literature review, significance of study and its contribution to the field. Then, present the method followed by sections of the study and each section must reveal a certain idea that represents part of the central idea. The manuscript should be ended by a comprehensive summary that includes the most significant results that the study concluded.

16. It is the responsibility of the researcher to make sure that the manuscript is free of linguistic, grammatical and typo errors.

17. The Arabic references list should be at the end of the manuscript followed by the English references list according to the APA Style.

18. The researcher will be supplied with 10 free copies of the Issue. If additional copies are wanted، they could be ordered and paid in advanced.

المحتويات

	الموضوع	الباحث	الصفحة
	افتتاحية العدد	سعادة رئيس التحرير	13
1	قاعدة "ما عاد على الأصل بالإبطال فهو باطل" دراسة نظرية تطبيقية	د. عبد الحميد بن عبد الله بن أحمد الإدريسي	37
2	دعوة غير المسلمين من خلال آيات سورة الصافات "دراسة ميدانية "	د. خولة بنت يوسف المقبل	39
3	التحليل السردي للزمن في السيرة النبوية لابن إسحاق	د. مريم إبراهيم غبان	112
4	استدعاء التراث الديني في شعر كمال الدين ابن النبيه المصري	د. وفاء بنت ميّاح سالم العنزي	135
5	Writing apprehension of Saudi tertiary level English majors students, and its sources, in exam versus practice conditions	د. صلاح عايض الفروان	205
6	السياسة المائية للمملكة العربية السعودية " بناء السدود أنموذجًا" ١٤٠٢-١٣٧٣هـ/١٩٨٢-١٣٥٣م (دراسة تاريخية حضارية)	د. زهير بن عبدالله بن عبدالكريم الشهري	225
7	الحجية القانونية لقيود السجل العقاري وفقاً لنظام التسجيل العيني للعقار في المملكة العربية السعودية	د. محمود محمد أبوفروة	273
8	دور السياسة المالية في تحقيق التنمية الاقتصادية في المملكة العربية السعودية خلال الفترة ٢٠٠٠م-٢٠١٧م	د. سعد بن علي الوابل	315

العدد العاشر

افتتاحية العدد

الحمد لله، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد،

فيصافحكم العدد العاشر من مجلة جامعة الجوف للعلوم الإنسانية (أبريل 2021م) بصورة متجددة تعكس سعي المجلة؛ لتوسيع دائرة اهتمامها، وتنويع مجالات النشر فيها، وتجسد قدرة المجلة على نيل ثقة الباحثين في مختلف التخصصات والاهتمامات، حيث يضم العدد أبحاثًا لباحثين من عدد من الجامعات السعودية من داخل المملكة وخارجها.

يحفل هذا العدد من المجلة بثمانية أبحاث تغطي ستة مجالات تخصصية رئيسة، منها بحثان في العلوم الشرعية، أحدهما :في أصول الفقه، والآخر :في الدعوة، كما يضم العدد بحثين في علوم اللغة العربية وآدابها، إلى جانب بحث في تعليم اللغة الإنجليزية، وثان في الدراسات التاريخية الحديثة، وثالث في العلوم المالية.

بصدور هذا العدد تُكمل هيئة التحرير الحالية للمجلة عامها الأول من دورة تشكيلها الأولى، وهي مرحلة مهمة شهدت اتخاذ العديد من الخطوات والإجراءات التي استهدفت تطوير الأداء المهني للمجلة والارتقاء بجودتها العلمية، وهي جهود تذكر فتشكر لأعضاء هيئة التحرير، وللإخوة الزملاء في إدارة التحرير والإدارة التنفيذية للمجلة الذين يبذلون جهودًا مضاعفة للتحضير لأعمال هيئة التحرير، والتواصل مع المحكمين والباحثين، إلى جانب توليهم المهام اللازمة لإصدار الأعداد وطباعتها ونشرها إلكترونيًّا.

وعلى الرغم مما تحقق لمجلة جامعة الجوف للعلوم الإنسانية بجامعة الجوف من نجاحات جسدتها ثقة الباحثين، وثمنتها الهيئات والمجالس العلمية الجامعية داخل المملكة وخارجها إلا أننا نشعر في هيئة التحرير بأن ما تم من جهود تستهدف

تطوير مختلف صعد العمل في المجلة ليس سوى البداية الأولى لمراحل متتالية من التطوير، والتحسين، والتجويد، حيث ينتظر المجلة نقلات متعددة تستهدف تطوير محتواها العلمي، وتنويعه، وتحسين تجربة النشر فيها، وتعزيز مكانة المجلة بين أوعية النشر في الداخل والخارج.

وختامًا فإن ما سبق من طموحات يُحملنا في هيئة التحرير أعباء ضخمة؛ لنكون عند ثقة قيادات جامعة الجوف التي ديدنها الارتقاء بمكانة مجلات الجامعة ومنافذ النشر فيها، ولن تألو جهدًا في سبيل توفير كافة الدعم المادي والمعنوي اللازم لتحقيق ذلك.

والله من وراء القصد

رئيس التحرير

أ.د. فهد بن عبدالعزيز العسكر

جامعة الجوف
Jouf University

مجلة جامعة الجوف للعلوم الإنسانية
Jouf University Humanities Journal

مجلة علمية محكمة

البحوث

1

قاعدة "ما عاد على الأصل بالإبطال فهو باطل"
دراسة نظرية تطبيقية

عبد الحميد بن عبد الله بن أحمد الإدريسي
أستاذ أصول الفقه ومقاصد الشريعة المساعد
كلية الشريعة والقانون- جامعة الجوف

المستخلص

"حفظ الأصول" أهم سمات "علم الأصول" ووظائفه! ذلك ما سعت هذه الدراسة إلى لفت النظر إليه، وتسليط الضوء عليه، وذلك في أبرز وجوهه وأهم تجلياته، من خلال الدراسة المنهجية الشاملة للقاعدة العقلية المعرفية الأصولية المعلومة: "ما عاد على الأصل بالإبطال فهو باطل"، والتي تحكم طائفة كبيرة من قواعد الدرس الأصولي وقضاياه، وتشكل أساسًا نظريًّا لها، فكان رصد ذلك وتتبع حضوره، والكشف عن حقيقته وتحرير دلالته، والعمل على الوصول إلى ضوابطه، ثم إبراز جملة من نماذجه وتطبيقاته من أهم ما استقلت به هذه الدراسة، استقراء واستنباطًا، تحليلًا وتركيبًا، تمثيلًا وتجريبًا.

الكلمات المفتاحية:

إبطال الأصول –حفظ الأصول –الفرع والأصل –سمات المنهج الأصولي – العود على النص بالإبطال .

Abstract

This study focuses on a prominent feature and functions of the science of principles Islamic jurisprudence of (Usul al Fiqh), Protecting the origins, by studying the famous rule: "Everything that nullifies the original shall be void"

The research tracked its presence and its controls and applications, using the methods of induction, deduction, analysis, installation and experimentation.

Key Words

Protection of origins, Revocation of origins, Revocation of discourse, Branch and origin, Features of science of principles Islamic jurisprudence

المقدمة:

مشكلة البحث ودوافعه:

"أصول الفقه" منهج الاجتهاد الفريد، وطريق الاستنباط الوحيد، وليس ذلك فحسب، بل هو أيضًا حصن الدين الحصين، وحامي حماه المنيع، ليس مما يصدر عن أعدائه، بل حتى مما يصدر عن أهله المخلصين، ولما كانت الشريعة عبارة عن أحكام ونصوص، أو أحكام في نصوص، وكانت الأحكام منها كليات أصول ومنها جزئيات فروع، والنصوص مرة تدل بالألفاظ ومرة تدل بالمعاني، كان لابد بكل حال من المحافظة على تلك الأحكام والدلالات المتضمنة في تلك النصوص، وعدم التعرض لها بأي تبديل أو تغيير أو إلغاء أو إبطال، وكل حركة للعقل المسلم أو اجتهاد في النظر الفقهي فلابد أن ينطلق من تلك الأصول من الدلالات والأحكام ويبني عليها، ولا ينقض شيئًا منها، ولا ينقضها في شيء، فهذا مهيع جار في الأصول وشأن مقرر فيه معلوم، ولكن مع ذلك لابد من تجلية ذلك بالدراسة والبحث، والكشف عن تلك الخاصة في الأصول، فإن وراء ذلك أهدافًا جلية، وله دوافع قوية، منها:

١_ لهذه القاعدة -كما سيتبين- أهمية كبيرة في المحافظة على الأصول، وضبط عمليتي الفهم والتنزيل، ولها آثار قوية في الفقه وتأثير ينبغي رصده، كما أن لها أهمية بالغة في ضبط المناظرة وإفحام الخصوم، ومع ذلك فهي لم تحظ بحظها المناسب من الاهتمام البحثي.

٢_ الاهتمام الموجود على قلته لم يتناول القاعدة بالشمولية المطلوبة التي يحتمها انتشارها الواسع وحضورها القوي في أصول الفقه، وفي سائر العلوم الإسلامية على تنوعها[1]، فلا توجد دراسات تتبعت حضور القاعدة في تضاعيف الدرس الأصولي، بل الموجود منها اقتصر على المواطن التي جهروا بها فيها، ولا تعدو موضعين أو ثلاث! فكان بذلك تناولًا موضعيًا.

٣_ أن هذه القاعدة على اشتهارها وانتشارها -ولربما بسبب من ذلك- تستخدم أحيانًا بلا ضوابط أو وعي علمي حقيقي، وكثيرًا ما استدل بها في غير محلها، وفهمت على غير وجهها، حديثًا وقديمًا، وقد لاحظ ذلك الإمام الغزالي من قبل، فقال: «فإن قيل: إن من مشهور كلام الأصوليين: أن "كل علة مستنبطة من أصل عكرت على الأصل بالتخصص فهي باطلة"، وإن من شرط تعليل الحكم ألايتضمن تغييرًا لحكم المنصوص عليه، ومهما اقتضت الصيغة العموم، ثم تخصصت بعلة مستنبطة منها

---

[1] يظهر بعض ذلك من خلال التطبيقات التي عرضناها في الفصل الثالث.

فقد تغير حكم النص، وعكرت عليه العلة بالتخصيص، فكيف جاز ذلك؟ قلنا: الكلمات التي تداولتها الألسنة لا سبيل إلى تقليدها، دون البحث عن مداركها وأدلتها، وإنما اتباع صورها دأب العجزة الذين قعدت بهم البلادة عن الارتقاء إلى بقاع المعاني المعقولة، بالرأي الصائب والذوق السليم، فلازموا –بحكم القصور والعجز– حضيض التقليد، وركنوا إلى ما تداولته الألسنة من غير غوص على خفيات أسرارها، وتشوف إلى العثور على أغوارها، وهذا مزلة قدم لابد من الاتئاد فيه»[1].

٤ــ بل إن ما يعد من المباحث والقضايا الأصولية بؤرة لانبثاق القاعدة وتقريرها في العادة هو في الحقيقة مما لا يندرج تحت القاعدة ولا تصدق عليه، أعني في بعض الأمثلة التي بني عليها ذلك الموضع[2].

٥ــ ثم كان لابد من بيان وجه علمية القاعدة وأن الاهتمام بالأصل والمحافظة عليه لا يدل بحال على جمود في التفكير والمعرفة الإسلاميين كما قد يظهر لبادئ الرأي، بل هو بعكس ذلك يدل على حركة؛ لأنه لو كان الحال هو الجمود والسكون على الأصل لما احتيج إلى تقرير تلك القاعدة، فلما احتيج إلى تقريرها تبين أن الأمر في التفكير والمعرفة في الإسلام قائم على الحركة والنشاط والفعل الدائم .. وأن غرض القاعدة من ثم هو تحقيق الانضباط المطلوب في تلك الحركية.

أهداف البحث:

هدفت الدراسة إلى أمور، منها:

١ــ عرض القاعدة موضوع الدراسة وإيضاحها وإبراز معالمها وبيان حجيتها.

٢ــ بيان أهميتها في المعرفة الإسلامية بعامة، نظرًا ومناظرة، وفي علم أصول الفقه بخاصة.

٣ــ بيان مواقعها في علم الأصول ورصد امتداداتها الخفية في مسائله وحضورها الراسخ في قضاياه.

---

[1] شفاء الغليل، الغزالي، ص٨٠-٨١.

[2] فمثلًا: اللام في آية مصارف الزكاة ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ [التوبة: ٦٠] ليست للتمليك حتى يقال بأن الصرف لصنف واحد إبطال للنص، كذلك تجويز دفع القيمة في الزكاة ليس من باب الإبدال، كما يرى الحنفية، (ينظر: أثر تعليل النص، أيمن صالح، ص١٥٠)، وكما قال الغزالي، بل هو تعميم لأن الشاة عندهم بقيت مجزئة أيضًا ، وقال الطوفي في ترجيح العلل أنها تقدم: «ما لا ترجع على أصلها بالإبطال على غيرها، كما يقول الحنفي في قوله عليه السلام: "في خمس من الإبل شاة" المعقول من هذا إيجاب مالية الشاة لإغناء الفقراء، فتجزئ قيمتها؛ لأن علة المالية المستنبطة من النص المذكور، عادت عليه بالإبطال، فتقدم عليها العلة الأخرى، وهي قصد الشارع التشريك بين الأغنياء والفقراء في جنس المال، لأنها تقرر أصلها ولا تبطله، قلت (أي الطوفي): وهذا ضعيف، لأن ما ذكره الحنفية من باب تنقيح المناط، وهو محل اجتهاد، وأحسب أن خصومهم تمحلوا لهذا الوجه من الترجيح حتى يبطلوا به تأويلهم، ومذهبهم في دفع القيمة في الزكاة قوي جدًا» شرح مختصر الروضة، ٧٣١/٣.

٤_ تحرير ألفاظها وأنواع صيغها ومحل النزاع فيها.

٥_ استخلاص ضوابطها وشروط إعمالها.

٦_ عرض جملة من تطبيقاتها العملية المتنوعة في مختلف الفروع والأبواب.

الدراسات السابقة:

تعرض الأصوليون على اختلاف طبقاتهم وطرائقهم لهذه القاعدة في الفقه والأصول ابتداء من الشافعي[١]، والجويني، والسرخسي، والغزالي، والقرافي، والآمدي، وابن دقيق العيد، والمقري، والتلمساني، والشاطبي، والزركشي، والونشريسي، وغيرهم، ووقفوا عندها واحتجوا بها وبنوا عليها الأحكام وخرجوا الفروع.

أما في الدراسات المستقلة المعاصرة، فلم أطلع على عمل بهذا العنوان، أو مطابق تمامًا لموضوعه وأهدافه، لكن توجد دراسات قريبة، منها ما تعرض لقضية البحث الجوهرية، كما هو الشأن في البحث المعنون بـ: "أثر تعليل النص على دلالته"، لأيمن علي صالح[٢]، وهو عمل مهم، عرض فيه صاحبه آراء الأصوليين حول قاعدة (استنباط معنى من النص يعود عليه بالإبطال) ومذاهب الفقهاء فيها، وتمييز المحققين من الأئمة بين ما يجوز وما لا يجوز من التأثير، مستدلًا بسيرة الصحابة والتابعين وتصرفاتهم في ذلك، ومنها ما يتقاطع مع قضية البحث في بعض وجوهها، مثل علاقة النص بالمصلحة، وتخصيصها له، أو إيقافها العمل به، وغير ذلك من القضايا والضوابط الواردة في هذه الدراسة.

الإضافة التي يقدمها البحث:

أما هذا البحث فقد كانت فائدته وإضافته المعرفية بالنظر إلى ما سبق تتمثل في:

١_ تعزيز البحث إجمالا في الموضوع، كون الأبحاث فيه قليلة كما ذكرنا.

٢_ معالجته الشاملة لقضية البحث؛ في المعرفة بعامة، وتتبعه لحضورها في المباحث الأصولية بخاصة.

٣_ زيادة تحريره لمحل النزاع في القاعدة وبيان المراد بالنص فيها.

---

[١] قال الجويني: «مما غلظ الشافعي فيه القول على المؤولين **كل ما يؤدي التأويل فيه إلى تعطيل اللفظ** (...) وهذا في التحقيق **تأسيس معنى يعطل تقييدات أمر الله تعالى** ...» البرهان، ١/٢٩٠.

[٢] بحث ماجستير من الجامعة الأردنية، ١٩٩٦م.

٤_ استخلاصه لمزيد من ضوابط إعمال القاعدة وشروطها.

٥_ عنايته بالتطبيقات العملية للقاعدة في مجالات حيوية ومعاصرة متنوعة.

منهج البحث:

اعتمدت الدراسة –في تحقيق أهدافها– جملة من مناهج البحث العلمية الملائمة لطبيعة الموضوع، خاصة من ذلك: الاستقراء والاستنباط، والتحليل والتركيب، والتجريب (التطبيق)، كما لجأت أحيانا إلى الوصف والمقارنة.

خطة تنظيم البحث:

ابتدأ البحث بمقدمة وانتهى بخاتمة كما هو المعهود، وبينهما انقسم إلى ثلاثة فصول.

الفصل الأول: حضور القاعدة في المنهج الأصولي، وتحته أربعة مباحث تحتها مطالب ومسائل

الفصل الثاني: في تحرير ألفاظ القاعدة ومدلولها، وجاء في مبحثين تحتهما مطالب ومسائل

الفصل الثالث: تطبيقات متنوعة للقاعدة، وانقسم إلى أربعة مباحث تحتها مطالب ومسائل

وصلى الله وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه.

***** ***** *****

الفصل الأول: القاعدة في المنهج الأصولي

غرض هذا الفصل تتبع حضور القاعدة في ثنايا المنهج الأصولي، وتحري شيء من مواطن انتشارها وتجليها، سواء ما كان من ذلك مصرحًا به ظاهرًا، أو ما كان منه خفيًّا مضمرًا، وقد انتظم هذا الغرض في ستة مباحث، جاءت بحسب مباحث الدرس الأصولي المعروفة:

المبحث الأول: الأدلة الأصلية والأدلة التبعية:

تتنوع مآخذ الأحكام في الشرع وأدلتها الإجمالية إلى أنواع، فمنها ما هو أصلي، ومنها ما هو تبعي، ومنها هو غير ذلك[1]، فالأصلي الكتاب والسنة، أما التبعي فمثل القياس، والمصلحة، و العرف، و شرع من قبلنا، إلخ، والمعيار الضابط في التبعية الموافقة للأصلية من عدم الموافقة، فإن الأصلي هو الدليل بذاته، أما التبعي فتابع للأصل، فهو ليس دليلًا إلا من جهة كونه تابعًا للأصلي، متفرعًا عنه، خارجًا منه، فاقتضى ذلك أن يكون موافقًا للأصل لا مخالفًا، فأحرى أن يكون مبطلًا له، ومن هنالك أخذ الأصوليون في هذا الباب بقاعدة "ما عاد على أصله بالإبطال فهو باطل"، وإن لم يعتنوا بالتصريح بها والتنصيص عليها، ولعل ذلك لوضوحها في هذا المحل، وعدم النزاع حولها فيه، ولذلك وجوه وصور منها:

المطلب الأول: فساد الاعتبار في القياس:

من شروط القياس الصحيح عند الأصوليين ألايكون واردًا في مقابلة النص[2]، فإنه إذا كان كذلك كان قدحًا فيه، وصار بسببه فاسدًا، ويسمونه فساد الاعتبار، فالقياس من الأدلة التابعة، لا يلجأ إليه حال وجود النص، الذي هو الحكم القطعي في عين المسألة، في الكتاب، أو السنة الثابتة، أو الإجماع المعلوم؛ لأنه سيكون إبطالًا له وإبدالًا، ويؤول إلى قياس نص على نص، وقياس النص على النص باطل بالإجماع[3].

---

[1] ينظر: في إعادة تصنيف الأدلة الأصولية، مجلة أصول، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية- جامعة أم القرى، العدد١، ١٤٤٠هـ.

[2] ينظر: الإحكام، الآمدي، ٤/٨٨.

[3] ينظر: المستصفى، الغزالي، ٣/٧٤٢.

المطلب الثاني : المصلحة الملغاة:

إذا نطق الشارع بعدم اعتبار مصلحة من المصالح فلا يمكن لأي اجتهاد بعد ذلك أن يعيد لها الاعتبار، مثل ما حصل في فتوى يحيى بن يحيى الليثي المشهورة للأمير الأموي الذي انتهك حرمة رمضان، فأفتاه بالصوم دون الإطعام أو العتق، تشديدًا عليه، وتشوفًا منه لمقصد الازدجار، مع أن الإجماع قائم على تأخير الصوم أو التخيير بين الخصال، فكانت من ثم تلك الفتوى باطلة لأنها في مقابلة النص والإجماع.

وما قيل في القياس والمصلحة قيل في غيرهما، كـ "العرف" مثلًا فإنه أيضًا دليل معتبر، لكن من شروط اعتباره ألايخالف النص، من منطوق أو إجماع، و"شرع من قبلنا" هو دليل على الراجح بشرط ألايرد في شرعنا له ناسخ، أي مبطل، فعندها لا يكمن الأخذ به.

وبالجملة،كل ما يصدر عن المجتهدين من اجتهاد في فتوى أو قضاء وما يخرج من الأدلة من أحكام فإنه لا يجوز أن يبطل الأصول المقررة بحال، واتفقوا أن غلبة الظن مهما كانت مقبولة، إلا أن الحكم ينقض إذا خالف النص الصريح، أو الإجماع، أو القياس الجلي، أو القواعد العامة[1]، بعد اتفاقهم على أنه "لا اجتهاد في مورد النص".

المبحث الثاني: الدلالات والتأويل:

المعاني الجزئية إنما تؤخذ من الألفاظ، فهي معها بمنزلة الأصل مع الفرع، ولا يصح اتباع الفرع مع إلغاء الأصل[2]، لذلك كان من شروط التأويل الذي هو وجه من وجوه دلالة اللفظ، ألا يعود على الأصل بالإبطال، وتجلى ذلك عند الأصوليين من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: في التأويلات الفقهية:

في باب التأويلات من كتب الأصول ابتداء من الجويني فمن بعده، أطبقوا هنالك على ذكر قاعدة "**كل تأويل يعود على أصل النص بالإبطال فهو باطل**"، فهذا الباب أحد بؤرتيها الرئيستين في الأصول، ويعرضون لها من خلال نماذج تطبيقية كحديث: نكاح المرأة بغير إذن وليها وإبطال العموم الوارد فيه، وحديث إخراج الشاة في الزكاة والقول بجواز قيمة الشاة وأنه إبطال لتعيين الشاة، وآية مصارف الزكاة

---

[1] ينظر: قواعد الأحكام، العز بن عبد السلام، ٦٨/٢. الفروق، القرافي، ف ٢٢٣. فتاوى السبكي، ٤١٢/١. إيضاح المسالك، الونشريسي، ق٩. موسوعة القواعد الفقهية، القسم الثامن، ص١٨٤.

[2] ينظر: الموافقات، خاتمة كتاب المقاصد.

والصرف إلى صنف واحد من الثمانية وما فيه من إبطال لـ (لام) التمليك الواردة في النص، إلى غير ذلك من الأمثلة، وسوف نعرض لذلك في سياقه المناسب في الفصل التالي بحول الله.

وهناك مجموعة من القواعد الأصولية في مبحث الدلالات مبناها على تحكيم هذه القاعدة، وذلك مثل مفهوم الموافقة، ومفهوم المخالفة، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وغير ذلك.

فمن شرط الأخذ بالمفهوم في المسكوت عنه ألا يؤدي إلى إبطال فائدة تخصيص المنطوق به بالذكر، فإذا فهمنا أن المنطوق به خصص بالذكر لسبب ما فلا يؤخذ بمفهوم المخالفة ذاك، كما في حديث "من نسي صلاة أو نام عنها فكفارتها أن يصليها إذا ذكرها"[١]، فمفهوم المخالفة هنا لا يعتد به؛ لأن ذلك التخصيص يحتمل أنه خرج على نفي توهم حاصل في الذهن بعدم القضاء، كون سبب الترك النوم والنسيان، وهو من العوارض المعفو عن آثارها، وقد يكون التخصيص بالذكر خارجًا مخرج الغالب، إلخ، أما إن لم نفهم فائدة لذلك التخصيص غير القصد إلى التخصيص نفسه فإن المفهوم في هذه الحال يؤخذ به، ويكون ترك الأخذ به إبطالًا لفائدة ذلك التخصيص، ومن هنا قالوا: «لولا المفهوم لخلا التخصيص عن فائدة، وذلك لا يجوز في كلام البلغاء، فالشارع أجدر»[٢]، كما قالوا: «لو لم يدل على نفي الحكم، خلا التخصيص عن فائدة»[٣].

كذلك مفهوم الموافقة: هو أيضًا مبني على ذلك الأصل لأن عدم الأخذ بالأعلى من الطلب بالفعل أو الكف الذي سكت عنه النص هو إبطال لمقصود النص في اقتصاره في النطق على الأدنى فإنه إنما اكتفى به تنبيها على الأعلى وإذا كانت القاعدة أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فلا يمكن أن نستثني صورة السبب بتخصيص أو غيره لأنه عود على الأصل بالإبطال كما في قوله تعالى:﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ [الأعراف: ٢٠٤]، نزلت في ناس يقرؤون مع الإمام في الصلاة[٤]، فلا يمكن القول بأن دلالتها لا تشمل ما كان من القراءة داخل الصلاة مع جعل المراد عامًا في القراءة خارجها، وذلك أن صورة السبب مقصودة قطعًا ، كيف وهي المحل الذي نزلت فيه الآية؟!

---

[١] متفق عليه: البخاري (٥٩٧)، ومسلم (٦٨٤) واللفظ له.

[٢] فواتح الرحموت، ٤٥٦/١

[٣] تيسير التحرير، ص١٠٥

[٤] ينظر: تفسير الطبري، ٣٤٥/١٣ فما بعدها.

فهذه جملة من القواعد الأصولية المتعلقة بدلالات النصوص والمبنية على القاعدة، وإذا أبطل بالقاعدة ما ليس منضبطًا من تأويلات الفقهاء فأحرى أن تبطل تصرفات غيرهم من المعتزلة والفلاسفة والباطنية والمستشرقين حديثًا ومن اتبعهم من المبطلين.

المطلب الثاني: تأويلات المعتزلة والفلاسفة والمستشرقين وأشباههم:

أغلب تأويلات المعتزلة تأتي في مقابلة النص، وتكون تعطيلًا للمنصوصات وللصيغ التي هي مأخذ المعاني؛ لأن الحاكم عندهم هو العقل، فعلوا ذلك في صفات الله عز وجل، وفي الأخبار المتعلقة بيوم القيامة، وفي كثير من الأحكام العملية إلى غير ذلك، كما أن ذلك يؤدي بهم كثيرًا إلى إبطال مقتضيات الألفاظ ومدلولاتها في العربية.

وكذلك في قول بعض المستشرقين ومن تبعهم بأن **القصص القرآني** إنما هو تخييل وأساطير لا حقيقة لها في الواقع الخارجي، وأن الغرض العبرة، إبطال للنص، فذلك القصص عندهم «إنما هو ضرب من القول شبيه بما يوضع من حكايات بين أشخاص مفروضين أو على ألسنة الطيور والحيوان للإيحاء فقط بمغزى الحكايات من الإرشاد إلى فضيلة والحث عليها أو التحذير من رذيلة والتنفير منها»[١].

كذلك الشأن بالنسبة لمن يرى من الفلاسفة أن مسألة **الثواب والعقاب** والجنة والنار إنما هي لمجرد التخويف والترغيب، وبغرض التهذيب والإصلاح لنفوس العامة[٢]، ولا حقيقة لها!!

المطلب الثالث: تفسيرات الباطنية:

الاحتمال في اللفظ إن كان نافرًا بعيدًا ومن غير دليل كان الأخذ به إبطالًا للنص، ومن ذلك التفسيرات الباطنية التي هي في الحقيقة تحريف صريح للكلم عن مواضعه، حيث لا تقوم تلك التأويلات على علاقة وضعية محتملة بين اللفظ الوارد والمعنى المستورد سوى مشاركة أحدهما للآخر في شيء ما، وهو أمر لا ينحصر، «إذ لم يخلق الله شيئين إلا وبينهما مشاركة في وصف ما»[٣]، فتبطل من ثم فائدة اللغة من الأساس، فتأويلات الباطنية تعود على الألفاظ بالإبطال، حتى تصيرها لهوًا ولعبًا، ذلك أنّ المعنى في تلك الحال لا يكون متفقًا مع اللفظ، وكل ما لا يتفق مع اللفظ فهو باطل[٤]، وهم لم يقفوا في ذلك التصرف

---

[١] تفسير القرآن، محمود شلتوت، ص٤٦-٤٧. وينظر في الاطلاع على ذلك المذهب: الفن القصصي في القرآن الكريم، محمد أحمد خلف.

[٢] ينظر تهافت الفلاسفة، المقام الثاني لبيان حال المعاد الجسماني.

[٣] ينظر: فضائح الباطنية، ص٦١.

[٤] ينظر في تقرير ذلك: الموافقات ٣/٣٣٠.

عند حد، فإنهم لم يتركوا لفظًا في الدين والقرآن إلا أولوه وحملوه على قضية مذهبهم[1]، فلم يبطلوا أصلًا أو أصلين بل أبطلوا جملة الشريعة، «واستفادوا بما انتزعوه من نفوسهم من مقتضى الألفاظ إبطال معاني الشرع (...) فقد قالوا كل ما ورد من الظواهر في التكاليف والحشر والنشر والأمور الإلهية فكلها أمثلة ورموز إلى بواطن»[2].

المبحث الثالث: القياس والتعليل:

إذا كانت المعاني (الجزئية) فرع الصيغ والألفاظ، فالقياس فرع الفهم والمعنى، فإذا لم يفهم المعنى بل معنى المعنى فلا يمكن التعدية والقياس، وعليه فقاعدة امتناع نقض الفرع للأصل تقتضي ألا يبطل معنى المعنى (العلة المستنبطة) المعنى (النص ودلالته) فمن هنا جاءت قاعدة: "لا يجوز أن يستنبط من النص معنى يعود عليه بالإبطال"، فكان من ثم مبحث القياس -والعلة منه بخاصة- البؤرة الثانية الأساس التي تظهر فيها هذه القاعدة علنا في علم الأصول حيث يذكرونها هنالك، ويمكن النظر في حضورها في المباحث المتعلقة بالقياس والتعليل من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: مسلك الإيماء والتنبيه:

ذكر الغزالي أننا إذا فهمنا العلة بطريق الإيماء والتنبيه فهل تكون صريحة لا يتطرق إليها التأويل أم أنها ظاهرة يجوز تغييرها بمسالك الأدلة؟ وأجاب بأن الصريح من ذلك والثابت الذي لا يجوز إلغاؤه بحال هو كون الوصف المذكور معتبرًا على الجملة في إثبات الحكم، فأما اعتباره بطريق كونه علة أو سببًا أو شرطًا أو مستقلًا بنفسه فيكون عامًا أو منضمًا إليه غيره فيكون مختصًّا ببعض المحال، فكله مما ليس بصريح بل يحتمل ويخضع للاجتهاد[3]، فإذا كل معنى مستنبط من النص فلا يجوز له أن يعود بالإبطال على ذلك الجزء المعتبر إجمالًا والذي هو الوصف المفهوم من النص بطريق التنبيه والإيماء.

---

[1] ينظر أمثلة لتلك التفسيرات في: فضائح الباطنية، ص٥٥-٥٦-٥٧

[2] المرجع السابق، ص٥٥.

[3] شفاء الغليل، ٥٩-٦٠.

المطلب الثاني : من شروط الأصل المقيس عليه:

يقول الغزالي مؤكدًا ما سبق في المسلك الثاني: «الشرط السابع [من شروط الأصل]: ألا يتغير النص الذي منه الاستنباط بالتعليل بل يبقى على ما كان قبل التعليل، **وهذا بين فيما اللفظ نص فيه**، أما إذا كان اللفظ عامًا أو ظاهرًا لم يبعد أن يتغير بالتعليل ظهوره وعمومه فيتطرق إليه تخصيص وتأويل»[1].

المطلب الثالث: القياس في الأسباب:

إن قاعدة منع القياس في الأسباب عند من يقول بها مبنية على هذا الأصل العقلي، فإنا إذا قسنا اللواط على الزنا انتفى أن يكون الزنا هو السبب في الحد، بل السبب هو العلة الجامعة بين الأصل والفرع، ومن شرط القياس بقاء حكم الأصل، وهو زائل[2].

المطلب الرابع: المظنات والأوصاف الظاهرة:

لجأ الشرع إلى اعتماد المظنات والأوصاف الظاهرة طلبا للضبط ودرءًا للاضطراب ولعدم القدرة على إدراك حقيقة العلة في نفس الأمر، لكن إن علمت العلة المصلحية وبانت فأي موجب للبناء على الأوصاف الظاهرة حينها؟ إن البناء في تلك الحال على مظنة العلة إنما هو إبطال للعلة نفسها، أو على الأقل لجزء منها، فلابد من التحول إلى اعتماد ذات العلة، والإعراض عن المظنة[3].

المطلب الخامس: نقض العلة:

من مشهورات المسائل الأصولية في القياس والعلة المسألة الموسومة بنقض العلة، أي إبطالها، حيث يتخلف الحكم مع وجود الأوصاف المعلل بها، وذلك أن من شروط صحة العلة الاطراد، فهذا هو المستند التي تقوم عليه، بحيث يوجد الحكم كلما وجدت، فلو حصل أن وجدت ولم يوجد الحكم لكان ذلك نقضًا للاطراد ومن ثم إبطالًا للعلة، فيكون باطلًا عند من لا يجيز النقض، وغير مبطل عند من يجيزه.

---

[1] المرجع السابق، ص٦٤٢.

[2] الابهاج بشرح المنهاج، ص٢٢٦٥.

[3] ينظر: تخريج الفروع على الأصول، الزنجاني، ص٢٩٩، وفيه أمثلة: «منها: أن المشرقي إذا تزوج بمغربية ثم أتت بولد لستة أشهر فصاعدًا، قال الشافعي رضي الله عنه لا أحكم بأنه لحق به، لأن مضمون السبب أمكن الاطلاع عليه، إذ قد علمنا قطعًا أن من هو بالمشرق لا يحبل من هو بالمغرب، فألغينا صورة السبب وعلقنا الحكم على مضمونه (...) فقد أمكننا الاطلاع على مضمون السبب وقد علمنا قطعًا أن الولد ليس منه فلم نعتبر صورة السبب، ومنها: أنه إذا تزوج امرأة حاضرة وطلقها من ساعته في مجلس العقد من غير دخول ثم جاءت بولد لا يثبت نسبه منه عندنا» ص٣٠٠-١٠١. وراجع أيضًا : التحقيق والبيان في شرح البرهان، الأبياري، ٣٣٦/٤.

المطلب السادس : دوران الحكم مع علته وجودًا وعدمًا:

قاعدة "الحكم يدور مع علته وجودا وعدما" قاعدة مقررة في علم الأصول، ولكن يمكن القول إن لها شرطًا ضابطًا، وهو ألا تعمل في حال عدم وجود نص يبقي على الحكم مع فقد العلة، وإلا كان تعليلًا في مقابلة النص، فلو وجد نص يبقي على الحكم مع فقد العلة ومع ذلك أعملت قاعدة الدوران هذه، فأعدم الحكم لانعدام العلة لكان ذلك فعلًا إبطالًا للنص؛ لأن النص أبقى على الحكم مع غياب العلة، والنظر[1] غيب الحكم لغياب العلة، وهو تصرف مبطل للنص فكان باطلًا .

المبحث الرابع: المقاصد والاجتهاد:

المطلب الأول: المصالح الأصلية والمصالح التكميلية:

يقول الشاطبي: «كل تكملة فلها –من حيث هي تكملة– شرط، وهو **ألا يعود اعتبارها على الأصل بالإبطال**، وذلك أن كل تكملة يفضي اعتبارها إلى رفض أصلها فلا يصح اشتراطها عند ذلك، لوجهين :

أحدهما: أن في إبطال الأصل إبطال التكملة لأن التكملة مع ما كملته كالصفة مع الموصوف، فإذا كان اعتبار الصفة يؤدي إلى ارتفاع الموصوف لزم من ذلك ارتفاع الصفة أيضًا ، فاعتبار هذه التكملة على هذا الوجه مؤد إلى عدم اعتبارها، وهذا محال لا يتصور، وإذا لم يتصور لم تعتبر التكملة واعتبر الأصل من غير مزيد.

والثاني : أنا لو قدرنا تقديرًا أن المصلحة التكميلية تحصل مع فوات المصلحة الأصلية لكان حصول الأصلية أولى لما بينهما من التفاوت.

وبيان ذلك أن حفظ المهجة مهم كلي، وحفظ المروءات مستحسن ، فحرمت النجاسات حفظًا للمروءات وإجراء لأهلها على محاسن العادات فإن دعت الضرورة إلى إحياء المهجة بتناول النجس كان تناوله أولى.

وكذلك أصل البيع ضروري، ومنع الغرر والجهالة مكمل، فلو اشترط نفي الغرر جملة لانحسم باب البيع، وكذلك الإجارة ضرورية أو حاجية، واشتراط حضور العوضين في المعاوضات من باب التكميلات،

---

[1] وعلى هذا الأساس يخرج مذهب من يقول في الزمن المعاصر بتاريخية النص، فإن ذلك مبني في كثير من الصور على القول برفع الحكم لارتفاع العلة، دون مراعاة الشرط المذكور وهو: هل يوجد نص يصرح ببقاء الحكم في جميع الأحوال والأزمنة أو لا يوجد.

ولما كان ذلك ممكناً في بيع الأعيان من غير عسر، منع من بيع المعدوم إلا في السلم، وذلك في الإجارات ممتنع فاشتراط وجود المنافع فيها وحضورها يسد باب المعاملة بها، والإجارة محتاج إليها فجازت وإن لم يحضر العوض أو لم يوجد (...) ومنه إتمام الأركان في الصلاة مكمل لضروراتها، فإذا أدى طلبه إلى ألا تصلى -كالمريض غير القادر- سقط المكمل، أو كان في إتمامها حرج ارتفع الحرج عمن لم يكمل وصلى على حسب ما أوسعته الرخصة، وستر العورة من باب محاسن الصلاة، فلو طلب على الإطلاق لتعذر أداؤها على من لم يجد ساترًا إلى أشياء من هذا القبيل في الشريعة تفوق الحصر، كلها جار على هذا الأسلوب»[1].

ومن القواعد المرتبطة بالاجتهاد المقاصدي، قاعدة: "**ما لا يدرك كله لا يترك جله**"، وهي من هذا الباب؛ لأن طلب الكل ومحاولة إدراكه دون نقص والسعي لذلك مع أنه غير ممكن هو في النهاية نقض للكل، ومن ثم تكون محاولة إدراك الكل باطلة، ونستعيض عنها بالعمل على إدراك البعض ونكتفي به، وفي ذلك محافظة على الأصل.

المطلب الثاني: المقاصد الأصلية والمقاصد التابعة:

المقاصد التابعة مهما تنوعت وكثرت فإنها مبنية على المقاصد الأصلية خادمة لها، وبذلك الاعتبار كانت تابعة وسميت كذلك، فكل ما لا يخدم المقصد الأصلي للحكم لا يكون مقبولًا ولا مشروعًا[2].

المطلب الثالث: قصد الشارع وقصد المكلف:

لا يجوز لقصد المكلف أن يأتي مناقضًا لقصد الشارع، وإلا كان العمل باطلًا غير مشروع؛ لأن قصد الشارع هو الأصل لقصد المكلف وقصد المكلف بمثابة الفرع له، أو ينبغي أن يكون فرعًا له، فلا يصح أن يناقضه أو يعود عليه بالإبطال، فلو وافق العامل الشريعة في الظاهر بعمله إلا أنه قصد في الباطن به غير ما قصد الشارع فإن ذلك العمل يرجع على أصله بالإبطال فيكون من ثم باطلًا ، فـ «كل من ابتغى في تكاليف الشريعة غير ما شرعت له فقد ناقض الشريعة، وكل من ناقضها فعمله في المناقضة باطل، فمن ابتغى في التكاليف ما لم تشرع له فعمله باطل»[3]، ومن هنا أخذ الفقهاء بقاعدة "سد الذرائع" تجنبًا لإبطال الفرع الأصل، وذلك حيث يغلب على الظن بحكم العادة مخالفة قصد المكلف لقصد الشارع،

---

[1] الموافقات، ٢/٢٩-٣٠.

[2] ينظر: الموافقات، ٢/٣٠٣، ٣/١٣٩ فما بعدها.

[3] الموافقات، ٣/٢٧.

وأخذوا كذلك بقاعدة "الاستحسان" إذ يكون اعتبار الحكم الأصلي مؤديًا إلى تغيير فائدته وإبطال مقصوده، ومنه قيل عامة بـ "مراعاة المآلات"[1].

ومن الأمور المعربة عن المقاصد: "الشروط"، فمن ثم لم يكن لشروط المكلفين والمتعاقدين أن تأتي مناقضة لشروط الشارع الموضوعة، وفهم العلماء قوله ﷺ: "كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل"[2] بمعنى كل شرط مخالف لما كتبه الله ووضعه من الأحكام والشروط، أي كل شرط يجعله المكلف في العقد مخالف لما جعله الله في الشرع لذلك العقد من الشروط فهو باطل، إذ شروط الشارع وضعت وفق الحكمة من العقد ولإبرام مقتضاه، وتحصيل مقصوده على أكمل وجه، فإن جاءت شروط المكلف مخالفة لها فيعني ذلك أنها مخالفة لحكمة العقد ومقصوده عائدة عليه بالإبطال أو الإخلال، ومن ثم كانت قاعدة: "كل شرط في العقد ينافي مقتضى العقد فهو باطل"[3]، وقال الكرخي: «الشيء يعتبر ما لم يعد على موضوعه بالنقض والإبطال»[4]، أي يعتبر التصرف ما لم يترتب عليه إبطال الفائدة منه ووقوع الضرر بسببه.

الفصل الثاني: تحرير القاعدة؛ الألفاظ والمدلول، و الضوابط والشروط:

المبحث الأول: تحقيق مدلول القاعدة وحجيتها وتحرير ألفاظها ومحل النزاع فيها:

المطلب الأول: في حجية القاعدة:

القاعدة متفق عليها في الجملة، ويستدل بها أرباب المذاهب من كل المعارف والفنون، ويحتج بها بعضهم على بعض، إنها مبدأ عقلي يقيني، بل هي بدهية، أو ضرورية، لا يتوقف العلم بها على نظر أو تفكير، وإنما يستدل بها على غيرها ابتداء.

فثنائية "الأصل والفرع" قانون بيّن الوضع والتصور، محكم الارتباط والعلاقة، يضاهي مبادئ عقلية أولية، ومن جنسها أو هي من جنسه، وذلك: كالقلة والكثرة، والضيق والوسع، والقصر والطول، والصغر

---

[1] ينظر الموافقات، ٥/١٧٧.

[2] مسلم (١٥٠٤)، النسائي (٣٤٥١)، ابن حبان (٤٢٧٢)، ابن ماجة (٢٠٥٩).

[3] معلمة زايد، ق٣١٧.

[4] موسوعة القواعد الفقهية، ٦/٢٠٠

والكبر، والضعف والقوة، والكل والجزء، والخصوص والعموم، والقطع والظن، والعلة والمعلول، والذات والوصف، إلى غير ذلك من المقولات والنسب والإضافات المعقولة[١].

وعليه، فكون الأصل أقوى من الفرع هو من الأحكام المركوزة في العقول، وكذلك كونهما متضايفين لا يدرك أحدهما إلا مقترنًا بإدراك الآخر، وكون الأصل أسبق من الفرع في الوجود، وأنه متبوع والفرع تابع، وأن منه يخرج الفرع ويتولد، وعليه يستند وإليه يرجع، ومن ثم لا يمكن أن يتصور في الذهن هدم الفرع للأصل بحال، فكل فرع كيفما كان إذا حاول أن يبطل الأصل فإنه هو الذي يبطل في أثناء ذلك، فيكون في إبطاله الأصل إبطال ذاته هو بالضرورة، «لأن الحق لا ينتج إلا حقًّا كما أن الباطل لا ينتج إلا باطلًا »[٢]، والفرع لا يثبت والأصل باطل، كما أن الظل لا يستقيم والعود أعوج، و«المسبب لا يحصل والسبب غير حاصل»[٣]، وأيضًا مثلما أن «نفي الأعم يستلزم نفي الأخص، لكن نفي الأخص لا يستلزم نفي الأعم، وإثبات الأعم لا يستلزم إثبات الأخص، لكن إثبات الأخص يستلزم إثبات الأعم»[٤].

ثم الأصل بالنسبة إلينا هو قطعي معلوم، ووجوده ثابت محقق، أما الفرع فطارئ علينا لم يكن، فهو ظني لم يثبت بعد، وكيف نحكم بثبوته وانتسابه للأصل وهو مع ذلك مخالف له؟! فلابد من تقديم القطعي وإلغاء الظني[٥]، ثم الفرع بالنسبة إلى الأصل بمنزلة «الصفة مع الموصوف، فإذا كان اعتبار الصفة يؤدي إلى ارتفاع الموصوف لزم من ذلك ارتفاع الصفة أيضًا»[٦].

وعلى وفق هذا المبدأ اليقيني تنزلت أحكام الشرع، فكان مناقضة الفروع للأصول، وعقوق الأولاد للوالدين، من الأمور المعلوم منعها بالضرورة في الدين، كما نفى الله تعالى ما قد يتوهم من أن الفرع المبطل لأصله يبقى صحيحًا مع ذلك، أي مع إبطاله للأصل، بل حكم أنه باطل وليس من الأصل في شيء،

---

[١] ينظر ما يسمى عند المناطقة "المقولات العشر"، مثلا في: ضوابط المعرفة، ص٣٢٨ فما بعدها.

[٢] الاعتصام، ٢/١١٦.

[٣] قواعد المقري، من القاعدة ٥٨٨.

[٤] ضوابط المعرفة، ص٣٥٥.

[٥] المقدمة التاسعة من الموافقات، ١/١٠٧.

[٦] الموافقات، ٢/٢٦.

فلما قال نوح عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ [هود: ٤٥] رد عليه المولى عز وجل نافيًا ذلك: ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمل غَيْر صَالِحٍ﴾ [هود: ٤٦][1].

وبالجملة؛ فالقاعدة عتيدة في درء الاستدلالات الفاسدة، ودحض الحجج الباطلة، القائمة على الغلط والمغالطة، فإنها مقتبسة من مبادئ منطقية معقولة مثل: اللزوم، ونفي التناقض، وامتناع الدور والتسلسل، وتشبه كثيرًا قاعدة "المصادرة على المطلوب"، حيث يكون المستدَل عليه الذي لم يثبت بعد هو نفسه المستدل به الذي يفترض أن يكون ثابتًا سلفًا، فيما قاعدة "الفرع والأصل" يقوم فيها المستدل عليه بعد أن يثبت بإبطال المستدل به الذي هو سبب إثباته ووجوده.

فالقاعدة إذا من أوليات العقول ومقررات الشرائع، لا يختلف فيها، وعلى هذا يحمل قول الغزالي: وهي مقطوع بها عندنا[2]، وقول ابن حجر وغيره أنهم اتفقوا عليها[3]، وإلا فالقاعدة في بعض تفاصيلها مختلف فيها، وفي تحرير مدلولها بعض النزاع، فضلًا عن تحقيق مناطها وتنزيلها على آحاد الصور والمسائل.

المطلب الثاني: في تحرير ألفاظ القاعدة وصيغها المتنوعة:

وردت القاعدة غالبًا في مظانها المختلفة بعبارة: "كل تأويل"، "كل تعليل"، "كل فرع"، "كل معنى مستنبط"، أو "الشيء" أو "التصرف" أو "كل ما"، إلخ، وهو اختلاف بحسب تعلقاته من القضايا والمسائل والأبواب، وإلا فالقاعدة واحدة في أصلها وإن تنوعت صورها وعباراتها، بل هي منتشرة في كل مكان ظاهرة أو خفية، ومعتمدة في كل العلوم ويحتكم إليها المتناظرون جميعا، وإذا لابد –في سياق إعادة التأصيل– من عبارة تشمل ذلك كله، فآثرنا من ثم التعبير باسم الموصول (ما) الذي يفيد العموم.

والمراد في كل ذلك ما ينسب إلى الشرع من أقوال صادرة عن أهل النظر والاجتهاد، أو حتى ما صدر عن جمهور المكلفين الذين يلجأون في كثير من الأحيان إلى البحث عن ذرائع لما يسلكونه من مسالك في العمل والامتثال بقصد إضفاء المشروعية عليها، أما ما كان من الأعمال امتثالًا محضًا خاليًا من تلك الاعتبارات المذكورة فلا يدخل في القاعدة، فتلك الأعمال لا معنى للقول بإبطالها للأصول من عدمه، إذ ليس لها تلك القوة والاستطاعة من الأساس، وليس لها جهة تستمدها منها، ومن ثم كان مجرد مخالفتها

---

[1] أي لما خالفك في العقيدة لم يعد بذلك الاعتبار منك، ولا هو به فرع عنك، بل فرعيته حينها باطلة، فلما كان في الاعتراف بهذا الفرع إبطالا للأصل أبطل هو في نفسه، وحكم بانفكاك العلاقة بينهما، ونفى أن يكون أحدهما من الآخر بذلك المعنى.

[2] ينظر: قواعد المقري، ق ٢٤٢.

[3] «اتفقوا على أنه لا يجوز أن يستنبط من النص معنى يعود عليه بالإبطال»، فتح الباري، ١٢/61.

للأصول هو عين إبطالها هي نفسها، فإنها ليست بمتصلة بالأصول في شيء أو خارجة منها، أو متفرعة عنها، أو يدعي صاحبها نسبتها إليها، وإنما الأصول حاكمة عليها، وينبغي هي أن تكون محكومة بها، فمن هنا كان لا مدخل للأعمال الامتثالية في هذه القاعدة.

فالقاعدة إذا تفيد في ضبط عملية الاجتهاد ونسبة الأقوال إلى الشرع، كان ذلك بالنظر أم بالعمل، بلسان المقال أم بلسان الحال، فهي مقياس في صحة القول في الشرع على أي وجه كان من عدم صحته، فإن القول في الشرع إنما يكون في الأساس بناء على نظر وقواعد، ومع تحقق ذلك ابتداء فإنه يبقى التحقق أيضًا من عدم إبطال شيء من ذلك للأصول.

نعم قد يستدل على بطلان بعض الأعمال الامتثالية بكونها عائدة على الأصول بالإبطال مع أنها امتثالية صرفة ولا تفهم التفقه أو التشريع، وما ذلك إلا لكونها لا تبدو مخالفة في ظاهر الأمر، بل مخالفتها خفية، فنحتاج إلى بيان ذلك ببيان أنها في الحقيقة مبطلة للأصل، وهو ما يدخل تحت صيغة: "ما عاد على موضوعه بالإبطال فهو باطل"، كما سنذكر، حيث فعل المكلف وصورة امتثال الحكم تعود على موضوع الحكم ومقصوده بالإبطال، ثم إنه غالبا ما يصاحب ذلك الخفاء في المخالفة أمر آخر هو ادعاء صاحب الفعل أن فعله غير مخالف، ومن أمثلة ذلك: الأذان إذا كان بصوت منخفض فإنه يعود على ذات الأذان بالإبطال، كون الغرض من الأذان النداء والإعلام، ولا إعلام بلا إسماع، ولا إسماع بلا رفع صوت أو ما قام مقامه، وأمثلة أخرى في الفصل الثالث سنذكرها.

وإذ أمكن توحيد قالب العبارة في القاعدة بالقضاء على التعدد الذي كان موجودًا في (العائد)، فليس إلى ذلك من سبيل في (المعود عليه)، إلا إذا أردنا أن نؤثر أعم الصيغ وأشملها في ذلك، وإلا فالقاعدة باعتبار ذلك لها صيغ مختلفة لا مناص من الاعتراف بها، فإنه بعد النظر في موارد القاعدة المختلفة، وتتبع مواطن بحثها في المعارف والأبواب المتنوعة، تبين أن ثمة خمس حالات لها وصيغ يمكن استخراجها والوقوف عندها، وهي كالآتي:

١: "ما عاد على الأصل بالإبطال فهو باطل":

هذه أعم صيغ القاعدة وأشملها، ويكاد يكون ما بعدها خاصًا بالنسبة إليها، فلفظ "الأصل" فيها مطلق غير مقيد بإضافة أو معين بوصف، فالصيغ الأخرى إذا داخلة تحتها، وعندما تطلق فإنها تحتمل كل واحدة من الصيغ الأخرى غيرها[١]، وقد نبه عليها الشاطبي، إذ ذكرها على سبيل المغايرة بينها وبين نظيراتها،

---

[١] كما في قول أبي عبد الله التلمساني: "كل ما يكر على الأصل بالإبطال فهو باطل"، المعيار المعرب، ٢/ ٤٨.

لما قال عن أقسام العلم: «القسم الثالث –وهو ما ليس من الصلب ولا من الملح– ما لم يرجع إلى أصل قطعي ولا ظني، **وإنما شأنه أن يكر على أصله –أو على غيره– بالإبطال** مما صح كونه من العلوم المعتبرة والقواعد المرجوع إليها في الأعمال والاعتقادات، أو كان منهضًا إلى **إبطال الحق وإحقاق الباطل على الجملة**، فهذا ليس بعلم»[١]، ففي هذا النص إشارة إلى ثلاثة أوجه أو مراتب من الأصول التي يعود عليها ذلك النوع من العلم بالابطال، وهي:

الأول: الأصل الخاص بالفرع، المضاف إليه، والذي هو مخرج الفرع ومدركه.

الثاني: الأصل الشرعي العام في الاعتقاد أو العمل، مما لم يتولد الفرع منه.

الثالث: ما هو أعم من الأصل الشرعي العام، وهو الأصل مطلقًا، حتى ولو كان من خارج الشرع، مادام صحيحًا وحقًّا في نفسه.

فالفرع فيها عائد بالإبطال على أصل غير الأصل الذي منه خرج[٢]، ويكون الأصل الذي خرج منه على نوعين إما نص أو معنى (قاعدة).

٢: "ما عاد على أصله بالإبطال فهو باطل"

هذه الصيغة الأصل المعود عليه مقيد بالإضافة إلى العائد، فهو لا يعود على أي أصل أو كل أصل، وإنما على أصله فقط، أي أصله الذي منه خرج، فهو قائم على ذلك الأصل فقط، بل هو لم يعرف إلا من جهته، فكيف بعد أن يقوم يرجع فيهدم ما هو قائم عليه، هل ذلك إلا محض غدر وخيانة! وهذه الصياغة معادلة للعبارات الأخرى الشهيرة: "لا يجوز استنباط معنى من النص يعود عليه بالإبطال"، أو "كل معنى مستنبط من النص لا يجوز أن يكر عليه بالإبطال".

٣: "ما عاد على النص بالإبطال فهو باطل"

هذه الصيغة اختصت بنوع واحد من أنواع الأصول هو النص، فهي متعلقة بالأصل الذي هو الخطاب، وليس غير ذلك من الأصول التي هي معاني مجردة أو أفعال، وهي بذلك خاصة بالشرعيات، وإن كان يجوز استخدامها في أنواع أخرى من الخطاب غير الشرعي، ويلاحظ أنها أيضًا مثل الأولى أتت مطلقة غير مقيدة بإضافة، فعند إطلاقها قد يراد بها النص الذي خرج منه المعنى الفرع، وتكون معادلة أيضًا لعبارة:

---

[١] الموافقات، ١/١٢٠-١٢١.

[٢] من أمثلة هذا النوع: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾، "لا ضرر ولا ضرار"، "الحكم والقضاء بالظاهر".

"كل معنى مستنبط من النص لا يجوز أن يكر عليه بالإبطال"، وقد يراد بها النص الشرعي مطلقا حتى لو لم يكن الفرع مأخوذًا منه.

٤: "ما عاد على ذاته بالإبطال فهو باطل"

المعود عليه في هذه الصيغة ليس أعم من العائد، بل مساو له، وليس مختلفا عنه بل المعود عليه هو العائد ذاته، فالعائد يبطل ذاته، ولها صيغ عندهم، كقولهم: "كل ما أدى إثباته إلى نفيه فنفيه أولى"[1]، أي أنه «إذا كان ثبوت الشيء متوقفا على نفيه؛ لأنه لا يثبت إلا إذا انتفى، فإنه ينتفى من أصله ولا يثبت؛ لأن ثبوته يترتب عليه امتناعه وبطلانه، فلا يعتد بثبوته، ويعتبر منفيًا من أصله، حتى لا يؤدي ذلك إلى الدور والتسلسل»[2]، وذلك كما «إذا جعل صداق العبد صداقًا لزوجته فسد النكاح؛ لأن صحة كونه صداقًا لزم منه ملكها له، ويلزم منه فسخ النكاح، ويلزم من فسخه ارتفاع الصداق؛ لأنه قبل البناء، ويلزم منه عدم كونه صداقًا (...) وإذا عدله رجلان، فلا يجوز له تجريحه أحدهما مع غيره بجرحة قديمة قبل تعديله؛ لأن في ذلك إبطال تعديله»[3]، وهي عند السبكي: "كل إثبات تضمن نفيًا فهو عين التنافي"[4]، وعند المقري: "كل حكم يقتضي إثباته رفعه أو رفع موجبه فهو باطل"[5].

٥: "ما عاد على موضوعه بالإبطال فهو باطل".

وتظهر في جلمة من العبارات أهمها: قول الحنفية: "الشيء يعتبر ما لم يعد على موضوعه بالنقض والإبطال"[6]، وقول العز بن عبد السلام: "كل تصرف تقاعد عن تحصيل مقصوده فهو باطل"[7]، والقرافي: "كل تصرف كان من العقود كالبيع أو غير العقود كالتعزيرات وهو لا يحصل مقصوده فإنه لا يشرع ويبطل إن وقع"[8]، وعبر عنها أيضًا في موضع آخر بقوله: "كل تصرف لا يترتب عليه مقصوده لا يشرع"[1]، و"كل

---

[1] إيضاح المسالك، ص١٧٥.

[2] ينظر: القواعد الفقهية وتطبيقاتها المعاصرة في المذاهب الأربعة، ٦٦٦/١، موسوعة القواعد الفقهية، ص ٣٤٨-٣٥٠.

[3] إيضاح المسالك، ص١٧٥.

[4] الأشباه والنظائر، السبكي، ١٢٣/١ الأشباه والنظائر، السيوطي، ص٣٨٤.

[5] قواعد المقري، ق ٥٣٠.

[6] القواعد الفقهية وتطبيقاتها، ٦٦٦/١.

[7] قواعد الأحكام، ١٤٣/٢.

[8] الفروق، ٢٣٨/٣ وينظر: الأشباه السيوطي، ص٢٨٥، وينظر على هامش الفروق: إدرار الشروق، ٢٣٨/٣.

و"كل عقد لا يفيد مقصوده يبطل"[٢]، وذكر القاعدة أيضًا الزيلعي بقوله: "كل تصرف لا يترتب عليه مقصوده لا يكون مشروعًا"[٣].

فالأصل المعود عليه في هذه الصياغة والذي هو متعلق الإبطال ليس نفس الحكم ولكن مقصوده وفائدته، بل الحكم موجود ومعمول به ولكن لا يتحقق به المقصود أو يتحقق به مقصود آخر غير مقصوده، وهنا تدخل قضايا المبحث الرابع من الفصل الأول مما جعلناه تحت عنوان: (المقاصد والاجتهاد)، فإن هيئة الفعل أو حال الفاعل أو قصده أو شرطه أو غير ذلك هو ما يفرّغ الحكم من محتواه وموضوعه، أو يستبدل ضده به، وكل ذلك إبطال للأصل، بل وللحكم؛ لأن الحكم حين وضعه الشارع وضعه مقرونًا بمقصوده، فالإخلال بأحد أطراف ذلك الوضع هو إخلال بالوضع كله.

ومن أمثلة[٤] هذا الوجه من وجوه القاعدة: أن الحر «حرم عليه نكاح أمته، وحرم على العبد نكاح سيدته، للإجماع على بطلانه، ولأن النكاح لم يشرع إلا مثمرًا ثمرات مشتركة بين المتناكحين يوجب له عليها التمكين من نفسها وقرارها في بيته وخدمة داخل البيت، ويوجب لها عليه المهر والنفقة والسكنى والكسوة والقسم، والمملوكية تنافي المالكية، فيمتنع وقوع الثمرة على الشركة فلا يشرع، لما عرف من أن كل تصرف لا يترتب عليه مقصوده لا يكون مشروعًا، ولأن المقصود من النكاح التواد والإحسان، ومقصود الرق الامتهان والقهر بسبب ما سبق منه من الكفر، فلا يجتمعان للتضاد»[٥]، فإذا اشترى امرأته انفسخ النكاح السابق[٦]، وكذلك لو اشترت زوجها بعد البناء[٧].

المطلب الثالث: في تحرير مدلول المعود عليه "النص" في القاعدة

تتكون القاعدة من أركان أربعة: عائد، وعود، ومعود عليه، ومعود به.

---

[١] الفروق، ١٣٥/٣ وينظر أيضًا تعليق: ابن الشاط، ١٦٩/٣.

[٢] المرجع السابق، ٢٦٠/٣.

[٣] تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، الزيلعي، ١٠٩/٢.

[٤] ينظر أمثلة أخرى في: موسوعة القواعد الفقهية، ٣٦٣/٨-٣٦٤.

[٥] المرجع السابق نفسه.

[٦] الفروق، ١٣٦/٣.

[٧] ينظر: حاشية الشلبي على تبيين الحقائق، ١٠٩/٢. وينظر أمثلة أخرى في: الفروق، ٢٣٨/٣. والأشباه للسيوطي، ص٢٨٥. وينظر كذلك على هامش الفروق: إدرار الشروق، ٢٣٨/٣.

فالعائد: الفرع أو الزيادة أو التصرف الاجتهادي، أو غير ذلك، وقد عملنا آنفًا على إزالة التعدد الحاصل فيه.

والعود: الفعل نفسه وحكمه الذي هو المنع والرد والبطلان، وهو واضح لا إشكال فيه، وإن كان لابد من التحقق من حصوله، وحكمه كذلك واضح في القاعدة، لا يحتاج إلى بيان، وليس محلا لخلاف.

والمعود به: الوصف والأثر الذي هو الإبطال أو الاختلال، أو ما دون ذلك من التأويل والتخصيص والتعميم وغيره، وفي المبحث الثاني من هذا الفصل سوف نميز ما يكون إبطالًا مما ليس بإبطال!

والمعود عليه: الأصل، أو النص، أو المقصود، أو العائد ذاته، وعند النظر والتمحيص لا نجد شيئًا من ذلك محل إشكال أو نزاع ذي بال، عدا واحد منه، وهو "النص"، فإنه يحتاج إلى بيان المراد منه وإيضاحه.

ولعل تحرير هذا الحرف من حروف القاعدة إذا هو تم يكون تحريرا لمدلول القاعدة كلها، إذ عليه مدار كل شيء فيها، والنزاع إنما هو قائم بالأساس على هذه الجهة منها، فما المراد بالنص هنا؟

مع أن لفظ "النص" هو أخص من لفظ "الأصل" إلا أنه مع ذلك هو مجمل في المراد منه، فهل المراد بالنص: الألفاظ المنطوق بها، أم العبارات والصيغ التركيبية؟ أم الظاهر من الدلالة؟ أم المعنى الإجمالي؟ أم أقل ما يدل عليه؟ أم المقصود النهائي؟ أم الدلالة القطعية؟ أم الحكم؟ فكل ذلك وغيره من النص، فأي شيء منه هو المراد؟

والذي يترجح بحسب تتبع موارد القاعدة في مواطنها المختلفة وتوظيفاتها لدى الفقهاء والأصوليين أن المراد بالنص هنا: كل جزء من أجزاء المنطوق -لفظا كان أو صيغة أو نظما- مما هو مقطوع بدلالته ومعناه، وليس المراد ما كان من النصوص قطعي الدلالة؛ لأنه مصادرة، إذ الفرض أننا لم ندرك دلالة النص الكلية بعد، بل نحن ما زلنا نسعى في ذلك، والنظر في العناصر والأجزاء المكونة للنص هو ما يوصلنا إليه، فإنه الطرق والأسباب والجهات المعرفات بالدلالة.

وعليه، فصورة القاعدة أنها: عبارة عن تصرف اجتهادي في **حكم مقرر في الشرع** ، باستبدال فيه أو بزيادة أو نقصان، وتوليد فرع تدّعَى نسبته إلى ذلك الحكم، وعند التحقيق والسبر والرجوع إلى النظر في الأصل الذي أخذ منه الحكم المقرر، فإن وجدنا ذلك التصرف يؤدي إلى إسقاط فائدة منطوق (مذكور ومنصوص عليه) من منطوقات الخطاب في اللفظ أو الصيغة أو النظم فضلًا عما أدى إلى إسقاط فائدة

الخطاب بالكلية، كان إبطالًا للأصل فكان باطلًا ، وإن لم نجد فيه إسقاطًا لشيء مما ذكر لم يكن إبطالًا للأصل فيكون صحيحًا.

وإسقاط الفائدة في شيء مما ذكر إنما يكون بحمله على غير معهود العرب في لسانها والبيان.

فكل لفظ في الخطاب يحمل على غير معناه المستعمل في كلام العرب فهو إبطال له، فلا يجوز مثلًا إلغاء اعتبار نفس اللفظ الوارد في الخطاب بالكلية لأنه نص في وروده، ولا حمله على معنى غريب نادر لا يكاد يقبله العقل، أو لا يكاد يخطر بالبال إلا بالإخطار، أو تأويل يصير اللفظ كاللغز، أو يجعل الكلام ركيكًا أو ضعيفًا أو منحطًا عن درجة الفصاحة المظنونة بصاحبه، فإن ذلك كله مصادمة لأساليب العرب ومعهودها في البيان[1].

وكل صيغة في الخطاب تحمل على غير ما تفيده في استعمال العرب فهو إبطال للخطاب، فللأمر والنهي صيغ، وللتخيير صيغ، وللعموم والخصوص صيغ، إلخ[2].

وكل نظم في الخطاب يحمل على غير عادات العرب في أساليبها وتركيب كلامها فهو إبطال للأصل، ويتعلق بهذه الجهة مراعاة القرائن المحتفة والسياق الوارد فيه الخطاب[3]، من تعميم، وحصر، ومبالغة، ومبالغة، وامتنان، وإنكار، وذم، ومدح، وتقرير، واستفهام، وإثبات مزية أو خصوصية، وبيان حكم الشيء دون الشيء، والتنبيه بالأدنى على الأعلى، وبالملزوم على اللازم، وغير ذلك من وجوه الدلالة المستفادة من نظم الخطاب، كالدلالة من جهة المفهوم والتضمن والإيماء، ويلتحق بكل ذلك ما يأتي الخطاب مبنيًّا عليه من عادات العرب وأحوالهم زمن التشريع[4]، إلخ.

---

[1] من أمثلته: حمل بعضهم الاستجمار في قوله: "من استجمر فليوتر" على استعماله البخور للتطيب، فإنه يقال فيه: تجمر واستجمر، واللفظ قوي ظاهر في الاستنجاء، وعليه فهم الناس، ومنه حمل بعضهم الجلوس في قوله نهى عن الجلوس على القبر على الاستنجاء عليه، واللفظ ظاهر في المرادف للقعود، ومنه حمل الظاهرية حديث لعن الله السارق يسرق البيضة على بيضة الحديد، وهو بعيد، لأن سياق الحديث يقتضي خلافه، ينظر: البحر المحيط، الزركشي، ٤٥/٥.

[2] ينظر ما حكاه الجويني عن الباقلاني في الرد على من تأول صيغة العموم في قوله ﷺ: "أيما امرأة نكحت بغير إذن ... " البرهان، ١٩٦/١.

[3] قال الشريف التلمساني: «واعلم أنه قد يتعين المعنى ويكون اللفظ نصًّا فيه بالقرائن والسياق لا من جهة الوضع»، مفتاح الوصول، ص٤٣٣

[4] قال الغزالي: «روي: أنه عليه السلام توضأ بنبيذ التمر وقال: "تمرة طيبة، وماء طهور" (...) والحديث صحيح، ولكن المراد به: ما نبذ فيه فيه تميرات لاجتذاب ملوحته، على عادة العرب فيما يعدونه للشراب» شفاء الغليل، ص٤١-٤٢.

والعنصر من تلك العناصر والأجزاء إما أن تكون دلالته مقطوعًا بها كاملة، وإما أن يكون مقطوعًا بجزء منها فقط، يكون هو الأقل المتفق عليه، فكل ذلك لا يجوز إلغاؤه وإهداره في النظر، إذا فالمراد بإبطال النص إبطال جزء من أجزاء النص المنصوص عليها؛ لفظًا منطوقًا، أو سياقًا منظومًا، أو إبطال الجزء المتفق عليه من دلالة تلك الأجزاء إذا لم تكن كلها قطعية، أي الأقل المقطوع به منها.

ولنزد على سبيل البيان –إلى ما ذكرناه من أمثلة وبيان– أمثلة عشرة متنوعة لتلك الوجوه من وجوه المنصوص عليه مما لا يجوز إبطاله:

١ – في حديث "القاتل لا يرث"[1] فإن الأقل المتفق عليه المقطوع به من لفظ "القاتل" الوارد في النص إنما هو القاتل عمدًا، أما ما بعد ذلك من قاتل قتل الخطأ، والقصاص، ودفع الصائل، والحد، فمختلف فيه، ويحتمل أن يكون مقصودا ويحتمل ألايكون[2]، فيكفي ذلك الجزء المتفق عليه في استنباط العلة أو الفرع، بل ذلك إنما يستنبط من ذلك الجزء المقطوع به دون المظنون المختلف فيه من أجزاء الدلالة[3]، وهكذا فلو فرضنا مثلًا أن (اللام) في آية مصارف الزكاة نص في الدلالة على التشريك لكان القول بالصرف إلى واحد إبطالًا لذلك الجزء من المنطوق (اللام)، ولكنها ليست نصًّا[4].

٢ – الإيماء المفهوم من نظم الخطاب تكون دلالته على أصل التعليل قطعية[5]، وإن كان في ذلك ووجوهه يكون محتملًا مظنونًا، «والمراد أنه صريح في اقتضاء كون الوصف معتبرًا في الحكم على الجملة، فأما اعتباره بطريق كونه علة، أو سببًا متضمنًا للعلة بطريق الملازمة والمجاورة، أو شرطًا يظهر الحكم عنده لسبب آخر، أو يعتبر الوصف على تجرده حتى يعم، أو يضم إليه وصف آخر حتى يختص ببعض المحال، فمطلق الإضافة ليس صريحًا فيها، ولكن قد يكون ظاهرًا في وجه ويحتمل غيره، وقد يكون مترددًا بين الوجهين، والمتبع في ذلك موجب الأدلة، وإنما الثابت بالإيماء والتنبيه كون الوصف المذكور معتبرًا

---

[1] الترمذي (٢١٠٩)، ابن ماجة (٢٧٣٥).

[2] المرجع السابق، ص٧١.

[3] أثر تعليل النص على دلالته، ص١٨٢.

[4] ينظر: البرهان، ٢٩٠/١، إيضاح المحصول من برهان الأصول، المازري، ص٣٩٣.

[5] «إن الإيماء إلى الوصف الذي أضيف الحكم إليه نص في اعتباره وإن لم يكن ذلك لفظا صريحا (...) فإنه يدل على التعليل على وجه لا يحتمل التغيير»، شفاء الغليل، ص١٠٩- ١٠٦.

على الجملة في إثبات الحكم على وجه لا يجوز إلغاؤه، بحال؛ ثم ما لا يجوز إلغاؤه ويتعين اعتباره فله وجوه؛ وليس من ضرورة الإيماء الدلالة عليه، بل قد يدل عليه، وقد لا يدل عليه»[1]

٣ – ومما يؤدي إلى إسقاط فائدة الخطاب وحكمه بالكلية، ما فعله أبو حنيفة في حديث العرية، «فإنه فسر العرية بما إذا وهب رجل تمر نخلة أو نخلات ولم يقبضها الموهوب له فأراد الواهب أن يعطي الموهوب له تمرا ويتمسك بالثمرة جاز له ذلك إذ ليس من باب البيع وإنما هو من باب الرجوع في الهبة التي لم تجب بناء على أصله في أن الهبة لا تجب إلا بالقبض»[2] فإن أبا العباس القرطبي قال عنه: «وهذا المذهب إبطال لحديث العرية من أصله، فيجب اطراحه، وذلك أن حديث العرية تضمن أنه بيع مرخص فيه في مقدار مخصوص، وأبو حنيفة يلغي تلك القيود الشرعية»[3]

٤ – مما جرى فيه الزيادة والنقصان، ما أورده الزركشي وغيره من حمل الحنفية قوله تعالى: ﴿فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ [المجادلة: ٤] على حذف المضاف، وإقامة المضاف إليه مقامه، والمعنى فإطعام طعام ستين مسكينا، فجوزوا صرف جميع الطعام إلى واحد؛ لأن المقصود دفع الحاجة، وحاجة الستين كحاجة الواحد في ستين يومًا، فاستويا في الحكم، وهذا تعطيل للنص إذ جعلوا المعدوم وهو "طعام" مذكورًا، ليصح كونه مفعولًا لإطعام، والمذكور وهو "ستين مسكينًا" عدما مع صلاحيته لكونه مفعولًا لـ "إطعام" مع إمكان قصد العدد لفضل الجماعة، وبركتهم، وتضافر قلوبهم على الدعاء للمحسن، وهذه معان لائحة لا توجد في الواحد، وأيضًا فلا يجوز أن يستنبط من النص معنى يعود عليه بالإبطال[4].

٥ – ومن تغيير الحصر المنصوص عليه وإبطاله: أن الشارع حكم بحصر الكفارات في الثلاث البسائط، وجعلها مستقلة عن بعضها بلفظ (أو) الوارد في النص فمن ثم يمتنع من التلفيق بينها وإشراكها، وهو ما قرره أبو عبد الله التلمساني[5]، وقد ذكر السرخسي حالات متعددة لهذه المسألة، وبنى الحديث فيها على هذا المعيار: «توضيحه: أن في إقامة صنف مقام صنف إبطال التقدير المنصوص عليه في كل صنف،

---

[1] شفاء الغليل، ص٦٠.

[2] المفهم، ٣٩٤/٤.

[3] المرجع السابق نفسه.

[4] البحر المحيط، الزركشي، ٤٤/٥، والبرهان، ٥٥٧/١.

[5] المعيار المعرب، ٤٨/٢.

وكل تعليل يتضمن إبطال النص فهو باطل، وليس في الكسوة تقدير منصوص عليه، فإقامته مقام الطعام لا يؤدي إلى إبطال التقدير المنصوص عليه»[1].

٦ – ومن ذلك تعطيل فائدة التعميم، كما في قوله ﷺ : "أيما امراة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل"[2]، فلا يمكن حمل ذلك على الأمة خاصة أو المكاتبة أو حتى الصغيرة من النساء لأنه إبطال للتعميم الوارد في النص[3]، والتعميم نص في سياق الحديث وهو مفهوم على البديهة كما قال الباقلاني وعزاه إلى الشافعي[4].

٧ – إبطال فائدة سياق النص: كما في سياق الامتنان بالماء في تخصيصه لإزالة النجاسة في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ [الفرقان: ٤٥] قال ابن العربي: «لما وصف الله سبحانه الماء بأنه طهور **وامتن بإنزاله من السماء ليطهرنا به دل على اختصاصه بذلك،** وكذلك قال عليه الصلاة والسلام لأسماء بنت الصديق حين سألته عن دم الحيض يصيب الثوب: "حتيه ثم اقرصيه ثم اغسليه بالماء"، فلذلك لم يلحق غير الماء بالماء **لـ** (...) **ما في ذلك من إبطال فائدة الامتنان»**[5].

٨ – إبطال فائدة تخصيص الشيء بالذكر، كتخصيص الشاة بالذكر وتعيينها في حديث: "في كل أربعين شاة شاة"[6]، أو تخصيص الغضب بالذكر في حديث "لا يقضين حكم بين اثنين وهو غضبان"[7] فإنه فإنه لا يجوز القول بعدم إجزاء الشاة، ولا بجواز الحكم حال الغضب، فمن رفع الحكم رفع وجوب الشاة[8]، الشاة[8]، ومثله تخصيص ذكر الماء وتعيينه لإزالة النجاسة، قال القرطبي: «وليست النجاسة معنى محسوسًا حتى يقال كل ما أزالها فقد قام به الغرض، وإنما النجاسة حكم شرعي **عين له صاحب الشرع الماء** فلا

---

[1] ينظر ذلك وتفصيله في: المبسوط، (باب الإطعام في الظهار)، ١٤/٧-١٨.

[2] الترمذي (١١٠٢)، أبو داود (٢٠٨٣)، ابن ماجه (١٨٧٩).

[3] ينظر: البرهان، ٥١٧/١ فما بعدها.

[4] المرجع السابق، ٥١٩/١.

[5] أحكام القرآن، ابن العربي، ٤٤١/٣.

[6] الترمذي (٦٢١)، أبو داود (١٥٧٤، ١٥٧٢)، النسائي (٢٤٧٧)، ابن ماجه (١٧٩٠)، أحمد (٧١١).

[7] متفق عليه، البخاري (٧١٥٨)، مسلم (١٧١٧).

[8] الإحكام، الآمدي، ٢٤٤/٣.

يلحق به غيره، إذ ليس في معناه، ولأنه **لو لحق به لأسقطه، والفرع إذا عاد إلحاقه بالأصل في إسقاطه سقط في نفسه**، وقد كان تاج السنة ذو العز بن المرتضى الدبوسي يسميه: فرخ زنى!»[1].

٩- إبطال المعنى المفهوم من النظم والسياق والذي لولاه لم يكن لذكر اللفظ الدال عليه فائدة[2]، أو يقال: إلغاء اعتبار ما لو لم يذكر في النص لخلا النص من فائدة، أو ما لو لم يذكر لكان ذكره لغوًا، فمن ذلك فهم العلة بدلالة الإيماء بأن يذكر الشارع في الحكم وصفا، ولا يصرح بالتعليل به، ولكن لو قدر ذلك الوصف غير مؤثر في الحكم وغير موجب له لكان خارجا عن الإفادة، ولم تظهر لذكر ذلك الوصف فائدة، فيكون ذكر الوصف تنبيها على أنه العلة، ومن ذلك قوله عليه السلام: "لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"[3] نبه على أنه علة اللعن، وتنبهنا به على تحريم اتخاذ قبور الأنبياء مساجد، ولو لم يكن كذلك لم يكن لذكر اتخاذهم القبور مساجد معنى في هذا المقام، ومن الخيال الباطل أن يقول القائل: أخبر عن لعنهم وهم ملعونون، ولم يذكر سببه؛ لأن سببه الكفر؛ وأخبر عن اتخاذ قبور أنبيائهم مساجد، فهما خبران عن مخبرين، لا اتصال لأحدهما بالآخر[4].

١٠ - إبطال الاختصاص، المعلوم بالنص أو الإجماع أو غير ذلك من المدارك القطعية، كما في قوله ﷺ: "ولا تجزئ عن أحد بعدك"[5]، فإنه لا يمكن إسقاط هذا اللفظ المنصوص وإبطال الاختصاص ههنا بحال[6]، ولكن لا يقبل في دعوى الاختصاص الاحتمال ومجرد الظن؛ لأن الأصل عموم الأحكام وخلود الشريعة، فلا يكون القول بالاختصاص إلا بدليل مؤكد[7]، غير أن مورد النص ومحله إذا اختص بوصف يمكن اعتباره فالأولى[8] القول بالاختصاص، وعدم إلغاء ذلك الوصف، إذ لا يقبل معنى يلغي وصفًا

---

[1] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٥٢/١٣.

[2] شفاء الغليل، ص٤٧.

[3] متفق عليه، البخاري (١٣٩٠)، مسلم (٥٢٩).

[4] شفاء الغليل، ص٤٠ فما بعدها.

[5] أخرجه البخاري (٥٥٤٥).

[6] شفاء الغليل، ص٦٤٢.

[7] ومن دعاوى الاختصاص المعاصرة والمستعملة الكثيرة، القول باختصاص الحكم بزمن النبوة، وهي مناقضة للقاعدة المقررة القاضية بأن: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

[8] يعني أنها محل اجتهاد، ليست مثل الأولى المقطوع فيها بالاختصاص.

وصفًا يختص به النص، وقد ذكر ذلك ابن دقيق العيد رحمه الله في أكثر من مناسبة، قال في القيافة: «واختلف مذهب الشافعي في أن القيافة هل تختص ببني مدلج أم لا؟ من حيث إن المعتبر في ذلك الأشباه، وذلك غير خاص بهم، أو يقال: إن لهم في ذلك قوة ليست لغيرهم، **ومحل النص إذا اختص بوصف يمكن اعتباره لم يمكن إلغاؤه، لاحتمال أن يكون مقصودا للشارع**»[1]

والخلاصة أن المراد بالأصول الذي لا يجوز إبطالها: الأصول المعلومة الثابتة المقررة، كانت كلية عامة، في أي مجال فرضت، أو جزئية خاصة، كأجزاء النص، ومدلولاتها القطعية، أما ما ادعي أنه أصل وهو لم يثبت بعد ولم يتقرر فليس مرادًا، وسنزيد ذلك بيانًا في تفصيل الشروط والضوابط في المبحث الموالي.

المبحث الثاني: الشروط والضوابط:

سوف نعرض في هذا المبحث جملة من ضوابط قاعدة "ما عاد على أصله بالإبطال ...." وشروطها إعمالا وإهمالا، مما استخرجناه بالبحث والنظر، وكان جملة ذلك بضعة عشر ضابطا، كما يلي:

١ : لا يقال بإبطال الأصل أو عدمه إلا بعد إثباته.

الإبطال هو بمثابة النسخ، والنسخ لا يكون بالاجتهاد، بل بالنص، وليس كل نص، بل النص المكافئ في القوة للمنسوخ، بخلاف التخصيص فيمكن، والفرق بين النسخ والتخصيص أن النسخ رفع فلا يكون إلا بعد استقرار الحكم، فيما التخصيص بيان فيكون فيما لم يستقر بعد من العموم[2]، وكذلك التأويل وصرف اللفظ عن معناه الظاهر لدليل إنما هو بيان لمراد الشارع وليس إبطالًا للأصل، لكن بعد تحصيل مراد الشارع بوجوه التعرف المختلفة، واستقراره في ذهن الناظر، حينها يصح الحديث عن الإبطال أو عدمه.

---

[1] الإحكام شرح عمدة الأحكام، ص٥٩٠، وأمثلة أخرى في: ص١٠٨- ١٢٠ فما بعدها.

[2] كما في قوله تعالى وليطوفوا بالبيت العتيق [الحج: ٢٩] مع قوله ﷺ : "الطواف بالبيت صلاة" وهو خبر الواحد فلو كان متيقنا انه استقر قصد العموم في الكتاب واقتضى إجزاء الطواف محدثا ومع الطهارة فإن اشتراط الطهارة يكون رفعا ونسخا ولا يجوز بخبر الواحد، ولكن الآية يجوز أن تكون أمرا بأصل الطواف ويكون بيان شروطه موكولا إلى الرسول ﷺ فيكون قوله بيانًا وتخصيصًا للعموم لا نسخا، وعليه، فيحتمل أن يكون رفعا إن استقر العموم قطعا، وبيانا إن لم يستقر، ولا معنى لدعوى استقراره بالتحكم، وهذا نظير قوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [المجادلة: ٣]، فإنه يعم المؤمنة وغير المؤمنة، فيجوز تخصيص العموم إذ قد يراد بالآية ذكر أصل الكفارة ويكون أمرا بأصل الكفارة دون قيودها وشروطها، فلو استقر العموم وحصل القطع يكون العموم مرادا لكان نسخه ورفعه بالقياس وخبر الواحد ممتنعا، ينظر: المستصفى، ص٩٤-٩٥.

وقد ثبت في المبحث السابق أن المراد بالأصل الذي لا يجوز إبطاله: مدلولات أجزاء المنطوق به، وتلك المدلولات لها طرق كثيرة تعرف بها كما هو معلوم وسبقت الإشارة إليه، ومن ثم فكل نظر في النص يتوسل بتلك الطرق والوجوه لا يكون إبطالًا لشيء من النص، وإنما يكون الإبطال بعد ثبوت مدلولات أجزاء النص بالطرق المذكورة.

ومن هذا الباب في أصول الفقه مسألة عمل الراوي بخلاف ما رواه، أو ذهابه إلى خلاف روايته، فمن يعتد بذلك يرى أن المعنى لم يكتمل بعد ولم يستقر، وأن عمل الصحابي ورأيه مشارك في صناعة المعنى ومسهم في معرفة السنة، ومن لا يعتبره فإنه لا يراه كذلك، بل يرى أن المعنى تصنعه الرواية وحدها، والسنة يتعرف عليها من طريق واحد هو الحديث، فهو إذا مستقر مكتمل، وكل معارضة له هي رفع وإبطال فترد ولا تقبل بحال[1].

ومن هنا لم يكن التخصيص بعلة خارجية مستنبطة من أصل آخر محل خلاف كبير، وكما ذهب إلى ذلك الشيرازي، حين فرق في التخصيص بين العلة المستنبطة من الأصل المخصص وبين المستنبطة من أصل آخر غيره، فأجاز هذه ومنع الأولى[2].

والزيادة على النص مقبولة كما هو معلوم وكذلك النقصان، يقول الغزالي: «فنقول أولا أظهرنا من تصرفات العلماء في الإرث للقاتل، النقصان من النصوص بالمعنى المفهوم من النص، كما عرف بالاتفاق الزيادة على المنصوص بالمعنى المعقول منها، وأمثلة ذلك كثيرة، من جملتها:

نهي رسول الله ﷺ عن **بيع ما لم يقبض** وإضافته التحريم إلى عدم القبض، وتنبه على التعليل به -معلوم على القطع، ثم اتفق الناظرون على أنه غير منوط بعدم القبض لصورته، واضطربوا في معناه (...) وليس من غرضنا النظر في آحاد الأمثلة، وإنما القصد من نقله أن النقصان من النصوص بالمعنى المفهوم من النص مقول به وفاقا، كالزيادة عليه بالمعنى المعقول منه، لتركن النفوس إلى قبول هذا من حيث النقل، ثم لا ركون إلى الوفاق والخلاف في هذا الفن، وإنما المستند هو الدليل وقضيته.

والذي يظهر لنا في ضبط هذا النوع من التخصيص، وما يجوز منه وما يمتنع -والعلم فيه عند الله تعالى- أن المعاني المفهومة من النصوص تنقسم:

---

[1] سنعود إلى هذا المثال في الضابط التاسع.

[2] ينظر: أثر تعليل النص على دلالته، ص١٦٤، وينظر: شفاء الغليل، ص٨٨ فما بعدها.

إلى ما يسبق مع اللفظ إلى الفهم سبقًا لا يتراخى عنه، وقد يكون المعنى أسبق إلى الفهم من اللفظ، وقد يكون مساويًا له، وقد يتراخى عنه قدر التأمل القليل من فهم البصير

وإلى ما لا يسبق إلى الفهم، ولكنه يستنبط بالسبر والنظر، ويستبان بدقيق الفكر.

وهذا الانقسام في الأصل معلوم، وهو من قبيل (الغضب) الذي ذكرناه إذ لا يسبق إلى الفهم منه إلا اضطراب العقل إذ ذكر مقرونا بتحريم القضاء.

وكذلك قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا﴾ الآية [النساء: ١٠]، لا يسبق إلى الفهم من الأكل معنى الأكل، وإنما يسبق إليه معنى الاحتياج والتفويت للمال، حتى يعلم -على الارتجال أو بأدنى تأمل- أن الظلم بهبة ماله، واعتاقه، والتبرع به، وإتلافه وإحراقه، وإلقائه في البحر، وغير ذلك من وجوه الاتلافات كالظلم بالأكل بل يكاد يصير الأكل كناية عن الاتلافات، والغضب كناية عن زوال العقل (...) فما يجري هذا المجرى، فتحكيمه في النقصان والزيادة، وتغيير الحكم إلى الخصوص من العموم، وإلى العموم من الخصوص- جائز على نسق واحد، من حيث إن من منع **العلة التي تعكر[1] على الأصل بالتخصيص**، منع من حيث إن القياس ليس تفسيرا للألفاظ، **فيجب معرفة الحكم أولا، ثم طلب علته**، وهذا فيما يتقدم الحكم في الفهم على العلة والمعنى، ولا يكون المعنى قرينة، فالمعنى -في هذه الأمثلة ونظائرها- سابق إلى الفهم، **وهو قائم مقام القرينة المفسرة للفظ**، المقررة لمعناه في الفهم، فلم يكن من ذلك القبيل (...)

فأما ما لا يسبق إلى الفهم، ويستنبط بالتأمل والنظر -فلا يتجاسر به على كل تخصيص، ولا يحسم أيضًا باب التخصيص به، بل يجوز أن يعتمد عليه ويخرج به عن اللفظ، ما يقع موقع النادر البعيد عن الفكر، بالإضافة إلى المراد؛ وهو : الذي لا يخطر بالبال إلا بالإخطار، ويقع نادرًا في قبيل ذلك الحكم.

وهذا كقوله عليه السلام: "أيما إهاب دبغ فقط طهر"[2]، فقد ذكر للطهارة سببًا وهو الدباغ، واقتضى عمومه طهارة جلد الكلب بالدباغ، **وقد استنبط الشافعي رضي الله عنه من الدباغ معنى**، بالنظر الصحيح والفكر المستقيم، وهو أن الدباغ يبعد الجلد عن العفونات، ويعصمه عن الفساد، ويؤثر فيه مثل تأثير الحياة، ويقوم مقامها في التأثير واقتضاء الطهارة فهذا تعليل هذا السبب، وهو نزوله منزلة الحياة في اقتضاء الطهارة، واقتضى مساق هذا الكلام إخراج جلد الكلب منه بعد ما تناوله،

---

[1] (تكر) أيضًا صحيحة

[2] مسلم بلفظ آخر (٣٦٦)، الترمذي (١٧٢٨)، ابن حبان (١٢٨٨)، ابن ماجة (٢٩٢٣)، النسائي (٤٢٥٢)، أحمد (٤/١٤٤).

بدليل أن الكلب نجس في حال الحياة، **فهذا نوع تخصيص بعلة مستنبطة من المخصوص**، وليس أمثاله ممنوعًا، **إذ الممنوع التغيير، والتغيير يقع بعد استقرار العموم، وتناول اللفظ للكلب، بمجرد الصيغة، ليس مستقرًا معلومًا حتى لا يغير**، إذ العام يطلق ويراد به الخاص، وهو غالب في عادة العرب؛ فكان استقراره في التناول له موقوفا على ألا يتبين مدرك آخر لتقرير اللفظ وتنزيله؛ وإذا ظهر المعنى بالتأمل فخروج بعض ما تناولته الصيغة بعمومها وهو بعيد عن الفكر لا يمنع صحة هذا الاستنباط مع ظهوره، فيقال المعنى مفهوم، والمخرج نادر خارج عن الفكر والذكر، واتباع المعنى أولى من الجمود على محض الصيغة؛ وخروج الكلب عن ذهن المتكلم والمستمع عند التعرض للدباغ ليس بعيدًا، بل هو الغالب الواقع، ونقيضه هو الغريب المستبعد.

فتجاسرنا على هذا التخصيص وإن لم يكن المعنى سابقًا إلى الفهم، جاريًا مجرى القرائن المفسرة من حيث إنه تبعد إرادة الكلب، ولم يبق لدخوله مستند سوى مجرد الصيغة مع إمكان إرادة العموم»[1].

٢: الباطل هو الزيادة على الحكم نفسه لا الزيادة على محل الحكم

نص أبو عبد الله التلمساني على هذا الضابط، وسبقه الغزالي كما سنرى، وقال: «فرق بين الزيادة على الحكم المنصوص والزيادة على محله»[2]، ومراده بالحكم المنصوص ما هو مقطوع به متفق عليه من أجزاء دلالة المنطوق[3]، فضلًا عن مجموع الدلالة، أما محل الحكم فهو مورده أي الموضوع الخارجي التي ارتبط به الحكم وما فيه من أعيان وأفراد، فهذا يجوز التصرف فيه بالتوسيع والتضييق كما هو شأن القياس وفي التخصيص والتقييد بالمعاني المصلحية، ومن فعل ذلك فليس بمبطل للأصل أو النص، بل إذا فهمنا بطريق من الطرق المعتبرة أن المحل المنصوص عليه ليس بمقصود في ذاته كان لابد من التوسيع والتعدية أو النقص والتضييق وذلك بحسب ما فهمنا.

---

[1] شفاء الغليل، ص٨٠-٨٧، وسبق نقلنا لقوله حول الشرط السابع من شروط الأصل: «أن لا يتغير النص الذي منه الاستنباط بالتعليل بل يبقى على ما كان قبل التعليل، **وهذا بين فيما اللفظ نص فيه**، أما إذا كان اللفظ عاما أو ظاهرا لم يبعد أن يتغير بالتعليل ظهوره وعمومه فيتطرق إليه تخصيص وتأويل»، شفاء الغليل، ص٦٤٢.

[2] المعيار المعرب، ٤٩/٢.

[3] يقول الشريف التلمساني: «اعلم أن النظر في دلالة المنطوق قد يكون في دلالته على الحكم نفسه، وقد يكون في دلالته على متعلق الحكم، والحكم يتعلق بالمحكوم عليه وهو المكلف، وبالمحكوم فيه وهو الفعل، ثم الفعل قد يتعلق بما يتأدى به كالماء والصعيد في الطهارة، والرقبة والإطعام في الكفارة، وقد يتعلق بما يتأدى به زمانًا كأوقات الصلوات والصيام، ومكانا كالحرم وعرفة والمساجد»، مفتاح الوصول، ص٣٦٨.

فمثلًا قال تعالى: ﴿فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ [الجمعة: ٩]، فهو نهى عن البيع، وحكمنا بأنه غير منهي عنه لعينه، بدلالة عرفت من سياق الآية فقط، وهو: أن الآية سيقت لمقصد، وهو بيان أمر الجمعة، فلا يليق به أن يذكر إباحة البيع وحظره لأمر يرجع إلى البيع في أدراجه؛ فكان العرض للبيع من الوجه الذي يتعلق به، وهو تضمنه ترك السعي الواجب؛ فيتعدى التحريم إلى الإجارة والنكاح والأقوال والأعمال المانعة (...) ولا دليل سوى ما عرف من سياق الآية.

وكذلك "القاتل لا يرث"، ليس توسيع المحل أو تضييقه -بإخراج القتل الخطأ والقصاص من مانع الإرث- مبطلًا لأصل التعليل الذي وقع التنبيه عليه بإضافة الحكم إلى القتل؛ ولكن رجع حاصل النظر إلى أن الحكم منوط بالقتل لعينه أو لمعنى يتضمنه؟ فإن نيط به لمعنى يتضمنه، فما عين ذلك المعنى وحده، وقد اشتمل القتل على معان؟ وكل ذلك في محل الاجتهاد، وليس خارجا منه[1].

ومثله إخراج قليل الغضب الذي لا يشوش وإدخال كل مشوش غير الغضب كالاحتقان والألم الشديد وغير ذلك، فأبطلوا مفهوم الصفة (غضبان)، وبيع الغرر خص بالغرر المعدود غررًا عند العقلاء[2].

وليس في شيء من تلك التصرفات الاجتهادية المتعلقة بالمحل إسقاط لفائدة اللفظ ولا تعطيل له منها، فالحكم في قوله ﷺ: "لا يقضي القاضي وهو غضبان" هو «حكم معلل بالغضب، ولكن لا لعينه، بل لمعنى يتضمنه، فأصل التعليل قائم ولكن جعل الغضب بحكم الدليل كناية عن ضعف العقل؛ لأنه يلازمه غالبًا، فلم يكن ذكره لغوًا، بل كان مفيدًا معتبرًا بهذا الطريق.

وغرضنا أن التنبيه الذي ذكرناه صريح في أن الوصف المذكور لا سبيل إلى جعله لغوًا، بل لابد من اعتباره، نعم لاعتباره طرق، وجعله كناية عن معنى يتضمنه ليس فيه إلغاؤه، وهذا كما أن النهي عن الشيء مطلقًا صريح في تحريم المنهي عنه أو كراهيته؛ ولكن قد يدل الدليل على أنه لم ينه لعينه، وإنما نهى عنه لغيره، وليس في ذلك إبطال أصل النهي بل النهي في أصله باق، وإنما هو حوالة على معنى يتضمنه»[3]

والتصرف في المحل مما لا ينكره أحد من المتفقهة، قال الصفي الهندي عن امتناع الرجوع على الأصل بالإبطال: إنه «صحيح إن عني بذلك إبطاله بالكلية، فأما إذا لزم فيه تخصيص الحكم ببعض

---

[1] شفاء الغليل، ص٧٥.

[2] ينظر: الموافقات، ٣/٤١٨.

[3] شفاء الغليل، ص٦٤.

الأفراد دون البعض فينبغي أن يجوز»[١]، وقال الزركشي: «اعلم أنه يجوز أن يستنبط من النص معنى يعممه قطعًا كاستنباط ما يشوش الفكر من قوله ﷺ: "لا يقضي .."، وكاستنباط الاستنجاء بالجامد القالع من الأمر بالأحجار، وهو غالب الأقيسة»[٢].

واجتهد الفقهاء في قوله تعالى: ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [النساء: ٤٣]، فعلله الجمهور بأن اللمس مظنة نزول المذي ولذلك قيدوه بالشهوة، فأخرجوا من العموم كل لمس بغير شهوة، أما الشافعية فعللوه بمظنة الشهوة فأخرجوا من العموم كل امرأة ليست من مظنة الشهوة في الراجح من قولي الشافعي كالصغار والمحارم.

على أن جميع ذلك معمول به عند السلف المتقدمين من الصحابة والتابعين[٣].

والفرق بين الأمرين (الحكم ومحله) دقيق، بل هو -كما قال الغزالي- مزلة قدم، ومثال ذلك الزيادة على العدد، والعدد نص، لكن إن تعلق بنفس الحكم، أما إن تعلق بمحله، فالزيادة عليه لا تكون إبطالًا له، وإن كان النقصان منه إبطالًا[٤]، قال: «فإن قال قائل: المخصوص بعدد، هل يلتحق بالقسم الأول[٥] حتى لا يلتحق غيره به؟ قلنا: هذا أيضًا مزلة القدم، فقد قال عليه السلام: "خمس يقتلن في الحل والحرم"[٦] فظن ظانون[٧] امتناع القياس عليها لكونها محصورة معدودة، مصيرا إلى أن الإلحاق زيادة على الحصر، وظنوا أن ذلك من قبيل العدد في المقدرات، كالعدد في مائة من الإبل في الدية، وثلاثة أيام في خيار الشرط وغيرها، وهذا فاسد، فذكر الخمسة في حيوانات الحرم، كذكر الستة في الربويات، وإذا ظهر معنى الضراوة فيما يقتل ألحق به في معناه، ولم يبال بالزيادة على العدد كما في الربا، وليس ذلك كالعدد في

---

[١] ينظر: نهاية الوصول في دراية الأصول، الصفي الهندي، ٣٥٥٣/٨.

[٢] البحر المحيط، ٤٩٩/٤-٥٠٠.

[٣] ينظر أمثلة ونماذج في: أثر تعليل النص على دلالته، ص٨١ فما بعدها.

[٤] يقول الشريف التلمساني عن العدد: وقد يعتقد معتقد في العدد أنه نص في القصر عليه، وهو في الحقيقة ليس بنص في ذلك، بل هو نص في الانتهاء إليه مفتاح الوصول، ص٤٣٠.

[٥] الذي هو المنصوص على اختصاصه.

[٦] متفق عليه، بلفظ "خمس فواسق يقتلن ..."، البخاري (٣٣١٤)، مسلم (١١٩٨).

[٧] لعله يقصد الحنفية والسرخسي تحديدا فإنه ذهب إلى ذلك، فقال: إن إباحة قتل ما سوى الخمس إبطال للفظ الخمس بخلاف الزيادة على الأصناف المذكورة في الربا فليس فيه لفظ يعين عددا ولم يقل الربا في ستة أصناف، ينظر: أصول السرخسي، ١٧٠/٢.

الدية، والتقدير في أيام الخيار[1]؛ لأن **ذلك تقدير في نفس الواجب وقدر الثابت من الحكم، ولا ينشأ ذلك إلا للتقدير، وأما العدد في مسألتنا، فراجع إلى محل الحكم، لا إلى نفس الحكم.**

فإن قيل: فلم خصص هذا العدد؟ قلنا: ولم خصص الأشياء الستة؟ وذلك محمول على أنه الذي حضره وجرى ذكره في الحال، ولو فتح هذا الباب لانحسم باب التعليل بالقياس؛ إذ كل قياس يتضمن إبطال التخصيص.

وهذه الدقيقة في الفرق لابد من التنبه لها؛ فهو ظاهر إذا ظهر المعنى المناسب. وإن كان تعدية الحكم لعلامة على مذاق علامات الربا فإجراؤه مع الحصر أبعد، وإنما يجرى إذا دل الإجماع على أنه غير مقصور على العدد؛ فإن لم يدل فتبعد الزيادة إلا بمعنى مناسب، كما في الضراوة في حيوانات الحرم»[2].

وقوله قبل في تعليله سبب اكتفاء النص بالعدد المذكور بما يوهم الحصر إنه (الذي حضره وجرى ذكره في الحال) يمكن تفصيله وبيانه بكون القيود الواردة في النص إنما ترد لكونها من قبيل السبب الذي خرج عليه الحكم، أو الموجود وقتها حينئذ، أو الغالب، أو المتبادر، أو الأدنى لينبه به على ما فوقه، أو الأعلى (الكمال)، أو المظنة، أو المحتاج إليه في العلم به والإفادة، أو غير ذلك من الاعتبارات.

٣: المبطل للأصل هو الزيادة المتصلة به لا المنفصلة عنه

وعلى هذا الأساس ينبني الضابط السابق الذي يميز بين الزيادة على نفس الحكم والزيادة على محله، فالزيادة على الحكم نفسه هي زيادة متصلة، بينما الزيادة على محل الحكم زيادة منفصلة.

وأيضًا من هذا الباب ما قرروه من كون الزيادة على النص تكون نسخًا له إذا كانت متصلة به[3].

كذلك تقرر أن البدع الإضافية إنما تعود على الأصل المشروع بالإبطال حال كانت متصلة به[4].

---

[1] قال الشريف التلمساني مقرا القاعدة أعلاه ومعترضا على المثال –مثال الخيار– والوارد في قوله ﷺ: "إذا بايعت فقل لا خلابة ولك الخيار ثلاثة أيام": وأن هذا الحديث في الحكم لا في محل الحكم فلا تصح الزيادة في الخيار على ثلاثة أيام، قال: «وهذا الذي ذكروه لا ننازعهم فيه، بل نقول الخيار الذي يكون للغبن يتحدد بالثلاثة، وهو الذي ورد في هذا الحديث، وأما الخيار الذي يعرض في البيع لاختبار المبيع، فلا تحديد عندنا فيه ويختلف باختلاف السلع» مفتاح الوصول، ص٤٣١.

[2] شفاء الغليل، ص٦٦٦.

[3] المستصفى، ٧٠/٢ فما بعدها.

[4] ينظر: المبحث الثاني من الفصل الموالي.

٤: إذا ترك أصل لأجل آخر فلا يكون إبطالًا ويقتصر به على محله

قد تثبت الدلالة وتستقر ولكن تكون معارضة بدليل خارجي أقوى فتترك، أو يترك بعضها، أو تحمل على وجه آخر، فلا يكون لشيء من ذلك حكم الإبطال، فإنه فرار من الوقوع في إبطال أصل آخر أقوى هو المعنى أو الفائدة، فإن العالم لا يمكن «أن يخالف أصلًا مخالفة ظاهرة من غير استمساك بأصل آخر، فهذا لا يقع من مفت مشهور إلا إذا كان الأصل لم يبلغه»[١].

ومخالفة الأصل للضرورة أو لما هو أقوى شيء لا ينكر، لكن **يشترط الرجوع إلى اعتبار الأصل بمجرد زوال الموجب**، كما في الرخصة مع العزيمة، فالرخصة بدل، فلا يمكنها أن تهدم العزيمة، و"لا يقوم البدل حتى يتعذر المبدل منه"[٢]، فالمتيمم إذا وجد الماء يتوضأ حتى لو لم ينتقض وضوؤه، وإذا رآه بعد أن شرع في الصلاة هل يقطع أو يتمادى؟ فيه خلاف.

٥ : إذا كان الخطاب في سياق المبالغة لا يكون إبطالًا

ويتجلى ذلك في مثل أسلوب الكناية، فإنه من خصائصها دون (المجاز المفرد) فالكناية لفظ قصد بمعناه معنى ثان ملزوم له، «كما يقال: فلان طويل النجاد، فيصح الكلام وإن لم يكن له نجاد قط، بل وإن استحال المعنى الحقيقي»[٣]، وكذلك «قولنا: جبان الكلب، ومهزول الفصيل، وإن لم يكن له كلب وفصيل»[٤]، وكذلك فلان ضيق العطن، وهو -أي الأصل والمعنى الحقيقي- وإن لم يكن موجودًا إلا أنه متصور في الذهن لينتقل منه إلى المعنى الآخر الملزوم، فالمعتبر تصوره في الذهن لا وجوده في الخارج[٥]، وكذلك أسلوب التمثيل، كقولهم: فلان يقدم رجلا ويؤخر أخرى، وأيضًا أسلوب التعريض.

وكذلك الشأن في ضرب الأمثال، فعن أنس مرفوعًا : "اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة"[٦]، وعن أبي ذر، قال: "إن خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع، ولو كان عبدًا حبشيًا

---

[١] الاعتصام، ٣/٣٤٥.

[٢] قواعد المقري، ق٢٢٦، ص١٨٩.

[٣] ينظر: شرح التلويح على التوضيح، التفتازاني، ١/١٣١.

[٤] المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، التفتازاني، ص٦٣٠.

[٥] شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع للتاج السبكي، ١/٣٣٥.

[٦] البخاري (٧١٤٢).

مجدع الأطراف"[1]، فهل يجوز أن يتولى غير الحر الإمامة؟ حاول العلماء الإجابة عن ذلك من وجوه، منها: أن ذلك ليس بمقصود في الخطاب، وأنه إنما خرج مخرج المبالغة، «قال الخطابي: قد يضرب المثل بما لا يقع في الوجود –قال ابن حجر– يعني وهذا من ذاك؛ وأطلق العبد الحبشي مبالغة في الأمر بالطاعة وإن كان لا يتصور شرعًا أن يلي ذلك»[2]، فأراد رسول الله ﷺ أن يبين أن السمع والطاعة واجبان لمن وجبا له كيفما كانت درجته في النسب ومهما كان أصله، أو عرقه، أو لونه، أو لغته، وأن الإسلام لا يفرق بين إنسان وآخر إلا بالتقوى، فالقصد من العبارة المبالغة، وذلك من معهود العرب في البيان، «فإن عادة العرب إذا أغيت تقليل شيء ذكرت في كلامها ما لا يكون مقصودا، كما قال رسول الله ﷺ: "لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة"[3]، وفي أخرى: "ولو ظلفا محرقا"[4]، وليسا مما ينتفع به، وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام: "من بنى مسجدا لله ولو مثل مفحص قطاة"[5]، وذلك القدر لا يكون مسجدا، ونحو من هذا في الإغياء، قول امرئ القيس: من القاصرات الطرف لو دب محول *** من الذر فوق الإتب منها لأثرا

ونحوه كثير في كلامهم، في التقليل والتكثير، والتعظيم والتحقير»[6].

٦: انعدام محل الحكم لا يكون إبطالًا لأصل الحكم

إن إيقاف العمل ببعض الأحكام مثلما هو المشهور من فعل عمر رضي الله عنه في مصرف المؤلفة قلوبهم وفي حد السرقة عام المجاعة، وغيرهما، ليس تعطيلًا لتلك الأصول ولا إبطالًا لها، فالأصل في ذلك باق معتبر، وإنما المحل هو الذي فقد، وهو تصرف متعلق بتحقيق المناط لا بتخريجه، أي أنه في تنزيل الحكم لا في استنباطه، ومثله انعدام مناط الرق في الأزمنة المعاصرة، فتتعطل بسببه أحكام العتق وتحرير الرقاب في الكفارات وغيرها، وليس ذلك بإبطال للأصول! وذلك مثلما أنه «لا يشرع اللعان لنفي النسب في حق المجبوب، ولا من لا يولد له؛ لأنه لا يلحق به ذلك النسب ولا يفيد اللعان شيئًا»[7]، وهذا الضابط مقتبس

---

[1] مسلم (١٨٣٧).

[2] فتح الباري، ١٠٦/١٣

[3] البخاري (٢٥٦٦ و٦٠٢٧)، مسلم (١٠٣٠).

[4] الترمذي (٦٦٥)، أبو داوود (١٦٦٧).

[5] أبو داوود (٥٠٤٠).

[6] المفهم، ١٩١/١.

[7] الفروق، ف١٥٣، ١٣٥/٣.

مقتبس من الصيغة الخامسة لقاعدة الدراسة، والقائلة بأن "كل ما عاد على موضوعه بالإبطال فهو باطل"، فإن إجراء تلك الأحكام والعمل بها يعود على مقصودها بالإبطال فكان العمل بها لأجل ذلك باطلًا ، فصارت الصيغة الخامسة ضابطا للصيغة الأولى! والحكم في هذه الحال أن عدم إلغائه في إلغائه! أي إلغاؤه في العمل هو عين عدم إلغائه في العلم!

٧: إبطال صورة الحكم لا يستلزم بطلان حقيقته

للموجودات والأشياء حقائق كما لها صور وأشكال، والمقصود الذي لا يتغير ولا يزول الحقائق، أما الصور والأشكال فتتبدل ولا تثبت، ومن ثم فلا يكون غيابها أو زوالها إبطالًا للحقائق نفسها، ومثال ذلك الاسم والمسمى، فإن نفي الاسم لا يقتضي نفي المسمى[1]، كما في اعتراض الخوارج على علي بن أبي طالب محوه في الكتابة صفة أمير المؤمنين، وكما محا النبي ﷺ في الكتابة وصف النبوة عنه في صلح الحديبية، فالفرع الذي هو الرسم والكتابة وإن ألغي وأزيل فليس بعائد على الأصل الذي هو الحقيقة الخارجية بالإبطال، فزوال الصورة يكون لعذر أو رجاء لمصلحة، قال تعالى عن النطق بكلمة الكفر: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦]، وفي البخاري: أن الأسارى إذا لم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا وقالوا صبأنا أنهم مسلمون، كما في حديث ابن عمر مع خالد رضي الله عنهما في أسارى بني جذيمة[2].

٨: ذهول المناظر عن العلاقة بين الفرع والأصل ليس إبطالًا

قد تكون فرعية الفرع وأصلية الأصل متحققة في نفس الأمر، ولكن الناظر أو المناظر ذاهل عنها، غائبة عن ذهنه، لم تخطر بباله، فهي إذا خارجة عن قصده، وهنا قاعدة لازم المذهب هل هو مذهب أم لا؟ أي إن الفرع قد يكون مبطلًا للأصل حقيقة، لكن لكون العلاقة بينهما غير داخلة في قصد المناظر واعتباره تلك اللحظة فليس له حكم الإبطال، وإن كان كذلك في الحقيقة، إلا في الحال التي يكون فيها ارتباط الفرع بالأصل ارتباط بديهة وضرورة، فحينها لا تسمع دعوى الذهول تلك.

٩: التحقق من فرعية الفرع وأصلية الأصل

قبل النظر في إبطال الفرع للأصل من عدمه، لابد من التأكد أولاً من العلاقة بين الطرفين، هل ما يعد فرعًا هو حقا فرع لما قيل إنه أصل؟ أم أن العلاقة ليست علاقة فرع بأصل، وإنما كلاهما أصل مثلًا أو

---

[1] الاعتصام ٣/٢٤١.

[2] البخاري (٤٣٣٩ و٧١٨٩)، ابن حبان (٤٧٤٩)، النسائي (٤٥٠٥).

كلاهما فرع، ومن ثم فليس أحدهما بأولى من الآخر، فمثلًا: هل القرآن أصل والسنة فرع؟ بحيث يرد الحديث لو أبطل القرآن!؟ أم أن كليهما أصل!؟ وهل الفعل النبوي فرع عن القول بحيث لو أبطله بطل هو؟ وتبعا لذلك هل الترك فرع عن القول؟ وهل فعل السلف فرع عن الرواية الحديثية؟[1]، أم أن الحديث لا تكتمل دلالته إلا أن ينضم إليه عمل الصحابة فيراعى؟! ومن هنا الاختلاف في ترك النقل، هل هو نقل للترك؟ فإن القول بذلك على إطلاقه لا يصح؛ لأنه يؤدي إلى عدم العمل بعمومات النصوص حتى ينقل أن النبي ﷺ فعلها، فيعود إذا هذا الاعتبار على تلك العمومات بالإبطال[2]، فهذا عند من يرى أن (فعل السلف) فرع عن (الرواية الحديثية)، أما من يرى أنه أصل في الكشف عن (السنن)، وطريق قائم بذاته لمعرفتها، مثلما أن الحديث كذلك، فلا يعد ترك الفعل إبطالًا للقول، بل بيانا!

١٠ : يسقط الفرع إذا كذب الأصل ولا يسقط الأصل إذا كذبه الفرع

إذا ثبت الأصل فلا يقدر أن يزعزعه شيء، والبصيرة ألاتبادر إلى إبطال الأصل بمجرد وجود خلل ما في المثال/الفرع المتعلق به، فإنا «إذا ضبطنا قاعدة برابطة وقيدناها بمثال، فإن سنح للناظر في عين ذلك المثال شيء، فليطلب مثالًا أمثل وأقرب منه؛ **ولا ينعطف على القاعدة المعلومة بالإبطال**، لما يتطرق إلى الأمثلة من الاختلال، وإنما المقصود أن ورود المسئلة على الكافة إذا لم يكن معلومًا لم يسمع مجرد الدعوى بالخروج عن القياس»[3]، إذ يلزم من سقوط المبين سقوط البيان ولا يلزم من سقوط البيان سقوط المبين[4].

١١ : لا يقال باحتمال إبطال الأصل إلا بعد التثبت وتعذر غيره من الاحتمالات

القول بإبطال الفرع للأصل ينبغي أن يتريث قبل الإقدام عليه، فيكون آخر شيء، ومن هنا قاعدة الجمهور عند التعارض في كون الجمع أولى من الترجيح، ففي الترجيح إبطال، ولا يلجأ إليه إلا في الضرورة، فالتحقق من العود بالإبطال قبل القول به خطوة لابد من تثبيت القدم فيها، ومن هنا جاء خطأ المعتزلة في المسارعة إلى الحكم في كثير من المواطن بمعارضة النقل للعقل، ومن ثم الحكم ببطلان النقل لئلا يفضي إثباته إلى إبطال العقل الذي هو أصل ثبوت النقل في الجملة، فاعتبار ذلك الجزئي من النقل في زعمهم

---

[1] نعم هو فرع عن السنة في ذاتها، لكن الرواية التي هي مظنة السنة، ليست بأولى منه.

[2] ينظر: أفعال الرسول، ٦٥/٢.

[3] شفاء الغليل، ص٥٠٧.

[4] الموافقات، ٢٩٦/٤.

سيعود على أصل العقل بالإبطال فينبغي أن يبطل في نفسه، ولكن عند التحقيق في تلك المواطن والمسائل لا تجد ثمة تعارضًا بين العقل والنقل، بل تجد أن العقل لا يحيل شيئًا مما يدعون استحالته مثلًا!

وذلك مثلما أنكروا كرامات الأولياء وقالوا: إنَّ إثباتها يعود على معجزات الأنبياء بالإبطال؛ لأنَّ الجميع خرقٌ للعادة، وما عاد على معجزات الأنبياء بالإبطال فهو باطل، وطَرَدُوا ذلك في كل الخوارق الشيطانية والسحر وغيره، فقالوا: لا نؤمن به ويرد، وكله جريا منهم على هذا الأصل، وهو أنَّهُ يعود على آيات الأنبياء بالإبطال[1]، وبعد التحقق من كون الكرامات فرعًا عن أصل المعجزات، يبقى التحقق من كونها إبطالًا لها، «قال الأستاذ أبو القاسم: ظهور الكرامات على الأولياء جائز، والدليل على جوازه أنه أمر موهوم وقوعه في العقل، لا يؤدي حصوله إلى رفع أصل من الأصول»[2]، وزاد أهل السنة فقالوا: إن المعجزة تفترق عن الكرامة باقترانها بدعوى النبوة، والتحدي والاحتجاج مع العجز عن المعارضة، والولي لا يدعي شيئًا من ذلك[3]، بل المختار أن معجزات الرسل لا تكون إلا فيما لا يدخل تحت قدرة العباد، فلا يصح أن يقدر عليها وعلى شيء من جنسها إلا الله عز وجل وحده، وذلك نحو إحياء الموتى، وخلق الأسماع والأبصار، وإبراء الأكمه والأبرص، وإقامة الزمن، وما يجري مجرى ذلك[4]، وأن ما يظهر على أيدي الرسل هو مفارق لأمور الحيل والتمويهات والتخييلات وليس منها بسبيل[5]، فإذا الكرامة أو غيرها لا تهدم المعجزة ولا تعود عليها –في حقيقة الأمر– بإبطال، كون كل واحد من ذلك مختلف عن الآخر غير مخالف له[6].

---

[1] شرح العقيدة الطحاوية، ٢/٩٠٣-٩٠٤.

[2] الرسالة، ص٣٧٨.

[3] البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات، الباقلاني، ص٣٧-٤٧-٤٨. الإرشاد، الجويني ص١٣٠. الرسالة، القشيري، ص٣٧٩. شرح المقاصد، التفتازاني، ٥/٧٣.

[4] البيان، الباقلاني، ص٥٧، وقال: «وليس من العادات شيء يصح أن يكون بانخراقه آية للرسل بل (...) لا شيء من جنس مقدورات العباد قل أو يكثر وعلى أي وجه وقع يصح أن يدل على صدق الرسول»، ص٥٤.

[5] المرجع السابق، ص٦٠.

[6] ينظر: المرجع السابق، ص٩٤-٩٥.

١٢: إبطال ماليس بمقصود ليس إبطالاً:

وهذا في واقع الحال ليس بضابط مستقل، ولكنه جماع ما سبق من الشروط والضوابط، وجامع لها، فأنت إذا أرجعت بصرك، ورَدّدت طرفك في كل ما سبق، واحدا واحدا، رأيت أن كل ذلك يرجع إلى أساس مشترك، ومعنى واحد، هو أن الإبطال الذي لا يجوز، والذي يبطل بسببه الفرع ويرد، إنما هو الإبطال لما علم أنه مقصود للشارع، أما ما علم أنه ليس من مقصوده فليس من ذلك، بل هو مما ينبغي إبطاله، فمثلًا من خلال ما سبق نجد أن حقائق الأشياء هي المقصود دون الصور والأشباح، والمعاني الحسية الواردة في سياق المبالغة ليست مقصودة وإنما المقصود ما وراءها من معان ترمز إليها وتكني عنها، ومحل الحكم ليس مقصودا لذاته بل لما يدل عليه ويتضمنه، وإذا تعين تأويل اللفظ أو العدول به عما وضع له فما ذلك إلا لأن الظاهر والحقيقة ليس مقصودا للمتكلم، وعندما يكون المناظر ذاهلا عن العلاقة بين الأصل والفرع فمعنى ذلك أن لازم مذهبه غير مقصود له، وإذا حينها فلا سبيل إلى إلزامه به، وهلم جرا في كل ما ذكر.

الفصل الثالث: تطبيقات في الفروع والنوازل

هذا الفصل عبارة عن عرض نماذج تطبيقية للقاعدة المدروسة، وقد جعلناها على أربعة أصناف بحسب متعلقاتها، فانقسمت من ثمة إلى أربعة مباحث، تحت كل مبحث مطالب[١].

المبحث الأول: في الامتثاليات

هذا المبحث يختص بأعمال المكلفين، وتحديدا مشكلة امتثال التكاليف الشرعية، وهي مشكلة لها وجوه متعددة قديما وحديثا، وبعضها تحول إلى ظاهرات دينية واجتماعية مركبة، كالإرجاء، واختلال وجوه العمل ومراتبه عند المسلم، ونبذ الدين أو بعض أصوله ممن ينتسب إلى الإسلام، ولذلك وجوه متنوعة منها:

المطلب الأول: العبادة والعمل:

صار كثير من المسلمين يترك التكاليف الشرعية من العبادات المحضة وغيرها انشغالا منهم بالأعمال الدنيوية وأسباب اكتساب المعاش، وعندما يستفسرون عن سبب الترك يتذرعون بذلك ويعتذرون، ويزعمون أن ما هم فيه من شغل هو أيضًا عبادة، وأنهم من ثم في أثناء ذلك في عبادة، مرددين

---

[١] قال ابن عاشور عند «قوله تعالى: ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ٢٤] أي ما تقولوه على الدين وأدخلوه فيه (...) وقد ابتلي المسلمون بغرور كثير في تفاريع دينهم وافتراءات من الموضوعات عادت على مقاصد الدين وقواعد الشريعة بالإبطال» التحرير والتنوير، ٢١١/٣.

الشعار المتداول: "العمل عبادة"! وهذه العبارة وإن كانت حقًّا في نفسها إلا أنها في هذا المقام ليست كذلك، وبيان تهافتها في سياق الحجاج واضح بناء على قاعدة الدراسة، فالعبارة إما استعارة مبنية على المبالغة في التشبيه، والتقدير أن (العمل كالعبادة)، أو هي تعميم قائم على القياس، والتقدير أن (العمل أيضًا عبادة) وفي كلتا الحالين هي فرع عن أصل، ولا بد من وجود الأصل وبقائه حتى يصح التشبيه أو التعميم، أي لا بد من وجود العبادة الأصل وامتلاكها حتى يصح ادعاء ما هو فرع عنها أو توسيع، فأي شيء توسعه إذا كان الموسَّع مفقودا، وأي شيء تشبه به إذا لم يكن المشبه به موجودا.

المطلب الثاني: النية والعمل:

من الناس من يترك العمل اكتفاء –بزعمه– بالنية، فيردد العبارة المتداولة: "النية أفضل من العمل"، وعبارة: "الإيمان في القلب"، وقد يروون حديثًا: "إن الله لا ينظر إلى صوركم وأعمالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم ونياتكم"[1]، وبكل حال؛ فعنده أن النية أهم، فإنها الأساس الذي يقوم عليه صلاح العمل، والعمل بلا نية –أو مع نية فاسدة– فاسد، وهو استدلال فاسد؛ لأنه إذا كان العمل العاري عن النية الصحيحة من قبيل الفاسد، فالنية الخالية من العمل من قبيل المعدوم! فإن للنية مع العمل –زيادة على الحالة الأصل– حالات:

منها: وجود النية وغياب العمل قصدًا، فالنية لابد لها من محل تتعلق به هو العمل، فبهذا الاعتبار هو أصل وهي فرع عنه، هو ذات وهي صفة، فالنية إذا لم تتعلق بشيء أو هي متعلقة بعدم، فبطلت.

ومنها: وجود النية وغياب العمل لعارض أو تعذر، فهنا العمل في حكم الموجود، ويثاب صاحب النية بلا عمل ثواب العامل بنية، كما ورد في النصوص.

ومنها: صلاح النية وفساد العمل، وسوء العمل إما أن يكون من جهة غياب العلم رأسا، أو من جهة سوء الفهم والتأويل فيه، فالنية لم تنفع شيئًا في تصحيح العمل فكانت لاغية.

المطلب الثالث: العبادة والأخلاق:

من الناس من يفرط في العبادات، ويدعي أن المعاملات أهم منها، ويردد عبارة: "الدين المعاملة"! ويحتج بأن الغرض من العبادات هو تزكية النفس والتخلق بالأخلاق الحميدة، وهو متحقق بهذا الغرض، إذ أخلاقه حسنة وإنه ليفعل الخير ولا يظلم أحدًا، وإذا لا حاجة لأن يلتزم العبادات المفروضة، فإنما هي

---

[1] لا يصح، والثابت: "إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم"، مسلم (٢٥٦٤).

وسائل للتهذيب، تسقط بحصول الغرض، لكن الحقيقة أن العبادة وإن كانت تحقق منافع للنفس عديدة، إلا أنها تبقى أصلا في نفسها، بقطع النظر عن تلك الفوائد، فالأدب مع الخالق أصل كما الأدب مع الخلق، والمعاملة مع الرب أصل كما المعاملة مع العباد، والإحسان مع الله أصل كما الإحسان إلى الناس، وحقوق الإله أصل كما حقوق الإنسان، بل لعل الأول من كل ذلك أصل للثاني!

وهذا المعنى يصدق أيضًا على ذلك الصنف من منتحلي التصوف المدعين للولاية، وغيرهم من أهل الإباحة ممن يزعمون أنهم حققوا الغرض الأعظم الذي هو الوصول إلى الله وتحصيل الكمالات العقلية والنفسية، ومن ثم فهم ليسوا بحاجة إلى شيء من التكاليف الجمهورية ولا العمل بالسنن الشرعية، بل ولا يؤثر فيهم ارتكاب الموبقات وأنواع المخالفات[1]، ولا تضرهم الذنوب، وإنهم لا يدخلون النار بشيء من ذلك، وهذا وإن كان كله فاسدا بإجماع المسلمين[2]، إلا أنه يصح أيضًا تخريجه على قاعدة البطلان، «قال أبو سعيد الخراز: **كل باطن يخالفه ظاهر فهو باطل**»[3].

ومثل ذلك ادعاء الكرامات مع الخلو من الطاعات، فمن كان كذلك لم يصدّق؛ لأنه يدعي صلاحا زائدا، بينما أصل الصلاح ليس معه، فأبطلت تلك الزيادة الأصل فكانت باطلة، فإنه «لا يصل أحد من الخلق إلى الله وإلى رضوانه وجنته وكرامته وولايته إلا بمتابعته باطنا وظاهرا، في الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، في أقوال القلب وعقائده، وأحوال القلب وحقائقه، وأقوال اللسان وأعمال الجوارح، وليس لله ولي إلا من اتبعه باطنا وظاهرا، فصدقه فيما أخبر به من الغيوب، والتزم طاعته فيما فرض على الخلق من أداء الواجبات وترك المحرمات، فمن لم يكن له مصدقًا فيما أخبر به، ملتزمًا طاعته فيما أوجب وأمر به، في الأمور الباطنة التي في القلوب، والأعمال الظاهرة التي على الأبدان، لم يكن مؤمنًا، فضلًا عن أن يكون وليًا لله، ولو حصل له من خوارق العادة ما عسى أن يحصل؛ فإنه لا يكون مع تركه لفعل المأمور – من أداء الواجبات من الصلاة وغيرها بطهارتها وواجباتها– إلا من أهل الأحوال الشيطانية المبعدة لصاحبها

---

[1] الاعتصام، ١/١٨٨–١٨٩.

[2] ينظر: شرح المقاصد، التفتازاني، ٥/٧٧.

[3] الرسالة، القشيري، ص٢٣.

عن الله المقربة إلى سخطه وعذابه»[1]، قيل لأبي محمد المرتعش: "فلان يمشي على الماء! قال: عندي أن من مكّنه الله من مخالفة هواه فهو أعظم ممن يمشي على الماء!"[2]

المطلب الرابع: النوافل مع الفرائض.:

ومن هذا الباب من يعنى من أهل الدين بالنوافل مع تضييع الفرائض، فإن النوافل فروع والفرائض هي الأصول، وسنرجع إلى تفصيل شيء من هذا المثال قريبًا[3].

المطلب الخامس: الدين والتدين.

ظهر في أبناء المسلمين في الزمن المعاصر نابتة تميل إلى نبذ الدين –أو بعض أصوله– بحجة عدم ظهور مقتضيات ذلك وآثاره في تصرفات أهله وأحوال منتسبيه، كانوا من العموم أو من المدعين التزامه على الوجه الصحيح من الخاصة، وهذا توهم أكثر منه استدلال، فالتدين فرع الدين، وهم أبطلوا الأصل لفساد الفرع، وكان ينبغي أن يفعلوا العكس، أن يبطلوا الفرع لتأثيره على الأصل، ففساد الفرع لا يمكن أن يؤدي لفساد الأصل بحال، وفساد التدين لا يعني فساد الدين، فلا يترك الأصل لفساد الفرع، بل الفرع هو الذي يبطل لرجوعه على الأصل بالإبطال، فإذا «يعتبر الفرع بأصله وقاعدته فإن وافق قبل، وإلا رد على مدعيه (...) ثم هو غير قادح في الأصل؛ لأن فساد الفاسد إليه يعود، ولا يقدح في صلاح الصالح شيئًا»[4]، أي أنه لا يرد الأصل لفساد الفرع!

المطلب السادس: الكامل والأكمل:

المأمورات لها وجهان؛ كامل وأكمل، فإن المأمورات المتضمنة للمصالح؛ ضرورية كانت أو حاجية، لها مكملات وشروط بها يكون تحققها على الوجه الأكمل، وقد تأتي أزمنة وأحوال تفقد فيها تلك المكملات والشروط، فيترك بعض الناس العمل بالمأمورات والمصالح رأسًا لفقد المكملات والشروط، ظنا منهم أن ذلك داخل في أصل المطلوب وماهيته، فيعود من ثم اعتبارهم لتلك المكملات على أصل العمل ذاته بالإبطال والغياب، وذلك كترك الجهاد لانعدام الإمام أو جوره، أو رفض الإمام لعدم استجماعه

---

[1] الفتاوى، ١٠/٤٣٠ –٤٣١.

[2] سير أعلام النبلاء، ١١/٤٦٤.

[3] ينظر: المطلب الأخير من المبحث الموالي.

[4] قواعد التصوف، ق٣٥، ص٣٧.

أوصاف العدالة، «فالجهاد ضروري، والوالي فيه ضروري، والعدالة فيه مكملة للضرورة، والمكمل إذا عاد للأصل بالإبطال لم يعتبر، ولذلك جاء الأمر بالجهاد مع ولاة الجور عن النبي ﷺ، وكذلك ما جاء من الأمر بالصلاة خلف الولاة السوء فإن في ترك ذلك ترك سنة الجماعة، والجماعة من شعائر الدين المطلوبة، والعدالة مكملة لذلك المطلوب، **ولا يبطل الأصل بالتكملة**»[1].

المبحث الثاني: في الواقعيات:

هذا المبحث مخصص للأشياء المستحدثة بموجب تغير الأزمنة والأحوال مما هو وسائل في الغالب.

المطلب الأول: الوسائل مع مقاصدها:

الأعمال مقاصد ووسائل، وإذا كانت المقاصد محددة معلومة تتسم بالثبات، فالوسائل متبدلة متجددة، تخضع لتطور الأزمنة واختلاف البيئات والأحوال، وكل وسيلة تخدم المقصد فهي مطلوبة ما دامت تخدمه، فإن عادت عليه بالإبطال بطلت، كما في مقصد الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فوسائله ومجالاته لا تكاد تنحصر، فمنها ما هو اجتماعي خيري، ومنها ما هو اقتصادي مالي، ومنها ما هو فكري ثقافي، ومنها هو سياسي مرتبط بالشأن العام، إلخ، ولكن ضابط الدخول في كل ذلك ومواصلة السير فيه ألا يؤدي إلى نتائج عكسية، فيضعف بسببه الدين بدل أن يقوى، ويبتعد الناس عن حقائقه بدل أن يقتربوا منها، ويكرهون التدين بدل أن يحبوه[2].

ومن ذلك الوسائل والأدوات التنظيمية المستحدثة في المجالات المختلفة، مثل اللجان، والمجالس، والاجتماعات، والتقارير، والإحصائيات، والتقييم، والتطوير، والترويج الإعلامي، والسعي لتحصيل شهادات الاعتماد والجودة للمؤسسات، وغير ذلك من التراتيب التنظيمية، مما ابتكر في الأصل لخدمة ذات العمل –إداريا كان أو تعليميا أو اقتصاديا أو غير ذلك– وتحقيق أهدافه، فإنها تكون محمودة ما دامت في حدود خدمتها للمقصد الأصل ودعمها له، أما إذا هي تضخمت بحيث اضمحل العمل الأصل في جنبها، أو أهمل وصار آخر ما يفكر فيه، أو صارت هي المقصد والمخرجات الفعلية هي الوسائل، فعندها لا تصح، وتصير باطلة كونها أضرت بالأصل وعادت عليه بالإبطال!

---

[1] الموافقات، ٢/٢٧.

[2] ينظر: الأخطاء الستة للحركة الإسلامية، فريد الأنصاري، ص٣١، وبلاغ الرسالات القرآنية، فريد الأنصاري، ص١٧٢–١٧٣.

المطلب الثاني: الوسائل الأصلية المنصوص عليها مع الوسائل المستحدثة

الوسائل الأصلية تكون وسائل عادية تعتمد غلبة الظن، أما الوسائل الحديثة فوسائل علمية مختبرية تصل إلى اليقين، ومن أمثلة ذلك:

أ- إثبات النسب بالبصمة الوراثية المعروفة باسم "D. N. A" مع أن الوارد في الشرع إنما هو اللعان[1]، فاختبارات الحمض النووي لا تبطل اللعان ولا تحل محله، بل هي قرينة مساعدة للإقدام عليه أو الإحجام، فإن تلك التحليلات ليست بحاسمة في نفي الولد، بل لابد بعد ذلك من الأسلوب الشرعي الذي هو اللعان، فاللعان جعل لنفي النسب أو عدم نفيه، أما الفاحشة والفجور من غير حمل فيكفي فيه الطلاق[2].

ب- إثبات هلال رمضان بالوسائل الحديثة والآلات التقنية المعاصرة كالتلسكوب، مع أن الأصل الرؤية البصرية العادية.

ج- إثبات الجرائم التي فيها حد شرعي، كالسرقة والزنا، أو قصاص، بوسائل التحقيق العلمية والتقنية الحديثة كرفع البصمات والحمض النووي، أو إثباتها وإثبات الحقوق المالية بواسطة أجهزة التصوير الحديثة (الكاميرات) بدل الاقتصار على وسائل الإثبات المعلومة في الشرع من الإقرار والكتابة والشهود واليمين، فإنه زيادة على المنصوص بلا شك!

المطلب الثالث: الوسائل التحسينية:

ومن الوسائل: التزيين العائد على أصل المزين وحقيقته -كلامًا كان أو غيره- بالتبديل والإبطال فيكون من ثم باطلًا ، كمن يبالغ في التلحين والتطريب للأذان والتلاوة فيغير في الحروف والحركات والمدود ويخرج كل ذلك عن وضعه الشرعي، فهذه وسائل عادت على الأصل بالإبطال، كونها أخرجته في النهاية عن حقيقته وحدوده الشرعية، ومن ثم أفتى أحمد وغيره بإعادة الأذان لمن وقع في مثل ذلك[3]، كونه أبطل حقيقة العمل بأدائه على ذلك الوجه المغير له والمبدل، ومثل ذلك من ينشغل -عند قراءة النص- عن مقصود الكلام ومعناه الأصل بما يعرض فيه من محسنات بديعية وزخرف لفظي.

---

[1] قرر مجلس المجمع الفقهي برابطة العالم الإسلامي عدم جواز الاعتماد على البصمة الوراثية في نفي النسب، فلا يجوز تقديمها على اللعان، الدورة ١٦، ص٣٨٩.

[2] ينظر: الموقع الإلكتروني: إسلام ويب، فتوى (٧٤٢٤) بتاريخ: ٥ محرم ١٤٢٢هـ، ورقم (١١٢٧٩٧) بتاريخ: ٢٣ رمضان ١٤٢٩هـ.

[3] ينظر: عدة المريد الصادق، ص٢٩٦-٢٩٧.

المطلب الرابع: التصرفات البدعية:

إن البدعة باعتبارها زيادة محدثة على الأصل المشروع، لها وجوه في إبطال الأصل، فمن ذلك:

أ- ما دل عليه الحديث الأصل في ذم الابتداع، في قوله ﷺ : "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"[1]، أو "من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد": أي كل من فرع فرعًا في الدين أو زاد زيادة فيه تنقض شيئًا من أصوله، أو ليس لها أصل في تلك الأصول فهو باطل.

ب- الوصف الزائد في العمل يبطل العمل في أصله، وذلك «أن يصير العمل العادي أو غيره كالوصف للعمل المشروع؛ إلا أن الدليل على أن العمل المشروع لم يتصف في الشرع بذلك الوصف، فظاهر الأمر انقلاب العمل المشروع غير مشروع (...) كصلاة الفرض مثلًا إذا صلاها القادر الصحيح قاعدا، أو سبح في موضع القراءة، أو قرأ في موضع التسبيح، وما أشبه ذلك (...) كالذي حكى القرافي عن العجم في اعتقاد كون صلاة الصبح يوم الجمعة ثلاث ركعات، فإن قراءة سورة السجدة لما التزمت فيها وحوفظ عليها، اعتقدوا فيها الركنية، فعدوها ركعة ثالثة، فصارت السجدة إذا وضعًا لازمًا أو جزءًا من صلاة صبح الجمعة فوجب أن تبطل، وعلى هذا الترتيب ينبغي أن تجري العبادات المشروعة إذا خصت بأزمان مخصوصة بالرأي المجرد، من حيث فهمنا تلبسا بالأعمال على الجملة، **فصيرورة ذلك الزائد وصفًا فيه مخرج له عن أصله**، وذلك أن الصفة مع الموصوف من حيث هي صفة له لا تفارقه هي من جملته، وذلك لأنا نقول: إن الصفة هي عين الموصوف إذا كانت لازمة له حقيقة أو اعتبارًا، **ولو فرضنا ارتفاعها عنه لارتفع الموصوف من حيث هو موصوف بها**؛ كارتفاع الإنسان بارتفاع الناطق أو الضاحك، فإذا كانت الصفة الزائدة على المشروع على هذه النسبة؛ صار المجموع منهما غير مشروع، **فارتفع اعتبار المشروع الأصلي**»[2].

وقال العز بن عبد السلام لمن دعاه إلى أداء صلاة الرغائب مع ترك ما فيها من المخالفات: «فهذا لا يستقيم؛ لأن الإنكار إنما وقع على صلاة الرغائب بخصائصها وتوابعها ولواحقها، **ولا يلزم من إنكار المركب بعض أجزائه**»[3]، «لأن الإنكار إنما وقع على صلاة الرغائب بخصائصها، ولو تركت خصائصها

---

[1] متفق عليه، البخاري (٢٦٩٧)، مسلم (١٧١٨).

[2] الاعتصام، ٢/٣٢١.

[3] مساجلة بين العز وابن الصلاح، ص٣٦.

لخرجت عن أن تكون صلاة الرغائب المنكرة»[1]، فلو لم يبلغ العمل الزائد ذلك المبلغ كان أخف وانفرد العمل [الزائد] بحكمه والعمل المشروع بحكمه[2]، أي لم يبطل الأصل.

فإذا الزيادة التي لا دليل عليها قد تبطل الأصل، قال الشاطبي: «وكذلك إذا التزم في صلاة الظهر مثلًا أن يقرأ بالسورة الفلانية دون غيرها دائما، أو أن يتطهر من ماء البئر دون ماء الساقية، أو غير ذلك من الالتزامات التي هي توابع لمقتضى الأمر في المتبوعات؛ فلا بد من طلب دليل على ذلك، وإلا لم يصح في التشريع، **وهو عرضة لأن يكر على المتبوع بالإبطال**»[3].

ج- زيادة نوافل وأعمال بدعوى ترغيب الناس في الخير يؤول إلى تضييع الأصل الذي هو الفرائض، فالتطوع بالنوافل غير الراتبة فرع عن النوافل الراتبة التي هي من جهتها فرع عن الفرائض، يقول الشاطبي: «إن الناس إذا وقع فيهم الفتور عن الفرائض فضلًا عن النوافل، وهي ما هي من القلة والسهولة . فما ظنك بهم إذا زيد عليهم أشياء أخرى يرغبون فيها ويحضون على استعمالها فلا شك أن الوظائف تتكاثر حتى يؤدي إلى أعظم من الكسل الأول وإلى ترك الجميع فإن حدث للعامل بالبدعة هوى في بدعته أو لمن شايعه فيها فلا بد من كسله مما هو أولى، فنحن نعلم أن ساهر ليلة النصف من شعبان لتلك الصلاة المحدثة لا يأتيه الصبح إلا وهو نائم أو في غاية الكسل فيخل بصلاة الصبح وكذلك سائر المحدثات، فصارت هذه **الزيادة عائدة على ما هو أولى منها بالإبطال أو الإخلال**، وقد مر أن ما من بدعة تحدث إلا ويموت من السنة ما هو خير منها»[4].

وبالجملة، فمن هذه الجهة منع الغلو والزيادة على الحدود المشروعة في كل شيء، كون ذلك يؤول إلى إبطال الأصل المزيد عليه.

المبحث الثالث: في اللغويات

هذا الباب نجد فيه جملة من النماذج المرتبطة بقاعدة الدراسة، فمن ذلك:

المطلب الأول: المجاز مع الحقيقة:

---

[1] المرجع السابق، ص٣٨.

[2] الاعتصام، ٢/٣٢٦.

[3] الموافقات، ٣/٤٩٦.

[4] الاعتصام، ٢/٢٧٩-٢٨٠.

المطلب الأول: المجاز مع الحقيقة:

«المجاز خلف عن الحقيقة بالاتفاق، أي فرع لها، بمعنى أن الحقيقة هي الأصل الراجح المقدم في الاعتبار، وأجمعوا على أن شرط الخلف انعدام الأصل»[1]، فالقول بالمجاز مع إمكان الحقيقة وعدم تعذرها هو إبطال للأصل وتجاوز له، فيكون من ثم باطلًا، ولما كان الأصل هو الحقيقة لم يكن للفرع الذي هو المجاز أن يقوى على إلغائها إلا إذا هي فسحت له المجال بنفسها، لتعذر أو استحالة، أو سبب من الأسباب، فأحرى لو كان في اللفظ ما يقوي جانب الحقيقة ويكاد يجعلها مقطوعًا بأنها مرادة، ثم إذا علم أن «المجاز فرع عن الحقيقة، وأن الحقيقة هي الأصل، وإنما يعدل عن الأصل لسبب اقتضاه»[2]، فإن المعنى المجازي مع ذلك لابد أن يبقى متعلقا بالحقيقة مبنيًّا عليها، وذلك إذ كان فرعًا عنها، موجودًا بسببها، فلا يمكن أن ينفصل عنها أو يفارقها، ومن هنا اشترط في كل مجاز وجود علاقة قوية وملائمة بين المعنى المراد الذي استعمل فيه اللفظ والمعنى الموضوع للفظ في الأصل، كعلاقة اللزوم، والتقابل، والاندراج[3]، والشمول[4]، والمجاورة[5]، والمشابهة في الشيء الذي هو أخص أوصاف الأصل، وفيما له مزيد اختصاص بالمشبه به، فهذه الأنواع من العلاقات وغيرها هي ما يجعل الأصل موجودًا مستصحبًا رغم عدم إرادته والقصد إليه، فإذا ادعي معنى مجازي ما ولم تكن ثمة علاقة مثل ما ذكر فإنه ادعاء لا يقبل؛ لأن فيه تغييبًا للأصل.

المطلب الثاني: الاسم مع الصفة التي اشتق منها:

من مشهور مقالات المعتزلة إثبات الأسماء ونفي الصفات، وهو صنيع فيه عود على الأصل بالنقض، إذ الاسم مشتق من الصفة، كما تقرر أن ثبوت المشتق للشيء يدل على ثبوت **مأخذ** الاشتقاق لذلك الشيء، فكيف مع ذلك يثبت المشتق وينكر المشتق منه؟! قال في مراقي السعود:

وعند فقد الوصف لا يشتق *** وأعوز المعتــزلي الحق

---

[1] البحر المحيط، ١٠٥/٣، التلقيح شرح التنقيح، ص٩٧-٩٨، حاشية الدسوقي على مختصر السعد، ٣٠١/٣.

[2] المثل السائر، ابن الأثير، ٥٨/٢.

[3] كقولهم: فلان يملك كذا رأسا من الغنم، أو إطلاقهم العين على الجاسوس، فالجاسوس متضمن للعين، وكذلك الغنم متضمن للرأس.

[4] كقوله تعالى: ﴿جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ [نوح: ٧] أي أناملهم، فالأنامل مندرجة في الأصابع.

[5] كقول الشاعر: "فشككت بالرمح الأصم ثيابه *** ليس الكريم على القنا بمحرم"، أراد بثيابه: جسده، وقولهم: جرى الميزاب، والمراد الماء الذي فيه.

وقال الشاطبي: أهل البدع «سموا في بعض الأحاديث وفي إشارة القرآن أهل الأهواء، وذلك لغلبة الهوى على عقولهم واشتهاره فيهم؛ لأن التسمية بالمشتق إنما يطلق إطلاق اللقب إذا غلب ما اشتق منه على المسمى به»[1]، أي صار له وصفًا ملازمًا لذاته، فالاسم فرع عن المسمى، وعليه لا يمكن إثبات الاسم وإنكار المسمى، وذلك كما أن لفظ الباحث لا يطلق إلا على من يبحث دون من يفعل شيئًا شبيهًا بالبحث، والمجتهد هو من يجتهد، والفقيه من يتفقه دون من يأخذ بأطراف المعاني، والعالم من معه وصف العلم وحقيقته لا رسومه وأشكاله!

المطلب الثالث: الوضع اللغوي والاستعمال الاصطلاحي:

لابد في الدلالة الاصطلاحية للفظ أو الدلالة العرفية (الاستعمال) أن تكون متسقة مع الدلالة اللغوية (الوضع) مبنية عليها، غير مباينة لها، متصلة بها غير منفصلة عنها، لأنها أصلها الذي منه أخذت، فلو كان المعنى الاصطلاحي مفارقا للمعنى الوضعي غير متصل به لكان إبطالًا له فيكون من ثم باطلًا ، فهذا يجعل المصطلحات والمفاهيم في أي مجال معرفي فرضت أكثر انضباطا، ويمنع من تحريفها عن معناها الحقيقي المراد، كما يفعل كثير من أهل الأهواء في القديم والحديث.

المبحث الرابع: في المعرفيات:

هذا المبحث يختص بمجال العلوم والمعارف والفهوم كيفما كانت، وفيه مطالب.

المطلب الأول: تجديد الفهم في القرآن والتفسير العلمي للآيات:

كثر في العصر الحديث القول بالإعجاز العلمي للآيات القرآنية والتفسير العلمي لها، كما كثر القول بتجديد القول في الدين والقراءة للنص، وهو أمر قديم وله وجود في تاريخ العلم الإسلامي لكنه اتسع اليوم وانتشر، ولكن أيا يكن الأمر فالضابط العتيد والركن الشديد الذي يؤوى إليه في كل ذلك: ألا يعود شيء من تلك الفهوم الجديدة والمعاني الزائدة على المعنى الأصلي بالإبطال، فإنها فهوم خاصة متخصصة، ومن شرط الفهم الخاص ألا يكون ناقضًا للفهم الجمهوري العادي، إذ المعاني الجمهورية الأصلية داخلة في المقصود كونها المفهوم زمن النبوة، بل هي المقصود أصالة، وغيرها إن كان إنما هو مقصود تبعًا، فلا يمكن مع ذلك إهدارها بحال، بل ينبغي لكل فهم يأتي بعدها –إلى قيام الساعة– أن يكون مبنيًّا عليها، غير هادم لها[2].

---

[1] الاعتصام، ١/٢٤٦.

[2] ينظر: الموافقات، كتاب المقاصد، النوع الثاني من مقاصد الشارع (القصد الإفهامي).

المطلب الثاني: السنة هي المنهج:

بناء على المدلول اللغوي للفظ (سنة) الذي هو (الطريقة)، والطريقة الأسلوب وكيفية العمل، أي المنهج، فإن السنة هي المنهج[١]، والمنهج له أصول ومآخذ يستخلص منها، وهي: الأقوال والأفعال والتقريرات النبوية، وعليه، فإذا كان من يريد الاستغناء بالمنهج عن الأصل الذي عرف من خلاله، فيكتفي مثلًا بأخذ العبر فحسب، دون اعتبار لذات الأصل الذي يقتبس منه ويعتبر به، فإن قاعدة الدراسة تقف في وجهه، أنه عمل باطل؛ لأنه بمنزلة استنباط معنى من النص يعود عليه بالإبطال!

المطلب الثالث: بطلان المعرفة المخالفة للوحي:

لا يمكن لمعرفة كيفما كانت –فضلًا عن معرفة توصف أنها إسلامية– أن تناقض الوحي وما جاء به من حقائق وآيات بينات، إذ العلوم الإسلامية بأنواعها هي فرع عن الوحي كتابًا كانت أوسنة، فما تلك العلوم إلا محاولة فهم لما جاءت به النصوص من أحكام ومعارف، فهي فرع مستخرج من ذلك الأصل، ولابد أن يوافق الفرع الأصل، ومن ثم فكل قول في نوع من أنواع تلك العلوم جاء مخالفًا للأصلين فهو باطل، كالكلام في الاعتقادات، أو الأحكام العملية، أو الكلام في دقائق النفس وخواطرها مما فيه تزكيتها وإصلاحها، لا يصح لشيء من ذلك أن يكون ناقضًا لأصله الذي ينبغي أن يستمد منه ويستند إليه من كتاب وسنة؛ لأنه منهما خرج وتفرع، فكل قول في ذلك أبطل أصله فهو باطل.

المطلب الرابع: المناظرات:

كما تبين فإن قاعدة الدراسة كما تستخدم في النظر تستخدم في المناظرة، وتعتمد أداة فعالة في الخلاف والجدل، وكثيرا ما يتردد في ذلك السياق، عبارة: "فلان خالف أصله"، فالخصم لو استدل بشيء ليس من أصوله التي يقول بها فإن استدلاله لا يسمع كونه خالف أصله، إلا أن يكون على سبيل التنزل أو الفرض، ومثال ذلك: من ينكر الدين والإله ومع ذلك يستدل بالأخلاق ويحتج بها على الخصم، فأنى له ذلك! إذ الأخلاق مبنية على الدين، ونفي الدين أصل لنفي الأخلاق، فإثبات الأخلاق فرع يعود على أصله الذي هو نفي الدين بالإبطال فيكون باطلًا[٢]!

---

[١] ينظر محاضرة على موقع يوتيوب، بعنوان "السنة النبوية هي المنهج" لزيد بوشعراء، جامعة ابن طفيل، القنيطرة – المغرب.

[٢] ينظر مقالًا بعنوان: إشكالية المعيار في الفكر الإلحادي، مركز يقين، (موقع إلكتروني) https://cutt.us/oVA5W

خاتمة

من أهم النتائج الكلية التي أسفرت عنها الدراسة، ما يأتي:

١ – كشف البحث عن حضور القاعدة في الدرس الأصولي ومنهجه من خلال جملة من المعالم فاقت العشرين موطنًا، جاءت موزعة على أربعة مجالات في علم الأصول.

٢ – للقاعدة أهمية بالغة في المناظرات، ورد التأويلات الفاسدة، ومحاربة الانحرافات الفكرية والعملية، فضلًا عن أهميتها في النظر والاجتهاد.

٣ – ذكر البحث جملة من الضوابط والشروط في إعمال القاعدة بلغت بضعة عشر ضابطًا.

٤ – ذكر البحث جملة من النماذج والتطبيقات فاقت العشرين وجاءت موزعة على أربعة أصناف.

٥ – ميّز البحث في القاعدة بين خمس مراتب فيها أو أنواع وصيغ.

٦ – بيَّن البحث مستند القاعدة عقلًا وشرعًا، وحجيتها، ومدى الاتفاق حولها.

٧ – حرَّر البحث محل النزاع في القاعدة، وبيَّن المراد بالنص فيها، مع تقديم جملة من الأمثلة للاستدلال والبيان فاقت العشرة.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

فهرس المصادر المراجع

١. الإبهاج في شرح المنهاج، علي بن عبد الكافي السبكي (٧٥٦هـ)، إتمام ولده تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي (٧٧١هـ)، دراسة وتحقيق: أحمد جمال الزمزمي، ونور الدين عبد الجبار صغيري، نشر دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث– دبي، ط١/٢٠٠٤م.

٢. إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، تقي الدين بن دقيق العيد (٧٠٦هـ)، حققه: أحمد محمد شاكر، مكتبة السنة– القاهرة، ط/١٩٩٧م.

٣. أحكام القرآن، أبو بكر محمد بن العربي المعافري (٥٤٣هـ)، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية– بيروت، ط١/١٩٨٨م

٤. الإحكام في أصول الأحكام، علي بن محمد الآمدي (٦٣١هـ)، تحقيق: سيد الجميلي، دار الكتاب العربي، ط٢/١٩٨٦م.

٥. الأخطاء الستة للحركة الإسلامية، فريد الأنصاري، الكلمة للطبع والإشهار– مكناس، ط١/٢٠٠٧م.

.

٦. الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، أبو المعالي عبد الملك الجويني (٤١٩هـ)، تحقيق: أحمد عبد الرحيم السايح، توفيق علي وهبة، مكتبة الثقافة الدينية– القاهرة، ط١/٢٠٠٩م.

٧. الأشباه والنظائر، تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (٧٧١هـ)، تحقيق: عادل عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية– بيروت، ط١/١٩٩١م.

٨. الاعتصام، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي (٧٩٠هـ)، تحقيق: مشهور آل سلمان، مكتبة التوحيد، د.ت

٩. أفعال الرسول ﷺ ودلالتها على الأحكام الشرعية، محمد سليمان الأشقر، مؤسسة الرسالة– بيروت، ط٤/١٩٩٦م.

١٠.

١١. إيضاح المحصول من برهان الأصول، أبو عبد الله محمد بن عمر المازري (٥٣٦هـ)، تحقيق: عمار الطالبي، دار الغرب الإسلامي– بيروت، ط١/٢٠٠١م.

١٢. إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام أبي عبد الله مالك، أحمد بن يحيى الونشريسي (٩١٤هـ)، دراسة وتحقيق: الصادق بن عبد الرحمن الغرياني، دار ابن حزم– بيروت، ط١/٢٠٠٦م.

١٣. البحر المحيط في أصول الفقه، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي الشافعي (٧٩٤هـ)، تحرير ومراجعة: عبد القادر عبد الله العاني، عمر سليمان الأشقر، محمد سليمان الأشقر، عبد الستار أبو غدة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية– الكويت، ط٢/١٩٩٢م.

١٤. البدر الطالع في حل جمع الجوامع، جلال الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد المحلي (٨٦٤هـ)، شرح وتحقيق: مرتضى علي الداغستاني، الرسالة ناشرون– بيروت، ط١/٢٠٠٥م.

١٥. البرهان في أصول الفقه، أبو المعالي عبد الملك الجويني (٤٧٨هـ)، حققه وقدمه ووضع فهارسه: عبد العظيم محمود الديب، دار الوفاء– المنصورة، ط١/١٩٩٢م.

١٦. بلاغ الرسالات القرآنية (من أجل إبصار لآيات الطريق)، فريد الأنصاري، دار السلام- القاهرة، ط١/٢٠٠٩م.

١٧. البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحر والنارنجات، أبو بكر محمد بن الطيب بن الباقلاني، منشورات جامعة الحكمة في بغداد، عنى بتصحيحه ونشره: الأب رتشارد يوسف مكارثي اليسوعي، المكتبة الشرقية- بيروت، ط/١٩٥٨م.

١٨. تأثير التعليل النص على دلالته، أيمن علي صالح، بحث ماجستير الجامعة الأردنية، دار المعالي- عمان، ط١/١٩٩٩م.

١٩. تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وبهامشه حاشية الشلبي، عثمان بن علي الزيلعي فخر الدين (٧٤٣هـ)، المطبعة الأميرية الكبرى ببولاق، ط١/١٣١٤هـ.

٢٠. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور (١٩٧٣م)، الدار التونسية للنشر، ط١/١٩٨٤م.

٢١. التحقيق والبيان في شرح البرهان في أصول الفقه، علي بن إسماعيل الأبياري (٦١٨هـ)، تحقيق: علي بن عبد الرحمن بسام الجزائري، وزارة الأوقاف- قطر، ط١/٢٠١٣م.

٢٢. تخريج الفروع على الأصول، أبو المناقب شهاب الدين محمود الزنجاني (٦٥٦هـ)، حققه وعلق حواشيه: محمد أديب صالح، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط٤/١٩٨٢م.

٢٣. تهافت الفلاسفة، أبو حامد الغزالي (٥٠٥هـ)، تحقيق وتقديم: سليمان دنيا، دار المعارف- القاهرة، ط٨/د.ت.

٢٤. تيسير التحرير، شرح محمد أمين المعرف بأمير بادشاه، على كتاب التحرير في أصول الفقه الجامع بين اصطلاحي الحنفية والشافعية، لكمال الدين محمد بن عبد الواحد الشهير بابن همام الدين الإسكندري الحنفي (٨٦١هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده- مصر، ط/١٣٥٠هـ.

٢٥. الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البرذوني، إبراهيم اطفيش، دار الكتب المصرية- القاهرة، ط٢/١٩٦٤م.

٢٦. الرسالة، محمد بن إدريس الشافعي (٢٠٤هـ)، تحقيق: محمد أحمد شاكر، مكتبة دار التراث، ط٢/١٩٧٩م.

٢٧. الرسالة القشيرية، أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان القشيري (٤٦٥هـ)، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١/٢٠٠١م.

٢٨. سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (٧٤٨هـ) دار الحديث- القاهرة، ط/ ٢٠٠٦م.

٢٩. شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه، الشرح لسعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني الشافعي (٧٩٢هـ)، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١٩٩٦/١م.

٣٠. شرح العقيدة الطحاوية (إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل)، صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ، خرج أحاديثه سليمان القاطوني، دار المودة- المنصورة، مصر، ط٢٠١١/١م.

٣١. شرح المقاصد، مسعود بن عمر بن عبد الله الشهير بسعد الدين التفتازاني (٧٩٣هـ)، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، تصدير: صالح موسى شرف، عالم الكتب- بيروت، ط١٩٩٨/٢م.

٣٢. شرح مختصر الروضة، أبو الربيع نجم الدين سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي، (٧١٦هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط١٩٨٧/١م.

٣٣. شفاء الغليل في بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل، أبو حامد محمد الغزالي (٥٠٥هـ)، تحقيق: حمد الكبيسي، رئاسة ديوان الأوقاف بالعراق، مطبعة الإرشاد- بغداد، ط١٩٧١/١م.

٣٤. ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم- دمشق، ط١٩٩٣/٤م.

٣٥. عدة المريد الصادق، أحمد زروق (٨٩٩هـ)، تحقيق: الصادق الغرياني، دار ابن حزم، ط٢٠٠٦/١م.

٣٦. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (٨٥٢هـ)، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، أشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة- بيروت، ط/١٣٧٩هـ.

٣٧. الفروق (أنوار البروق في أنواء الفروق)، أبو العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي القرافي (٦٨٤هـ)، ومعه إدرار الشروق على أنواء الفروق، لابن الشاط (٧٢٣هـ)، تحقيق: خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١٩٩٨/١م

٣٨. فضائح الباطنية، أبو حامد الغزالي (٥٠٥هـ)، حققه وقدم له: عبد الرحمن بدوي، مؤسسة دار الكتب الثقافية-الكويت، د. ت.

٣٩. الفن القصصي في القرآن الكريم، محمد أحمد خلف الله، مع شرح وتعليق: خليل عبد الكريم، سينا للنشر، ومؤسسة الانتشار العربي-بيروت، ط١٩٩٩/٤م.

٤٠. فواتح الرحموت، عبد العلي محمد السهالوي اللكنوي (١٢٢٥هـ)، بشرح مسلم الثبوت لمحب الدين عبد الشكور البهاري (١١١٩هـ)، تحقيق: عبد الله محمود عمر، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١/٢٠٠٢م.

٤١. في إعادة تصنيف الأدلة الأصولية، عبد الحميد الإدريسي، مجلة أصول، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى- مكة المكرمة، العدد١/١٤٤٠هـ.

٤٢. قرارات المجمع الفقهي الإسلامي في دوراته العشرين (١٩٧٧-٢٠١٠م)، رابطة العالم الإسلامي- مكة المكرمة، الإصدار الثالث، د.ت.

٤٣. قواعد الأحكام في مصالح الأنام، أبو محمد عز الدين بن عبد السلام (٦٦٠هـ) راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية- القاهرة، ط/١٩٩١م.

٤٤. قواعد التصوف، أحمد زروق (٨٩٩هـ)، تحقيق: أحمد خيالي، دار الكتب العملية- بيروت، ط٢/١٩٨٨م.

٤٥. قواعد الفقه، أبو عبد الله محمد المقري (٧٥٩ هـ)، تحقيق: محمد الدردابي، دار الأمان- الرباط، ط١/٢٠١٢م.

٤٦. القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الفقهية الأربعة محمد مصطفى الزحيلي، دار الفكر- دمشق، ط١/٢٠٠٦م.

٤٧. المبسوط، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (٤٨٣هـ)، دار المعرفة- بيروت، ط/١٩٩٣م.

٤٨. مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية الحراني (٧٢٨هـ) تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف- المدينة النبوية، ط/ 1416هـ.

٤٩. مساجلة بين الإمامين الجليلين العز بن عبد السلام وابن الصلاح حول صلاة الرغائب المبتدعة، تحقيق: محمد ناصر الدين الإلباني، محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي- بيروت، ط٢/١٤٠٥هـ.

٥٠. المستصفى من علم الأصول، أبو حامد الغزالي (٥٠٥هـ)، تحقيق: حمزة حافظ، د.ت.

٥١. المطول (شرح تلخيص مفتاح العلوم)، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (٧٩٢هـ)، تحقيق: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط٣/ د.ت.

٥٢. معلمة زايد للقواعد الفقهية والأصولية، جماعة من العلماء والباحثين، مؤسسة زايد للأعمال الخيرية والإنسانية– منظمة التعاون الإسلامي، مجمع الفقه الإسلامي الدولي– جدة، ط١/٢٠١٣م.

٥٣. المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، أبو العباس أحمد بن يحي الونشريسي (٩١٤هـ)، تحقيق: جماعة من الأساتذة، بإشراف: محمد حجي، نشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، ودار الغرب الإسلامي– بيروت، ط١/١٩٨١م.

٥٤. مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول، أبو عبد الله محمد بن أحمد التلمساني (٧٧١هـ)، حققه وخرج أحاديثه وقدم له: عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الكتب العلمية– بيروت، ط١/١٩٩٦م.

٥٥. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، أحمد بن عمر بن إبراهيم (٦٥٦هـ)، حققه: محيي الدين ديب سيتو، يوسف علي بديوي، أحمد محمد السيد، محمود إبراهيم بزال، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ط١/١٩٩٦م.

٥٦. الموافقات، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي (٧٩٠هـ)، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان– السعودية، ط١/١٩٩٧م.

٥٧. موسوعة القواعد الفقهية، محمد صدقي البورنو، الرسالة ناشرون– بيروت، ط١/١٩٩٧م.

٥٨. نهاية الوصول في دراية الأصول، صفي الدين محمد بن عبد الرحيم الأرموي الهندي (٧١٥هـ)، تحقيق: صالح اليوسف، وسعد السويح، المكتبة التجارية– مكة المكرمة، ط١/١٩٩٦م.

مصادر على الشبكة العنكبوتية:

١–إشكالية المعيار في الفكر الإلحادي، أيوب أبسومي، نشر بتاريخ ٢٠–٣–٢٠١٩م على الشبكة الإلكترونية، مركز يقين، https://cutt.us/oVA5W

٢–السنة النبوية هي المنهج، زيد بوشعراء، جامعة ابن طفيل، القنيطرة– المغرب، مادة مرئية على الشبكة، موقع يوتيوب، ٢٠١٨م.

2

دعوة غير المسلمين
من خلال آيات سورة الصافات
"دراسة ميدانية "

إعداد
د. خولة بنت يوسف المقبل
أستاذ الدعوة المشارك
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المستخلص

بحث دعوة غير المسلمين من خلال آيات سورة الصافات، فيه جانب نظري سعى لبيان عدة أهداف من خلال مباحثه، فقد هدف إلى التعريف بسورة الصافات، وبيان المراد من غير المسلمين وبيان جوانب إعداد الدعاة للدعوة من خلال سورة الصافات، وتوضيح أهم الوسائل والأساليب لدعوة غير المسلمين من خلال السورة. وبيان الموضوعات الدعوية لدعوة غير المسلمين من خلال سورة الصافات. أما الجانب الميداني فيسعى لبيان مدى استخدام الدعاة لآيات سورة الصافات ومدلولاتها في الدعوة إلى الله، ومدى تأثير هذه الآيات على المدعوين من وجهة نظر الدعاة.

الكلمات المفتاحية:

دعوة غير المسلمين- أهمية الدعوة- الوسائل والأساليب الدعوية.

Abstract

Abstract:

This study of preaching of non-Muslims through of Surat Al-Saffat, sought to demonstrate several goals through Achieve the goal to define the Surat Al-Saffat, , And mention of the intended non-Muslims and the aspects of the preparation of preachers to the preaching through Surat Al-Saffat, And to clarify the most important means and methods to preaching non-Muslims through the Surat Al-saffat. , And mentioned the preaching topics to preaching non-Muslims through Surah Al-Saffat.

key words:

Calling non-Muslims - the importance of advocacy - means and methods of advocacy.

المقـــدمة

أولًا : أهمية الموضوع:

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. **أما بعد.**

فإن الداعية إلى الله يجب أن يرتبط إعداده بالوصايا القرآنية؛ ليكون نهجه وعلمه وسلوكه هو الصواب والحق، وقد كان لنا في رسولنا الكريم الأسوة الحسنة من حيث كونه الترجمان العملي للقرآن الكريم مطبقًا ما ورد به من وصايا وتوجيهات.

وفي دعوة غير المسلمين في سور القرآن الخير الكثير والعلم الوفير، وفي سورة الصافات عدة توجيهات عقدية وعلمية ونفسية، سنعمل على إبرازها من خلال هذا البحث بإذن الله.

ثانيًا : أسباب اختيار الموضوع:

- أهمية دعوة غير المسلمين من خلال سور القرآن الكريم.
- اشتمال سورة الصافات على آيات عقدية لها تأثيرها في دعوة غير المسلمين .
- لوجود موضوعات دعوية عدة في آيات سورة الصافات تتناسب مع دعوة غير المسلمين.
- عدم وجود دراسة ميدانية عن تأثير آيات سورة الصافات وشروحها على دعوة غير المسلمين.

ثالثًا: أهداف البحث:

- التعريف بسورة الصافات.
- بيان المراد من غير المسلمين.
- بيان جوانب إعداد الدعاة للدعوة في سورة الصافات.
- بيان الموضوعات الدعوية لدعوة غير المسلمين في سورة الصافات.
- للتعرف على مدى استخدام الدعاة لآيات سورة الصافات وشروحها في دعوة غير المسلمين.

رابعًا : تساؤلات الدراسة:

ستجيب هذه الدراسة عن التساؤلات الآتية:

أ– تساؤلات الجانب النظري:

١– ما التعريف بسورة الصافات؟

٢– من هم غير المسلمين؟

٣– ما جوانب إعداد الدعاة للدعوة في سورة الصافات؟

٤– ما علاقة سورة الصافات بالتخفيف على المدعوين؟

٥– ما وسائل إعداد الدعاة وأساليبها في سورة الصافات؟

٦– ما موضوعات الدعوة في سورة الصافات؟

ب– تساؤلات الجانب الميداني:

١– ما مدى استخدام الدعاة لآيات سورة الصافات وشروحها في الدعوة إلى الله؟

٢– ما تأثير آيات سورة الصافات وشروحها في دعوة غير المسلمين؟

٣– ما وسائل استخدام الآيات الكريمة في سورة الصافات في دعوة غير المسلمين؟

٤– ما أساليب استخدام الآيات الكريمة في سورة الصافات في دعوة غير المسلمين؟

خامسًا : منهج الدراسة:

سوف أستخدم في هذا البحث **المنهج الاستقرائي**: وهو ما يقوم على حصر جميع الجزئيات وفحصها وإعطاء حكم عام بصددها، ثم تنظيم المعلومات المتوافرة في قالب معين؛ ليستنبط منها الباحث نتائج صحيحة وتزوده بالمقترحات والحلول(١).

والمنهج الوصفي: وهو المنهج الذي يهتم بدراسة الظواهر كما هي في الواقع التي تخدم غرض الباحث، ثم هو يصفها؛ ليتوصل بذلك إلى إثبات الحقائق العلمية(٢).

سادسًا : مجتمع الدراسة وحدودها:

- **مجتمع الدراسة:** هو المملكة العربية السعودية.
- **حدود الدراسة المكانية:** الدعاة في مدينة الرياض.
- **حدود الدراسة الزمانية:** تكون الدراسة في عام ١٤٤١هـ.

سابعًا : عينة الدراسة:

سوف تكون عينة الدراسة عينة عشوائية، بما يقارب "٣٠ "داعية (ذكرًا كان أو أنثى) في مدينة الرياض. وسوف تكون أداة الدراسة بإذن الله استبانة توزع على المشمولين في عينة الدراسة.

---

(١) ينظر: كتابة البحث العلمي صياغة جديدة، أبو سليمان، ص٦٤.

(٢) ينظر: البحث العلمي حقيقته، ومصادره، ومادته، ومناهجه، وكتابته، وطباعته، ومناقشته، الربيعة (١/ ١٧٩– ١٨٠).

ثامنًا : الدراسات السابقة :

١. **منهج القرآن الكريم في دعوة غير المسلمين**(١)، وهذه الدراسة تحدثت عن منهج القرآن الكريم في دعوة الكفار بشكل عام، ومنهج القرآن في دعوة غير المسلمين، وعن أساليب القرآن في الدعوة وعن صفات الداعية، وعن الاهتمام بالجاليات غير المسلمة، ودراسة الباحث كانت نظرية تأصيلية بينما هذه الدراسة ميدانية. ودراسة الباحث عن منهج القرآن الكريم بشكل عام بينما هذه الدراسة عن سورة الصافات فقط.

٢. **دعوة غير المسلمين إلى الإسلام في مدينة الرياض**(٢)، وهذه الدراسة تتحدث عن دعوة غير المسلمين في مدينة الرياض عموما عبر الوسائل والأساليب المختلفة، بينما دراستي عن دعوة غير المسلمين من خلال آيات سورة الصافات فقط، ومدى تأثيرها على غير المسلمين.

تقسيمات الدراسة:

أولًا : المقدمة وتشتمل على: أهمية الموضوع وأسباب اختياره وأهدافه و تساؤلاته و منهج الدراسة، و تقسيمها.

ثانيًا : الجانب النظري: ويحتوي على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بسورة الصافات وأهمية إعداد الدعاة من خلال سور القرآن الكريم:

المطلب الأول: التعريف بسورة الصافات. المطلب الثاني: أهمية الدعوة من خلال سور القرآن الكريم.

المبحث الثاني: موضوعات دعوة غير المسلمين من خلال سورة الصافات:

المطلب الأول: دعوة غير المسلمين إلى العقيدة في سورة الصافات.

المطلب الثاني: دعوة غير المسلمين إلى الشريعة والأخلاق في سورة الصافات.

المبحث الثالث: الوسائل والأساليب الدعوية لدعوة غير المسلمين من خلال سورة الصافات:

المطلب الأول: الوسائل الدعوية لدعوة غير المسلمين في سورة الصافات.

المطلب الثاني: الأساليب الدعوية لدعوة غير المسلمين في سورة الصافات.

ثالثًا: الجانب الميداني:

ويشمل الإطار الميداني:

المبحث الرابع: إجراءات الدراسة، وعرض نتائجها .

المبحث الخامس: مناقشة نتائج الدراسة وتقويمها.

المبحث السادس: ملخص الدراسة وتوصياتها ومقترحاتها.

---

(١) زكريا الزميلي ، الجامعة الإسلامية بفلسطين ،٢٠٠٥م.

(٢) عبدالله اللحيدان، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام، ١٤١٧هـ.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس– الملاحق.

الإطار النظري

المبحث الأول

التعريف بسورة الصافات

المطلب الأول: التعريف بسورة الصافات:

أولًا : سبب التسمية:

وسميت بذلك تشبيهًا بالملائكة ، قال قتادة الملائكة صفوف في السماء، (١). وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم " فضلنا على الناس بثلاث ، جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة ، ..." (٢)، وقال صلى الله عليه وسلم :" ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم؟، قلنا وكيف تصف الملائكة عند ربهم؟ قال يتمون الصفوف المتقدمة ويتراصون بالصف" ٣(٣).

وهي من السور المكية ، وتبلغ عدد آياتها (١٨٢) آية، وتقع في ترتيب المصحف برقم (٣٧)، نزلت بعد الأنعام، وقد بدأت السورة بالقسم بالملائكة وهم "الصافات".

ثانيًا : محور مواضيع السورة:

سورة الصافات من السور المكية التي تعني بأصول العقيدة الإسلامية "التوحيد والوحي والبعث والجزاء " شأنها كشأن سائر السورة المكية التي تهدف إلى تثبيت دعائم الإيمان. وهي تعنى ببناء الداعية من الناحية العقدية.

ثالثًا : فضائل هذه السورة:

ولهذه السورة فضل عظيم حيث روي عن عبد الله بن عمر قال: «**كان رسول الله ﷺ يأمر بالتخفيف ويؤمنا بالصافات**»(٤).

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله: «**من قرأ يس والصافات يوم الجمعة ثم سأل الله أعطاه سؤله**»(٥).

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٥/٤).

(٢) رواه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب الصلاة في ثوب واحد وصفة لبسه، رقم (٨٥٢).

(٣) مصنف عبد الرزاق باب الصفوف (٤٥/٢)، رقم (٨٢٣).

(٤) رواه النسائي في السنن، كتاب الإمامة ،مسألة الرخصة للإمام بالتطويل (٤٣٥/١) رقم (٩٠٢).

(٥) جامع الأحاديث (٢١/ ٢٧٧، رقم (٢٣٥٠١) كنز العمال (٥٩١/١) رقم (٢٦٩٤).

المطلب الثاني: أهمية الدعوة إلى الله من خلال سور القرآن الكريم:

القرآن هو:" المنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم ، المكتوب في المصاحف ، المنقول عنه نقلًا متواترا، بلا شبهة، والقرآن عند أهل الحق هو العلم اللدني الإجمالي ، الجامع للحقائق كلها "(١).

والدعوة من خلال سور القرآن من الأساسيات والمنطلقات الكفيلة بنجاح تهيئة الدعاة للدعوة.

فالعمل بالقرآن هو الغاية الكبرى من إنزاله؛ قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩] ، وهذا العمل: هو التلاوة الحكمية للقرآن.

فالعمل بالقرآن: هو تصديق أخباره، واتباع أحكامه: بفعل جميع ما أمر الله به فيه، وترك جميع ما نهى الله عنه: ابتغاء مرضاة الله، وخوفًا من عقابه، وطمعًا في ثوابه؛ ولهذا سار السلف الصالح على ذلك ﷺ. فكانوا يتعلمون القرآن، ويصدقون به، وبأخباره، وبجميع ما جاء فيه، ويطبقون أحكامه تطبيقًا ، عن عقيدةٍ راسخةٍ(٢).

قال أبو عبد الرحمن السُلمي: حدثنا الذين كانوا يُقرئوننا القرآن: عثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما وغيرهما: «**أنهم كانوا إذا تعلَّموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يتعلموها وما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا: القرآن والعمل جميعًا** »(٣) .

فالجيل الأول والقدوة الحسنة عملوا بما ورد في القرآن وقاموا بالدعوة إلى الله من خلال التوجيهات القرآنية ، فكان جيلهم جيل علم وعمل وتقوى وصلاح، ويجب على الدعاة في عصرنا الحاضر اتباع نهجهم والسير وفق خطاهم لينالوا من الشرف والمكانة ما ناله من سبقهم من جيل الصحابة.

يقول القرطبى – رحمه الله -: (وفي هذا تنبيه من الله تعالى لمن حمل الكتاب أن يتعلم معانيه ويعلم ما فيه لئلا يلحقه من الذم ما لحق هؤلاء(٤).

قال تعالى: ﴿ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَأَعْرِضْ عَنْ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٠٦].

---

(١) التعريفات ، الجرجاني، ص٧٤.

(٢) عظمة القرآن وتعظيمه وأثره في النفوس في ضوء الكتاب والسنة – مفهوم، وعظمة، وأثر، وتدبر، وفضائل، وعلم، وعمل، وتعاهد، وآداب، وأخلاق ، القحطاني، ص٦١.

(٣) أثر صحيح، رواه ابن جرير بلفظه في تفسيره [١/٨٠] طبعة أحمد شاكر]، وقال الشيخ أحمد شاكر: "هذا إسناد صحيح متصل". البدع "لابن وضاح (٢/ ١٧٠) رقم (٢٥٥).

(٤) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، (٩/٦٢).

المبحث الثاني

موضوعات دعوة غير المسلمين من خلال سورة الصافات

المطلب الأول: دعوة غير المسلمين إلى العقيدة الصحيحة من خلال سورة الصافات

غير المسلمين هم: "كل من يكفر بالله من أهل الكتاب، والمجوس والصابئة، وأهل الأوثان، ومن لا يدين بدين مطلقًا"[1].

والعقيدة هي: " من عقد الشيء، ويقال: عقدت الحبل إذا أوثقته، ويقصد به الاعتقاد الجازم الوثيق الثابت الذي لا يدخله شك ولا ريب.

"**والإيمان بالله سبحانه وتعالى**: هو التصديق الجازم بوجود الله وربوبيته – جل وعلا – واتصافه بكل صفات الكمال، ونعوت الجلال، واستحقاقه وحده العبادة، واطمئنان القلب بذلك اطمئنانًا تُرى آثاره في سلوك الإنسان، والتزامه بأوامر الله تعالى، واجتناب نواهيه، وهو أساس العقيدة الإسلامية ولبها"[2].

وقد حوت سورة الصافات آيات عظيمة وفوائد بالغة للدعاة عند دعوتهم غير المسلمين، ومن تلك الموضوعات الدعوية التي حوتها سورة الصافات ما يأتي:

أولًا : الدعوة إلى وحدانية الله:

وحدة الألوهية تحفظ النفس من التشتت وتبعد عنه تعدد المعبودات في العقائد الوضعية، قال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ * رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾ [الصافات: ٤-٥.]

"ليس له شريك في الإلهية، فأخلصوا له الحب والخوف والرجاء، وسائر أنواع العبادة. وهو الخالق لهذه المخلوقات، والرازق لها، المدبر لها، فكما أنه لا شريك له في ربوبيته إياها، فكذلك لا شريك له في ألوهيته، وكثيرا ما يقرر تعالى توحيد الإلهية بتوحيد الربوبية؛ لأنه دال عليه. وقد أقر به أيضًا المشركون في العبادة، فيلزمهم بما أقروا به على ما أنكروه"[3].

فيدعو الداعية إلى توحيد الله ويؤكد " أن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق لعبادته الجامعة لمعرفته، والإنابة إليه، ومحبته ، والإخلاص له، فبذكره تطمئن قلوبهم، وتسكن نفوسهم ، وبرؤيته في الآخرة تقر عيونهم، ويتم نعيمهم ، فلا يعطيهم في الآخرة شيئًا هو أحب إليهم ولا أقر لعيونهم ولا أنعم لقلوبهم من النظر إليه، وسماع كلامه منه بلا واسطة"(٤).

---

[1] العمل عند غير المسلمين من وجهة نظر إسلامية، طاهر، ص ٢٤.

[2] الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة، الأثري (١١٤/١).

[3] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، السعدي، ص٧٠٠.

(٤) إغاثة اللهفان غي مصايد الشيطان، ابن القيم، ص٣٣.

عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقول: «**إِنَّ الحَلالَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الحَرَامَ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ، أَلا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلا وَهِيَ القَلْبُ**»(١).

فالدعوة إلى توحيد الله في كل أنواع التوحيد أهم أولويات دعوة غير المسلمين وهي الركيزة الأولى لانطلاق الدعاة إلى بقية الموضوعات، وقد حث الرسول الكريم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ بعث معاذا ؓ إلى اليمن فقال «**ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم**»(٢).

كما أن الآيات فيها رد على عبدة الكواكب، ومدعي العلم بالغيب، وقراءة الطالع ومعرفة الأقدار من النجوم والأبراج وقراءة الكف والفنجان، والعرافين عموما و"عبدة الشمس والقمر الذين زعموا أن الشمس ملك من الملائكة، ولها نفس وعقل. ومنها نور الكواكب وضياء العالم وتكون الموجودات السفلية، وهي ملك الفلك، فتستحق التعظيم، والسجود، والتبخير، والدعاء، والذين زعموا أن القمر ملك من الملائكة يستحق التعظيم والعبادة، وإليه تدبير هذا العالم السفلي والأمور الجزئية فيه، ومنه نضج الأشياء المكتوبة وإيصالها إلى كمالها، وبزيادته "(٣): قال تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ * وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ * لا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلإِ الأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ * دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ * إِلاَّ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات: ٦ – ١٠]

"وقد ذكر الله في الكواكب هاتين الفائدتين العظيمتين:

إحداهما: كونها زينة للسماء، إذ لولاها، لكانت السماء جرمًا مظلمًا لا ضوء فيها، ولكن زينها فيها لتستنير أرجاؤها، وتحسن صورتها، ويهتدى بها في ظلمات البر والبحر، ويحصل فيها من المصالح ما يحصل.

والثانية: حراسة السماء عن كل شيطان مارد، يصل بتمرده إلى استماع الملأ الأعلى، وهم الملائكة، فإذا استمعت قذفتها بالشهب الثواقب ﴿مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾ طردا لهم، وإبعادا عن استماع ما يقول الملأ الأعلى.

---

(١) رواه البخاري، كتاب الإيمان ، باب فضل من استبرأ لدينه، (٥٢/١)، ص٢٩.

(٢) رواه البخاري باب وجوه الزكاة (١٠٤/٢)، رقم (١٣٩٥).

(٣) ينظر: الملل والنحل، الشهرستاني (٣ /١٠٣).

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ أي: دائم، معد لهم، لتمردهم عن طاعة ربهم.

ولولا أنه تعالى استثنى، لكان ذلك دليلًا على أنهم لا يستمعون شيئًا أصلًا، ولكن قال:﴿ إِلاَّ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ ﴾ أي: إلا من تلقف من الشياطين المردة، الكلمة الواحدة على وجه الخفية والسرقة ﴿فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ تارة يدركه قبل أن يوصلها إلى أوليائه، فينقطع خبر السماء، وتارة يخبر بها قبل أن يدركه الشهاب، فيكذبون معها مائة كذبة يروجونها بسبب الكلمة التي سمعت من السماء"[1]. فعلم الله لا يبلغه أحد من الإنس والجن، وهذا من تمام التوحيد وصفاء العقيدة.

الرد على منكري البعث: قال تعالى: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لازِبٍ﴾ [الصافات: ١١].

أي:" اسأل منكري خلقهم بعد موتهم. ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا ﴾ أي: إيجادهم بعد موتهم، أشد خلقًا وأشق؟. ﴿ أَمْ مَنْ خَلَقْنَا﴾ من هذه المخلوقات؟ فلا بد أن يقروا أن خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس.

فيلزمهم إذا الإقرار بالبعث، بل لو رجعوا إلى أنفسهم وفكروا فيها، لعلموا أن ابتداء خلقهم من طين لازب، أصعب عند الفكر من إنشائهم بعد موتهم، ولهذا قال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لازِبٍ﴾ أي: قوي شديد".كما تحث الآيات في السورة الكريمة على النهي عن السخرية والحث على الاستجابة للدعوة : قال تعالى: ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ * وَإِذَا ذُكِّرُوا لا يَذْكُرُونَ * وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ﴾ [الصافات: ١٢ – ١٤].

﴿ بَلْ عَجِبْتَ﴾ يا أيها الرسول وأيها الإنسان، من تكذيب من كذب بالبعث، بعد أن أريتهم من الآيات العظيمة والأدلة المستقيمة، وهو حقيقة محل عجب واستغراب؛ لأنه مما لا يقبل الإنكار، وأعجب من إنكارهم وأبلغ منه، أنهم ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ ممن جاء بالخبر عن البعث، فلم يكفهم مجرد الإنكار، حتى زادوا السخرية بالقول الحق. و من العجب أيضًا أنهم ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا﴾ ما يعرفون في فطرهم وعقولهم، وفطنوا له، وألفت نظرهم إليه ﴿لا يَذْكُرُونَ﴾ ذلك، فإن كان جهلا فهو من أدل الدلائل على شدة بلادتهم العظيمة، حيث ذكروا ما هو مستقر في الفطر، معلوم بالعقل، لا يقبل الإشكال، وإن كان تجاهلًا وعنادًا، فهو أعجب وأغرب. ومن العجب أيضًا أنهم إذا أقيمت عليهم الأدلة، وذكروا الآيات التي يخضع لها فحول الرجال وألباب الألباء، يسخرون منها ويعجبون. ومن العجب أيضًا، قولهم للحق لما جاءهم: ﴿إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ﴾ فجعلوا أعلى الأشياء وأجلها، وهو الحق، في رتبة أخس الأشياء وأحقرها"[2].

---

[1] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، السعدي، ص٧٠٠.

[2] المرجع السابق، ص٧٠٠.

وتبين الآيات الكريمة عقيدة البعث: قال تعالى: ﴿ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾[الصافات: ١٦].

"ومن العجب أيضًا، قياسهم قدرة رب الأرض والسماوات، على قدرة الآدمي الناقص من جميع الوجوه، فقالوا استبعادًا وإنكارًا: أئنا لمبعوثون؟ ولما كان هذا منتهى ما عندهم، وغاية ما لديهم، أمر الله رسوله أن يجيبهم بجواب مشتمل على ترهيبهم فقال: ﴿قُلْ نَعَمْ ﴾ستبعثون، أنتم وآباؤكم الأولون ﴿ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ﴾ ذليلون صاغرون، لا تمتنعون، ولا تستعصون على قدرة الله ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ ينفخ إسرافيل فيها في الصور ﴿فَإِذَا هُمْ ﴾ مبعوثون من قبورهم ﴿يَنظُرُونَ ﴾كما ابتدئ خلقهم، بعثوا بجميع أجزائهم، حفاة عراة غرلا وفي تلك الحال، يظهرون الندم والخزي والخسار، ويدعون بالويل والثبور. ﴿وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ فقد أقروا بما كانوا في الدنيا به يستهزءون. فيقال لهم: ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ بين العباد فيما بينهم وبين ربهم من الحقوق، وفيما بينهم وبين غيرهم من الخلق(١).

كما تبين أهوال يوم القيامة وعقيدة الإيمان بيوم القيامة ، وقد أشار الله في أكثر من آية كريمة إلى الاعتبار بأصل النشأة للإيمان وأن مصير من يعتقد عكس ذلك العقاب من رب العالمين . وقد عالج القرآن الكريم هذا الكفر في الآيات الكريمة السابقة.

ثانيًا : الدعوة إلى الإيمان بعقوبة الكافرين:

قال تعالى: ﴿ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ [الصافات: ٣٣].

"﴿ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ أي : الجميع في النار كل بحسبه ، ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ أي : في الدار الدنيا"(٢).

وقد ذكر نبي الله نوح(٣)، إبراهيم(٤)، وإسحاق(٥)، وموسى، وهارون(٦)، وإلياس(٧)، ولوطا(٨)، ويونس(٩)، عليهم الصلاة والسلام.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، السعدي ، ص٧٠١.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ،٧/٤ـ٨

(٣) قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ [الصافات: ٧٥].

(٤) قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾○ [الصافات: ٨٣].

(٥) قال تعالى: ﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات: ١١٢].

(٦) قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾ [الصافات: ١١٤].

(٧) قال تعالى: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٢٣].

(٨) قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٣٣].

(٩) قال تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٣٩].

المطلب الثاني: دعوة غير المسلمين إلى الشريعة والأخلاق من خلال سورة الصافات:

في العصر الذي نعيش فيه، تبدو حاجة المجتمع ماسة إلى جهد الدعاة في الدعوة إلى الله، حفاظًا على الدين، وعلى أحكام الشريعة والأخلاق الإسلامية التي يتعامل الناس بها في المجتمع(١).

فإن "التوحيد هو الركن الأساس والأصل، والشريعة تبع له وثمرة من ثمراته، يدل على ذلك حديث ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت**»(٢)، فالتوحيد مثاله أوسط الأعمدة في بيت الشعر، وبقية الأركان تمثل الشريعة، فما دام الأوسط قائمًا فالبيت موجود، ولو سقط منها ما سقط من الأركان، ..."(٣).

وقد وردت آيات عدة في سورة الصافات تدعو إلى أهمية الالتزام بخلق المسلمين وشريعة الحق، شريعة الإسلام ومن ذلك:

ما كان محرمًا في الدنيا على المسلمين لا يشترط أن يكون محرمًا في الجنة: الخمر، قال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾ [الصافات: ٤٥].

أي: يتردد الولدان المستعدون لخدمتهم بالأشربة اللذيذة، بالكاسات الجميلة المنظر، المترعة من الرحيق المختوم بالمسك، وهي كاسات الخمر، وتلك الخمر، تخالف خمر الدنيا من كل وجه، فإنها في لونها، قال تعالى: ﴿بَيْضَاءَ﴾ [الصافات: ٤٦]، من أحسن الألوان، وفي طعمها قال تعالى: ﴿لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ ۝ [الصافات: ٤٦]، يتلذذ شاربها بها وقت شربها وبعده، وأنها سالمة من غول العقل وذهابه، ونزفه، ونزف مال صاحبها، وليس فيها صداع ولا كدر، فلما ذكر طعامهم وشرابهم ومجالسهم، وعموم النعيم وتفاصيله داخلة في قوله: ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [الصافات: ٤٣].

"والخمر التي هي عصير العنب الذي إذا غلا واشتد وقذف بالزبد فيحرم قليلها وكثيرها باتفاق المسلمين، ومن نقل عن أبي حنيفة إباحة قليل ذلك فقد كذب ؛ بل من استحل ذلك فإنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل، ولو استحل شرب الخمر بنوع شبهة وقعت لبعض السلف أنه ظن أنها إنما تحرم على العامة؛ لا على الذين آمنوا وعملوا الصالحات ؛ فاتفق الصحابة كعمر وعلي وغيرهما على أن مستحل ذلك يستتاب فإن أقر بالتحريم جلد، وإن أصر على استحلالها قتل . بل إن أبا حنيفة يحرم القليل والكثير من

---

(١) الأمة الوسط والمنهاج النبوي في الدعوة إلى الله، التركي ، ص١٢٠.

(٢) صحيح مسلم باب قول النبي صلى الله عليه وسلم بني (١/ ٤٥) رقم ١٦.

(٣) ينظر : التدرج في دعوة النبي، المطلق، ص٤٤.

أشربة أخر : وإن لم يسمها خمرًا كنبيذ التمر والزبيب النيء فإنه يحرم عنده قليله وكثيره إذا كان مسكرًا وكذلك المطبوخ من عصير العنب الذي لم يذهب ثلثاه فإنه يحرم عنده قليله إذا كان كثيره يسكر (١).

فالدعوة إلى الله تستلزم إقناع غير المسلمين بحرمة الخمر، وبيان أن ما يكون في الجنة يحمل خصائص تختلف كليا عن ما هو موجود في خمر الدنيا، والداعية عليه أن يوضح لغير المسلمين بعد دخولهم الإسلام بحكم شرب الخمر، ويوضح لهم المضار الصحية والنفسية والمجتمعية التي تأتي تباعًا لشرب الخمر.

والسورة تعلم الدعاة الدعاء في وقت الشدة والضيق فهو مخ العبادة: قال تعالى:﴿ ربِّ هَبْ لِي مِنْ الصَّالِحِينَ * فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠٠ – ١٠١]

"وذلك عند ما أيس من قومه، ولم ير فيهم خيرًا، دعا الله أن يهب له غلامًا صالحًا، ينفع الله به في حياته، وبعد مماته، فاستجاب الله له وقال: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ﴾ وهذا إسماعيل عليه السلام بلا شك، فإنه ذكر بعده البشارة [بإسحاق، ولأن الله تعالى قال في بشراه بإسحاق، قال تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١].

فدل على أن إسحاق غير الذبيح، ووصف الله إسماعيل عليه السلام بالحلم، وهو يتضمن الصبر، وحسن الخلق، وسعة الصدر والعفو عمن جنى"(٢).

ولا شيء أكرم على الله من الدعاء، ما استجلبت النِّعم، ولا استدفعت النقم بمثله، به تفرج الهموم، وتزول الغموم، كفاه شرفًا قرب الله من عبده حال الدعاء، وأعجز الناس من عجز عن الدعاء، وأضعفهم رأيًا وأدناهم همة من تخلّف عن النداء، الدعاء هو عين المنفعة ورجاء المصلحة، ودعاءُ المسلم بين يدي جواد كريم يعطي ما سُئل، إما معجّلًا وإما مؤجّلًا (٣).

فعلى الداعية أن يحرص على الدعاء لغير المسلمين بالهداية وقبول الحق والثبات على الدين، وأن يجعل الإسلام لهم طريقًا ومسلكًا، وقد ثبت عن النبي ﷺ الدعاء لغير المسلمين بالهداية، أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: "جَاءَ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «**إِنَّ دَوْسًا قَدْ عَصَتْ وَأَبَتْ، فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأْتِ بِهِمْ**»(٤).

عَنْ أَبِي مُوسَى الأشعري قَالَ: «**كَانَ الْيَهُودُ يَتَعَاطَسُونَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ يَرْجُونَ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ: يَرْحَمُكُمْ اللَّهُ، فَيَقُولُ: يَهْدِيكُمْ اللَّهُ، وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ**»(٥).

---

(١) ينظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ، ابن تيمية، (١٥٩/٩).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي،ص٧٠٥.

(٣) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب، عويضة (٣٣٢/٥).

(٤) مسند أحمد (١٢/ ٢٦٦) رقم ٧٣١٥ صحيح البخاري، باب الدعاء للمشركين (٤/ ٤٤) رقم (٣٩٣٧).

(٥) رواه الترمذي ، كتاب الأدب، باب ما جاء كيف تشميت العاطس ، رقم (٢٧٣٩)، ص ٧٧.

عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب قال وكان أحبهما إليه عمر**»(١).

وتحدثت السورة عن رؤيا الأنبياء وأنها تختلف عن رؤيا غيرهم من باق البشر: قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى ﴾ [الصافات: ١٠٢].

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾ أي: أدرك أن يسعى معه، وبلغ سنًا يكون في الغالب، أحب ما يكون لوالديه، قد ذهبت مشقته، وأقبلت منفعته، فقال له إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ أي: قد رأيت في النوم والرؤيا، أن الله يأمرني بذبحك، ورؤيا الأنبياء وحي ﴿فَانظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ فإن أمر الله تعالى، لا بد من تنفيذه، ﴿قَالَ﴾ إسماعيل صابرًا محتسبًا، مرضيًا لربه، وبارًا بوالده: قال تعالى: ﴿افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ [الصافات: ١٠٢].

أي: [امض] لما أمرك الله، قال تعالى: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢]

أخبر أباه أنه موطن نفسه على الصبر، وقرن ذلك بمشيئة الله تعالى؛ لأنه لا يكون شيء دون مشيئة الله تعالى(٢).

كما أن رؤيا المؤمن قد تصدق فعن أبي هريرة عن النبي ﷺقال: «**إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم تكذب وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثًا ورؤيا المسلم جزء من خمس وأربعين جزءًا من النبوة والرؤيا ثلاثة فرؤيا الصالحة بشرى من الله ورؤيا تحزين من الشيطان ورؤيا مما يحدث المرء نفسه فإن رأى أحدكم ما يكره فليقم فليصل ولا يحدث بها الناس**»(٣).

وقد يرى الدعاة بعض الرؤى والتي قد تكون مبشرات لهم فعلى الداعية أن يلتزم بوصية النبي ﷺ في ذلك.

ومن الأسلحة التي يستعين بها الدعاة إلى الله تقوى الله: فالعبادة التي خلقنا لها توحيد الله، وتقوى الله، هي الإيمان بالله ورسله، هي البر والهدى، هي طاعة الله ورسوله، هي الاستقامة على دين الله قولًا وعملًا وعقيدة، هذه العبادة، سماها الله إيمانًا وسماها إسلامًا (٤)، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الصافات: ١٢٤].

يمدح تعالى عبده ورسوله، إلياس عليه الصلاة والسلام، بالنبوة والرسالة، والدعوة إلى الله، وأنه أمر قومه بالتقوى، وعبادة الله وحده، ونهاهم عن عبادتهم، صنمًا لهم يقال له "بعل" وتركهم عبادة الله، الذي

---

(١) رواه الترمذي في سننه ، كتاب المناقب ، باب مناقب عمر، رقم (٣٦٨١).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، السعدي، ص٧٠٥.

(٣) رواه مسلم، كتاب الرؤيا (٤/ ١٧٧٣) رقم (٢٢٦٣).

(٤) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، بن باز (٧/٢٧).

خلق الخلق، وأحسن خلقهم، ورباهم فأحسن تربيتهم، وأدرَّ عليهم النعم الظاهرة والباطنة، وأنكم كيف تركتم عبادة من هذا شأنه، إلى عبادة صنم، لا يضر، ولا ينفع، ولا يخلق، ولا يرزق، بل لا يأكل ولا يتكلم؟ " وهل هذا إلا من أعظم الضلال والسفه والغي؟(١).

وعلى الدعاة الحرص على غرس تقوى الله عند دعوة غير المسلمين ؛ لأن التقوى هي طريق النجاح والفلاح في الدنيا والآخرة.

وأشارت السورة إلى فضل التسبيح العظيم، قال تعالى: ﴿فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنْ الْمُسَبِّحِينَ ﴾[الصافات: ١٤٣]، قال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ [الصافات: ١٦٦]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ**»(٢).

فكلمة: سبحان الله، لها شأن عظيم، فهي من أجلِّ الأذكار المقربة إلى الله، ومن أفضل العبادات الموصلة إليه، وقد جاء في بيان فضلها وشرفها وعِظم قدرها نصوصٌ كثيرة في الكتاب والسنة، بل إنَّ ما ورد في ذلك لا يُمكن حصرُه لكثرته وتعدّده، وقد ورد ذكر التسبيح في القرآن الكريم أكثر من ثمانين مرة، بصِيغ مختلفة وأساليب متنوِّعة، فورد تارة بلفظ الأمر كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٤١ — ٤٢].

وتارة بلفظ الماضي كما في قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيم﴾ [الحديد: ١]، وتارة بلفظ المضارع كما في قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الجمعة: ١،] وتارة بلفظ المصدر كما في قوله تعالى :ٱ ﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الزخرف: ٨٢] هذه النصوص القرآنية الكريمة وما جاء في معناها في كتاب الله لتدل أوضح دلالة على جلالة قدر التسبيح، وعظيم شأنه من الدين، وأنَّه من أجَلِّ الأذكار المشروعة، ومن أنفع العبادات المقربة إلى الله عز وجل، فسبحان من أفاض على عباده النعمة، وكتب على نفسه الرّحمة، سبحانه وبحمده عددَ خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته(٣)، ولأهمية التسبيح والذكر يجب على الدعاة الحرص على تلقين المدعوين غير المسلمين صيغ التسبيح وبيان فضلها من خلال الكتيبات والنشرات والمواد السمعية.

وحذرت السورة من التحذير من السخرية من الآخرين: قال تعالى:﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ [الصافات:١٢]

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي،ص٧٠٧.

(٢) رواه البخاري ، كتاب الدعوات، باب فضل التسبيح(٨/٨٦) رقم (٦٤٠٥).

(٣) ينظر: فقه الأدعية والأذكار، البدر، ص٢٠٣-٢٠٧.

ومن تكذيب من كذب بالبعث، بعد أن أريتهم من الآيات العظيمة والأدلة المستقيمة، وهو حقيقة محل عجب واستغراب؛ لأنه مما لا يقبل الإنكار، {و} أعجب من إنكارهم وأبلغ منه، أنهم {يَسْخَرُونَ} ممن جاء بالخبر عن البعث، فلم يكفهم مجرد الإنكار، حتى زادوا السخرية بالقول الحق(١).

"وهم من شدة تكذيبهم يسخرون مما يقوله لهم النبي الكريم "(٢).

وحذرت السورة من الكبر خاصة الكبر على الدين والحق: قال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات: ٣٥].

"ذكر أن إجرامهم، قد بلغ الغاية وجاوز النهاية فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ﴾ فدعوا إليها، وأمروا بترك إلهية ما سواه ﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عنها وعلى من جاء بها"(٣).

"فالكبر والعجب داءان مهلكان، والمتكبر والمعجب سقيمان مريضان، وهما عند الله ممقوتان بغيضان، وقد ذم الله الكبر في مواضع من كتابه... وحقيقة الكبر ينقسم إلى ظاهر وباطن: فالباطن: خلق في النفس، والظاهر: هو أعمال تصدر من الجوارح، والأعمال ثمرات لذلك الخلق، وخلق الكبرياء موجب للأعمال، فالأصل هو الخلق الذي في نفسه فوق غيره من صفات الكمال؛ فعند ذلك يكون متكبرا(٤).

ويجب تحذير المدعو غير المسلم من التكبر على الحق؛ لأنه يولج إلى الهلاك في الدنيا والآخرة،

"قال ابن قيم رحمه الله تعالى : سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول : التكبر شَرٌّ من الشرك، فإن المتكبر يتكبر عن عبادة الله تعالى، والمشرك يعبد الله وغيره.... ومن تكبر عن الانقياد للحق– ولو جاءه على يد صغير أو من يُبغضه أو يُعاديه– فإنما تكبُّره على الله، فإن الله هو الحق، وكلامه حق، ودينه حق، والحق صفته ومنه وله، فإذا رده العبد وتكبر عن قبوله: فإنما رد على الله وتكبر عليه."(٥).

وقد حذر الرسول ﷺ من الكبر فعن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر قال رجل إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة قال إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس**»(٦).

وأشارت السورة إلى الصحبة الطيبة حيث فوائدها تتواصل في الدنيا والآخرة: قال تعالى: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴾[الصافات: ٥١]. في الدنيا، ينكر البعث، ويلومني على تصديقي به"(٧).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص٧٠١.

(٢) ينظر :تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير، ٦/٤.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، السعدي، ص٧٠٢.

(٤) ينظر: توضِيحُ الأحكَامِ مِن بُلُوُغ المَرَام، البسام (٤٦٤/٧).

(٥) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ،ابن القيم، (دار الكتب العربي، بيروت، ط١٤١٦، ٣) ٣/١٢٠.

(٦) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه (١/ ٩٣) رقم ٩١.

(٧) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص ٧٠٣.

فالصحبة الصالحة تورد الخيرات والمسرات في الدنيا والآخرة، وعلى العكس من ذلك الصحبة السيئة تورد المهالك.

وقد حذر الرسول الكريم من الصحبة السيئة فقد قال رسول الله ﷺ : «**مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكير الحداد لا يعدمك من صاحب المسك إما تشتريه أو تجد ريحه وكير الحداد يحرق بدنك أو ثوبك أو تجد منه ريحا خبيثة**»(١).

فالصحبة السيئة قد تمنع غير المسلم من دخول الإسلام لذا يجب على الدعاة تحذير المدعو غير المسلم من الصحبة السيئة عند ملاحظة تأثر المدعو وتأخره في قبول الحق نتيجة تأثره بأقرانه، ويجد البدائل الصالحة للمدعو غير المسلم من خلال وضعه في مجتمع صالح، وتحويل صحبته السيئة إلى صالحة؛ ليتمكن من إيصال الدعوة له من غير مشوشات ومعوقات.

وبينت السورة أن الإخلاص خلق محمود وهو من صفات الصالحين: قال تعالى: ﴿ إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الصافات: ٧٤].

أي: "الذين أخلصهم الله، وخصهم برحمته لإخلاصهم، فإن عواقبهم صارت حميدة"(٢).

فقد استثنى الله جل وعلا عباده المخلصين من العقاب؛ لذا على الدعاة الحرص على بث روح الإخلاص في عمل المدعوين وبيان أهميته .وعدم مجاملة أحد على حساب الدين والإسلام.

وحذرت السورة من الكذب فهو خلق مذموم، قال تعالى: ﴿وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الصافات: ١٥٢].

ومن أقبحه الكذب على الله ورسوله، وهذا أعظم أنواع الكذب، لقول الله تعالى فمن أظلم ممن افترى على الله كذبًا ليضل الناس بغير علم إن الله لا يهدي القوم الظالمين(٣).

وفي تحذير الداعية للمدعو من الكذب عليه أن يوضح أنواع الكذب وما الكذب المباح وحالاته، فقد قال رسول الله ﷺ:«**لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ، وَيَقُولُ خَيْرًا وَيَنْمِي خَيْرًا» قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: وَلَمْ أَسْمَعْ يُرَخَّصُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ كَذِبٌ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ: الْحَرْبُ، وَالْإِصْلَاحُ بَيْنَ النَّاسِ، وَحَدِيثُ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ وَحَدِيثُ الْمَرْأَةِ زَوْجَهَا**»(٤).

ومن الجدير بالذكر أن"لكل مجتمع عادات ومناهج خاصة به، ونظام أسرته، واجتماعه وسياسته ومدنيته، فإذا ظهرت فيه النبوة، فإنها لا تستأصل هذه العادات ولا تضع له عادات جديدة، بل إنما تقييم

---

(١) رواه البخاري، باب في العطار وبيع المسك (٣/ ٦٣) رقم (٢١٠١).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، السعدي، ص ٧٠٤.

(٣) شرح رياض الصالحين، العثيمين (١٥٥/٦).

(٤) رواه مسلم باب تحريم الكذب وما يباح منه، كتاب البر والصلة والأدب ، (٤/ ٢٠١١) رقم (٢٦٠٥).

الميزان القسط، وتمييز بينها، فما كان منها موافقًا للأصل، مطابقًا لرضا الله – تعالى – أبقته وحفظته، وما كان منها مخالفًا للأصل، منافيًا لرضا الله – تعالى – عدلته حسب الضرورة وسوته.

وشرائع الأديان مختلفة والدين الإسلامي هو خاتم الديانات؛ لذا لزم الالتزام بشريعة الإسلام والتي تتناسب مع كافة البشر؛ لذا عند دعوة غير المسلمين إلى شرائع الإسلام وجب عليه توضيح هذا الأمر والتفصيل في شرح الشرائع الإسلامية التي قد تخفى على غير المسلمين.

المبحث الثالث

الوسائل والأساليب الدعوية لدعوة غير المسلمين من خلال سورة الصافات

المطلب الأول: الوسائل الدعوية لدعوة غير المسلمين من خلال سورة الصافات

حوى القرآن الكريم كمًّا كبيرًا من الوسائل الدعوية النافعة لكل زمان ومكان إذا أحسن الدعاة استخدامها ومن الوسائل الموجودة في سورة الصافات والتي تنفع الدعاة في دعوتهم لغير المسلمين ما يأتي :

أولًا: المنذرين: قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنذِرِينَ﴾ [الصافات: ٧٢].

"ذكر تعالى أنه أرسل فيهم منذرين ينذرون بأس الله ويحذرونهم سطوته ونقمته ممن كفر به وعبد غيره وأنهم تمادوا على مخالفة رسلهم وتكذيبهم فأهلك المكذبين ودمرهم ونجى المؤمنين ونصرهم وظفرهم "(١).

والنذارة من صفات الأنبياء ومن طبيعة مهمتهم، ويلحق بهم الدعاة؛ لأنهم يستخدمون النذارة؛ لذا فالمنذرون يعتبرون من الوسائل المهمة لنشر الدين الإسلامي فإرسال المنذرين للأقوام الكافرة غير المسلمة له أثره الفعال في نشر الدين الحق، وقد حوى القرآن الكريم على عدد كبير من الآيات التي بها إنذار للمشركين بأن يعودوا للدين الحق قبل أن يحل عليهم غضب من ربهم فإذا استفاد الدعاة من آيات النذارة والمنذرين فستحقق الدعوة إلى الله غايتها ومبتغاها بإذن الله.

وفي الحديث الشريف عن أبي ليلى قال: كنا مع النبي ﷺ فقال: «**إن أبا سفيان في الأراك» فدخلنا فأخذناه فجعل المسلمون يحوونه بجفون سيوفهم حتى جاءوا به إلى رسول الله ﷺ فقال له:** «**ويحك يا أبا سفيان، قد جئتكم بالدنيا والآخرة ؛ فأسلموا تسلموا**»(٢).

ثانيًا: وسيلة المناداة:

المنادى : هو المطلوب إقباله بحرف نائب مناب: أدعو، لفظًا أو تقديرًا .(٣). قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ [الصافات: ٧٥]، يخبر تعالى عن عبده ورسوله نوح عليه السلام، أول الرسل، أنه لما

---

(١) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، ١٢/٤.

(٢) رواه :مجمع الزوائد ومنبع الفوائد باب غزوة الفتح (١٦٩/٦).

(٣) التعريفات، الجرجاني ، ص١٠١.

دعا قومه إلى الله، تلك المدة الطويلة فلم يزدهم دعاؤه، إلا فرارًا، ويمكن للداعية استخدام وسيلة المناداة في دعوة غير المسلمين فنبي الله نوح عليه السلام نادى ربه بعد اليأس التام من قومه ومناداة نوح عليه السلام ربه بالدعاء.

وقد استخدم الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم وسيلة النداء في دعوة عشيرته الأقربين فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لما نزلت وأنذر عشيرتك الأقربين صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي يا بني فهر يا بني عدي لبطون قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولًا لينظر ما هو فجاء أبو لهب وقريش فقال أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي قالوا نعم ما جربنا عليك إلا صدقا قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تبًا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا فنزلت تبت يدا أبي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب»(١).

ثالثًا: وسيلة الدعوة العملية: قال تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الصافات: ٩٣]

أي: جعل يضربها بقوته ونشاطه، حتى جعلها جذاذا، إلا كبيرا لهم، لعلهم إليه يرجعون(٢).

هنا قدم نبي الله إبراهيم عليه السلام وسيلة دعوية غير قولية فهو يبث في النفوس مبدأ من تعبدون من دون الله لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا، الدعوة العملية دعوة قوية تقدم براهين عملية للمدعوين،

لكن على الدعاة عدم استخدام وسلة الدعوة العملية إلا عند القدرة على ذلك وضمان عدم التعرض للأذى فرسول الله ﷺ لم يستخدم الدعوة العملية إلا بعد فتح مكة فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «**دخل النبي ﷺ مكة وحول الكعبة ثلاث مائة وستون نصبا فجعل يطعنها بعود في يده وجعل يقول جاء الحق وزهق الباطل**» (٣).

رابعًا : وسيلة طلب المساعدة: قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ [الصافات: ١١٤]

" وقد سعي الرسول ﷺ إلى ثقيف يطلب النصرة(٤). فلابد عند الحاجة من قبل الدعاة للنصرة أن يطلبوها خاصة في دعوة غير المسلمين، فقد يكون غير المسلم لا ينطق باللغة العربية فيحتاج الداعية لمن يترجم له، وقد يكون غير المسلم لديه من الشبه الشيء الكثير، والداعية لا يحضره علم الرد على هذه الشبه فيلزمه طلب المعونة ممن يملك العلم النافع، وقد يكون لدى الداعية مشكلة في إيصال الدعوة للمدعوين عن طريق الوسائل الحديثة فيلزمه الاستعانة بمن لديه خبرة بوسائل الإعلام الحديث لبث دعوته لغير المسلمين.

---

(١) رواه البخاري،كتاب تفسير القرآن ، سورة الشعراء، باب وانذر عشيرتك الأقربين،(٦/ ١١١) رقم (٤٤٩٢).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، السعدي، ص٧٠٥.

(٣) رواه البخاري، كتاب المظالم ، باب هل تكسر الدنان التي فيها الخمر، رقم (٣/ ١٣٦) رقم (٢٤٧٨).

(٤) ينظر : السيرة النبوية ، ابن هشام، ص٤٢٠.

المطلب الثاني: الأساليب الدعوية لدعوة غير المسلمين من خلال سورة الصافات:

حوت الآيات الكريمات في سورة الصافات عددا من الأساليب الدعوية المناسبة لدعوة غير المسلمين، ومن تلك الأساليب:

أولًا : الترغيب والترهيب: قال تعالى: فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ [الصافات: ٣٣]، قال تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الأَلِيمِ﴾ [الصافات: ٣٨].قال تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ (٤١) فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ (٤٢) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٤٣) عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ (٤٤) يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾ [الصافات: ٤١ – ٤٤].

فمن أساليب الدعوة النافعة الترغيب والترهيب، فيمزج بين الأسلوبين على حسب الحاجة والمنفعة، والداعية الموفق هو الذي يستخدم أسلوب الترغيب والترهيب في مكانه المناسب، وألا يجعل أسلوب وعظه الترهيب على الدوام، ولا الترغيب على الدوام، فقد يحتاج إلى الجمع بينهما في مقام واحد، وقد يحتاج إلى الاقتصار على واحد منهما حسب المقام، وهذا يقتضيه الظرف، وطبيعة المناسبة(١).

ثانيًا : القصص: وقد حوت الآيات الكريمة في سورة الصافات على عدد من القصص(٢) لأخذ العبرة والعظة منها فقد ذكرت قصص الأنبياء، وقصص أصحاب النعيم وأصحاب الجحيم، كلها دلالة واضحة على أهمية أسلوب القصص في الدعوة إذ الاعتبار بمن سبق والإفادة من الأمم السابقة من الأساليب الشيقة التي تجذب المدعو وتدعوه للتفكر الاعتبار.

ثالثًا : التفصيل والاختصار: فنجد التفصيل في بعض المواضع من السورة والاختصار في بعضها الآخر وهذا أسلوب قرآني شيق يشد القارئ والمستمع وعلى الداعية الإفادة من الأسلوب القرآني في دعوة غير المسلمين، فما يحتاج للشرح يتوسع به، وما يحتاج إلى اختصار يوجزه، وهو بذلك يحقق الاقتداء بالقرآن الكريم، وسنة رسوله الكريم فقد اختصر الرسول الكريم في بعض المواضع التي بها نصح وتوجيه وفصل في مواضع أخرى حسب الحاجة لذلك(٣).

رابعًا: الاستفهام القرآني: قال تعالى:﴿ أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ [الصافات: ٦٢].

---

(1) ينظر: البصيرة في الدعوة إلى الله، العنزي، ص١٢٢.

(2) قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ [الصافات: ٧٥]، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لإِبْرَاهِيمَ﴾ [الصافات: ٨٣].

(3) كمثال على ذلك ما ورد في : الحاوي للفتاوي ، السيوطي ، كتاب البعث ، مبعث المعاد.

"أي: ذلك النعيم الذي وصفناه لأهل الجنة خير، أم العذاب الذي يكون في الجحيم من جميع أصناف العذاب؟ فأي الطعامين أولى؟ الذي وصف في الجنة ﴿أَمْ﴾ طعام أهل النار؟ وهو ﴿شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ أي عذابا ونكالا ﴿ للظالمين﴾ أنفسهم بالكفر والمعاصي"(١).

والاستفهام على أنواع وهو هنا إنكاري، والداعية الحصيف يستطيع أن يستميل عقل المدعو وقلبه باستخدام هذا الأسلوب البليغ والذي يولد القناعة بالأمر من غير جهد كبير، وقد استعمل الرسول ﷺ هذا الأسلوب مع من اتهمه. فعن عبد الله قال:« لما كان يوم حنين آثر رسول الله ﷺ ناسا في القسمة فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل وأعطى عيينة مثل ذلك، وأعطى أناسا من أشراف العرب وآثرهم يومئذ في القسمة فقال رجل: والله إن هذه لقسمة ما عدل فيها، وما أريد فيها وجه الله قال: فقلت والله لأخبرن رسول الله ﷺ قال:" فأتيته فأخبرته بما قال، قال: فتغير وجهه حتى كان كالصرف، ثم قال: فمن يعدل إن لم يعدل الله ورسوله، قال: ثم قال يرحم الله موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر قال قلت لا جرم لا أرفع إليه بعدها حديثا»(٢).

خامسًا: البشارة بالخيرات والمسرات والجنان والنصر والتمكين: قال تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١]. قال تعالى: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَقَ نَبِيًّا مِنْ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات: ١١٢]. قال تعالى: ﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الصافات: ١٢١].كلها آيات عظيمات فيها البشارة للمؤمنين بالخيرات؛ لذا فإن الداعية عند دعوته غير المسلمين عليه أن يذكرهم ببشائر الله لهم في الدنيا والآخرة إن هم أقبلوا على هذا الدين وأسلموا، وقد استعمل هذا الأسلوب رسول الله ﷺ مع غير المسلمين حينما أرسل وفدا من الصحابة إلى هرقل ملك الروم: ففي الحديث الطويل والذي فيه «... ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ فقرأه فإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين، و يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله إلى قوله اشهدوا بأنا مسلمون...»(٣).

سادسًا: استحضار نعم الله:

فالداعية إلى الله يذكر المدعو غير المسلم بنعم الله عليه ويدعوه لشكر هذه النعم بالإيمان به وحده دون سواه، قال تعالى: ﴿قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ * وَلَوْلا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنْ الْمُحْضَرِينَ﴾ [الصافات: ٥٦ – ٥٧].أي: تهلكني بسبب ما أدخلت عليَّ من الشُّبَه بزعمك.﴿وَلَوْلا نِعْمَةُ رَبِّي﴾ على أن ثبتني على

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي،ص٧٠٤.

(٢) رواه مسلم كتاب الزكاة ،باب إعطاء المؤلفة قلوبهم، (٢/ ٧٣٩) رقم (١٠٦٢).

(٣) رواه مسلم باب كتاب النبي (٣/ ١٣٩٣) رقم(١٧٧٣) ، والبخاري باب قل يا أهل الكتاب (٦/ ٣٥) رقم (٤٥٥٣).

الإسلام ﴿لَكُنتُ مِنْ الْمُحْضَرِينَ﴾ في العذاب معك(١) ، وقد استعمل رسولنا الكريم هذا الأسلوب في غزوة حنين مع الأنصار فقد ذكرهم بنعم الله عليهم فعن عبد الله بن زيد بن عاصم قال: « لما أفاء الله على رسوله ﷺ يوم حنين قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم ولم يعط الأنصار شيئًا فكأنهم وجدوا إذ لم يصبهم ما أصاب الناس فخطبهم فقال يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي وكنتم متفرقين فألفكم الله بي وعالة فأغناكم الله بي كلما قال شيئًا قالوا الله ورسوله أمن قال ما يمنعكم أن تجيبوا رسول الله ﷺ قال: كلما قال شيئًا قالوا الله ورسوله أمن قال لو شئتم قلتم جئتنا كذا وكذا أترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون بالنبي ﷺ إلى رحالكم لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ولو سلك الناس واديا وشعبا لسلكت وادي الأنصار وشعبها الأنصار شعار والناس دثار إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض»(٢).

سابعًا: الدعوة الجماعية مائة ألف:

قال تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ [الصافات: ١٤٧].أرسله ﴿إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ﴾ من الناس ﴿أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ عنها، والمعنى أنهم إن ما زادوا لم ينقصوا، فدعاهم إلى الله تعالى(٣). فجميع الأنبياء استعملوا أسلوب الدعوة الجماعية والفردية لإيصال الدعوة للمدعو؛ لذا على الدعاة استعمال هذا الأسلوب النافع والذي يؤدي نتائج جماعية بإذن الله، وقد استعمل صحابة رسول الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم هذا الأسلوب في الدعوة" فعن عبد الرحمن بن غنم أن أبا مالك الأشعري جمع قومه فقال: «يا معشر الأشعريين اجتمعوا واجمعوا نساءكم وأبناءكم أعلمكم صلاة النبي ﷺ فاجتمعوا وجمعوا نساءهم وأبناءهم وأراهم كيف يتوضأ...» (٤).

الاطار الميداني

المبحث الرابع

منهجية الدراسة وإجراءاتها

يتناول هذا المبحث عرضًا مفصلًا لمنهجية الدراسة الميدانية، وإجراءاتها التي استخدمت لتنفيذ الدراسة، وفيما يلي عرض تفصيلي لذلك:

❖ منهج الدراسة:

استخدمت الباحثة المنهج الوصفي (المسحي)؛ باعتباره المنهج العلمي الأكثر مناسبة لطبيعة الدراسة الحالية.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص٧٠٣.

(٢) رواه البخاري، كتاب المغازي ،باب غزوة الطائف، رقم (٤٠٧٥).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، السعدي، ص٧٠٧.

(٤) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، الهيثمي (١٩٧/٤).

❖ مجتمع الدراسة:

يتكون مجتمع الدراسة الحالية من دعاة مدينة الرياض خلال فترة إجراء الدراسة خلال الفصل الدراسي الأول من العام الجامعي ١٤٤٠/١٤٤١هـ.

❖ عينة الدراسة:

تكونت عينة الدراسة من (٣٠) مفردة، أُختيرت بالطريقة العشوائية البسيطة.

❖ خصائص أفراد عينة الدراسة:

١- العمر:

جدول رقم (١) توزيع أفراد عينة الدراسة وفق متغير العمر

العمر	التكرار	النسبة
من ٢٥ إلى ٣٥ سنة	٥	١٦.٧
من ٣٥ إلى ٤٥ سنة	٨	٢٦.٧
من ٤٥ إلى ٥٥ سنة	١٠	٣٣.٣
فوق ٥٥ سنة	٧	٢٣.٣
المجموع	**٣٠**	**%١٠٠**

يتضح من الجدول رقم (١) أن (١٠) من أفراد عينة الدراسة يمثلون ما نسبته ٣٣.٣% من إجمالي أفراد عينة الدراسة أعمارهم من ٤٥ إلى ٥٥ سنة، بينما (٨) منهم يمثلون ما نسبته ٢٦.٧% من إجمالي أفراد عينة الدراسة أعمارهم من ٣٥ إلى ٤٥ سنة، و (٧) منهم يمثلون ما نسبته ٢٣.٣% من إجمالي أفراد عينة الدراسة أعمارهم فوق ٥٥ سنة، و (٥) منهم يمثلون ما نسبته ١٦.٧% من إجمالي أفراد عينة الدراسة أعمارهم من ٢٥ إلى ٣٥ سنة.

٢- المؤهل العلمي:

جدول رقم (٢) توزيع أفراد عينة الدراسة وفق متغير المؤهل العلمي

المؤهل العلمي	التكرار	النسبة
أقل من الثانوي	٢	٦.٧
ثانوي	١	٣.٣
جامعي	١٦	٥٣.٣
فوق الجامعي	١١	٣٦.٧
المجموع	**٣٠**	**%١٠٠**

يتضح من الجدول رقم (٢) أن (١٦) من أفراد عينة الدراسة يمثلون ما نسبته ٥٣.٣% من إجمالي أفراد عينة الدراسة مؤهلهم العلمي جامعي، بينما (١١) منهم يمثلون ما نسبته ٣٦.٧% من إجمالي أفراد عينة الدراسة مؤهلهم العلمي فوق الجامعي، و (٢) منهما يمثلان ما نسبته ٦.٧% من إجمالي أفراد عينة الدراسة مؤهلهما العلمي أقل من الثانوي، و (١) منهم يمثل ما نسبته ٣.٣% من إجمالي أفراد عينة الدراسة مؤهله العلمي ثانوي.

٣- طبيعة العمل في الدعوة:

جدول رقم (٣) توزيع أفراد عينة الدراسة وفق متغير طبيعة العمل في الدعوة

طبيعة العمل في الدعوة	التكرار	النسبة
رسمي	١٤	٤٦.٧
تطوعي	١٦	٥٣.٣
المجموع	**٣٠**	**%١٠٠**

يتضح من الجدول رقم (٣) أن (١٦) من أفراد عينة الدراسة يمثلون ما نسبته ٥٣.٣% من إجمالي أفراد عينة الدراسة طبيعة عملهم في الدعوة تطوعي، بينما (١٤) منهم يمثلون ما نسبته ٤٦.٧% من إجمالي أفراد عينة الدراسة طبيعة عملهم في الدعوة رسمي.

❖ أداة الدراسة:

أ) بناء أداة الدراسة:

جدول رقم (٤) محاور الاستبانة وعباراتها

المحور	عدد العبارات
مدى استخدام الدعاة لآيات سورة الصافات وشروحها في الدعوة إلى الله	٥ عبارات
تأثير آيات سورة الصافات وشروحها في دعوة غير المسلمين	٥ عبارات
وسائل استخدام الآيات الكريمة في سورة الصافات في دعوة غير المسلمين	٥ عبارات
أساليب استخدام الآيات الكريمة في سورة الصافات في دعوة غير المسلمين	٥ عبارات
الاستبانة	**٢٠ عبارة**

أُستُخدِم مقياس ليكرت الثلاثي للحصول على استجابات أفراد عينة الدراسة، وفق درجات الموافقة التالية: (موافق- ربما – غير موافق). ومن ثم التعبير عن هذا المقياس كميًّا ، بإعطاء كل عبارة من العبارات السابقة درجة، وفقًا للتالي: موافق (٣) درجات، ربما (٢) درجتان، غير موافق (١) درجة واحدة.

ولتحديد طول فئات مقياس ليكرت الثلاثي، تم حساب المدى بطرح الحد الأعلى من الحد الأدنى (٣- ١ = ٢)، ثم قُسِّمَ على أكبر قيمة في المقياس (٢ ÷ ٣ = ٠.٦٧)، وبعد ذلك أُضِيْفت هذه القيمة إلى أقل قيمة في المقياس (١)؛ لتحديد الحد الأعلى لهذه الفئة، وهكذا أصبح طول الفئات كما هو موضح في الجدول الآتي:

جدول رقم (٥) تقسيم فئات مقياس ليكرت الثلاثي (حدود متوسطات الاستجابات)

م	الفئة	حدود الفئة	
		من	إلى
١	موافق	٢.٣٥	٣.٠٠
٢	ربما	١.٦٨	٢.٣٤
٣	غير موافق	**١.٠٠**	**١.٦٧**

وأُستُخدِم طول المدى في الحصول على حكم موضوعي على متوسطات استجابات أفراد عينة الدراسة، بعد معالجتها إحصائيًّا.

ب) صدق أداة الدراسة:

١- الصدق الظاهري لأداة الدراسة (صدق المحكّمين):

للتعرف على مدى الصدق الظاهري للاستبانة، والتأكد من أنها تقيس ما وضعت لقياسه، عُرِضَتْ بصورتها الأولية (ملحق رقم ١) على عدد من المحكمين المختصين في موضوع الدراسة، حيث وصل عدد المحكمين إلى (٣) محكمين(ملحق رقم ٢)، وقد طُلب من السادة المحكمين تقييم جودة الاستبانة، من حيث قدرتها على قياس ما أعدت لقياسه، والحكم على مدى ملاءمتها لأهداف الدراسة، وذلك من خلال تحديد وضوح العبارات، وانتمائها للمحور، وأهميتها، وسلامتها لغويًّا، وإبداء ما يرونه من تعديل، أو حذف، أو إضافة للعبارات.

وبعد أخذ الآراء، والاطلاع على الملحوظات، أُجْرِيَت التعديلات اللازمة التي اتفق عليها غالبية المحكمين، ومن ثم إخراج الاستبانة بصورتها النهائية (ملحق رقم ٣).

٢- صدق الاتساق الداخلي للأداة:

للتحقق من صدق الاتساق الداخلي للاستبانة، حُسِبَ معامل ارتباط بيرسون (Pearson's Correlation Coefficient)؛ للتعرف على درجة ارتباط كل عبارة من عبارات الاستبانة بالدرجة الكلية للمحور الذي تنتمي إليه العبارة، وتوضح الجداول التالية معاملات الارتباط لكل محور من المحاور بما فيها من عبارات.

الجدول رقم (٦) معاملات ارتباط بيرسون لعبارات المحور الأول مع الدرجة الكلية للمحور

المحور الأول (مدى استخدام الدعاة لآيات وشروح سورة الصافات في الدعوة إلى الله)			
رقم العبارة	معامل الارتباط بالمحور	رقم العبارة	معامل الارتباط بالمحور
١	٠.٦٧٧**	٤	٠.٦٢٩**
٢	٠.٧١٥**	٥	٠.٨٠١**
٣	٠.٦٢٩**	–	–

** دال عند مستوى الدلالة ٠.٠١ فأقل

يتضح من الجدول (٦) أن قيم معامل ارتباط كل عبارة من العبارات مع محورها موجبة، ودالة إحصائيًا عند مستوى الدلالة (٠.٠١) فأقل؛ مما يشير إلى صدق الاتساق الداخلي بين عبارات المحور الأول، ومناسبتها لقياس ما أُعدت لقياسه.

الجدول رقم (٧) معاملات ارتباط بيرسون لعبارات المحور الثاني مع الدرجة الكلية للمحور

المحور الثاني (تأثير آيات وشروح سورة الصافات في دعوة غير المسلمين)			
رقم العبارة	معامل الارتباط بالمحور	رقم العبارة	معامل الارتباط بالمحور
١	٠.٧٠٨**	٤	٠.٧٨٢**
٢	٠.٧٤٥**	٥	٠.٥٤١**
٣	٠.٧٠٤**	–	–

** دال عند مستوى الدلالة ٠.٠١ فأقل

يتضح من الجدول (٧) أن قيم معامل ارتباط كل عبارة من العبارات مع محورها موجبة، ودالة إحصائيًّا عند مستوى الدلالة (٠.٠١) فأقل؛ مما يشير إلى صدق الاتساق الداخلي بين عبارات المحور الثاني، ومناسبتها لقياس ما أُعدت لقياسه.

الجدول رقم (٨) معاملات ارتباط بيرسون لعبارات المحور الثالث مع الدرجة الكلية للمحور

المحور الثالث (وسائل استخدام الآيات الكريمة في سورة الصافات في دعوة غير المسلمين)			
رقم العبارة	معامل الارتباط بالمحور	رقم العبارة	معامل الارتباط بالمحور
١	٠.٦٥٨**	٤	٠.٨٥١**
٢	٠.٨٧٩**	٥	٠.٦١٤**
٣	٠.٧١٥**	–	-

** دال عند مستوى الدلالة ٠.٠١ فأقل

يتضح من الجدول (٨) أن قيم معامل ارتباط كل عبارة من العبارات مع محورها موجبة، ودالة إحصائيًّا عند مستوى الدلالة (٠.٠١) فأقل؛ مما يشير إلى صدق الاتساق الداخلي بين عبارات المحور الثالث، ومناسبتها لقياس ما أُعدت لقياسه.

الجدول رقم (٩) معاملات ارتباط بيرسون لعبارات المحور الرابع مع الدرجة الكلية للمحور

المحور الرابع (أساليب استخدام الآيات الكريمة في سورة الصافات في دعوة غير المسلمين)			
رقم العبارة	معامل الارتباط بالمحور	رقم العبارة	معامل الارتباط بالمحور
١	٠.٨٧١**	٤	٠.٦٥٨**
٢	٠.٧٧٦**	٥	٠.٨١٧**
٣	٠.٨١٩**	–	-

** دال عند مستوى الدلالة ٠.٠١ فأقل

يتضح من الجدول (٩) أن قيم معامل ارتباط كل عبارة من العبارات مع محورها موجبة، ودالة إحصائيًّا عند مستوى الدلالة (٠.٠١) فأقل؛ مما يشير إلى صدق الاتساق الداخلي بين عبارات المحور الرابع، ومناسبتها لقياس ما أُعدت لقياسه.

ج)ثبات أداة الدراسة:

تُأكِد من ثبات أداة الدراسة من خلال استخدام معامل الثبات ألفاكرونباخ (معادلة ألفاكرونباخ (Cronbach's Alpha (α))، ويوضح الجدول رقم (١٠) قيم معاملات الثبات ألفاكرونباخ لكل محور من محاور الاستبانة.

جدول رقم (١٠) قيم معاملات الثبات ألفاكرونباخ لكل محور من محاور الاستبانة

محاور الاستبانة	عدد العبارات	ثبات المحور
مدى استخدام الدعاة لآيات سورة الصافات وشروحها في الدعوة إلى الله	٥	٠.٧٨١٤
تأثير آيات سورة الصافات وشروحها في دعوة غير المسلمين	٥	٠.٧٨٨١
وسائل استخدام الآيات الكريمة في سورة الصافات في دعوة غير المسلمين	٥	٠.٨٦٣٣
أساليب استخدام الآيات الكريمة في سورة الصافات في دعوة غير المسلمين	٥	٠.٨٤٣٢
الثبات العام	**٢٠**	**٠.٨٣٢٧**

يتضح من الجدول رقم (١٠) أن معامل الثبات العام عالٍ حيث بلغ (٠.٨٣٢٧)، وهذا يدل على أن الاستبانة تتمتع بدرجة ثبات مرتفعة يمكن الاعتماد عليها في التطبيق الميداني للدراسة.

❖ إجراءات تطبيق الدراسة:

بعد التأكد من صدق (الاستبانة) وثباتها، وصلاحيتها للتطبيق، قامت الباحثة بتطبيقها ميدانيًّا باتباع الخطوات الآتية:

١- توزيع الاستبانة.

٢- جمع الاستبانات بعد تعبئتها، وقد بلغ عددها (٣٠) استبانة.

٣- مراجعة الاستبانات، والتأكد من صلاحيتها، وملاءمتها للتحليل.

- **أساليب المعالجة الإحصائية:**

لتحقيق أهداف الدراسة، وتحليل البيانات التي جُمِعَت، فقد أُستُخدِمَ العديد من الأساليب الإحصائية المناسبة باستخدام الحزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية Statistical Package for Social Sciences والتي يرمز لها اختصارًا بالرمز (SPSS).

وبعد ذلك حُسِبَت المقاييس الإحصائية الآتية:

١- التكرارات، والنسب المئوية.

٢- المتوسط الحسابي الموزون (المرجح) "Weighted Mean".

٣- المتوسط الحسابي "Mean". ٤-الانحراف المعياري **"**Standard Deviation".

المبحث الخامس

نتائج الدراسة ومناقشتها وتفسيرها

يتناول هذا المبحث عرضا تفصيليًا للنتائج التي توصلت إليها الدراسة الحالية، وذلك من خلال الإجابة عن أسئلة الدراسة وفق المعالجات الإحصائية المناسبة، ومن ثم تفسير هذه النتائج وفق ما تُوصِّل إليه، وذلك على النحو الآتي:

أولًا: إجابة السؤال الأول: ما مدى استخدام الدعاة لآيات سورة الصافات وشروحها في الدعوة إلى الله ؟

جدول رقم (١١) استجابات أفراد عينة الدراسة حول مدى استخدام الدعاة لآيات سورة الصافات وشروحها في الدعوة إلى الله مرتبة تنازليًا حسب متوسطات الموافقة

م	العبارات	التكرار	درجة الموافقة			المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة
		النسبة %	موافق	ربما	غير موافق			
٢	يحرص الداعية على اختيار شرح مناسب للآيات ليسهل فهمها من قبل غير المسلمين	ك	٣٠	-	-	٣٫٠٠	٠٫٠٠٠	١
		%	١٠٠٫٠	-	-			
٤	يستفيد الداعية من آيات سورة الصافات وشروحها في الدعوة للشريعة	ك	٢٩	١	-	٢٫٩٧	٠٫١٨٣	٢
		%	٩٦٫٧	٣٫٣	-			
٣	يستفيد الداعية من آيات سورة الصافات وشروحها في الدعوة للعقيدة	ك	٢٩	١	-	٢٫٩٧	٠٫١٨٣	٣
		%	٩٦٫٧	٣٫٣	-			
٥	يستفيد الداعية من آيات سورة الصافات وشروحها في الدعوة لمكارم الأخلاق	ك	٢٧	٣	-	٢٫٩٠	٠٫٣٠٥	٤
		%	٩٠٫٠	١٠٫٠	-			
١	يستفيد الدعاة من آيات سورة الصافات في دعوة غير المسلمين	ك	٢٧	٣	-	٢٫٩٠	٠٫٣٠٥	٥
		%	٩٠٫٠	١٠٫٠	-			
المتوسط العام						٢٫٩٥	٠٫١٠٤	

يتضح في الجدول (١١) أن أفراد عينة الدراسة موافقون على مدى استخدام لآيات سورة الصافات وشروحها في الدعوة إلى الله بمتوسط (٢.٧١ من ٣.٠٠)، وهو متوسط يقع في الفئة الثالثة من فئات المقياس الثلاثي (من ٢.٣٥ إلى ٣.٠٠)، وهي الفئة التي تشير إلى خيار **موافق** على أداة الدراسة.

ويتضح من النتائج في الجدول (١١) أن أفراد عينة الدراسة موافقون على خمسة من استخدامات الدعاة لآيات سورة الصافات وشروحها في الدعوة إلى الله تتمثل في العبارات رقم (٢، ٤، ٣، ٥، ١) التي رُتِّبَتْ تنازليًّا حسب موافقة أفراد عينة الدراسة عليها، كالآتي:

١– جاءت العبارة رقم (٢) وهي:" يحرص الداعية على اختيار شرح مناسب للآيات ليسهل فهمها من قبل غير المسلمين " بالمرتبة الأولى من حيث موافقة أفراد عينة الدراسة عليها بمتوسط (٣.٠٠ من ٣) وتفسر هذه النتيجة بأن الدعاة يسعون لتعزيز فعالية الدعوة في توعية غير المسلمين ولذلك عادة ما يحرصون على اختيار شرح مناسب للآيات ليسهل فهمها من قبل غير المسلمين.

٢– جاءت العبارة رقم (٤) وهي:" يستفيد الداعية من آيات سورة الصافات وشروحها في الدعوة للشريعة " بالمرتبة الثانية من حيث موافقة أفراد عينة الدراسة عليها بمتوسط (٢.٩٧ من ٣) وتفسر هذه النتيجة بأن الدعاة يسعون للإفادة من مزايا وقصص وعبر الآيات القرآنية في نشر الدعوة ولذلك عادة ما يعملون على الإفادة من آيات سورة الصافات وشروحها في الدعوة للشريعة.

٣– جاءت العبارة رقم (٣) وهي:" يستفيد الداعية من آيات سورة الصافات وشروحها في الدعوة للعقيدة " بالمرتبة الثالثة من حيث موافقة أفراد عينة الدراسة عليها بمتوسط (٢.٩٧ من ٣) وتفسر هذه النتيجة بأن الدعاة يسعون للإفادة من جانب العقيدة الوارد في الآيات القرآنية في الدعوة ولذلك عادة ما يعملون على الإفادة من آيات سورة الصافات وشروحها في الدعوة للعقيدة.

٤– جاءت العبارة رقم (٥) وهي:" يستفيد الداعية من آيات سورة الصافات وشروحها في الدعوة لمكارم الأخلاق " بالمرتبة الرابعة من حيث موافقة أفراد عينة الدراسة عليها بمتوسط (٢.٩٠ من ٣) وتفسر هذه النتيجة بأن الدعاة يركزون على الآيات التي تتناول مكارم الأخلاق لنشر دعوتهم بمكارم الأخلاق التي يدعو لها الدين الاسلامي؛ ولذلك عادة ما يعملون على الإفادة من آيات سورة الصافات وشروحها في الدعوة لمكارم الأخلاق.

٥– جاءت العبارة رقم (١) وهي:" يستفيد الدعاة من آيات سورة الصافات في دعوة غير المسلمين " بالمرتبة الخامسة من حيث موافقة أفراد عينة الدراسة عليها بمتوسط (٢.٩٠ من ٣) وتفسر هذه النتيجة بأن الدعاة يركزون في دعوتهم على دعوة غير المسلمين ولذلك عادة ما يعملون على الإفادة من آيات سورة الصافات في دعوة غير المسلمين.

ثانيًا : إجابة السؤال الثاني: ما تأثير آيات سورة الصافات وشروحها في دعوة غير المسلمين؟

جدول رقم (١٢) استجابات أفراد عينة الدراسة حولة تأثير آيات سورة الصافات وشروحها في دعوة غير المسلمين مرتبة تنازليًا حسب متوسطات الموافقة

م	العبارات	التكرار	درجة الموافقة			المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة
		النسبة %	موافق	ربما	غير موافق			
١	يلاحظ الدعاة تأثر المدعوين عند دعوتهم من خلال آيات سورة الصافات في جانب العقيدة	ك	٢٥	٥	–	٢.٨٣	٠.٣٧٩	١
		%	٨٣.٣	١٦.٧	–			
٣	يلاحظ الدعاة تأثر المدعوين عند دعوتهم من خلال آيات سورة الصافات في جانب الأخلاق	ك	٢٠	١٠	–	٢.٦٧	٠.٤٧٩	٢
		%	٦٦.٧	٣٣.٣	–			
٢	يلاحظ الدعاة تأثر المدعوين عند دعوتهم من خلال آيات سورة الصافات في جانب الشريعة	ك	٢١	٦	٣	٢.٦٠	٠.٦٧٥	٣
		%	٧٠.٠	٢٠.٠	١٠.٠			
٤	لآيات سورة الصافات تأثير كبير على المدعوين غير المسلمين	ك	١٦	١٤	–	٢.٥٣	٠.٥٠٧	٤
		%	٥٣.٣	٤٦.٧	–			
٥	لآيات سورة الصافات تأثير محدود على المدعوين	ك	٧	١٤	٩	١.٩٣	٠.٧٤٠	٥
		%	٢٣.٣	٤٦.٧	٣٠.٠			
المتوسط العام						**٢.٥١**	**٠.٣٨١**	

يتضح في الجدول (١٢) أن أفراد عينة الدراسة موافقون على تأثير آيات سورة الصافات وشروحها في دعوة غير المسلمين بمتوسط (٢.٥١ من ٣.٠٠)، وهو متوسط يقع في الفئة الثالثة من فئات المقياس الثلاثي (من ٢.٣٥ إلى ٣.٠٠)، وهي الفئة التي تشير إلى خيار **موافق** على أداة الدراسة.

ويتضح من النتائج في الجدول (١٢) أن أفراد عينة الدراسة موافقون على أربعة من تأثيرات آيات سورة الصافات وشروحها في دعوة غير المسلمين تتمثل في العبارات رقم (١، ٣، ٢، ٤) التي رُتِّبَتْ تنازليًّا حسب موافقة أفراد عينة الدراسة عليها، كالآتي:

١- جاءت العبارة رقم (١) وهي: " **يلاحظ الدعاة تأثر المدعوين عند دعوتهم من خلال آيات سورة الصافات في جانب العقيدة** " بالمرتبة الأولى من حيث موافقة أفراد عينة الدراسة عليها بمتوسط (٢.٨٣ من ٣)، وتفسر هذه النتيجة بأن الدعاة يتفاعلون مع المدعوين أثناء دعوتهم من خلال آيات سورة الصافات؛ ولذلك عادة ما يلاحظ الدعاة تأثر المدعوين عند دعوتهم من خلال آيات سورة الصافات في جانب العقيدة.

٢- جاءت العبارة رقم (٣) وهي: " **يلاحظ الدعاة تأثر المدعوين عند دعوتهم من خلال آيات سورة الصافات في جانب الأخلاق** " بالمرتبة الثانية من حيث موافقة أفراد عينة الدراسة عليها بمتوسط (٢.٦٧ من ٣)، وتفسر هذه النتيجة بأن الدعاة يركزون على جوانب أخلاقية بآيات سورة الصافات تجذب المدعوين؛ ولذلك عادة ما يلاحظ الدعاة تأثر المدعوين عند دعوتهم من خلال آيات سورة الصافات في جانب الأخلاق.

٣- جاءت العبارة رقم (٢) وهي: " **يلاحظ الدعاة تأثر المدعوين عند دعوتهم من خلال آيات سورة الصافات في جانب الشريعة** " بالمرتبة الثالثة من حيث موافقة أفراد عينة الدراسة عليها بمتوسط (٢.٦٠ من ٣)، وتفسر هذه النتيجة بأن الدعاة يتناولون جوانب الشريعة بآيات سورة الصافات

بأسلوب متنوع يجذب المدعوين؛ ولذلك عادة ما يلاحظ الدعاة تأثر المدعوين عند دعوتهم من خلال آيات سورة الصافات في جانب الشريعة.

٤ – جاءت العبارة رقم (٤) وهي: "**لآيات سورة الصافات تأثير كبير على المدعوين غير المسلمين** " بالمرتبة الرابعة من حيث موافقة أفراد عينة الدراسة عليها بمتوسط (٢.٠٥٣ من ٣) وتفسر هذه النتيجة بأن بآيات سورة الصافات تتميز بتنوع تناولها لموضوعات الأخلاق والعقيدة؛ ولذلك عادة ما يكون لآيات سورة الصافات تأثير كبير على المدعوين غير المسلمين.

ويتضح من النتائج في الجدول (١٢) أن أفراد عينة الدراسة موافقون ربما على واحدة من تأثيرات آيات سورة الصافات وشروحها في دعوة غير المسلمين تتمثل في العبارة رقم (٥) وهي: " **لآيات سورة الصافات تأثير محدود على المدعوين** " بمتوسط (١.٩٣ من ٣)، وتفسر هذه النتيجة بأن آيات سورة الصافات كما تبين لها تأثيرها على المدعوين؛ ولذلك لآيات سورة الصافات تأثير محدود على المدعوين.

ثالثًا : إجابة السؤال الثالث: ما وسائل استخدام الآيات الكريمة في سورة الصافات في دعوة غير المسلمين ؟

جدول رقم (١٣) استجابات أفراد عينة الدراسة حول وسائل استخدام الآيات الكريمة في سورة الصافات في دعوة غير المسلمين مرتبة تنازليًا حسب متوسطات الموافقة

م	العبارات	التكرار	درجة الموافقة			المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة
		النسبة %	موافق	ربما	غير موافق			
٣	ترجمة آيات سورة الصافات وسيلة من وسائل دعوة غير المسلمين	ك	٢٩	١	–	٢.٩٧	٠.١٨٣	١
		%	٩٦.٧	٣.٣	–			
١	يستخدم الداعية تفاسير الآيات في الدعوة إلى الله	ك	٢٩	–	١	٢.٩٣	٠.٣٦٥	٢
		%	٩٦.٧	–	٣.٣			
٤	يعتبر تكرار بعض آيات سورة الصافات من أفضل الوسائل في دعوة غير المسلمين	ك	١٥	٩	٦	٢.٣٠	٠.٧٩٤	٣
		%	٥٠.٠	٣٠.٠	٢٠.٠			
٥	جميع ما سبق	ك	١١	١٦	٣	٢.٢٧	٠.٦٤٠	٤
		%	٣٦.٧	٥٣.٣	١٠.٠			
٢	يستخدم الداعية وسيلة استماع المدعوين لآيات سورة الصافات	ك	١٥	٨	٧	٢.٢٧	٠.٨٢٨	٥
		%	٥٠.٠	٢٦.٧	٢٣.٣			
المتوسط العام						**٢.٥٥**	**٠.٣٧١**	

يتضح في الجدول (١٣) أن أفراد عينة الدراسة موافقون على وسائل استخدام الآيات الكريمة في سورة الصافات في دعوة غير المسلمين بمتوسط (٢.٥٥ من ٣.٠٠)، وهو متوسط يقع في الفئة الثالثة من فئات المقياس الثلاثي (من ٢.٣٥ إلى ٣.٠٠)، وهي الفئة التي تشير إلى خيار **موافق** على أداة الدراسة.

ويتضح من النتائج في الجدول (١٣) أن أفراد عينة الدراسة موافقون على اثنين من وسائل استخدام الآيات الكريمة في سورة الصافات في دعوة غير المسلمين تتمثلان في العبارات رقم (٣، ١) و رُتِّبَتْ تنازليًا حسب موافقة أفراد عينة الدراسة عليهما، كالآتي:

١ – جاءت العبارة رقم (٣) وهي: " **ترجمة آيات سورة الصافات وسيلة من وسائل دعوة غير المسلمين** " بالمرتبة الأولى من حيث موافقة أفراد عينة الدراسة عليها بمتوسط (٢.٩٧ من ٣)، وتفسر هذه النتيجة بأن ترجمة آيات سورة الصافات تتيح للدعاة توصيل معانيها بسهولة لغير المسلمين من غير الناطقين باللغة العربية؛ ولذلك نجد أن ترجمة آيات سورة الصافات وسيلة من وسائل دعوة غير المسلمين.

٢ – جاءت العبارة رقم (١) وهي: " **يستخدم الداعية تفاسير الآيات في الدعوة إلى الله** " بالمرتبة الثانية من حيث موافقة أفراد عينة الدراسة عليها بمتوسط (٢.٩٣ من ٣) ،وتفسر هذه النتيجة بأن تفاسير الآيات تتيح للداعية توصيل المعاني المقصودة من الآيات للمدعوين؛ ولذلك عادة ما يستخدم الداعية تفاسير الآيات في الدعوة إلى الله.

ويتضح من النتائج في الجدول (١٣) أن أفراد عينة الدراسة موافقون ربما على ثلاثة من وسائل استخدام الآيات الكريمة في سورة الصافات في دعوة غير المسلمين تتمثل في العبارات رقم (٤، ٥، ٢) التي رُتِّبَتْ تنازليًا حسب موافقة أفراد عينة الدراسة عليها ، كالآتي:

١ – جاءت العبارة رقم (٤) وهي: " **يعتبر تكرار بعض آيات سورة الصافات من أفضل الوسائل في دعوة غير المسلمين** " بالمرتبة الثالثة من حيث موافقة أفراد عينة الدراسة عليها ربما بمتوسط (٢.٣٠ من ٣)، وتفسر هذه النتيجة بأن تكرار بعض آيات سورة الصافات ينقل ذات المعاني بصورة مكررة للمدعوين؛ ولذلك عادة لا يعتبر الدعاة تكرار بعض آيات سورة الصافات من أفضل الوسائل في دعوة غير المسلمين.

٢ – جاءت العبارة رقم (٥) وهي: " **جميع ما سبق** " بالمرتبة الرابعة من حيث موافقة أفراد عينة الدراسة عليها ربما بمتوسط (٢.٢٧ من ٣) وتفسر هذه النتيجة بأن هناك بعض الوسائل وافق عليها الدعاة وبعض الوسائل وافقوا عليها بدرجة منخفضة مما قلل الموافقة على كل ما سبق من الوسائل.

٣ – جاءت العبارة رقم (٢) وهي: " **يستخدم الداعية وسيلة استماع المدعوين لآيات سورة الصافات** " بالمرتبة الخامسة من حيث موافقة أفراد عينة الدراسة عليها ربما بمتوسط (٢.٢٧ من ٣) وتفسر هذه النتيجة بأن الدعاة يركزون على نقل معاني آيات سورة الصافات للمدعوين ولذلك عادة لا يستخدم الداعية وسيلة استماع المدعوين لآيات سورة الصافات.

رابعًا : إجابة السؤال الرابع: ما أساليب استخدام الآيات الكريمة في سورة الصافات في دعوة غير المسلمين ؟

جدول رقم (١٤) استجابات أفراد عينة الدراسة حول أساليب استخدام الآيات الكريمة في سورة الصافات في دعوة غير المسلمين مرتبة تنازليًا حسب متوسطات الموافقة

م	العبارات	التكرار	درجة الموافقة			المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة
		النسبة %	موافق	ربما	غير موافق			

م	العبارات	التكرار	درجة الموافقة			المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة
		النسبة %	موافق	ربما	غير موافق			
٥	يستخدم الداعية أسلوب الحكمة عند دعوة غير المسلمين من خلال آيات سورة الصافات	ك	٣٠	–	–	٣.٠٠	٠.٠٠٠	١
		%	١٠٠.٠	–	–			
٣	يستخدم الداعية أسلوب الموعظة الحسنة عند دعوة غير المسلمين من خلال آيات سورة الصافات	ك	٣٠	–	–	٣.٠٠	٠.٠٠٠	٢
		%	١٠٠.٠	–	–			
٢	يستخدم الداعية أسلوب الترغيب بالتركيز على آيات الثواب في السورة عند دعوة غير المسلمين	ك	٢٩	١	–	٢.٩٧	٠.١٨٣	٣
		%	٩٦.٧	٣.٣	–			
٤	يستخدم الداعية أسلوب المجادلة بالتي هي أحسن عند دعوة غير المسلمين من خلال آيات سورة الصافات	ك	٢٧	١	٢	٢.٨٣	٠.٥٣١	٤
		%	٩٠.٠	٣.٣	٦.٧			
١	يستخدم الداعية أسلوب الترهيب بالتركيز على آيات عذاب للمشركين في السورة عند دعوة غير المسلمين	ك	٨	٥	١٧	١.٧٠	٠.٨٧٧	٥
		%	٢٦.٧	١٦.٧	٥٦.٦			
المتوسط العام						٢.٧٠	٠.٢٢١	

يتضح في الجدول (١٤) أن أفراد عينة الدراسة موافقون على أساليب استخدام الآيات الكريمة في سورة الصافات في دعوة غير المسلمين بمتوسط (٢.٧٠ من ٣.٠٠)، وهو متوسط يقع في الفئة الثالثة من فئات المقياس الثلاثي (من ٢.٣٥ إلى ٣.٠٠)، وهي الفئة التي تشير إلى خيار **موافق** على أداة الدراسة.

ويتضح من النتائج في الجدول (١٤) أن أفراد عينة الدراسة موافقون على أربعة من أساليب استخدام الآيات الكريمة في سورة الصافات في دعوة غير المسلمين تتمثل في العبارات رقم (٥، ٣، ٢، ٤) التي رُتِّبَتْ تنازليًا حسب موافقة أفراد عينة الدراسة عليها، كالتالي:

١- جاءت العبارة رقم (٥) وهي:" **يستخدم الداعية أسلوب الحكمة عند دعوة غير المسلمين من خلال آيات سورة الصافات** " بالمرتبة الأولى من حيث موافقة أفراد عينة الدراسة عليها بمتوسط (٣.٠٠ من ٣)، وتفسر هذه النتيجة بأن الداعية يسعى لكسب المدعوين للدعوة؛ ولذلك عادة ما يستخدم الداعية أسلوب الحكمة عند دعوة غير المسلمين من خلال آيات سورة الصافات.

٢- جاءت العبارة رقم (٣) وهي:" **يستخدم الداعية أسلوب الموعظة الحسنة عند دعوة غير المسلمين من خلال آيات سورة الصافات** " بالمرتبة الثانية من حيث موافقة أفراد عينة الدراسة عليها بمتوسط (٣.٠٠ من ٣) وتفسر هذه النتيجة بأن الداعية يسعى لكسب ود المدعوين لتعزيز تجاوبهم مع الدعوة ولذلك عادة ما يستخدم الداعية أسلوب الموعظة الحسنة عند دعوة غير المسلمين من خلال آيات سورة الصافات.

٣- جاءت العبارة رقم (٢) وهي:" **يستخدم الداعية أسلوب الترغيب بالتركيز على آيات الثواب في السورة عند دعوة غير المسلمين** " بالمرتبة الثالثة من حيث موافقة أفراد عينة الدراسة عليها بمتوسط (٢.٩٧ من ٣) وتفسر هذه النتيجة بأن الداعية يسعى لكسب المدعوين وتجاوبهم مع الدعوة ولذلك عادة ما يستخدم الداعية أسلوب الترغيب بالتركيز على آيات الثواب في السورة عند دعوة غير المسلمين.

٤ – جاءت العبارة رقم (٤) وهي:" **يستخدم الداعية أسلوب المجادلة بالتي هي أحسن عند دعوة غير المسلمين من خلال آيات سورة الصافات** " بالمرتبة الرابعة من حيث موافقة أفراد عينة الدراسة عليها بمتوسط (٢.٨٣ من ٣) وتفسر هذه النتيجة بأن الداعية يسعى لإقناع المدعوين بالدعوة، ولذلك عادة ما يستخدم الداعية أسلوب المجادلة بالتي هي أحسن عند دعوة غير المسلمين من خلال آيات سورة الصافات.

ويتضح من النتائج في الجدول (١٤) أن أفراد عينة الدراسة موافقون ربما على واحدة من أساليب استخدام الآيات الكريمة في سورة الصافات في دعوة غير المسلمين تتمثل في العبارة رقم (١) وهي:" **يستخدم الداعية أسلوب الترهيب بالتركيز على آيات عذاب للمشركين في السورة عند دعوة غير المسلمين** " بمتوسط (١.٧٠ من ٣)، وتفسر هذه النتيجة بأن الداعية يسعى لإقناع المدعوين بالدعوة كما تمت الإشارة إليه في الفقرة السابقة، ولذلك عادة لا يستخدم الداعية أسلوب الترهيب بالتركيز على آيات عذاب للمشركين في السورة عند دعوة غير المسلمين.

المبحث السادس

ملخص الدراسة وتوصياتها ومقترحاتها

❖ **أبرز نتائج الدراسة:**

توصلت الدراسة إلى عددٍ من النتائج، ومن أبرزها:

أولًا : إجابة السؤال الأول: ما مدى استخدام الدعاة لآيات وشروح سورة الصافات في الدعوة إلى الله ؟

أفراد عينة الدراسة موافقون على مدى استخدام الدعاة لآيات وشروح سورة الصافات في الدعوة إلى الله.

أفراد عينة الدراسة موافقون على خمسة من استخدامات الدعاة لآيات سورة الصافات وشروحها في الدعوة إلى الله تتمثل في:

١ – يحرص الداعية على اختيار شروح مناسبة للآيات؛ ليسهل فهمها من قبل غير المسلمين.
٢ – يستفيد الداعية من آيات سورة الصافات وشروحها في الدعوة للشريعة.
٣ – يستفيد الداعية من آيات سورة الصافات وشروحها في الدعوة للعقيدة.
٤ – يستفيد الداعية من آيات سورة الصافات وشروحها في الدعوة لمكارم الأخلاق.
٥ – يستفيد الدعاة من آيات سورة الصافات في دعوة غير المسلمين.

ثانيًا : إجابة السؤال الثاني: ما تأثير آيات وشروح سورة الصافات في دعوة غير المسلمين؟

أفراد عينة الدراسة موافقون على تأثير آيات وشروح سورة الصافات في دعوة غير المسلمين.

برزت تأثيرات آيات سورة الصافات وشروحها في دعوة غير المسلمين تتمثل في :

١ – يلاحظ الدعاة تأثر المدعوين عند دعوتهم من خلال آيات سورة الصافات في جانب العقيدة .

٢ – يلاحظ الدعاة تأثر المدعوين عند دعوتهم من خلال آيات سورة الصافات في جانب الأخلاق.

أفراد عينة الدراسة موافقون ربما على واحدة من تأثيرات آيات سورة الصافات وشروحها في دعوة غير المسلمين تتمثل في :" **لآيات سورة الصافات تأثير محدود على المدعوين** ".

ثالثًا : إجابة السؤال الثالث: ما وسائل استخدام الآيات الكريمة في سورة الصافات في دعوة غير المسلمين ؟

أفراد عينة الدراسة موافقون على وسائل استخدام الآيات الكريمة في سورة الصافات في دعوة غير المسلمين.

أفراد عينة الدراسة موافقون على اثنين من وسائل استخدام الآيات الكريمة في سورة الصافات في دعوة غير المسلمين تتمثلان في :

١ – ترجمة آيات سورة الصافات وسيلة من وسائل دعوة غير المسلمين.

٢ – يستخدم الداعية تفاسير الآيات في الدعوة إلى الله.

أفراد عينة الدراسة موافقون ربما على ثلاثة من وسائل استخدام الآيات الكريمة في سورة الصافات في دعوة غير المسلمين تتمثل في :

١ – يعتبر تكرار بعض آيات سورة الصافات من أفضل الوسائل في دعوة غير المسلمين.

٢ – جميع ما سبق.

٣ – يستخدم الداعية وسيلة استماع المدعوين لآيات سورة الصافات.

رابعًا : إجابة السؤال الرابع: ما أساليب استخدام الآيات الكريمة في سورة الصافات في دعوة غير المسلمين ؟

أفراد عينة الدراسة موافقون على أساليب استخدام الآيات الكريمة في سورة الصافات في دعوة غير المسلمين.

أبرز أساليب استخدام الآيات الكريمة في سورة الصافات في دعوة غير المسلمين تتمثل في :

١ – يستخدم الداعية أسلوب الحكمة عند دعوة غير المسلمين من خلال آيات سورة الصافات.

٢ – يستخدم الداعية أسلوب الموعظة الحسنة عند دعوة غير المسلمين من خلال آيات سورة الصافات.

❖ **توصيات الدراسة:**

في ضوء النتائج التي توصلت إليها، فإن الباحثة توصي بما يأتي:

- العمل على كل ما يعزز من استخدام الدعاة لآيات سور القرآن الكريم وشروحها في الدعوة إلى الله.
- الاهتمام بإزالة المعوقات التي تحد من استخدام الدعاة لآيات سور القرآن الكريم وشروحها في الدعوة إلى الله.
- توفير فرص التدريب للدعاة لتعزيز استخدامهم لآيات سور القرآن الكريم وشروحها في الدعوة إلى الله.

❖ **مقترحات للدراسات المستقبلية:**

- إجراء دراسات مستقبلية حول معوقات استخدام الدعاة لآيات سور القرآن الكريم وشروحها في الدعوة إلى الله.
- إجراء دراسات مستقبلية حول متطلبات تعزيز استخدام الدعاة لآيات سور القرآن الكريم وشروحها في الدعوة إلى الله.

الخاتمة

الحمد لله في بداية الأمر وآخره... وبعد

في ختام هذا البحث والذي يحمل عنوان دعوة غير المسلمين من خلال سورة الصافات والذي حوى العديد من النتائج والتوصيات على النحو الآتي:

أولًا: النتائج:

١- أهمية الدعوة من خلال سور القرآن الكريم.
٢- حوت السورة العديد من موضوعات الدعوة إلى الله.
٣- هناك أساليب دعوية متعددة في سورة الصافات.
٤- حوت السورة على العديد من الوسائل الدعوية النافعة عند دعوة غير المسلمين.
٥- غير المسلمين مختلفون بعقائدهم وشرائعهم.

ثانيًا: التوصيات:

١- ضرورة الاعتماد على كتاب الله فهو المرجع الرئيس في دعوة غير المسلمين .
٢- أهمية التعرف على الشرائع المختلفة في الديانات المتعددة للتوصل لطرق الدعوة إلى الله.
٣- أهمية دراسة تأثير آيات سور القرآن الكريم دراسة ميدانية لمعرفة مدى تأثيرها ومن ثم التركيز عليها عند دعوة غير المسلمين.

هذا وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا...

قائمة المصادر والمراجع

١. **القرآن الكريم.**

٢. **إغاثة اللهفان غي مصايد الشيطان.** ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ، تحقيق محمد حامد الفقي، بيروت: دار الكتب العلمية.

٣. **الأمة الوسط والمنهاج النبوي في الدعوة إلى الله.** التركي، عبد الله بن عبد المحسن بن عبدالرحمن، ط١، المملكة العربية السعودية: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤١٨هـ.

٤. **الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة.** الأثري ، عبد الله بن عبد الحميد، مراجعة وتقديم: عبد الرحمن بن صالح، ط١، الرياض: مدار الوطن للنشر، ، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

٥. **البحث العلمي حقيقته، ومصادره، ومادته، ومناهجه، وكتابته، وطباعته، ومناقشته.** الربيعة، عبدالعزيز بن عبد الرحمن بن علي ، ط٦، مكتبة الألوكة، ١٤٣٣ هـ- ٢٠١٢م.

٦. **البدع والنهي عنها.** بن وضاح، أبو عبد الله محمد ، تحقيق ودراسة :عمرو عبد المنعم سليم، ط١، القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ، ١٤١٦هـ.

٧. البصيرة **في الدعوة إلى الله.** العنزي، عزيز بن فرحان، تقديم: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، ط١، أبو ظبي: دار الإمام مالك، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

٨. **التدرج في دعوة النبي.** المطلق، إبراهيم بن عبد الله ،ط١، مركز البحوث والدراسات الإسلامية: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤١٧هـ.

٩. **التعريفات.** الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ.

١٠. **تفسير القرآن العظيم.** ابن كثير، سماعيل بن عمر، ط١، بيروت: دار التراث العربي ، ١٤١٧هـ.

١١. **توضِيحُ الأحكَامِ مِن بُلوُغ المَرَام.** البسام، أبو عبد الرحمن عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح بن حمد بن محمد بن حمد بن إبراهيم التميمي، ط٥: مكتَبة الأسدي، مكّة المكرّمة، ١٤٢٣ هـ.

١٢. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان.** السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م.

١٣. **جامع الأحاديث**. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، ضبط نصوصه وخرج أحاديثه: فريق من الباحثين بإشراف د على جمعة (مفتي الديار المصرية) طبع على نفقة: د حسن عباس زكى. د.ت.

١٤. **الجامع لأحكام القرآن**. القرطبي ، محمد بن أحمد الأنصاري ، ط٢، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ.

١٥. **الحاوي للفتاوي**، السيوطي. جلال الدين ، د.ط، د.ن: دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤م.

١٦. **دعوة غير المسلمين إلى الإسلام في مدينة الرياض**. اللحيدان، عبدالله، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام، ١٤١٧هـ.

١٧. **سنن الترمذي. الترمذي، محمد بن عيسى ، تحقيق: بشار عواد معروف، د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت..**

١٨. سنن النسائي. النسائي. أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بجر ، د.ن: مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م

١٩. **السيرة النبوية**. ابن هشام، عبدالملك، د.ط، د.ن: مؤسسة علوم القرآن، د.ت.

٢٠. **شرح رياض الصالحين**. العثيمين، محمد بن صالح بن محمد د.ط، الرياض: دار الوطن للنشر، ١٤٢٦هـ.

٢١. **صحيح البخاري**. البخاري، محمد بن إسماعيل، د.ط، الرياض: دار ابن كثير، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م–.

٢٢. **صحيح مسلم**. مسلم، بن الحجاج القشيري النيسابوري، د.ط، بيروت: دار إحياء الكتب العربية، د.ت.

٢٣. **عظمة القرآن وتعظيمه وأثره في النفوس في ضوء الكتاب والسنة – مفهوم، وعظمة، وأثر، وتدبر، وفضائل، وعلم، وعمل، وتعاهد، وآداب، وأخلاق**. القحطاني، سعيد بن علي بن وهف، د.ط، الرياض: مطبعة سفير، الرياض توزيع: الرياض: مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، د.ت.

٢٤. **العمل عند غير المسلمين من وجهة نظر إسلامية**. طاهر، ازدهار ، بحث مقدم لاستكمال الحصول على درجة الماجستير في الفقه والتشريع، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين.

٢٥. **فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب.** عويضة، محمد نصر الدين محمد عويضة، المكتبة الشاملة.

٢٦. **فقه الأدعية والأذكار.** البدر، عبد الرزاق بن عبد المحسن ، ط٢، الكويت: دم، ١٤٢٣هـ.

٢٧. **كتابة البحث العلمي صياغة جديدة.** أبو سليمان، عبد الوهاب بن إبراهيم ، ط٦، القاهرة: دار الشروق للنشر والتوزيع ، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م

٢٨. **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، جمع الزاوئد ومنبع الفوائد.** الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر، د.ط، د.ن: مكتبة القدسي، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٢٩. **مجموع فتاوى ابن تيمية.** ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم ، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ.

٣٠. **مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله.** بن باز، عبد العزيز بن عبد الله، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر.

٣١. **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين.** ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ، ط٦، بيروت: دار الكتب العربي ، ١٤١٦هـ.

٣٢. **المصحف الإلكتروني.** سورة الصافات.http://www.e-quran.com/tareef-37.html

٣٣. **مصنف عبد الرزاق. الصنعاني.** أبو بكر عبد الرزاق بن همام ، المحقق :حبيب الرحمن الأعظمي، ط٢، الهند: المجلس العلمي- الهند، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ.

٣٤. **الملل والنحل**، الشهرستاني. أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد، د.ط، د.ن: مؤسسة الحلبي، د.ت.

٣٥. **منهج القرآن الكريم في دعوة غير المسلمين.** الزميلي، زكريا إبراهيم، رسالة دكتوراه، الجامعة الإسلامية بفلسطين ،٢٠٠٥م.

3

التحليل السردي للزمن
في السيرة النبوية لابن إسحاق

د. مريم إبراهيم غبان
جامعة الملك عبد العزيز- كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم المواد العامة

المستخلص

المستخلص: يهدف هذا البحث إلى الكشف عن آليات اشتغال الزمن السردي، والوظائف التي ينهض بها في السيرة النبوية لابن إسحاق، وذلك عن طريق تحليل البنية السردية والكشف عن دورها في بناء النص، وتأتي أهمية هذا البحث فيما يحققه من مكاسب تنظيرية، تتعلق بالمكونات الجمالية والعناصر التقنية التي تتوفر عليها مؤلفات السيرة النبوية، وقد وقع الاختيار على سيرة ابن إسحاق؛ لتفردها وريادتها في ابتكار القالب القصصي القائم على التحديد الزمني غير الخطي، بعكس ما ظهر من تدوين السيرة النبوية في كتب التاريخ وكتب الحديث، وفي ضوء الإمكانات المطروحة سابقًا، تقدم هذه الدراسة محاولة تحليل بنيوي، تستثمر التنظير المعرفي لمفهوم الزمن، ودوره في تشكيل البنية السردية، وفقًا لما نظّر له ميخائيل باختين في المدرسة الشكلانية، وما أسفر عنه هذا التنظير من بحوث مستفيضة ومتقاربة النتائج لدى كل من جيرار جينيت، ورولان بارت، ومن خلال هذا التنظير تتناول الدراسة المنعرجات الخطية، والسمات الفنية للزمن في سيرة ابن إسحاق، وهو ما يدفع إلى تبني الفرض الذي يتزعمه البحث في قوله بفنية الزمن في هذه السيرة.

الكلمات المفتاحية: المفارقة الزمنية– الاسترجاع –محمَّد صلى الله عليه وسلم — السرد– البنية السردية.

Abstract

Abstract : This research aims to unravel the work mechanisms of narrative time and the functions undertaken by it in the Prophetic Biography written by Ibn Ishaq. This is done by analyzing the narrative structure and unraveling its role in building the text. The significance of this research arises from the theoretical gains it realizes pertaining to the aesthetic components and technical elements contained in the Prophetic Biography's books. The Biography written by Ibn Ishaq was chosen for its uniqueness and pioneering role in creating a non-linear time-based story template, unlike the way used in writing down the Prophetic biography in history and Hadith books. In light of formerly presented capabilities, this study introduces an attempt of structural analysis that employs the cognitive theorization of the time concept and its role in forming the narrative structure according to the theory of Mikhail Bakhtin from the Formalist school and the resulting detailed convergent research results of Gerard Genette and Roland Barthes. Through this theory, the study deals with the linear zigzags and artistic features of time in Ibn Ishaq's Biography, which prompts the adoption of the hypothesis led by the research in his statement of the art of time in the Prophetic Biography.

Key Words: Anachrony – Analepsis – Prophetic Biography — The Narrative Structure.

مقدمة

تسعى هذه الدراسة إلى بحث مفهوم الزمن في السيرة النبوية لابن إسحاق، باعتباره مكونًا أساسًا في بنية النص السردي، وعلى هذا الأساس قُسم الزمن فيها إلى قسمين: **الأول**: داخلي حركته هي حركة الشخصيات والأحداث، وبتدفقه تتعدد موضوعات السيرة النبوية، **والآخر**: خارجي مرهون بتجليات الزمن المطلق، ومن خلاله يمكن تقصي سمات التلقي في زمني الكتابة، والقراءة.

هكذا جاء المتن الحكائي للسيرة مبنيًّا على سلسلة من الوحدات الحكائية، ناظمها الأساس شخصية النبي –صلى الله عليه وسلم– مرتكزًا على أبرز الأحداث في السيرة العطرة، مثل أحداث الميلاد والنشأة والبعث والهجرة والغزوات، وعلى هذا الأساس يمكن اعتبار السيرة النبوية فنًّا من الفنون السردية، التي تكون أكثر التصاقًا بالزمن، وفي سياق هذا الطرح تتأسس فرضية هذا البحث، في جملة من التساؤلات حول الزمن في بناء السيرة النبوية لابن إسحاق، بوصفه هيكلًا أساسًا تقوم عليه بنية النص السردي، فما مدى قدرة البعد الزمني على تجسيد رؤية السارد وفلسفته تجاه كل من الواقع السردي والواقع المعاش؟، وما آليات اشتغاله داخل النص، وما الوظائف التي ينهض بها في عموم البناء السردي؟. أيضًا ما علاقة الزمن القصصي بالزمن التاريخي، وذلك من جهة تعاطي السارد مع الزمن في آلية البناء والقيم الفنية والفكرية التي تتأسس عليه السيرة، وإلى أي مدى يترك الزمن التاريخي انحناءات في الوعي الذاتي على مستويي الإنتاج والتلقي؟

كل هذه الأسئلة وغيرها قد تطرقت إليها دراسات عديدة، ارتبطت بالزمن في السرد الروائي، فقد ظهرت جهود تنظيرية

رائدة، تعاملت مع الزمن على أنه مكون أساس من مكونات النص، ولعل أبرز الجهود وأكثرها تداولًا:

١- كتاب (بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي) لحميد لحمداني، فقد عقد فيه فصلًا عن الزمن الحكائي، مفيدًا من جهود جيرار جنت في دراسة الإيقاع الزمني (الخلاصة، الاستراحة، القطع، المشهد).

٢- كتابان لسعيد يقطين (تحليل الخطاب الروائي) و (انفتاح النص الروائي)، ومن خلالهما حلل الزمن في اللسانيات الغربية، وقارنه بمفهومه في العربية، ومن ثم عرض مختلف وجهات النظر المرتبطة بزمن الخطاب، وزمن النص، فبسط الحديث في المسألة مرسخًا لجذورها الفلسفية واللغوية والبنيوية، ومشيرًا إلى أبرز المحاولات التي مهدت لهذا التطور المعرفي في مفهوم الزمن السردي، وما أسست له المدرسة الشكلانية من توجيه النظر إلى الجوانب البنيوية في تحليل الخطاب، وكيف نما وتطور في النظرية البنيوية.

٣- كتاب (السرد في مقامات الهمذاني) لأيمن بكر، تأتي أهمية هذه الدراسة في المنحى التطبيقي الذي سعت من خلاله إلى فحص دلالة الزمن في المقامات، ومحاولة إعادة قراءتها في سياق النظرية البنيوية، مؤكدة على أهمية العناية بنصوص التراث، والسعي إلى الكشف عن جمالياتها وأصالتها، التي تؤهل لربطها بالأنواع السردية الحديثة.

ولعل المنحى الذي سلكته الدراسة السابقة، يتقارب مع الهدف الرئيس لهذا البحث، في سعيه إلى بحث الزمن في السيرة النبوية لابن إسحاق، باعتباره ظاهرة فنية، وبنية سردية؛ فالسيرة النبوية في أصلها لها وجود مسبق، ولكن ما يتم بين دفتي سيرة ابن إسحاق من تتابع الأحداث ومن اختيار وانتقاء، وهو ما يدفع إلى القول بفنية الزمن، الذي تم توزيعه بقصدية تتداخل فيها

الأحداث للقبض على دلالة قارة، أرادها السارد؛ ليؤسس زاوية نظر تقتضي تسليط الضوء على الدروس المستخلصة من السيرة.

هذه المحاولة هي محط اهتمام هذا البحث، ليقدمها في إطار مقاربة نقدية تتكون من ثلاثة أقسام؛ القسم الأول: ينهض على دراسة الحدود التنظيرية لمفهوم الزمن، بتسليط الضوء على المعنى المعجمي للزمن، وتتبع دلالاته في اللغة، والسرد، ومن ثم ندلِف إلى القسم الثاني: لفحص علاقة الزمن بالبناء النصي، بمعاينة وفحص زمن الدال، وزمن المدلول، تبعًا لزاويتي نظر كل من: السارد في زمن القص، والقارئ في الزمن الخارجي الذي يتشكل في ذهن المتلقي، وأخيرًا يأتي القسم الثالث، لاكتشاف الدلالة المركزية للزمن، وبيان أثرها في تشكيل الخطاب العام للنص، بدراسة الأوجه البلاغية، التي تتحكم في البنية السردية.

أولًا: الحدود النظرية لمفهوم الزمن في اللغة والسرد

للزمن مفهوم واسع تتجاذبه حقول علمية متعددة منها: الفلسفة والفيزياء والأدب، فالزمن هو عمر الإنسان؛ لأن وجوده يرتبط بالزمن، وإذا بحثنا عن تعريف للزمن نجده بمعنى "السيل المتدفق المستمر من الماضي إلى الحاضر فالمستقبل، وفي سيلانه حركة تحمل الصيرورة والتحول والتغير"[1]؛ لذلك تتجلى آثاره في الأمكنة، والإنسان، والأشياء، ومن هذا المنطلق نجد أن تعريف الزمن من الصعب القبض عليه دون الاستدلال بكلمة الزمن نفسها، أو ما يحيل إليها من الساعات والدقائق والثواني؛ ولهذا فمن الطبيعي أن يرتبط مفهوم الزمن بالحركة والدوران والانتظام[2]. وللزمن سيرورة متدفقة تستوعب النشاط البشري المتجدد في الفكر الإصلاحي والعمران، أو التفكك والانسلاخ

---

[1] الزمن في الرواية العربية، مها القصراوي (بيروت، المؤسسة العربية للنشر، ٢٠٠٤) ١١.

[2] الكون الأنيق: الآثار الفائقة والأبعاد الفينة والبحث عن النظرية النهائية، بريان غرين (ترجمة: فتح الله الشيخ، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٥) ٥٢.

والتخلف عن ركب الحضارة؛ وما ذلك إلا لأن الزمن يسير في تعاقب طولي ينتهي بالموت، وآخر دائري مستمر مع تعاقب الفصول والليل والنهار؛ لأن سُنن الحياة تعيد نفسها وتتجدد بتجدد العوامل والأسباب الباعثة على التكرار، فديمومة الزمن واستمراريته وتقدمه الصاعد صوب الموت، هو الدافع وراء قلق الإنسان وبحثه في مقولة الزمن، وسعيه للكشف عن ماهيته، وتأثيره في الذوات، وذلك ما أدى إلى ظهور فكرة الزمن الدائري، وأول من قالها أفلاطون؛ ليستخلص نظريته الشهيرة حول "دورات التاريخ" أو ما يُعرف عند الفكر اليوناني بـ "الزمن الدائري"[1].

المعنى المعجمي للزمن: الزَّمن والزَّمان: اسم يدل على طويل الوقت أو قصيره، والزمان يطلق على الفصل من فصول السنة، وعلى فترة ولاية الرجل أو ما أشبه، ورد في الحديث الشريف أن النبي -ﷺ- قال عن عجوز احتفى بها: "كانت تأتينا أزمان خديجة" أي في حياتها[1] وهكذا يُعرّف الزمن عند إضافته، كأن يُضاف إلى الرطب، فيقال: زمان الرطب والفاكهة، كما يُضاف إلى المكان، فيقال: أزمَن الشيء: إذا طال عليه الزمن.

الزمن في النظرية البنيوية

كانت أبحاث الشكلانيين الروس من أبرز مباحث التنظير للزمن في السرد، وهو عندهم مكون أساس في المبنى الحكائي؛ فقد أدرجوا مبحث الزمن في نظرية الأدب، واستقرأوا خصائصه في الأعمال السردية، كما بحثوا طبيعة العلاقة، التي تجمع الأحداث وتربط أجزاءها[2]، وظهر عندهم أن عرض الأحداث في العمل الأدبي يخضع لمبدأ السببية، ومن هنا جاء تمييزهم بين

---

[1] تاريخ الوعي: مقاربات فلسفية حول جدلية ارتقاء الوعي بالواقع، مونيس بخضرة (بيروت، الدار العربية للعلوم، ٢٠٠٩) ١٥٣.

[1] لسان العرب، محمد بن منظور (القاهرة، دار الحديث، ٢٠٠٣) ٤٠٨/٣.

[2] بنية الشكل الروائي (الفضاء -الزمن – الشخصية)، حسن بحراوي، ط٢، (الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٩) ١٠٧

المتن الحكائي والمبنى الحكائي[1]؛ فالأول لابد له من زمن ومنطق ينظم الأحداث، والثاني لا يأبه لتلك القرائن الزمنية والمنطقية قدر اهتمامه بكيفية عرض الأحداث وتقديمها للقارئ[2]، وفي الاتجاه المقابل تأتي جهود بيرسي لوبوك؛ للتأكيد على أهمية الزمن في السرد، و التشديد على خطورة الدور المنوط به، إلى حد قوله: "إن موضوع الرواية لا يمكن طرحه إطلاقًا ما لم يصبح بالإمكان إدراك عجلة الزمن"[3]، وأما إذا كان الزمن مرتبطا بالسيرة الذاتية أو الغيرية؛ فإنه يغذي الأحداث بصفة مستمرة، ويحدث تأثيره على الشخصية، ضمن سلسلة أحداث متصلة تعرض من زاوية نظر السارد.

وعند باختين تصور مختلف للزمن، فالميزة الجوهرية للعمل الروائي هي التعالق التام، والتفاعل الدينامي مع الزمن، ومن المهم للكاتب رؤية العالم من خلال تنوع المضامين وتزامنها والنظر إلى علاقاتها من زاوية زمنية واحدة[1]، أي إن ما يحدد الزمن عند باختين هو التجربة والممارسة، ولهذا فالزمن الروائي يظل عديم الاكتمال؛ لأنه منفتح على المستقبل مع استمرار تداول النص عبر العصور.

ثانيًا: علاقة الزمن بالبناء النصي في السيرة النبوية

تأتي دراسة الزمن في هذا السياق، مقرونة بدراسة نظام ترتيب الأحداث أو المقاطع الزمنية في الخطاب السردي للسيرة النبوية، وذلك وفقًا لنظام تتابع هذه الأحداث في القصة، ومقارنته مع تتابع وقوعها في الواقع المحكي، وعلى أساس الاختلاف بينهما، يتحدد المفهوم العام للزمن في السيرة النبوية، إذ إن المشاهد المسرودة يمكن لأحداث كثيرة منها أن تجري في آن واحد، لكن

---

[1] نظرية المنهج الشكلي، الشكلانيون الروس (ترجمة: إبراهيم الخطيب، د.ن، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، ١٩٨٢) ١٠٥

[2] بنية الشكل الروائي (الفضاء -الزمن – الشخصية) حسن بحراوي، ١٠٦

[3] صنعة الرواية، بيرسي لوبوك، ط٢(ترجمة: عبد الستار جواد، الأردن، دار مجدلاوي، ٢٠٠٠) ٥.

[1] الملحمة والرواية، ميخائيل باختين (ترجمة: جمال شحيد، بيروت، دار الإنماء العربية، ١٩٨٢) ٣٣-٣٥-٣٩.

الخطاب يعمل على ترتيبها ترتيبًا متتاليًا؛ لأنه لا يمكن رواية حدثين معًا[1].

وأما يتعلق بالسرد في سيرة ابن إسحاق، ففي حدود ما انتقاه وخطه المؤلف لا نتجاوز المفاهيم الشائعة للتسلسل الزمني، ووفقا لما نقله حسن بحراوي عن جينيت[2]، هناك زمن الشيء المروي، وزمن المضمون السردي، أي زمن الدال وزمن المدلول وتتداخل بينهما أزمنة عديدة، وينتج عن التداخل مجموعة المواقف المتشابكة، والمنتجة للنص السردي، وعلى هذا الأساس يتم تشكيل الخطاب، ويتحدد زمن القص، في ثلاثة أنماط[3]:

١– زمن الحكاية أو زمن الحكي: والمقصود به "زمن المغامرة" كما يعرفه ميشيل بوتور، نقله عنه يقطين[4]، وفي سياق هذا البحث، يشكل التاريخ الزمني، الذي جرت فيه أحداث السيرة النبوية سمة فريدة، وظاهرة كونية كافية لأن ترفع من قيمة هذا الزمن، فنزول القرآن ليس حدثًا عاديًا، أو قابلًا للتكرار في زمن آخر غير زمن البعثة؛ لأن القرآن الكريم نزل منجمًا، ومتصلا بالأحداث، ورسالة النبي –ﷺ– هي النموذج الفريد الباعث على التجديد في الحياة البشرية؛ ولأن القرآن الكريم خلال فترة نزوله، كان يؤطر ممارسات، وأحكامًا، ونظمًا اجتماعية واقتصادية، ستطبق في كل زمن إلى قيام الساعة، لذلك فزمن الحكاية في السيرة يشمل الفصول والأيام والشهور، ويضم مختلف الأحداث المتصلة بحياة النبي ﷺ، هذه الأحداث تشكل مادة قصصية خصبة للسرد ، إضافة إلى دورها المهم بوصفها المحتوى التاريخي المرسخ لأهم مرحلة في الدعوة الإسلامية.

---

[1] بصدد التمييز بين القصة والرواية، ميشيل رايمون (ترجمة حسن بحراوي، المغرب، مجلة آفاق مغربية، ١٩٨٩) ع٨-١٢١/٩

[2] بنية الشكل الروائي (الفضاء –الزمن — الشخصية) حسن بحراوي، ١١٦.

[3] نفسه، ١١٤-١١٥.

[4] تحليل الخطاب الروائي (الزمن – السرد- التبئير)، سعيد يقطين، ط٤ (الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٥) ٧٠.

٢– زمن الكتابة أو زمن السرد: والمقصود زمن كتابة النص، وهو لا يختلف عن زمن السرد الشفاهي؛ لأن السارد في القصة ينظم الأحداث في مخطط سببي يضم حدثا سابقا إلى لاحق أو العكس ، فينتج عن ذلك نص سردي مخصوص بإطار زمني– لساني محدد، يظهر في فعل التخييل، أي يحتوي زمن الكاتب، وزمن القارئ، وهما ما يطلق عليهما[1]، مفهوم "الزمن الصرفي"، ويتحقق بواسطة زمن الخطاب، وغالبًا يُسلَبُ زمن القصة عن خطيته؛ ليجسد التجربة الذاتية للكاتب، من خلال نمو الخطاب المشتغل عليه؛ ولهذا يعتبر تودروف زمن السرد عنصرًا أدبيًّا بمجرد دخوله في السرد[2]، وأما في السيرة النبوية؛ فيظهر من خلال التتابع المنظم للوصف، والتداخل المتنامي لمختلف المتتاليات الزمنية المندرجة عبر الفصول.

ومن المهم الإشارة إلى طبيعة العلاقة الجدلية بين المتن الحكائي والمبنى الحكائي، إذا يُظهر المبنى الحكائي هيمنة مجموعة من الأحداث، الأمر الذي يشير إلى زيادة في زمن الحكي لأحداث مدتها الزمنية في الواقع أقل من غيرها؛ فالمدة التي صرفها الكاتب في سرد أحداث غزوات النبي أطول بكثير من أحداث طفولته ونشأته التي استغرقت(٤٠ سنة)،وفترة بعثه ودعوته في مكة (١٣سنة)، وإذا جئنا لغزوات النبي نجد أنها شكلت في الواقع قرابة (١٠سنوات)[1]، وفيما يلي تحديد للحيز الكتابي لكل مرحلة من مراحل السيرة، وفقًا لما خطط له الكاتب في المتن الحكائي، كالتالي: (نسبه والأحداث التي سبقت مولده: من ص١٧–٩٨)/ (مولده ونشأته وبعثته في مكة: ص٩٩–٢٧١)/ (هجرته وغزواته: ص٣١٤–٧٢٧)/ (مرضه ووفاته: ٧٠٦–٧٢٧)

---

[1] انفتاح النص الروائي: النص والسياق، سعيد يقطين، ط٢(الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠١) ٤٧.

[2] تحليل الخطاب الروائي (الزمن – السرد- التبئير)، سعيد يقطين، ٧٠.

[1] هذا الحبيب يا محب، أبو بكر الجزائري (بيروت، المكتبة العصرية، ٢٠١٢) ١٠٤.

وعطفًا على ما سبق يتضح أن توزيع البنى الزمنية في السيرة، يخضع لنظام معين؛ لتسليط الضوء على السنوات الأخيرة من حياة النبي -ﷺ- وليبرز الكفاح العظيم، والقيادة الحكيمة، التي هيأت للكيان الإسلامي، هذا التفوق، والقدرة على ترسيخ دعائم المجتمع المسلم.

٣- زمن القراءة أو زمن القارئ: أي فترة قراءة العمل الأدبي، وفي السيرة النبوية يتشكل من خلال إعادة ترتيب التسلسل الزمني لوقائع الحكاية، فينشأ عن هذا الترتيب خطاب منفتح على أبعاد زمنية شديدة الاتساع، تعود إلى بدء الخلق، وتعمد إلى انتقاء كل الأحداث، التي تتصل بسلسة نسب النبي من جده إسماعيل عليه السلام، واصطفاء الله له بهذا النسب الشريف، ومن ثم الانتقال للأحداث التي سبقت ولادته، ثم ما كان من أمر إرضاعه، ونشأته يتيمًا في كنف عمه أبي طالب، إلى زواجه من خديجة إلى بعثه، وما لاقاه من أذى في سبيل نشر الدعوة، ثم هجرته إلى المدينة، وجهاده في سبيل الله إلى أن مَنَّ الله عليه بفتح مكة، ودخول الناس في دين الله أفواجًا، ثم وفاته، ومع أن الأصل في بناء سيرة ابن إسحاق يفترض السير وفق هذا الترتيب، إلا أن الوقائع التي حدثت في زمن واحد، ترتب بشكل تتابعي؛ لأن طبيعة الكتابة تفترض ذلك، مادام السارد لا يستطيع أن يروي عددا من الوقائع في آن واحد.

نجد تأكيدًا لهذا في الفصل المتضمن "من عُذب في الله بمكة من المؤمنين"[1]، إذ استهل الفصل باسم الله والتوكل عليه ثم جاء ترتيب أحداثه كالآتي:

١) قصة استماع ثلاثة من زعماء قريش إلى قراءة النبي ﷺ، وما يتبعها من ترسيخ عقدة النقص، ومشاعر الحسد لدى أبي جهل. **٢)** تعذيب بلال، وعتق أبي بكر له، **٣)** تعذيب آل

---

[1] السيرة النبوية، ابن إسحاق، ط٢(تحقيق: أحمد المزيدي، بيروت، دارد الكتب العلمية، ٢٠٠٩) ١/ ٢٢٦-٢٤٧.

ياسر. **٤)** خالد بن الوليد يهجو اللات والعزى. **٥)** ثبات بلال. **٦)** ما لاقاه مصعب بن عمير من بلاء. **٧)**نماذج أخرى مما لاقاه المسلمون من البلاء. **٨)** فزع أبي جهل وهيبته من النبي ﷺ. **٩)**مفاوضة زعماء قريش الرسول ﷺ. **١٠)** النضر بن الحارث ينصح قريشًا، وأذاه للنبي. **١١)** قريش تسأل أحبار اليهود عن النبي ﷺ.

وإذا تأملنا المشاهد السابقة نجد أن مرونة قوانين الزمن التي اتخذتها السيرة، مكنت من تحقيق رؤية ذات تأثير وقدرة إقناعية بكفاح النبي وانتصاره على أعداء الدين والمكذبين، فهو في المشهد الأول، أوجد مسوغات قويه لهذا العداء من قريش وسببه الحسد والتكبر، ثم أتبع ذلك بمشاهد، تشير إلى تضييق الخناق على النبي ﷺ ومن معه من المؤمنين، وفي هذا إشارة إلى عجز قريش عن مواجهة الدعوة، فمع كل ما تقوم به قريش من تنكيل (المشاهد: 7/6/5/3/2) إلا أن عدد المسلمين يزداد، والإسلام ينتشر، بفضل الله ثم بثبات المسلمين، وبهذا اضطر زعماء قريش للتفاوض (مشهد : 9)، وقد رفض النبي صلى الله عليه وسلم، كل ما قدم له من عروض مغرية، ثم يأتي عداء النضر ومحاولة التشويش على الدعوة بسرد القصص ومحاولة صرف الناس عن الاستماع للقرآن (المشهد: 10)، ثم أخيرا اللجوء إلى أحبار اليهود؛ لإفحام النبي من خلال السؤال عن أمور غيبية مذكورة في التوراة.

وما دمنا بصدد فحص المكون الزمني في ضوء علاقته بالترتيب الطبيعي لزمن الأحداث السابقة، نجد أن بعض المشاهد المعروضة قد وقعت بعد الهجرة مثل مشهد (حوار علي بن أبي طالب مع اليهودي، و فراش النبي –ﷺ وتقشفه، وخالد بن الوليد يهجو اللات والعزى).

فهذه الأحداث لو أعدنا ترتيبها سنجد بينها فواصل زمنية، وهناك أحداث كثيرة وقعت في السيرة النبوية تعمد السارد تركها؛ لأنه اعتمد على رؤية معينة في ترتيب الأحداث المختارة، بما يقنع بكفاح الدعوة الإسلامية، ورسوخها حتى في أصعب اللحظات.

لنقف منذ بداية المعاناة على ألوان التعذيب النفسي والجسدي، ونقف على المقومات النفسية، التي مكنت المسلمين من الانتصار والثبات وشعورهم بالعزة والغلبة، حتى في أشد لحظات الضعف كما حصل مع بلال وعمار رضي الله عنهما.

وعلى هذا الأساس أخذت هذه الدراسة على عاتقها تحليل الزمن بوصفه مكونًا سرديًا، وعن طريقه بحثت العلاقة الرابطة بين الأحداث والشخصيات من خلال تصور متتابع لمفهوم الزمن في مسيرة حياة النبي محمد -ﷺ- في جميع المراحل، وربطها بصورة الإنسان الكامل والنموذج الأمثل للمسلم، الذي يمتثل القرآن الكريم قولًا وعملًا؛ ذلك لأن الزمن الإنساني الذي تنهض عليه السيرة يقوم على التحول الجذري الذي لحق بالحياة الإنسانية، وهو التغير الذي تبدلت فيه مشاعر الإنسان وقيمه الفكرية، وجنحت إلى السمو والتحضر.

ولا بد من التأكيد على الذائقة الانتقائية للسارد، ومدى قدرتها على تنظيم الأحداث المنتقاة وفق عناصر السببية، فما ذكر من أحداث لا يمثل حياة النبي كاملها، إنما انتقى منها ما ترتكز عليه السيرة من كفاح النبي -ﷺ- في الدعوة إلى الله والجهاد في سبيل نشر الدين الإسلامي.

وبناء على ذلك يظهر لنا تصرف السارد في الأحداث، بما يجعل زمن السرد غير مطابق تمامًا لزمن القص، ومع ذلك فالأحداث المسرودة، لا تسير بشكل خطي مسترسل من البداية إلى النهاية، وهذا يعني أن زمن السرد لا يسرد كل الأحداث كما

هي في الواقع، وإنما يعمل على تجزئتها إلى عدد من اللحظات، ومن ثم تكثيفها وتجميعها بواسطة روابط منطقية، تجمع العنصر الزمني والعنصر السببي، على أن المنطق السردي هو الذي يؤطر للعنصر الزمني، فالزمنية هنا ليست سوى مكون بنيوي في الخطاب، مثلما هو الشأن في اللغة؛ لأن الكلمات تتضاءل إلى أقصى مدى لتبرز الروابط بين الفكر واللغة.

وبناء على ما سبق ينطلق منهج الدراسة في اتجاهين؛ الأول شكلاني، معتمدًا على منهج جيرار جينيت القائم على دراسة العلاقة، التي تربط بين زمن الحكاية وزمن السرد وزمن القراءة، والآخر يسير نحو تحليل المستوى الدلالي، من خلال بحث علاقة الزمن السردي بالشخصية (الطفولة، الشباب، الشيخوخة)، وعلاقته بالمكان والزمن والتاريخ، ومدى قدرته على تجسيد الرؤية الفكرية تجاه الحياة والكون والإنسان، من خلال رؤيته للزمن باعتباره عاملا له تأثير قوي في حياة البشر، ولهذا فإن فهم العامل الزمني يعمق الرؤية الفكرية تجاه الحياة والكون والإنسان.

ومن المهم الإشارة إلى أن الدراسة لم تلتزم حرفيًّا بالمنهج الشكلي، وذلك باعتبار أن السيرة النبوية لها ضوابط خاصة في النقل والتأليف، ومنهجية متعارف عليها في حدود التحليل والتأويل، ولئن كان الزمن في السيرة متداخلًا مع السرد، إلا أنه يمكن من تحديد الأنساق العلامية، التي يؤثر فيها الزمن، بظهور التحولات الكبرى والمكاسب الاجتماعية، التي حققها الكيان الإسلامي في المدينة المنورة.

خلافًا لما هو معروف عن السرد التاريخي القائم على خطية الزمن ضمن أحداث متسلسلة ومتواترة زمنيًا، فإن كل حدث في السيرة النبوية، يعد علة لحدث تال له، وهو ما يسمح بالقول عن تقنية الزمن الدائري في كتابة السيرة الغيرية، الذي يبدأ بحدث الولادة، وينتهي بالموت، فحياة النبي ﷺ، مثل غيره من

البشر في مراحلها الطبيعية، وإن كانت مخصوصة من جهة تلقيه الوحي، وتفرده بالرسالة.

ثالثًا: التحليل السردي للزمن في السيرة النبوية

تتشكل في هذا المبحث مهام تتعلق بالمنحى التطبيقي للبحث، ومن خلاله يتحقق الهدف الرئيس للدراسة من جهة البحث في أهمية الزمن ودوره في تشكيل البنية السردية للسيرة النبوية، وأهم ما يكشف من تحديد السمة الغالبة على طبيعة الزمن في السيرة، والمرتهن إلى طبيعة منهج التأليف هل هو علمي تاريخي، أم جمالي فني؟، وعلى هذا لأساس تتشابك عوامل عدة، لتحدد جماليات وخصائص البنية الزمنية في هذه السيرة، لتعطي بمجملها خصائص العمل برمته، ومن ثم تتحكم في تلقيه.

فعلى مستوى المؤلِف تكشف البنية الزمنية ذكاء القاص، ومنطقه في سرد الحكاية الخام، التي وصلت إليه في شكل تجريدي غير فني؛ ليعيد صياغتها في سرده الخاص، فيُضفي عليها رونقًا جماليًّا، حين يكسر التتابع الطبيعي للأحداث، وإذا كان الحدث يلامس سيرة –النبي ﷺ– فإن أفق التوقع لدى المتلقي يفترض الدقة في تحري الخبر؛ لذلك من المهم الإشارة إلى أن التقنيات الفنية التي يختارها السارد، لا تتعارض مع أمانة النقل في عرض الأحداث؛ فهو يعيد تشكيلها بطريقة ممتعة ومثيرة؛ ليحقق استجابة جمالية لدى المتلقي؛ لأن السرد التاريخي، قد يؤدي إلى رتابة وجمود سببه الواقعية المفرطة؛ ولأن التذوق الجمالي لا يتمّ إلا بإطلاق ملكة التخييل والإدهاش، لا سيما فيما جنح إليه في مواطن السرد الغرائبي كما ورد في حديثه عن الراهب فيميون لما قام يصلي، "فأقبل نحوه التنين –الحية ذات الرؤوس السبعة– فلما رآها فيميون دعا عليها فماتت"[1]، والمعروف أن التنين كائن أسطوري، يكثر ذكره في الأساطير

---

[1] السيرة النبوية، ابن إسحاق، ٣٤/١.

والحكايات الشعبية، وهذا لا يتعارض مع أمانة النقل؛ لأن المروي من الإسرائيليات، التي درج ذكرها في كتب التفسير والمرويات.

ذكر القرطاجني[1]، أنه مما يُحسّن موقع التخييل في النفس، أن يترامى القاص بكلامه إلى أنحاء من التعجب، فيقوى بذلك باعث سرده، ويزداد أثره في النفس بما يثيره من غرائب، فورودها على حد قوله: "مستندر مستطرف"، وهو يقع في القصص الحسن الاطراد، كما يقع في التشبيهات والأمثال والحكم، ولهذا نلمس اقتراب السيرة النبوية في مؤلف ابن إسحاق من السرد القصصي، من جهة قدرتها على خلخلة الترتيب المنطقي لجريان وتدفق الأحداث، بمعنى أنه تجاوز الزمن التاريخي بابتكار أساليب متعددة نورد أبرزها على النحو التالي:

١- **الاتساع:** تفتتح السيرة بأزمنة غير محددة، ذات أبعاد كونية غير متناهية، طلبًا للمفاجأة والتشويق، وللابتعاد عن الطابع العلمي والسرد التاريخي الرتيب، وهذا ما أحدثه الترتيب الانتقائي لأحدث القص، فما يحمله حدث بناء الكعبة(مثلًا)، يؤرخ سيرة الأولين والآخرين فوجودها قبل آدم عليه السلام، وفي ذلك يقول السارد:" كان موضع البيت في زمن آدام شبرًا أو أكثر، فكانت الملائكة تحج إليه قبل آدم، ثم حج آدم "[1]، وعندما هبط آدم في الهند، أمره الله: أن انطلق فابن لي بيتًا فتطوف به كما رأيت الملائكة يطوفون، فانطلق حتى أتى مكة فبنى البيت، ثم إن زيارة البيت استمرت مع كل الأنبياء على مسيرة أبيهم آدم، فيما رواه عروة بن الزبير عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أنه قال: "ما من نبي إلا وقد حج البيت"[2]كان هذا إلى زمان نوح عليه السلام ، فلما وقع الطوفان كان البيت

---

[1] منهج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٧) ٩١.
[1] السيرة النبوية، ابن إسحاق،١٤١/١
[2] انفسه.

قد أصابه من الغرق ما أصاب الأرض، فبعث الله هودًا فتشاغل بأمر قومه ولم يحج البيت، ثم كان شأن صالح مع قومه كشأن هود، فشكت الكعبة إلى ربها عز وجل، وبكت إليه فقالت: "أي رب، قلّ زواري وجفاني الناس، فقال الله عز وجل، إني محدث لك إنجيلًا، وجاعل لك زوارًا يحنون إليك حنين الحمامة إلى بيضتها"[1]، ثم ما كان من شأن إبراهيم عليه السلام وبناء الكعبة، والطواف بالبيت، ثم ما كان من نبي بعده إلا وقد حج البيت.

هذا الزمن الممتد الذي لا تكاد تقف له على بداية، يؤرخ عمر الكعبة بزمان أقدم من عمر الأرض، يُفهم ذلك من قول ابن إسحاق: "خلق الله البيت، قبل الأرض بألفي عام، ثم دحيت الأرض منه"، ومن هنا يمكن القول إن زمن السرد يسير في متوالية ممتدة لها بداية غير محددة زمنيًا؛ لأنها تقدر بمليارات السنوات قبل أن يخلق الله عز وجل الأرض ومن عليها، وأيضًا لها نهاية ممتدة، لتظل الكعبة مركز العالم، ومهوى الأفئدة إلى ما يشاء الله، وفي ضوء هذه القراءة للزمن يمكن أن نستنتج ما يأتي:

أ- الترتيب ليس جوهر المتتالية الزمنية في سيرة ابن إسحاق، لكن قد يحدث التكرار لبعض الأحداث عبر تكسير الزمن وتقنية الاسترجاع.

ب- أي متتالية زمنية تكون مرتبطة بما قبلها وما بعدها، فالزمن في حالة تدفق منتظم.

ج- في حال ورود التكرار في المتتالية، فإن يكون له دلالة مرتبطة بالسياق الجديد، وسوف يتم إيضاح ذلك فيما بعد.

د- المتتاليات المتدفقة تشكل منظومة زمنية، تضم رزمًا متكررة في نهاية كل فصل، مثلًا: قوائم أسماء للشهداء في كل غزوة من الغزوات، أو ما قيل من شعر في حدث ما مثل فتح مكة،

---

[1] نفسه.

وهكذا تكون خاتمة كل فصل إما على هيئة بنية شعرية هي شاهد على العصر، أو قوائم أسماء ضحايا الصراع في موقف ما وأبرز تداعياته من قتل وتهجير وتعذيب ونحو ذلك.

٢– التقسيم: التقنية الزمنية القائمة على التقسيم تبرز الجدية في التناول للسيرة النبوية الشريفة، وهذا ظاهر في العناية بالسند، وبها يكون قد اجتمع للسيرة أسلوبا القصاص والمحدثين، كما أن اعتماد التقسيم الزمني له دوره في تشكيل الدلالة الكلية والجزئية في النص، فليس التقسيم والرصد هدفًا في حد ذاته، بل وسيلتين للكشف عن الدلالة الكبرى، فالزمن يشكل مدخلًا مهمًا من مداخل التحليل السردي؛ لأن السرد يمثل سلسلة من الأحداث المترابطة زمنيًا بطريقة ذات مغزى[1]، وهو في السيرة لا يدرك إلا عن طريق تدفق الأحداث وتعاقبها، فالترتيب ناتج عن التحولات الزمنية وعلاقة الأسباب بالنتائج، ومن شأنه أن يحدد بنية السيرة، التي تتضمن ثلاثة أجزاء (المبتدأ، و المبعث، و المغازي)، ويمكن تفصيل أجزائها فيما يأتي:

الجزء الأول: المبتدأ يتناول أحداث بدء الخليقة، وشيئًا من أخبار الجاهلية إلى ظهور الإسلام، وهو مقسوم إلى أربعة أقسام؛ الأول: بدء الخلق إلى المسيح –عليه السلام– استند فيه إلى أخبار اليهود والنصارى، وأما في أخبار عاد وثمود؛ فقد استند إلى القرآن الكريم، أما القسم الثاني؛ فقد شمل تاريخ اليمن، وقصة أصحاب الأخدود وأصحاب الفيل معتمدًا على ما ورد في القرآن الكريم، القسم الثالث: للقبائل العربية وعبادة الأصنام، القسم الرابع: تحدث عن أجداد النبي والديانات الجاهلية.

الجزء الثاني: المبعث، تناول حياة النبي –ﷺ في مكة، وهجرته إلى المدينة، وأخبار السنة الأولى من الهجرة، كما سرد فيها أسماء

---

[1] السرد في مقامات الهمذاني، أيمن بكر (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨) ٥٢.

أول من أسلم، وأول من بايع رسول الله في بيعتي العقبة؛ الأولى والثانية.

الجزء الثالث: المغازي، تناول غزوات النبي -ﷺ- إلى وفاته، والتقنية الزمنية هنا اتسمت بالجدية، بظهور العناية الواضحة بالرواية والإسناد، مع وجود أثر للقصص الشعبي، فهو يجمع بين أسلوب المحدثين القائم على تحري الدقة في الإخبار، وأسلوب القصاص القائم على السرد والتشويق.

٣- التقديم والتأخير: ويوفران معرفة بالمنظور الإيديولوجي للكاتب، فهو اعتراف بأهمية ما تقدم من أحداث وفاعلية ما تأخر، بوصفه تعبيرًا عن بنية زمنية متماسكة تتطلب إعادة ترتيب ما حدث زمنيًّا، ويتعين دور الراوي في تنظيم هذا التتابع الزمني، وهو حين يعمد إلى تقديم ما حقه التأخير، أو تأخير ما حقه التقديم بوصفه تقنية فاعلة، فإن هذه التقنية تثير عند القارئ الرغبة في ترتيب الزمن خارج بعده النصي، مما يُصطلح على تسميته بـ"الزمن الخطي الثاني"[1]، والترتيب الزمني أحد أهم مكونات الزمن الزائف، التي أشار إليها سعيد يقطين؛ ليحدد طبيعة العلاقة بين المتن الحكائي والمبنى الحكائي[2].

وأول محاولة لتكسير الزمن، تظهر في سياق زمن نشأة النبي وتربيته في مكة، إذ يسرد قصصًا تترقب ظهور نبوءته عند اليهود والنصارى، فيقدم ويؤخر من الأخبار، ما يجد أنه يرسخ هذا الحدث، إذ يتم الرصد من قبل ولادة النبي -ﷺ- فمع كل نبي يبعث تأتي صفاته، وآخرها بعثة النبي عيسى -عليه السلام، التي جاءت مبشرة بنبي اسمه أحمد، ومنها ما جاء في التوراة من بشارة يرددها يهود المدينة، ويستشرفون بها على المشركين بقولهم: "إن نبيًّا مبعوثًا الآن قد أظل زمانه نتبعه، فنقتلكم"[3]، وقد أُعيد

---

[1] عالم النص: دراسة بنيوية في الأساليب السردية (التكرلي نموذجا)، سليمان كاصد (الأردن، دار الكندي، ٢٠٠٣) ١٨٠.

[2] تحليل الخطاب الروائي (الزمن – السرد – التبئر)، سعيد يقطين، ٧٠

[3] السيرة النبوية، ابن إسحاق، ١٣١/١.

صياغة هذا الخبر، في مشهد آخر وهو ما حكاه سلمة بن وقش من خبر يهودي في المدينة، سمعه يحدث عن نبي مرتقب، ثم يرتد الخبر إلى الحاضر، فيقول: "فآمنا به، وصدقناه، وكفر به بغيًا وحسدًا، فقلنا له، يا فلان ألست الذي قلت ما قلت وأخبرتنا ما أخبرتنا؟ قال: ليس به" وهذا على اعتبار ما سيحدث بعد بيعة العقبة ودخول الأنصار في الإسلام، وجحد اليهود لصدق النبوة، وإنما أورد الحدث برمته، قبل سرد أحداث المولد النبوي، ليؤطر لهذا الحدث المهم، ومن هنا يتعين على القارئ إعادة ترتيب الزمن في سياقة الطبيعي خارج النص.

ومن الأمثلة الدالة على تكسير الزمن، ما نجده في سياق سرد قصة بحيرا الراهب، وسفر النبي -ﷺ- إلى بلاد الشام، حيث يعمد إلى تكسير الزمن بعد هذا الحدث؛ ليسرد قصة الصحابي سلمان الفارسي متسلسلة الأحداث ومفصلة منذ دخوله في النصرانية، وهروبه من بلاد فارس إلى بلاد الشام، ثم العراق، ثم بأسقف عمورية، ثم وقوعه في شرك العبودية بعد بيعه إلى يهودي في وادي قرى، وأخيرًا استقراره في المدينة، وسماعه بهجرة النبي إليها، وإسلامه، بعد تثبته من خاتم النبوة ومطابقة ما جاء في الإنجيل من وصف للنبي -ﷺ، وهذا الحدث ما هو إلا مثال لحدث واحد تم تقديمه في السرد؛ ليحقق مكاسب تحدد زاوية النظر، التي يعتمدها سرد السيرة النبوية في استقطاب كل ما يتعلق بإرهاصات النبوة، وحوادث ترقبها لدى اليهود والنصارى والعرّافين ونحوهم.

ومن هنا ندرك أن انتظام الأحداث، التي تتصدر السرد في السيرة النبوية، ليست كمًا في الواقع فمن المستحيل تزامن حدثين كما يحدث في الواقع، لذلك يلجأ السارد إلى ترتيب الأحداث وفق مخطط زمني، يراه مناسبًا للمنظور، الذي تقف خلفه عدسة السارد، فيسرد أحداث إسلام سلمان الفارسي كاملة، ومشوار

بحثه عن النبي المنتظر، وإن كانت في الواقع تسير جنبًا إلى جنب مع أحداث بعث النبي ودعوته السرية والجهرية وتعذيب المستضعفين في مكة وإيذاء قريش لهم، وفرار بعض الصحابة إلى الحبشة، وأخيرًا هجرة النبي –ﷺ– إلى المدينة ولقائه سلمان ﵁.

إلا أن الزمن هنا يسير متطابقًا زمنيًا بما يتوافق مع أحداث نشأة النبي، بل يمتد السرد إلى زمان الهجرة، فينهي كل ما يتعلق بحدث خروج سلمان –﵁– من بلاد فارس، ودخوله في الإسلام، وهذا النمط السردي، يتفق مع الطريقة الشفهية في السرد، التي تميل إلى الاستطراد، وتناسل القصص داخل الحكاية الرئيسة، وهذا يقودنا إلى ضبط العلاقة بين النظام التتابعي للوقائع في المتن الحكائي، والنظام الزمني المحرّف[1]، الذي يحقق أهدافًا جمالية، وبالتالي ضبط ما ينتج عن ذلك من التشوهات الزمنية، التي تنتج عن طريقة فهم الكاتب ونظرته لحدوث الوقائع، كما تنتج التحريفات أيضًا عن اندماج زمن الحكاية.

٤– التوازن: أي توازي عرض زمن الأحداث عبر تقنيات السرد مع زمن وقوعها، في تسلسل معتمد على الهيكل الأساس للسيرة النبوية من المولد، إلى النشأة، إلى البعثة، ثم الهجرة والجهاد وفتح مكة وانتشار الإسلام في الجزيرة العربية، وتأتي النهاية بديهية كما يحدث في أي نهاية سيرة، بوفاة النبي –صلى الله عليه وسلم، ومن المهم الإشارة إلى أن ما تم سرده يمثل جزءا من أحداث حياة النبي، لكن لا يمثلها كلها، فعملية الاختيار هنا واقعة، وهي أساس هذا التوازن، الذي يسلط الضوء على أحداث معينة في السيرة النبوية، ويجعلها تقفز في مخيلة المتلقي دون غيرها من الأحداث الكثيرة، التي قد يعرفها ، لكنه يعمل على تحييدها؛ ليقف القارئ أمام بانوراما متكاملة تستدعي

---

[1] بنية الشكل الروائي (الفضاء- الزمن – الشخصية)، حسن بحراوي، ١١٥.

سلسلة من الأحداث المتراكمة، تظهر وفق ترتيب معين، يُستدعى عبر المخيلة.

فالمؤلف وهو ينظم أحداث السيرة، قد عمد إلى تقديم بعض المشاهد متخطيًا أزمنة أخرى، ومن أمثلة ذلك ما لاحظناه في سرد قصة إسلام سلمان الفارسي، ففي الوقت الذي أتيح فيه التوسّع في السرد من خلال استدعاء أحداث الترقب والانتظار للبعثة، أتاح هذا الحدث الانطلاق من وسط المتن؛ ليسرد تفاصيل أخرى، تتعلق بنشأته على المجوسية، ثم اعتناقه للنصرانية، وأحداث أخرى ممتدة في تسلسل زمني مقتطع؛ وذلك لأن المؤلف انطلق من وسط الأحداث المحكية، ثم تشعبت به مسارات الحكي واتجاهاته الزمنية، فلجأ إلى "التضمين" وهو الحكي داخل الحكي.

وقد يحدث عكس ما سبق حينما يكون زمن القص مرتدًا إلى الوراء؛ ليسوق أحداثًا قد مضت وانتهت، وهناك أشكال كثيرة من الاسترجاعات والاستباقات، التي تأتي على شكل وقفات زمنية لأحداث سابقة للنقطة التي يستظهرها السرد، وهي طريقة تقتضي الانفلات اللامحدود للزمن، فمثلًا بعد أن بدأت السيرة بنسب النبي -ﷺ- تدفق السرد هابطًا نحو الماضي اللامتناهي؛ ليرسخ أفضلية النبي ﷺ، واصطفاء الله له من بين الرسل ليكون سيدهم وخاتمهم، وفي حدود هذا الاسترجاع، يتوفر للحدث الرئيس (ميلاد النبي) اقتصادًا معرفيًا يتطلب تلخيص بواعث الاصطفاء في عدة أمور:

أ- النسب: هناك علاقة بين الاصطفاء وسلسلة النسب الممتدة إلى شيث بن آدم عليه السلام، وهي سلسلة نسب متصلة بالأنبياء، وهذا هو الانفلات الأول من قيد الزمن الخطي، وهو أول مؤشر للبناء القصصي بعيدًا عن الالتزام العلمي في السرد التاريخي؛ لأن نسب النبي الصحيح ينتهي عند عدنان

ب- التبشير به ومعرفة كل نبي لصفاته.

ج- ترقب أهل الكتاب قدومه حسب ما كُتب لديهم من أوصاف في كتبهم.

٥- التكرار: يعتمد على ذاكرة السارد ولا يأتي اعتباطًا، وإنما هو ظاهرة حيوية طبيعية في الأساس؛ لأنها موجودة في الحياة، وبصور متعددة منها الاستدعاء من الذاكرة، أو الإشادة بالحدث لأهميته وكثرة تداوله على الألسنة، بحيث يغدو معلومًا ومسموعًا لعامة الناس وخاصتهم، وبما أن السرد مقاربة للواقع، فإنه يحتوي على ما يظهر في الواقع من استدعاء لأحداث الماضي من الذكرة، عند ظهور مناسبة تقتضي ذلك.

تجدر الإشارة إلى أن التكرار في السيرة ليس فيه حد ينتهي إليه، أو نظام يضبط إيقاعه، ومتى يكون الرجوع إلى الوراء، أو تقديم الحدث ومعاودة الإشارة إليه في موضعه، والتكرار في سيرة ابن إسحاق بصفة عامة يأتي على وجهتين:

الأول: تكرار جزئي، بإعادة سرد الحدث أكثر من مرة، وهذا من شأنه إحداث تكسير للزمن، عندما يأتي الحدث في سياق، ثم يعاد ذكره أو سرده في سياق آخر، مثل ما حدث في قصة مقتل أُبي بن خلف في غزوة أحد؛ فبعد هزيمة المسلمين في غزوة أحد، تحصن المسلمون مع رسول الله -ﷺ- في شِعب، فأدركه أُبي وهو يقول: "أين مُحَمَّد لا نجوتُ إن نجوتَ"، فلما دنا تناول رسول الله -ﷺ- حربة، ثم استقبله بها فطعنه بها طعنة تردى بها عن فرسه مرارًا، فأوقعت به خدشًا في عنقه، فاحتقن الدم، فقال قتلني والله مُحَمَّد، إنه كان قد قالي لي وهو بمكة أنا قاتلك، فمات بسرف وهم عائدون إلى مكة، وفي هذا السرد عودة إلى الوراء، فقد روى ابن إسحاق أصل الحكاية وما دار بينهما في سياق حديثه عن أذى قريش وعدائهم للنبي والصحابة، ومن ذلك أن أبي بن خلف كان يلقى رسول الله -

ﷺ- بمكة، فيقول: يا مُحَمَّد: إن عندي العوز أعلفه كل يوم فرقًا من ذرة؟ أقتلك عليه، فيقول: "بل أنا أقتلك إن شاء الله"[1].

الثاني: تكرار كلي، ويقصد به تكرار سرد الحدث بروايات مختلفة، مما يعكس الأهمية التي يوليها السارد لمضمون الحدث، باعتبار هذا التكرار مفتاحًا لفهم المضمون العام، الذي يركز عليه الخطاب، والأمثلة على ذلك كثيرة يصعب حصرها، ويمكن أن نمثل لها، بقصص الأحبار عن بعثة النبي، ومنها قوله:

- "كانت الأحبار والرهبان هم أعلم برسول الله -ﷺ- قبل مبعثه وزمانه الذي يترقب فيه من العرب، لما يجدون في كتبهم في صفاته"[2].

- حدث عن عاصم بن عمر بن قتادة أن اليهود كانوا إذا بلغهم منهم ما يكرهون يستفتحون عليهم بالقول، فيقولون: " إن نبيًا مبعوثًا أظل زمانه نتبعه، فنقتلكم معه قتل عاد وإرم"[1].

- حدث أن سعد بن زرارة وهو ابن سبع سنين سمع يهوديًا يصرخ: "يا معشر يهود، فلما اجتمعوا إليه، قال: طلع نجم أحمد، الذي يبعث به الليلة"[2].

- حدث يهودي خرج على نادي بني عبد الأشهل ذات غداة، فذكر البعث والقيامة، فسألوه ما علامة ذلك، فقال: "نبي يبعث من ناحية هذه البلاد، وأشار بيده نحو مكة واليمن"[3].

- سلمان الفارسي يلحق براهب عمورية فيخبره "أظلك زمان نبي يبعث من الحرم، مهاجره بين حرتين إلى أرض سبخة ذات نخل، وإن فيه علامات لا تخفى"[4].

---

[1] السيرة النبوية، ابن إسحاق، ٢/٣٤٠.
[2] السيرة النبوية، ابن إسحاق، ٢/١٣٠
[1] ينظر نفسه، ١٣١.
[2] نفسه، ١٣٢.
[3] نفسه، ١٣١.
[4] نفسه، ١٣٣.

وكل ما ورد في شأن هذا الخبر هو متقارب في معناه، وهو من قبيل التمطيط في الزمن؛ لإشباع السرد، فالأحداث المسرودة لم تقع في زمن واحد، وإن كانت متقاربة في فترة قريبة من بعثة النبي -ﷺ- وهذا التكرار يقوي الحدث، ويؤكد واقعيته، فتكرار الرواية، فيها دلالة على شُهرة الحدث؛ لذا فإن حدوثه مؤكد، وهنا السرد يحقق أقصى درجات الواقعية.

وبصفة عامة تأتي وظائف التكرار، لتحقيق التوازن الهندسي على مستوى البنية، والعاطفي على مستوى الخطاب؛ فالتكرار يستدعي التأكيد، والتذكر، والوعظ، وتثبيت الحجة، والترغيب، والترهيب، وهذا مما يخدم وظائف الخطاب، وأما على مستوى البناء؛ فالتكرار من ظواهر التماسك النصي، وبهذا يكون أداة جمالية لضمان تدفق النص ومساعدًا على فهم تداعيات المشهد.

٦- **القلب والإبدال:** المقصود الترتيب العكسي للأحداث، ويسميه بـ "الطباق الزمني"[1]، الذي يُجلّي من خلاله العودة إلى الوراء"، هذا النمط من السرد يضمن حبكة فنية، ويكون بإيراد الحدث واقتطاع زمنه في غير ترتيبه الطبيعي، عن طريق وضع قفزات محددة للزمن، تتطلب إعادة اقتناص الفرص، التي تقدم الحدث كاملا قبل موعده، أو بعده بمراحل، وهي تقنية تخضع لذائقة السارد، وقدرته على ترتيب السرد، بوضع متدفق يعيد قراءة العلاقة بين السابق واللاحق، ومن الأمثلة الدالة على ذلك، ما جاء في خبر زواج النبي -ﷺ- من صفيه بنت حُيي -﵂- فمات عنها ولم يصب منها ولدًا، وكانت متزوجة قبله من كنانة بن أبي الحقيق، وبعد اقتحام حصنهم وقعت أسيرة، فأعتقها رسول الله، ثم تزوجها، يلي هذا السرد ذكر الرؤيا التي رأتها، وأن قمرًا وقع في حجرها، وأنها قد ذكرت ذلك لأبيها،

---

[1] تحليل الخطاب الروائي (الزمن – السرد – التبئير)، سعيد يقطين، ٦٩.

فضرب وجهها ضربة أثرت فيه، فلم يزل الأثر في وجهها حتى أتاها رسول الله– ﷺ– فسألها وقصت له الخبر[1].

ولو أعدنا ترتيب الحدث السابق كما هو في الواقع نجد أن حدث الرؤيا، وقع أولًا، يليه حدث اقتحام الحصن، ثم وقوعها في الأسر، فعتقها، وأخيرًا زواجها من النبي –ﷺ، وهكذا الحال في سرد أخبار زواج النبي –ﷺ– من بقية نسائه، إذ يأتي ترتيب الحدث عكسيا، فيذكر وقوع الزواج، ثم يتبعه سرد عكسي، يعيد الزمن إلى الوراء، فيسرد ما كان من أحداث وقعت قبله، مثل هجرة أم سلمة مع زوجها إلى الحبشة ثم عودتهما، ثم وفاته، فيكون خبر زواجها من النبي هو أول ما يبدأ به، ثم يسرد ما قبله من الأحداث سردا استرجاعيا.

وهذا معناه أن السارد يقدم زمن السرد والأحداث المروية من نهايتها، في زمن رجوع بشكل متدرج هابط إلى أن يصل إلى البداية، وهو ما يسمى بالنسق الزمني الهابط، والقارئ في سيرة ابن إسحاق يجدها تتضمن قفزات زمنية، وهو ما يمكن أن يُصطلح عليه بـ (القلب الزمني) أو "التحريف الزمني" للأحداث، التي أشار إليها جيرار جينيت، ونقله عنه سعيد يقطين[1]، معتمدًا على آراء تودوروف في دراسته لمقولات السرد، وهو أحد أعلام الشكلانيين الروس الذين اعتبروا التحريف الزمني سمة بارزة في الخطاب، وميزة رئيسة في تشكيل خصوصية القص.

وقد أظهر التحليل أن نظام تتابع العناصر أو الأحداث، يقوم على نظام جمالي، لا يؤثر على الأحداث من حيث الماهية والجوهر، وإنما من حيث الصياغة والترتيب، ويتم ذلك بتقديم الحدث دون إعطاء كل المعلومات السردية المتعلقة به.

---

[1] السيرة النبوية، ابن إسحاق، ١/٢٨٤-٢٨٥.

[1] تحليل الخطاب الروائي (الزمن – السرد- التبئير)، سعيد يقطين، ٨٠

٧- **التناص (التضمين)**: من القرآن الكريم، والحديث الشريف) ويقتضي انفتاح النص على عالم غيبي؛ أي زمن لا نهائي من السرد؛ لأن القصص التي وردت في القرآن، قوامها الإخبار بالغيب، وهذا من شأنه أن يُحدث توسيعًا للسرد، في إطار أحداث خلق آدم، وأنباء الرسل من بعده، ومن ثم الولوج منها إلى أحداث عام الفيل، الذي ولد فيه النبي -ﷺ (ابن إسحاق، ٢٠٠٩)، ولتوثيق الأحداث التي تزامنت مع المولد، كان الانفتاح الحاصل في النص بإيراد ما قيل من شعر في وصف هذه الحادثة، مثل قول نُفيل[1]:

حمِدْتُ الله إذْ أبْصَرتُ طيرًا وخفتُ حجارة تُلقّى عَليَنا

ومن التناص المقوي للحدث، وما يتبعه من وصف دقيق لما انتهى إليه جيش أبرهة، ما جاء في القرآن الكريم في سورة الفيل، كما نجد تفاصيل مع وقع بالفيل فيما أنشده ابن الأسلت في قوله[1]:

وقَد جَعَلوا سَوْطَهُ مِعْوَلا إذا يمَّمُوه قَفَاه كُلِمْ
فَوَلَّى وأَدْبَرَ أَدْرَاجَهُ وقَدْ بَاءَ بِالظُّلِمِ مَنْ كَانَ ثَمَّ

ومن خلال التداخل مع نصوص الشعر، وآيات القرآن الكريم نقف أمام انفتاح للزمن في عدة مستويات **الأول**: زمن الحكاية وهو زمن الحدث الفعلي في عام الفيل، **الثاني**: زمن ما بعد الحكاية مباشرة، وما قيل من شعر أعاد إنتاج الخبر في سياقه المعاصر، أي في إطار قراءة تأويلية معتمدة على مباشرة الحدث، والتعبير عن رؤية زمنية له، وهي ما ورد من شعر في سياق هذا الحدث، وبأثر من آثاره، **الثالث**: ما جاء به القرآن الكريم من أنباء عن وقائع هذا الحدث، وهذا الزمن بعد البعثة، في سياق مخاطبة قريش والتذكير بفضل الله عليهم، وكيف أن القرآن الكريم

---

[1] السيرة النبوية، ابن إسحاق، ٥٠/١.
[1] نفسه، ٥١.

شكل موردًا أساسًا للسيرة النبوية، وأن ما فيه من أخبار مصدر لإعادة إنتاج القصة، وقد التزام ابن إسحاق بالترتيب الزمني للقصة؛ فذكر أولا وقوع الحدث، ثم إعادة إنتاجه في ظل ما قيل من الشعر، وأخيرًا، أعاد تأكيده في سياق ما ورد في القرآن الكريم من أنباء حملت وصفًا دقيقا للنهاية، التي انتهى إليها جيش أبرهة، ومآل أحداث قصة الفيل ورد في إطار جملة من الإحالات يمكن أن نطلق عليها مفهوم "تواصل الزمان"[1] (إيكو، ٢٠٠١، ٣٣)، وهو الذي يعيد ترتيب الأحداث، ويكررها؛ ليحل التناص مقام تقنيات الوصف، التي وردت نصًا كما جاءت في القرآن الكريم، والأثر الشعري، الذي شكل تداعيًا حرًا لاستقبال هذا الحدث المهم.

من وجهة نظر سيميائية، وعلى ضوء التنظير الذي تفترضه المسارات التداولية، فإننا نقف على سلسلة تأويل تعمل على توسيع الخطاب، بالنظر إلى تعدد مستويات القراءة، وإن سلمنا بفرضية بأن القارئ شريك في الإنتاج والتأليف، فإن هذا الفرض يضعنا في زمن رابع، يستمد كينونته من المعنى الزائد الذي يدخله المتلقي، وعلى هذا الأساس تم تأويل انفتاح الزمن وربطه بالتناص، لما يتضمنه التناص من طاقة تواصلية ملموسة، تضع السرد في أزمنة متعددة بتعدد التداخل النصوصي، الذي يتيحه السرد.

والمتلقي لا ينتظر أن يمنحه السارد صورة طبق الأصل، إنما يتطلب صدق الخبر؛ لأن الزمن من متطلبات البنية السردية، وكلما كان افتراضيًا كان للقصة أبعاد فنية، وعندما تتماهى الأحداث ضمن نسيج سردي يؤسس لخطاب شفاهي أو مكتوب أو تعتمد على الاثنين معًا، فبإمكانه الإخبار عن واقعة أو سلسلة من الوقائع ضمن عدد من الروايات المنتقاة.

---

[1] القارئ في الحكاية، التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية، أمبرتو إيكو (ترجمة أنطوان أبو زيد، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٦) ٣٣.

وإذا أردنا البرهنة على قوة صلة التناص بالزمن، فإن السرد غالب على سيرة ابن إسحاق أكثر من الوصف، ولذلك نجد الأحداث تتسارع؛ لأنها تجردت من قيود الوصف، وإن كانت مرهونة بعوالم النصوص المتداخلة والمتفاعلة مع السرد، إذن فالتناص بقدر ما يتيح الانفتاح والاتساع الزمني، إلا أنه يعمل على تباطؤ الزمن على مستوى زمني القراءة والكتابة.

وبذلك يعمل التناص بجميع أشكاله (الشعر، والحديث، والقرآن) على تعليق مسار زمن القص، وهناك تقنيات أخرى لإيقاف الزمن، لعل أبرزها قوائم الأسماء التي تذكر تباعًا بعد كل حدث، كما يحدث في ذكر من قتل من المشركين في الغزوات ومن استشهد من المسلمين[1]، ولعل هذا ما قاد الباحث إلى دراسة علاقة الزمن ببناء النص.

٨- الديمومة: يطلق عليها حميد لحمداني "الاستغراق الزمني"[2]، وفي تصوره تبدو الدلالة متعلقة بالتفاوت النسبي بين زمن القصة وزمن السرد، وليس ثمة قانون يمكن الاحتكام إليه في تحديد مقدار المدة الزمنية التي يستغرقها الحدث، ومن ثَمَّ مقدار الصفحات التي يستغرقها سرد الحدث في السيرة، كما أنه لا عبرة بزمن القراءة في تحديد الاستغراق الزمني؛ لأنه متفاوت من قارئ لآخر، وفي ضوء هذا الطرح غير المتفق مع آلية محددة لقياس الاستغراق الزمني، يلجأ إلى ملاحظة الإيقاع الزمني[3]، بالنظر إلى اختلاف مقاطع الحكي وتباينها، فهذا الاختلاف يُولد لدى القارئ انطباعًا تقريبيا عن السرعة الزمنية أو التباطؤ الزمني على مستوى القارئ الواحد، في حال مقارنته للفترة الزمنية التي تستغرقها قراءته لكل حدث، ولهذاساير جيرار جنت في دراسة الإيقاع الزمني من خلال رصد التقنيات الأربع،

---

[1] السيرة النبوية، ابن إسحاق، ٢/٣٥٦-٣٥٦.
[2] بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، حميد لحمداني، ط٣(الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٠) ٧٥.
[3] نفسه، ٧٤.

التي يمكن اعتمادها في تحليل الخطاب السردي في سيرة ابن إسحاق.

أ– الخلاصة: وتعتمد على سرد أحداث ووقائع يفترض أنها جرت في سنوات أو أشهر أو ساعات، واختزالها في صفحات أو أسطر أو كلمات قليلة دون التعرض لتفاصيل الحدث، وتظهر الخلاصة بكثرة في سيرة ابن إسحاق مؤدية عددا من الوظائف منها أنها:

– تختصر أحداثًا وقعت في فترة زمنية؛ ليقدم من خلالها معلومة تصب في فكرة محددة، مثال ذلك ما ورد في ذكر نساء تزوجهن النبي لكن لم يدخل بهن، يقول: "كان رسول الله ﷺ تزوج أسماء بنت كعب الجونية، ولم يدخل بها حتى طلقها، وتزوج عمرة بنت يزيد إحدى نساء بني كلاب فطلقها قبل أن يدخل بها[1].

– تمهد لحدث جديد، معتمدة تقنية الاسترجاع، وذلك كما ورد في خبر استعداد قريش لحرب المسلمين في غزوة أحد، روى ابن إسحاق: "لما أصيبت قريش؛ أو من قاتل منهم ببدر وأصحاب القليب من كفار قريش؛ فرجع فلُّهم إلى مكة، مشى عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية في رجال من قريش ممن أصيب آباؤهم وإخوانهم ببدر فكلموا أبا سفيان بن حرب فقالوا: يا معشر قريش إن محمدًا قد وتركم، وقتل رجالكم وخياركم فأعينونا بهذا المال على حربه"[2] .

– لها دور تفسيري، إذ ترد لتؤكد الحدث، وتجعل فكرته تترسخ في الدهن، وتحدث أثرًا كليًا، كما نلاحظ فيما ختم به حدث حصار بني هاشم في الشِعب، فبعد أن أورد الحدث كاملًا، عمل على تلخيصه بقوله: "فأقامت قريش على ذلك من أمرهم في بني هاشم وبني المطلب سنتين أو ثلاثًا، حتى جهد القوم

---

[1] السيرة النبوية، ابن إسحاق، ٢٨٦/١.

[2] نفسه، ٣٣٠.

جهدًا شديدًا لا يصل لهم شيء إلا سرًا"[1]، وبصفة عامة فإن جل ما سُرِدَ في هذا الحدث لا يتجاوز سبع صفحات، وهي مساحة تستغرق وقتًا أقل بكثير مما هي عليه في الواقع، ولكنه حين لجأ إلى توظيف الخلاصة، أسهم في تنشيط خيال القارئ، وترك له مجالًا؛ لتقدير حجم الجهد وصعوبة الوضع، الذي أقاموا عليه ثلاث سنوات؛ فالسارد لم يحدد تفاصيل هذا الحدث، ولا الأحداث الفعلية التي وقعت على مدار ثلاث سنوات، وإنما اكتفى بالإشارة إلى معاناة بني هاشم وأن ما يصلهم من طعام ومؤونة، يأتي سرًا دون تفصيل في كيفية ذلك.

ب– الحذف: ويتمثل في الأحداث التي يُتصور وقوعها، دون أن يتعرض النص لذكرها، وبناء على ذلك فمعناه: السرعة القصوى التي يتخذها السرد، وقد ورد الحذف عند[1] حميد لحمداني بلفظ "القطع"، وهو عنده ينقسم إلى قسمين: ضمني، وصريح، وكلاهما وارد في السيرة، ويظهر الحذف الضمني في مواضع كثيرة يصعب حصرها؛ ليمر على أحداث أراد النص تهميشها، وصولًا إلى الحدث الرئيس، منها –على سبيل المثال– ما ورد في سلسلة نسب ولد إسماعيل عليه السلام وعمره ووفاته، فهو لم يذكر تفاصيل أحداث قدوم إسماعيل عليه السلام وهو طفل رضيع مع أمه إلى مكة، أو تفاصيل حدث تفجر بئر زمزم مثلًا، كذلك لم يذكر تفاصيل أحداث انهيار سد مأرب وإنما ذكرها إلماحة في سياق حديثه عن هجرة عمرو بن عامر في خروجه من اليمن وخروج الأزد معه، ونزول الأوس والخزرج في يثرب مثل هذا الحدث جاء مقتضبًا[2]؛ ليصل إلى ترسيم حدود الحياة القبلية، التي كانت سائدة إبان مولد النبي –ﷺ، وبذلك

---

[1] نفسه، ٢٠٢.

[1] بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، حميد لحمداني، ٧٧.

[2] السيرة النبوية، ابن إسحاق، ٢١/٢.

فهو يعطي لمحة سريعة عن الأوضاع السياسية في ذلك العهد، وهكذا الحال في نسب بقية القبائل مثل ثقيف.

والحذف الضمني يتسدل عليه القارئ من ثغرة في التسلسل الزمني، ومنه ما كان في سرد خبر مُلك حسان بن تبان وقتله على يد أخيه عمرو، فالمسرود في السيرة، لا يفصل كيف حدث الاتفاق بين أخيه وبين قبائل حمير واليمن التي كانت تتبع حسان في حربه للتوسع في بلاد العرب والعجم[1]، وإنما وقع حذف كثير وتُركت بياضات، ليكون لدى القارئ خيالا في إضافة ما يتوقع ويتخيل من أشراف القوم الذين تآمروا مع عمرو لقتل حسان، كذلك تفاصيل حدث القتل زمانا ومكانا لم يتم توضيحها، ولكن يمكن استنتاجها من الحذف الضمني الموجود عموما في إسقاط فترات زمنية، وتهميش ما وقع فيها من الأحداث الرئيسة، ويبدو أن وراء ذلك الحذف قصدية لصنع توافق تركيبي بين المقاطع، بهدف تضمين بعض الدلالات.

أما الحذف الصريح؛ فيستنبطه القارئ من سرد الأحداث ومن نمو الشخصيات؛ لأنه يصدر عن إشارة محددة لزمن محذوف، ويمثلها مجملات مثل: استخدام حرف العطف (ثم) إشارة إلى التراخي، أو استخدام حرف الشرط (لما)، مثال: نذر عبد المطلب جد النبي لئن ولد له عشر نفر، ثم بلغوا معه حيث يمنعونه، لينحرن أحدهم لله عز وجل عند الكعبة، قال ابن إسحاق: "فلما توافى بنوه عشرة...جمعهم ثم أخبرهم بنذره"[1]. والأمثلة على هذا النحو كثيرة، بحيث يصح القول معها، إن هذا المنزع هو سمة عامة للقفز الزمني في سرد السيرة.

وهناك أحداث يصنع حذفها فجوات، يمكن أن تتعدد التصورات التي تملؤها؛ لأن مقدار الحذف فيها يمثل أقصى سرعة للسرد، حين يتخطى أزمنة متعددة، ونستدل عليها بجمل أو

---

[1] نفسه، ٣٠١

[1] نفسه، ٨٥

فقرات توجز ما تم القفز عليه من تطورات سلوك الشخصيات، منها ما جاء في خبر مكوث النبي في مكة بعد البعثة، في قول ابن إسحاق: "فمكث رسول الله ﷺ بمكة عشر سنين بعدما أوحى إليه خائفا هو وأصحابه يدعون الله سرًا وعلانية"[1].

ج– المشهد: رصد التفاصيل يؤدي إلى الإحساس ببطء ملحوظ في حركة الزمن داخل المشهد، من خلال المقارنة بين عدد الجمل التي تعرضه، وعدد الجمل التي تمثل الخلاصة في علاقة كليهما بطول المدة الزمنية التي يعرضها كل منهما.

فالمشهد قد يستغرق دقائق لا تتجاوز الساعة، في حين تعرض الخلاصة أحداثًا تستغرق أيامًا أو شهرًا أو سنينًا في عدد قليل من الجمل، لا تتجاوز نصف الصفحة، وذلك البطء في الإيقاع الذي يحققه المشهد، يمنح المتلقي إحساسًا قويًا بالمشاركة في الحدث، بما يحقق تفاعلا أكثر عمقًا مع السرد المقدم، كما في سرد مشهد حدث إسلام عمر بن الخطاب، الذي استغرق أربع صفحات وتوزع على ستة مشاهد:

المشهد الأول: تعقب عمر ليلى وزوجها عامر بن ربيعة وهما متوجهان إلى الحبشة، وما أظهره من لين جانب، حين سألها عن وجهتيهما، فقالت: "آذيتمونا في ديننا فنذهب إلى أرض الله عز وجل حيث لا نؤذى في عبادة الله"[1]، فقال: "صحبكم الله، فذهب"/ **المشهد الثاني:** ذهاب عمر إلى دار الأرقم، لقتل النبي –ﷺ./ **المشهد الثالث:** في دعاء النبي –ﷺ– أن يعز الإسلام بأحد العمرين، بحضرة أخته وختنه سعيد بن زيد[2]. /**المشهد الرابع:** في بيت أخته بعدما علم بإسلامها، وما دار بينهما من حوار، وضرب عمر لأخته، ثم رقته لها، وإسلامه بعد أن اغتسل

---

[1] انفسه، ٢١٤.
[1] نفسه، ٢٢٠.
[2] نفسه، ٢٢١.

وقرأ القرآن./ **المشهد الخامس:** ذهاب عمر للنبي –صلى الله عليه وسلم– معلنًا إسلامه./ **المشهد السادس:** إشهار عمر إسلامه على الملأ، ويغلب على إيقاع المشاهد السابقة الوصف، الذي يعتني بأدق التفاصيل المتعلقة بالحدث، مما يشعر ببطء ملحوظ في حركة الزمن داخل المشهد الواحد.

خ– الوقفة: يسميها حميد لحمداني الاستراحة، ويقول إنها "تتكون في مسار السرد الروائي بسبب لجوئه إلى الوصف"[1]؛ لأن الوصف يوقف التدفق الزمني، ويعرقل حركة السرد، وبناء على ذلك تكون الوقفة ضد الحذف؛ لأنها تقوم خلافا له على الإبطاء المفرط في عرض الأحداث لدرجة يبدو معها أن السرد توقف عن التنامي.

وتشكل الوقفة الآلية الثانية الأكثر أهمية في إيقاع الأحداث وتتابعها الزمني، تتمثل الوقفة في عدة تقنيات يؤدي التناص دورًا بارزًا في تشكيلها فللشواهد الشعرية وآيات القرآن الكريم دور في تعطيل حركة السرد، وإثراء السيرة بمادة وصفية ثرية، تعد شاهدًا على الحدث في وصف الغزوات وما يقع من قتل واستعداد وتجهيز من قبل الطرفين، كذلك تتضمن شواهد من العصر ووقفات تأملية لتدعيم موقف الدعوة الإسلامية، وبيان سماحة الدين الإسلامي، وأخلاق النبي –ﷺ– في معاملة قومه وأصحابه وأعدائه، ويمكن الاستدلال بأمثلة من الوقفات التي وُظِّفَتْ في السرد[1]:

١– ما قيل من شعر يوم أحد، وما يتخلل الشعر من وصف في قول كعب بن زهير:

فَسِرنَا إِليهِم جَهْرَةً في رِحَالِهِم ضُحَيًّا عَلَينَا البِيضُ لا نَتَخَشَّعُ
بِمَلُومَةٍ فِيهَا السَّنَوَّرُ وَالْقَنَا إِذًا ضَرَبُوا أَقْدَامَهَا لا تَوَرَّعُ

---

[1] بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، حميد لحمداني، ٧٦.
[1] السيرة النبوية، ابن إسحاق، ٢/٣٥٠.

فجئنا إلى موج من البحر وسطه   أحابيش منهم حاسر ومقنع

غير أن الوصف في الشعر قد لا يقتضي تعطيلًا كاملًا للسرد؛ لأنه يتضمن أحداثًا موثقة هي شاهد على العصر بلسان من شهد الأحداث، فنصّب من نفسه راويًا لها ومعبرا عنها، كذلك الحال فيما ورد من آيات القرآن الكريم، التي اقترن نزولها بأحداث معينة مثل الآيات التي نزلت في قصة الثلاثة الذين خلفوا عن القتال في غزوة تبوك[1].

وهكذا يظهر أن للزمن دوره في تحيين المناص شعرًا كان أونثرًا، ففي الشعر كما في القرآن الكريم يتحقق الحاضر؛ لأنه متصل بذات القائل، وبالسياق الذي أنتجه، أما في الصيغ النثرية الأخرى، من أخبار وقصص؛ فيُسرَدُ الكلام بالاعتماد على سلسلة سند (رواية)، وهذا ما قال عنه سعيد يقطين[1]: "بالمسافة الفاصلة بين زمن الكلام، وصيغته، والمنظور، الذي يتخذه السارد وهو ينتج النص".

قد يقود هذا التقسيم إلى إعادة النظر في وضع كل من (المتكلم والمخاطب) في علاقتهما بالنص المسرود، تبعًا لتبادل أجناس القول داخل السرد؛ لأن الشاعر هنا يحتل دور الراوي، الذي يخبر بواسطة الشعر، وأما ما يُنقل خلال السرد فيتحقق من خلال الإخبار عبر سلسلة السند.

٢- من أساليب الوقفة: سرد قوائم بأسماء المسهمين في الحدث؛ فعادة يُختم الفصل بقائمة أسماء كما نلاحظ في قائمة أسماء المسلمين المستضعفين الذين هاجروا إلى الحبشة، والمسلمين الذين بايعوا النبي في بيعة الرضوان، كما دأب السارد في نهاية كل غزوة على سرد أسماء الشهداء من المسلمين، ومن قتلوا من المشركين، وهناك قوائم أخرى تضم أسماء متعددة غالبًا ترد في نهاية كل فصل، مما يرشح إلى القول بأنها تقنية زمنية (وقفة)

---

[1] نفسه، ٦٠٩

[1] الكلام والخبر: مقدمة للسرد العربي، سعيد يقطين (الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٧) ١٩١.

عمد إليها السارد، فأضفت سمة خصوصية على السرد، و أعطته بعدًا تأمليًا حين يلتفت القارئ إلى عدد القتلى وأهميتهم بالنسبة للمسلمين وللمشركين، خاصة فيمن قتل في غزوة بدر من صناديد قريش وقاداتها، الذين ناصبوا النبي -ﷺ أشد العداء، وبهذا يمكن القول إن التزام تقنية العدد هنا هي بمثابة استراحة في نهاية الفصل، لكنها تمهد لما بعدها من صراع طلبًا للثأر والانتقام كما شاهدنا في الدوافع التي استدعت وقوع غزوة السويق[1]، بعد غزوة بدر مباشرة في شهر ذي الحجة من تلك السنة.

٣- ما نزل من القرآن الكريم بشأن بعض الأحداث، مثل: حادثة الإفك[2]، وما نزل من القرآن في الخندق وبني قريظة، وهذا التداخل أساس في فهم طبيعة تكوين النص السردي في سيرة ابن إسحاق؛ لأن حياة النبي -ﷺ- يتخللها نزول الوحي من السماء منذ بدء تكليفه في الأربعين من عمره، وهي أهم فترة ينبغي تسليط الضوء عليها، خاصة أن نزول الوحي كان منجمًا، ومرتبطًا بالحوادث، التي يتنزل القرآن الكريم بها؛ لتسيير أمور الناس وتعليمهم وتوجيههم.

إن مراعاة هذا التداخل أساس في فهم طبيعة تكوين السيرة النبوية، وهو يحفز على الاهتمام بما ورد من أجناس القول في سيرة ابن إسحاق، ولو حاولنا تقصي آلية تقديم هذه الأجناس نجدها تتضمن الصيغ القولية المعروفة في الكلام العربي، ويتبين لنا أن الحدود بين هذه الأجناس واهية؛ لذا يتطلب الأمر وضع كل جنس في سياقه وربطه بالزمن الذي ظهر فيه، ومن ثم نبحث في الوظائف التي يؤديها داخل النص، ومع تداخل النصوص يتباطأ السرد، وتحدث الوقفة التأملية.

---

[1] السيرة النبوية، ابن إسحاق، ٣٣٠/٢

[2] نفسه، ٤٥٠

خاتمة

سعى هذا البحث إلى نقل مفاهيم التحليل السردي للزمن الروائي وأدواته وإجراءاته و الإفادة منها في سياق سردي مشابه، يتطلع إلى إخضاع الخطاب العام لسيرة ابن إسحاق إلى تحليل بنيوي –لساني، متجاوزًا حدود الجملة؛ ليقف على مجموعة نتائج يمكن إجمالها على النحو الآتي:

– يتمتع الزمن في السيرة النبوية بأهمية عظمى؛ لأنه يجسد الحقبة الزمنية التي أحدثت تغييرًا جذريًّا في الحياة البشرية، وهذا مما أكسب النص خصوصية وتفردًا عن غيره من السير، فهي في ريادتها أول سيرة مدونة للنبي –ﷺ– تظهر إحساسًا مبكرًا بالعامل الزمني في البنية السردية؛ لأن المكون الزمني شكل سيرورة تدفق مسخرة، لإبراز الجوانب الإنسانية في حياة خير البشر، وقصة كفاحه في سبيل نشر الرسالة السماوية، فالزمن في هذه السيرة حقيقي من جهة حدوثه على أرض الواقع، لكنه ليس مطابقًا للواقع تمامًا؛ لأنه يُقدم من وجهة نظر كاتب السيرة، ويخضع لذائقته في الاختيار والحذف والتلخيص.

– نظرًا لحساسية موضوع السيرة النبوية، وقدسيته نلمس عناية فائقة بالبعد الزمني، ورغبة ماسة في تحقيق أعلى قدرة في التقصي، نلمس هذه الدقة في الجزء الخاص بالمغازي، فقد جاءت مدونته باليوم والشهر والعام، مثلًا ما ورد من تحديد زمني لعمرة القضاء، قال ابن إسحاق: "فلما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة من خيبر أقام بها شهري ربيع وجمادين ورجبا وشعبان وشهر رمضان وشوال، يبعث فيما بين ذلك من غزوه وسراياه، ثم خرج في ذي القعدة في الشهر الذي صده فيه المشركون معتمرًا عمرة القضاء"[1].

---

[1] نفسه، ٥٠٢

- ظهرت كفاءة هذا النص التراثي وقدرته على احتواء جميع الأجناس السردية المعروفة في التراث العربي، فهو خاضع لخصائص الزمن ووظائفه في تلك الصيغ، فظهر لنا نص جامع استوعب كل ما يتعلق بـ:

1- الحقائق التاريخية المتعلقة بالبعثة النبوية والنشأة والميلاد والمغازي، والتشريعات، والتخطيط الزمني في هذا الجانب دقيق وصارم لا يحتمل التحوير، والنقل دون إسناد.

2- الأسطورة والخيال: وقد أضفت مناخًا قصصيًا خياليًا على السيرة، وإن ارتبطت بأسماء أشخاص معينين كما في قصة عمارة بن الوليد حين قبض عليه النجاشي ودعا السواحر، فنفخن في إحليله، ثم خلى سبيله فخرج هاربًا في الوحش، فخرج إليه رجل من بني المغيرة فرصده، وكان شعره فيما يزعمون قد غطى كل شيء فيه[1]، هذا القص الغرائبي يتعارض مع الواقعية، وتحري دقة النقل في السرد التاريخي.

3- القرآن والحديث: فما ظهر من تناص مع قصص القرآن الكريم، والسنة النبوية، شكل انفتاحًا كبيرًا على عالم غيبي لا نهائي ممتد في الماضي المقترن بالنشأة، والمستقبل المبشر بالبعث والحساب وعلامات قيام الساعة وآخر الزمان.

أما طريقة ترتيب الأحداث في السيرة؛ فتتخذ حالة اتزان مثالي، للانطلاق من الماضي البعيد عن طريق تقنية الاسترجاع، وهو إما استرجاع خارجي أو استرجاع مزجي؛ الأول: يتعامل مع السرد بشكل أفقي، أي مع الأجزاء المتعاقبة، وهي ذات بناء تقني يتيح تحليل الأحداث والزمن الفاعل فيها، وبتحليلها يتضح دور الزمن ودلالته من خلال تقصي تاريخ البشر على الأرض، من جهة علاقته بالرسالات السماوية وبناء الكعبة والحياة الجاهلة، كذلك من جهة نهاية الحياة الدنيا والبعث والحساب،

---

[1] السيرة النبوية، ابن إسحاق، ١/٢١٠.

وما تنبأ به النبي ﷺ وأخبر به القرآن الكريم، وأما الثاني؛ فيتيح مجالًا للتكسير من خلال التداخل والاستطراد الحاصل في سير بعض الأحداث، فنشهد العواقب المترتبة في زمن لاحق فيما بعد الهجرة النبوية أو أبعد من ذلك.

وبناء على ما سبق جاءت توصيات البحث غلى النحو الآتي:

– إعادة قراءة كتب السيرة النبوية في ظل المستجدات الفكرية والتقنيات السردية المعاصرة، مع توخي الحذر التام في التعامل مع قدسية المحتوى.

– الحذر من النزوع إلى منحى تأويلي يتجاوز مضمون السيرة في سبيل إخضاعها لكل ما استجد في التنظير الحديث، وإنما ينبغي مراعاة الموضوعية في البحث والتحليل بما يتوافق مع طبيعية النص التراثي شكلا ومضمونا.

– في التحليل البنيوي لمكونات النص، ينبغي تجاوز ثنائية الشكل والمضمون والتركيز على علاقة البنية الزمنية بالخطاب، ومن ثم إعادة قراءة النصوص التراثية في سياق تداولي يتجاوز بلاغة الجملة إلى نحو النص أو ما يعرف بالتحليل البنيوي للنصوص السردية.

فهرس المصادر و المراجع:

أولا/ المصادر:

– ابن إسحاق، مُحَّد، تحقيق، أحمد المزيدي، ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٩م.

ثانيا/ المراجع:

– إيكو، أمبرتو، القارئ في الحكاية: التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية، ترجمة أنطوان أبو زيد، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي،١٩٩٦م.

-باختين، ميخائيل، الملحمة والرواية، ترجمة جمال شحيد، بيروت، دار الإنماء العربية، ١٩٨٢م.

-بحراوي، حسن، بنية الشكل الروائي (الفضاء – الزمن – الشخصية)، ط٢، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٩م.

-بخضرة، مونيس، مقاربات فلسفية حول جدلية ارتقاء الوعي بالواقع، الدار العربية للعلوم،٢٠٠٩م.

-بصدد التمييز بين الرواية والقصة، رايمون،ميشيل(١٩٨٩م)، ترجمة حسن بحراوي، المغرب، آفاق مغربية، ع٨-٩:١٢١

-بكر، أيمن، السرد في مقامات الهمذاني، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م.

-الجزائري، أبو بكر، هذا الحبيب يا محب، بيروت، المكتبة العصرية، ٢٠١٢م.

-الشكلانيون الروس (١٩٨٢)، نظرية المنهج الشكلي، ترجمة إبراهيم الخطيب، د.ن، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، ١٩٨٢

– غرين، برايان، الكون الأنيق: الآثار الفائقة والأبعاد الفينة والبحث عن النظرية النهائية، ترجمة فتح الله الشيخ، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٥م.

-القرطاجني، حازم، منهج البلغاء وسراج الأدباء، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٧م.

-القصراوي، مها، الزمن في الرواية العربية، بيروت، المؤسسة العربية للنشر، ٢٠٠٤م.

- كاصد، سلمان، عالم النص: دراسة بنيوية في الأساليب السردية (التكرلي نموذجا)، الأردن، دار الكندي، ٢٠٠٣م.

-الحمداني، حميد، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ط٣، الدار البيضاء، المركز القافي العربي،٢٠٠٠م.

-لوبوك، بيرسي، صنعة الرواية، ترجمة عبد الستار جوادو الأردن، ط٢، دار مجدلاوي، ٢٠٠٠م.

-ابن منظور، مُحَمَّد، لسان العرب، القاهرة، دار الحديث، ٢٠٠٣م.

-يقطين، سعيد، انفتاح النص الروائي: النص والسياق، ط٢، الدار البيضاء المركز الثقافي العربي، ٢٠٠١م.

- تحليل الخطاب الروائي: الزمن — السرد- التبئير، ط٤، الدار البيضاء، ٢٠٠٥م.

-الكلام والخبر: مقدمة للسرد العربي، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٧م.

4

استدعاء التراث الديني في شعر كمال الدين ابن النبيه المصري

إعداد
د. وفاء بنت ميّاح سالم العنزي
الأستاذ المساعد بكلية التربية والآداب
جامعة الحدود الشمالية

المستخلص

لقد كان استدعاء التراث أو استلهامه ظاهره فنية عند الشعراء منذ عصور بعيدة. ويأتي التراث الديني في مصاف المصادر التراثية التي يعمد الشاعر إلى استلهامها؛ لما يذخر به من دلالات ثرية متعددة طاقات التأويل والإيحاء لا تتوافر لغيره من أنساق التراث.

ويعد ابن النبيه المصري أحد أبرز الشعراء الذين كان لظاهرة استدعاء التراث الديني في شعرهم حضور لافت، على نحو يجعل هذه الظاهرة الفنية عنده جديرة بالدراسة، فعمدت إلى ذلك من خلال هذا البحث الذي تكشف عن سمات لهذه الظاهرة في شعر ابن النبيه، كان من أبرزها توظيفه عناصر التراث الديني التي يستدعيها في سياقات متعددة وأغراض كثيرة، على نحو أكسب شعره جماليات خاصة وحفزًا لذهن المتلقي أقام ما يشبه الحوار بينهما، وفتح آفاق التأويل مضيفًا قيمة فنية إلى شعر ابن النبيه تمثلت في رحابة الرؤية وعمق الفكرة الإنسانية والجمالية.

كما تكشف البحث أيضًا عن عدة من الظواهر الجزئية داخل الظاهرة الأعم – وهي استدعاء التراث الديني– عند ابن النبيه وكشف عنها البحث.

الكلمات المفتاحية: الاستدعاء، الديني، ابن النبيه، أدب، أيوبي.

Abstract

Subject of the research: Recalling the religious heritage in the poetry of Kamal Al-Din Ibn Al Nabih Al Masry

aims of the research: This research concentrated on the phenomenon of religious recalling in Ibn Al Nabih's poetry, as this phenomenon constitutes artistic and stylistic dimensions that reveal the interaction and its various forms between literary texts, and revealing aspects of the effect of religious recalling by employing it in Ibn Al Nabih Al Masry's poetry, in a way that served his poetry through textual contexts.

METHODOLOGY: The researcher here depended on the descriptive method, which was an analysis that monitored the artistic phenomena, analyzed their components, built their images, and formed based on the general context of the text.

the most important results: One of the most prominent results was employment of the elements of religious heritage that he recalled in multiple contexts and many purposes, in a way that gave his poetry special aesthetics and stimulated the mind of the recipient established a kind of dialogue between them, and opened a wide rang of interpretation, adding artistic value to the poetry of Ibn Nabih represented in the spaciousness of vision and the depth of the human and aesthetic idea.

The most important recommendations : The researcher recommended more attention to the poetry of that period, and revealed the characteristics of the era through adequate studies of poets of the sixth and seventh century AH.

Keywords : recalling, religious , Ibn al-Nabih, literature, Ayoubi.

المقدمة

تحدث القدماء عن ظاهرة التداخل بين النصوص واتخذ حديثهم عن مصطلحات أدبية ونقدية متنوعة وهم بذلك يؤكدون حتمية التواشج بين النصوص والتأثر والتأثير، ولا شك أن للموروث الديني أهمية في الشعر العربي القديم والمعاصر؛ إذ يعد التراث منبعًا ثريا من منابع الإلهام الشعري.

ويتناول هذا البحث ظاهرة الاستدعاء للتراث الديني عند كمال الدين ابن النبيه المصري، والكشف عن أثره في النصوص الشعرية؛ إذ إن الاستدعاء يسهم في تشكيل الشعرية ويستحث القارئ والمتلقي على إنتاج الدلالة الشعرية.

ويهدف ابن النبيه من خلال الاستدعاء إلى إثراء النص وتعميق دلالته؛ إذا لا تلبث هذه النصوص إلا أن تكون جزءًا من نسيج النص الجديد تتحدد معه وتوضح مفهومه الذي قصد إليه الشاعر وتعمق دلالته.

إن توظيف التراث في القصيدة الشعرية يُضفي عليها "عراقة وأصالة، ويمثل نوعًا من امتداد الماضي مع الحاضر، وتغلغُل الحاضر بجذوره في تربة الماضي الخصبة المعطاء. كما أنه يمنح الرؤية الشعرية نوعًا من الشمول والكلية؛ إذ يجعلها تتخطى حدود الزمان والمكان، ويتعانق في إطارها الماضي مع الحاضر"(١).

ويُعد التراث الديني أحد الأشكال رُقيًّا من الناحية الفنية فقد كان" التراث الديني مصدرًا سخيًا من مصادر الإلهام الشعري، حيث يستمد منه الشعراء نماذج وموضوعات وصورًا أدبية ويزخر الأدب العالمي بالكثير من الأعمال الأدبية العظيمة التي محورها شخصية دينية أو موضوع ديني أو التي تأثرت بالتراث الديني"(٢).

أهمية الموضوع:

ترجع أهمية الدراسة إلى:

يحاول البحث تناول ظاهرة الاستدعاء الديني في شعر ابن النبيه وذلك:

١- تناول ظاهرة الاستدعاء عند ابن النبيه المصري أحد أبرز شعراء مصر في حقبة بني أيوب.

٢- إبراز شعراء هذه الحقبة من تاريخنا الأدبي إذا قلما حظيت بالدراسات الكافية والوافية.

أهداف الدراسة:

١- يحاول البحث تناول ظاهرة الاستدعاء الديني في شعر ابن النبيه وذلك لما تشكله هذه الظاهرة من أبعاد فنية وأسلوبية تكشف عن التفاعل وأشكاله المختلفة بين النصوص الأدبية.

٢- الكشف عن جوانب التأثير للاستدعاء الديني من خلال توظيفه في شعر ابن النبيه المصري توظيفًا يخدم شعريته من خلال السياقات النصية.

منهج الدراسة:

---

(١) عن بناء القصيدة العربية علي عشري زايد، ، ص (١٢٨).

(٢)استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر علي عشري زايد ، ص (٢٢).

سأتبع في هذه الدراسة – إن شاء الله – منهجًا وصفيًّا، قائمًا على المنهج التحليلي الذي يرصد الظواهر الفنية ويحلل إلى عناصرها ويبني صورها وأشكالها بناءً على السياق العام للنص.

الدراسات السابقة:

من الأهمية بمكان الإشارة إلى أنه لا توجد حتى الآن – على حد معرفتي – دراسة تناولت الاستدعاء للتراث الديني في شعر ابن النبيه المصري، الأمر الذي تبرز معه جدّة الدراسة.

وهنالك العديد من الدراسات التي تناولت الاستدعاء بمختلف أنواعه في الشعر عند كثير من الشعراء، أما الدراسات التي تناولت شعر ابن النبيه فهي كما يلي:

١– الصورة الفنية في شعر ابن النبيه المصري، حيدر الشيخ محمد حجر، وهي رسالة ماجستير في جامعة أم درمان الإسلامية عام ٢٠٠٥م.

٢– الصورة الفنية في شعر ابن النبيه المصري، حسين محمد إبراهيم أبو موسى، وهو عبارة عن بحث نشر عام ٢٠١٥م، العدد (٤٠) في مجلة كلية الآداب في جامعة بنها.

خطة البحث:

فرضت طبيعة الموضوع أن يتكون من الآتي:

المقدمة: تحدثت عن أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، ومنهج البحث، والدراسات السابقة، ومن ثم خطة البحث وتتكون من مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة.

التمهيد:

١– نبذة عن ابن النبيه.

٢– توضيح لمفهوم التراث والاستدعاء.

المبحث الأول: استدعاء الشخصيات الدينية.

- الأنبياء.
- الملائكة
- الصحابة.

المبحث الثاني: استدعاء الأماكن ذات الدلالة الدينية.

المبحث الثالث: استدعاء الإشارات الدينية.

المبحث الرابع: استدعاء الألفاظ القرآنية.

الخاتمة: وحوت أبرز النتائج.

قائمة المصادر والمراجع.

وفي الختام أسأل الله أن ينفع به قارئه وكاتبه، ويجعله خالصًا لوجهه الكريم، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

التمهيد

١- نبذة عن ابن النبيه(١):

شحّت كتب الأدب والتراجم بترجمة كافية ووافية عن ابن النبيه، وغالبًا ما كانت ترجمته تأتي مصاحبة لترجمة الملك الأشرف موسى بن الملك العادل(٢) والذي ولي ابن النبيه ديوان الإنشاء في دولته.

اسمه ونسبه :علي بن محمد بن الحسن بن يوسف بن يحيى بن النبيه كمال الدين، أبو الحسن المصري الشاعر، صاحب الديوان المشهور(٣).

كنيته :يُكنى ابن النبيه بـ ((أبي الحسن))(٤) ولعل هذه النسبة اقتداءً أو تيمنًا بمن كانت تلك كنيتهم من آل البيت الكرام، وربما كان له ولد يسمى بالحَسن. فلم ترجح المصادر أيًا من ذلك أو غيره في شأن كنيته.

لقبه :جريًا على عادة أهل العلم والأدب في زمن ابن النبيه؛ في اتخاذ لقب مضاف إلى الدين؛ كشمس الدين وعماد الدين وبهاء الدين... إلخ، فقد لُقب بكمال الدين المصري(٥).

ولادته: ولد ابن النبيه سنة ستين وخمسمائة من الهجرة النبوية(٦).

نشأته وحياته: لم تقف المصادر التاريخية أو كتب الأدب وسيَر الأعلام على ما يغني في الحديث عن أسرة ابن النبيه، وما إذا كانت ذات جاه ونسب عريض أو مكانة اجتماعية أو علمية، أم كانت من غمار الناس وعامة الشعب، فلم تمدنا بما يسعف القول عن نشأته.

وغاية ما يقال في ذلك: إنه ولد بمصر عام ٥٦٠هـ، وارتاد الكُتّاب فحفظ فيه القرآن الكريم وبعض الأشعار، على العادة في التكوين العلمي والأدبي للناشئة في تلك الحقبة، مما يمكننا معه أن نميل إلى الجزم بأنه ينتمي إلى أسرة من العامة؛ لأن الأُسر ذات المكانة الاجتماعية كانت تستقدم المعلمين والمؤدبين إلى أبنائها في البيوت.

ثم أخذ يتردد على حلقات العلماء والأدباء، وتفتحت ملكته الشعرية، وطمح إلى الالتحاق بدواوين صلاح الدين الأيوبي ووزيره الكاتب البليغ القاضي الفاضل راعي الأدباء في عصره.

---

(١) ينظر ترجمته: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن محمد بن خلكان، (٤/٤١٨)، الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي ، (٢١/٢٤٣)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ،أبو المحاسن جمال الدين يوسف ابن تغري بردي ، (٦/٢٤٣)، قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان، المبارك بن الشعار الموصلي ،(٤/٣٠٦-٣٠٧).

(٢) الملك الأشرف أبو الفتح مظفر الدين موسى بن الملك العادل محمد بن أيوب من ملوك الأيوبيين، ولد سنة ٥٧٨هـ، وتوفي سنة ٦٣٥هـ. ينظر ترجمته: وفيات الأعيان (٤/ ٤٢١).

(٣) وفيات الأعيان (٥/٣٣٦)، الوافي بالوفيات (٢١/٢٨٤)، والنجوم الزاهرة (٦/٢٤٣).

(٤) السابق.

(٥) السابق.

(٦) السابق.

وقد أثمرت مطامحه ومساعيه في ذلك، حيث تولى بمصر ديوان الخراج والحساب، ومدح الملوك من بني أيوب، ووزراء تلك الدولة وأكابرها، ثم اتصل آخرًا بخدمة الملك الأشرف مظفر الدين أبي الفتح موسى بن محمد بن أيوب بن شادي، فانتظم في سلك شعراء دولته؛ ورحل إلى نصيبين عام ٦٠٠ هجريّة(١)، ضمن سفراته في رفقته.

ورغم الغموض الذي يكتنف حياة ابن النبيه في بدايتها، حيث لا يعرف شيء ذو بال عن أسرته أو أبويه أو أبنائه، وكذا عن تعليمه ومستوى ثقافته، إلا أن في ذلك يقول شوقي ضيف محاولًا استنباط حياته من خلال ديوانه: "ولد في مصر حوالي سنة ٥٦٠ هـ ، واختلف إلى كُتّاب حفظ فيه القرآن الكريم وبعض الأشعار على عادة لدته ، ثم أخذ يختلف إلى حلقات العلماء والأدباء ، وتفتحت ملكته الشعرية ، ورنا الالتحاق بدواوين صلاح الدين الأيوبي وكاتبه البليغ القاضي الفاضل...."(٢).

وهو الأمر الذي أفلحت فيه مساعي ابن النبيه الطويلة، منذ محاولاته الالتحاق بصلاح الدين الأيوبي وكاتبه الأول والأبرز القاضي الفاضل، ومدحه الأيوبيين والقاضي الفاضل الذي نظم فيه ابن النبيه قصيدة ضمن جميع أبياتها كلمات سورة المزمل في قوافيها، يقول فيها [من الخفيف]:

قُمْتُ ليل الصدود إِلَّا قَلِيلا   ثمَّ رتلت ذكركُمْ ترتيلا
وَوَصَلْتُ السُّهادَ أقبحَ وصْل   وَهَجَرْتُ الرُّقادَ هَجْرًا جمَيلاً(٣)

ويبدو أن القصيدة لم تعجب القاضي الفاضل، مما لم يمكن ابن النبيه بمكانة في الدواوين في عهده، ثم اتصل بعد ذلك بالسلطان العادل سنة ٥٩٦هـ وقد مدحه ومدح كاتبه صفي الدين ابن شكر، ويبدو أنه عقد أواصر الصداقة مع السلطان الأشرف موسى بن العادل وخرج مرافقًا له حين ولاه والده على الرها عام ٥٩٨هـ وقد اتخذ منه كاتبًا له، ثم رافقه بعد ذلك إلى نصيبين حين تولى الأمور فيها وبقي هنالك حتى وافته المنية سنة ٦١٩هـ.

وقد اتصل الشاعر بالإضافة إلى الملوك من بني أيوب ببعض أدباء عصره كالقاضي الفاضل، والأسعد المماتي، والصاحب نجم الدين ابن المجاور، وعلي بن ظافر الأزدي، وغيرهم.

آثاره: برغم تناثر أشعار ابن النبيه في خزائن كتب المعاصرين له من السلاطين والوزراء والولاة والقضاة وأرباب الأدب، وضياع أكثرها كنتيجة لهذا التفرق والتناثر؛ إلا أن تراث ابن النبيه سلم من أن يضيع بالكلية، حيث يوجد له ديوان شعر يقول عنه الصفدي: " وهذا ديوانه المشهور أظن أنه هو الذي جمعه من شعره وانتقاه؛ لأنه كله منقى منقح الدرة وأختها وإلا فما هذا شعر من لا نظم له إلا هذا الديوان

---

(١)وفيات الأعيان (٥/٣٣٦)، الوافي بالوفيات (٢١/٢٨٤)، والنجوم الزاهرة (٦/٢٤٣).

(٢)تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات (مصر)، شوقي ضيف ، (١٧١-١٧٢).

(٣)الديوان، ابن النبيه المصري ص (٦٦).

الصغير"(١)؛ ومِن أتم محاولات جمع ديوان ابن النبيه في العصر الحديث ما قام به عبد الله باشا فكري عام ١٨٣٩م.

الثناء عليه: حظي ابن النبيه بمنزلة رفيعة أهّلته لها أشعاره متينة السبك والصنعة المحكمة، وأثنى عليه من عاصروه، ومن ذلك ما قاله عنه ابن تغري بردي: "وله ديوان شعر مشهور كله ملح"(٢)، وصفه الصفدي: بـ ((الشاعر البارع)) أيضًا(٣)، ومِن أوفى ما قيل في الثناء على ابن النبيه المصري كشاعر مكين؛ ما قاله عنه ابن الشعار الموصلي: "كان من مفاخر المصريين ومحاسن شعراء العصريين، شاعر برز بقوله على نظرائه وأضرابه، ذا عارضة في النظم شديدة، يذهب بلطيف ذهنه إلي الأغراض البعيدة، حسن المعاني أنيقها، حلو الألفاظ ورشيقها، شعره في نهاية الحلاوة ويلوح عليه رونق الملاحة والطراوة......."(٤).

ومن أجمع معاني الثناء على شعره قول الملك الأشرف عنه عند موته: مات رب القَريض!

وفاته: مات ابن النبيه سنة ٦١٩ هجريّة في نصيبين، وهو أحد رجالات دولة الملك الأشرف أصحاب القلم ورفيع البيان.

خصائص شعره: ينتمي ابن النبيه إلى مدرسة عرفت بالرقة والسهولة، وتتسم بالألفاظ اللينة والبحور المجزوءة والقصيرة، ولا يظهر فيها أي لون من ألوان التكلف، وقل أن نجد ألوان الزينة اللفظية إلا ما جاء للتظرف.

يقول محمد كامل حسين: " ابن النبيه في شعره هو تلميذ لمدرسة الطبيعة من ناحية، ومدرسة الرقة والسهولة من ناحية أخرى، غير أن صناعته الكتابية كانت تؤثر عليه أحيانًا فهو مع رقته وسهولته كان يزين شعره بما كان يزين به شعراء مدرسة الكتاب أشعارهم..... حتى إن بعض مقطوعاته يتغنى بها في عصرنا الحديث مثل قصيدته (أفديه إن حفظ الهوى أو ضيعا) وقصيدته (أمانا أيها القمر المطل) وهذا يدل على أن غزله صالح لكل عصر وبيئة"(٥). إن المنزلة الرفيعة التي حازها ابن النبيه كشاعر من شعراء العصر الأيوبي المعدودين، وتقلُّب أشعاره بين أفانين البديع، ليس أدل عليها من عبارة الملك الأشرف عند موته: مات رب القَريض!(٦).

٢– مفهوم التراث: تشير معاجم اللغة إلى أن مدلول كلمة (التراث) مأخوذ من الجذر الثلاثي (وَرِث)، من ورث الشيء يرثه ورثًا ووراثة، والوارث والإرث والتراث والميراث: ما ورث، وقيل: الورث والميراث في المال، والإرث في الحسب(٧).

---

(١) الوافي بالوفيات (٢١/٢٤٣).

(٢) النجوم الزاهرة (٦/٢٤٣).

(٣) الوافي بالوفيات (٢١/٢٨٤).

(٤) قلائد الجمان (٤/٣٠٦-٣٠٧).

(٥)دراسات في الشعر في عصر الأيوبيين ،محمد حسين كامل ،ص (١٣١).

(٦) قلائد الجمان (٤/٣٠٦-٣٠٧).

(٧)لسان العرب، ابن منظور ، (١٥/١٨٩).

أما الإرث في الاصطلاح فهو: " ما خلفه السلف من آثار علمية وفنية وأدبية تُعدّ نفيسة بالنسبة لتقاليد العصر الحاضر وروحه"(١).

ويعرفه صاحب المعجم الأدبي بأنه: " ما تراكم من خلال الأزمنة من تقاليد وعادات وتجارب وخبرات وفنون وعلوم في شعب من الشعوب، وهو جزء أساس من قوامه الاجتماعي والإنساني والسياسي والتاريخي والخلقي، ويوثق علائقه بالأجيال الغابرة التي عملت على تكوين هذا التراث وإغنائه"(٢).

وكلمة «التراث» لفظ عميق ذو دلالات متشعبة يندرج تحته التراث الفكري والعادات والتقاليد، والآلات والمبتكرات، وهو الكيان الثاوي في الأعماق، بل هو — في أوسع معانيه — الصورة الكاملة التي تتكون من جزئيات تتصل بكل ما تعلق بالفكر وأساليب الحياة لشعب من الشعوب في اللحظة التاريخية؛ لكن الذي ينصرف إليه الذهن عند إطلاق هذا اللفظ هو الكتاب، وما خلفه السلف من المؤلفات؛ ولذا فإنه لا يبتعد عن الحقيقة قولنا إن التراث – في سياق هذا البحث — هو المفهوم الواسع الذي تحمله هذه الكلمة في خطابنا العربي المعاصر من حيث دلالتها على الموروث الثقافي والفكري والديني والأدبي والفني"(٣)، أي إنها "كل ما وصل إلينا من الماضي داخل الحضارة السائدة"(٤).

وللتراث – في حقل الدراسات الشعرية – أهمية لا تكاد تدانيها إلا أهمية اللغة نفسها؛ فهو بالنسبة للشاعر: ((الينبوع الدائم التفجر بأصل القيم وأنصعها وأبقاها، والأرض الصلبة التي يقف عليها ليبني فوقها حاضره الشعري الجديد على أرسخ القواعد وأوطدها، والحصن المنيع الذي يلجأ إليه كلما عصفت به العواصف فيمنحه الأمن والسكينة))(٥). والتراث مصدر ثري ما برح يغري الشعراء — وخاصة المجيدين منهم – بالامتياح منه وتبادل الأصداء معه فيما يُعرف بآلية التناص ذات الجماليات غير المحدودة، إذا ما استطاع الشاعر من خلاله إذابة مضامين الموروث في بوتقة جديدة، تصدر باسمه وباسم عصره، ومن هنا تظل الصورة التراثية ذات قيمة رائعة من خلال مرورها في ذاكرة الشاعر(٦).

وعلى عمومية مفهوم التراث؛ فإن له عناصر تتمثل في: " الموروث الديني، والصوفي، التاريخي، والأدبي، الفلكلوري، الأسطوري"(٧)، وقد تتداخل بعض هذه المصادر وقد يزاد عليها، فالتاريخي هو الديني الديني في بعض نسبته، والشعبي قد يكون ذا سند أسطوري في جوهره(٨).

---

(١)معجم المصطلحات في اللغة والأدب ،مجدي وهبة وكامل المهندس ، ص (٦٣).

(٢)المعجم الأدبي، جبور عبد النور، ص (١٦٣).

(٣) التراث والحداثة، دراسات ومناقشات، محمد عابد الجابري ، ص (٢٣).

(٤)التراث والتجديد، موقفنا من التراث القديم ،حسن حنفي ، ص (١٣).

(٥) استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، ص (٧).

(٦)المعارضات الشعرية أنماط وتجارب، عبدالله التطاوي ، ص (١٢٨).

(٧) استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر (٧٣).

(٨)استدعاء التراث في الشعر الكويتي (المرجعية — التناص — الطرائق — الأنماط) ،سعاد عبد الوهاب، ص (٢٦٢).

أما التراث الديني – والذي يمثل أحد فضاءات هذا البحث – فإن له أهمية خاصة في حقل الشعر، ترجع – ضمن ما ترجع – إلى كونه: " مصدرًا سخيًا من مصادر الإلهام الشعري، حيث يستمد منه الشعراء نماذج وموضوعات وصورًا أدبية، ويزخر الأدب العالمي بالكثير من الأعمال الأدبية العظيمة التي محورها شخصية دينية أو موضوع ديني أو التي تأثرت بالتراث الديني"(١). إن توظيف النصوص الدينية في الشعر يعتبر من أخصب الوسائل التي يمكن بها إثراء النص الشعري، وذلك لخاصية جوهرية في هذه النصوص تلتقي مع طبيعة الشعر نفسه، وهي أنها مما ينزع الذهن البشري لحفظه ومداومة تذكره؛ فلا تكاد ذاكرة الإنسان في كل العصور تحرص على الإمساك بنص إلا إذا كان دينيًا أو شعريًا(٢).

٣– مفهوم الاستدعاء: الاستدعاء هو مصدر للفعل (استدعى)، وهو على صيغة (استفعل) من الفعل (دعا)، وتشير المعاجم اللغوية إلى أن (دعا) يأتي بمعنى النداء والدعوة، وفي متن اللغة، دعا: دعاء، ودعوى إلى الشيء: رغب فيه وقرب إليه، والاستدعاء: (أصل معناه) طلب الدعاء أو الدعوة(٣).

ويحمل الاستدعاء – في سياق الدرس النقدي والبلاغي للشعر – معاني كثيرة كالاستلهام، والاستحضار، والتوظيف، والاستبطان، والاستعانة، والتناص، والأخذ، والتضمين وغيرها.

وقد تنبه القدماء إلى ظاهرة تداخل النصوص الأدبية، ومثلت عندهم قضية نقدية وبلاغية واسعة ومتشعبة، وأدرجوها تحت مسميات عدة، نذكر منها:

الاصطراف، و المواردة، و الاهتدام،و الاشتراك، و النسخ(٤)، والمسخ(٥)، ومنها أيضا: الاقتباس، والتضمين، والاستشهاد، والقرينة، والتشبيه، والمجاز، والمعنى، وغيرها من المصطلحات التي تتماس مع الاستدعاء.

أما في النقد الحديث، فقد لقي الاستدعاء عناية كبيرة، خاصة لدى المدرسة البنيوية، التي آثرت تسمية آلية الاستدعاء بالتناص، فرسخت هذا الاصطلاح في الدرس النقدي الحديث. " والتناص في أبسط صورة يعني أن يتضمن نص أدبي ما نصوصًا أو أفكارًا أخرى سابقة عليه عن طريق الاقتباس أو التضمين أو الإشارة، وما شابه ذلك من المقروء الثقافي لدى الأديب، بحيث تندمج هذه النصوص أو الأفكار مع النص الأصلي، وتندغم فيه ليتشكل نصًا جديدًا واحدًا متكاملًا"(٦).

وعلى تعدد مفاهيم الاستدعاء في المدارس والتيارات النقدية، إلا أن مفهومًا جوهريًا له يصعب تجريد الاستدعاء منه، وهو وجود نص قديم أو تراثي يجري استحضاره – صراحة أو ضمنًا – إلى نص يُبدع الآن. وتحمل هذه الآلية – في أكثر النماذج الشعرية دلالة تكون – في أغلب النماذج "مؤشرًا من مؤشرات الولاء

---

(١) استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، ص (٧٥).
(٢)إنتاج الدلالة الأدبية، صلاح فضل ، ص (٤٣).
(٣)،معجم متن اللغة، أحمد رضا ، (٢/٤١٩-٤٢١).
(٤) مصطلحات نقدية من التراث الأدبي العربي، محمد عزام، ص (٢٨٩).
(٥)المثل السائر في أدب الشاعر والكاتب ،ضياء الدين ابن الأثير ، (٣/٢٢٢).
(٦)، التناص نظريًا وتطبيقيًا، أحمد الزعبي ص (١١).

التراثي الذي فرضه الشاعر على نفسه من شدة اعتداده بذاكرته التاريخية ومن خلالها ظل بريق نصوص القدماء قادرًا على التأثير فيه وتحقيق الانجذاب إليه، فظل حضوره مرهونًا بمنطقة التحول الذي حرص من خلاله على اصطناع مزاوجة متقنة بينه وبين ما يتأثر به وبين ما يضيفه إليه من لغة الأنا في حالة التحامها مع العصر ومقومات عالمه الجديد"(١).

ولاستدعاء التراث في الفن عمومًا والشعر خصوصًا بواعث تتعدد وتتداخل في غير قليل من النماذج الشعرية، وفي بعض الاجتهادات(٢) النقدية جرى إجمال لهذه البواعث، فكانت خمسة، مع استبعاد إمكان القول بحضور أحد هذه البواعث دون غيره في الخلفية الذهنية والوجدانية للشاعر عند إبداعه لنص شعري ما، فقد تتداخل وتتعدد على نحو يصعب الفصل فيما بينها. وهذه البواعث هي:

– بواعث فنية: وهي تتمثل في إدراك الشاعر لمدى غنى تراثه بالإمكانيات الفنية، على نحو كمي وكيفي يتيح له أن يصل من خلالها تجربته بمعين لا ينضب من القدرة على الإيحاء الذي يكفله للنص الشعري ذلك الحضور الحي للتراث في الوجدان الجمعي؛ ولهذا يلجأ الشاعر لإفساح المجال في قصيدته للأصوات التي تتجاوب معه والتي مرت بنفس التجربة، كما يلجأ – من خلال آلية الاستدعاء – إلى توظيف الشخصيات التراثية بوصفها معادلا موضوعيًا لتجربته؛ ليبث من خلالها خواطره وأفكاره.

وهي تتمثل في استدعاء الشاعر للشخصيات أو الأحداث أو الأفكار التراثية، بحيث يمكنه من خلال ذلك الاستدعاء الانتقال في علاقته بالتراث من مرحلة التعبير عنه إلى التعبير به ومن خلاله.

– بواعث سياسية واجتماعية: وتتمثل في لجوء الشعراء إلى التراث بسبب القهر والطغيان السياسي والاجتماعي، الذي يرسفون تحته في بيئات ومجتمعات مقهورة، ومن خلال استدعاء التراث يعثرون على معين لا ينضب للقول الشعري مع أمن المساءلة السياسية خاصة، ويعثرون كذلك على أفق رحب يمكن لطيور إبداعهم فيه أن تغرد بالنقد السياسي والاجتماعي وإدانة كل مظهر للعسف والطغيان، مستترين في هذه وتلك وراء أقنعة شفافة توفرها لهم آلية استدعاء التراث.

– بواعث قومية: وتتمثل في أن التراث يعد أحد أوثق الجذور القوية، التي ترتكز عليها كل أمة تواجه محاولات العصف بهويتها القومية، يقينًا راسخًا بأصالتها وعراقتها.

– بواعث نفسية: وتتمثل في الرغبة في الهرب من الواقع، ونشدان عالم آخر بين أحضان التراث.

المبحث الأول

استدعاء الشخصيات الدينية

● الأنبياء.

---

(١)التراث والمعارضة عند شوقي، عبد الله التطاوي ، ص (٦٩).

(٢) استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر (١٥).

حين يعمد الشاعر إلى استدعاء شخصية تراثية ما؛ فإنه يقصد من وراء ذلك إلى الاتكاء عليها في خطابه الشعري لإنتاج دلالة أو دلالات يحمّلها بأبعاد تجربته المعاصرة، فهو بذلك يتخذ منها وسيلة للتعبير والإيحاء، يعبر من خلالها أو يعبر بها عن رؤياه المعاصرة(١).

ومن أهم ما يمكن الوقوف عليه في ملامح ظاهرة استدعاء التراث الديني في شعر ابن النبيه المصري؛ هو استدعاؤه للشخصيات الدينية، وقد أفرد ابن النبيه مساحات واسعة من هذا الاستدعاء للرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وكان استدعاؤه لشخصياتهم في شعره مقترنًا وممزوجًا بالقصص القرآني الذي وردت من خلاله شخصية النبي أو الرسول، ويكون الاستدعاء إما بذكر الاسم أو توظيف جزء أو صورة جزئية للقصة التي وردت من خلالها شخصية الرسول في القرآن الكريم. ومن خلال تأمل السياقات الشعرية لدى ابن النبيه يمكن الجزم بأن استدعاءه لشخصيات الرسل والأنبياء – عليهم السلام –كان ينطلق من وعي بما يمنحه هذا الاستدعاء للنص الشعري ويكسب فضاءات الخطاب الشعري ثراءً وخصوصية تمثل قيمًا مضافة إلى النص وفضاءاته الدلالية والفكرية، ولذلك كانت " شخصيات الأنبياء عليهم السلام من أكثر شخصيات التراث الديني شيوعًا في الشعر العربي..، حيث فطن الشعراء منذ القدم بأن ثمة روابط وثيقة تربط بين تجربتهم وتجربة الأنبياء، فكلاهما يحمل رسالة إلى أمته، والفارق بينهما أن رسالة النبي رسالة سماوية وكل منهما يتحمل العذاب والعنت في سبيل رسالته..."(٢). وقد كان أكثر ما حضر من شخصيات الرسل والأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – في إطار ظاهرة استدعاء ابن النبيه للتراث الديني: قصة موسى – عليه السلام – مقترنة بومضات ومواقف من قصته - عليه السلام-، حيث ظهرت شخصيته وقصته في مواضع عديدة من ديوان ابن النبيه، وفي رأيي فإن الحضور المكثف لشخصية موسى -عليه السلام - عائد إلى سببين رئيسيين هما:- التداعي بين اسم الممدوح السلطان الأشرف موسى بن العادل، فقد خصه بقصائد عرفت بالأشرفيات(٣)، وبين اسم نبي الله موسى عليه السلام، أما السبب الثاني فيتصل بالقصة نفسها؛ إذ "ارتبطت حياة سيدنا موسى عليه السلام بحوادث كثيرة كانت لها انعكاسات على الحياة وتأثير في النفوس؛ لأن في شخصيته سمات جعلته يتميز عن غيره وكان لها أثر على كل من اطلع على سيرته وحياته، كما أن في قصته دروسًا وعظات يمكن الإفادة منها كإصلاح الأمم بعد فسادها، وبيان عاقبة الكفر والظلم، وصمود العقيدة، وانتصار الحق على الباطل، ودعوة إلى الكفاح، وتقويض الطغيان، ونجاة المؤمنين، والتحلي بالقول اللين، والإيمان طريق العقل"(٤).

ولجماع هذه القيم والدروس والعظات فإن المتدبر في القرآن الكريم يجد اسم سيدنا موسى – عليه السلام – مقترنًا بمواقف من قصته هو الأكثر ذكرًا في القرآن الكريم من بين سائر الرسل والأنبياء – عليهم الصلاة والسلام-. وانبعاثًا من السببين اللذين يظهران جليًّا وراء كثرة استدعاء ابن النبيه لشخصية سيدنا

---

(١) استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر (١٣).

(٢) المرجع السابق (٤٦).

(٣) قصائد مدح فيها الأشرف السلطان مظفر الدين أبا الفتح موسى بن أبي بكر بن أيوب، الديوان (١٢).

(٤)مع الأنبياء في القران الكريم، عفيف فتحي طبارة ، ص (٢٥).

موسى – عليه السلام – مقترنة بمواقف من قصته، يطالعنا استدعاؤه له – عليه السلام – في مدحه للملك العادل بعد أن بنى قلعة الطور(١)؛ حيث يقول [من السريع]:

يَا ليلةَ الوصْلِ اسْتَقِرِّي ويا   سِيرَةَ سُلْطَانِ الوَرَى سِيرِي
المِلكُ العادلُ مِنْ أُمَّةٍ   فَقَدْ رَأَى مُوسَى عَلَى الطُّورِ
إِنْ كَانَ قَدْ دُكَّ قَدِيمًا فقَدْ   عَمَّرْتَهُ أَحْسَنَ تَعْمِيرِ(٢)

ففي هذا النموذج الشعري الذي عمد فيه ابن النبيه إلى هذا الاستدعاء يسهل أن نرى التوافق الذي أحدثه بين اسم القلعة "طور" وبين الطور الذي كلم الله سبحانه وتعالى موسى عليه قال تعالى: ﴿ وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴾(٣)، وبين اسم ابن الملك العادل وهو الأشرف موسى وبين اسم نبي الله موسى عليه السلام مما أحال القارئ عبر هذا التوافق إلى قصة موسى وجبل الطور الذي ذكر في القرآن الكريم في أكثر من موضع، ومثل هذا الاستدعاء لصورة جزئية من أحداث كثيرة حصلت في قصة موسى قد أكسب نص ابن النبيه عبر الإحالة عمقًا وحثًا لذهن المتلقي لتفسير المقصد.

وتظل قصة سيدنا موسى عليه السلام تلقي بظلالها وتتعالق مع قصة انتصار موسى عليه السلام على فرعون وأعوانه وإغراقهم في البحر مع قصة الملك الأشرف موسى حين كسر عساكر الموصل وأغرقهم في هزيمة نكراء حيث يقول [من المنسرح]:

عَساكِرُ المَوْصِلِ الّتي انْكَسَرَتْ   تُخْبِرُ عَنْ نَفْسِهِ وَفُرْسانِهْ
يَوْمَ أتى جَمْعهم وَقَد قَدَحَتْ   سَنابِكُ الخَيْلِ زَنْدَ نِيرانِهْ
تَفَرْعَنُوا بِاجْتِماعِ كَيْدِهِمْ   فَالْتَقَفَتْهُمْ آياتُ ثُعْبانِهْ
أَغْرَقَهُمْ بَحْرُ جَيْشِهِ فَهُمُ   كَآلِ فِرْعَوْنَ تَحْتَ طُوفانِهْ(٤)

ففي هذا النموذج من الاستدعاء اتكأ الشاعر على التشبيه بين حال غرق عساكر الموصل في الهزيمة وتجرعهم مرارة هذه الهزيمة مع حالة فرعون وجنوده حين غرقوا في البحر بعد اتباعهم موسى عليه السلام محاولة منهم للقضاء عليه وعلى من تبعه، وقد أحالتنا هذه الأبيات عن طرق التشبيه إلى قوله تعالى: ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (٦٣) وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ (٦٤) وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ (٦٥) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (٦٦) ﴾(٥).

---

(١) هي: قلعة منيعة على رأس جبل بالقرب من عكا بناها الملك العادل، الكامل في التاريخ ،ابن الأثير الجزري ، (١٠/٣٧٥).

(٢) الديوان (١١).

(٣) سورة مريم (٥٢).

(٤) الديوان (١٥).

(٥) سورة الشعراء (٦٣-٦٦).

وتحضر ذات القصة في قول ابن النبيه [من الطويل]:

فَكَـمْ فَلَقَـتْ حَمْلاتُـهُ بَحْـرَ جَحْفَـلٍ   وَلَـيْسَ عَصـا موسـى سِـوى سَمْهَرِيَّـةِ(١)

ففي هذا الاستدعاء يستثمر ابن النبيه ما فعله البحر بجيش فرعون، ليعقد موازنة بين ذلك الموقف وبين فعل الملك الأشرف موسى بجيوش العدو، حيث أغرقهم؛ ثم يجنح ابن النبيه إلى بيان موضع المفارقة بين الموقفين، وهي أن موسى - عليه السلام — قد شق البحر بعصاه التي هي آية من آيات الله — سبحانه - أما الملك الأشرف موسى فقد فعل ذلك فشق جيشًا يشبه من كثرته البحر، وكان ذلك من الملك بالرماح السمهرية، وهي تشبه عصا موسى عليه السلام، إذ كلتاهما عصا من خشب، وجرت بكلتيهما آية تمثلت في فلق البحر، وفلق جيش العدو الذي يشبه البحر كذلك من كثرته. وهذه الأوجه من الموازنة والمفارقة ثم العودة للموازنة استطاع من خلالها ابن النبيه في هذا النموذج الشعري المتكئ على تقنية الاستدعاء أن يبرز قوة ممدوحه وعلو قدرته، من خلال هذا الاستثمار الدلالي لقصة عصا موسى عليه السلام؛ إذ لا تزال هذه العصا في الوجدان الديني رمزًا للإعجاز والتحدي والتغلب على الصعوبات وقهرها والإتيان بالخوارق بما يذهل أمامه بنو البشر؛ كيف لا؟ وقد روع بها موسى عليه السلام فرعون وسحرته وأعجزهم وأخرسهم حين تلقف ما يأفكون وأبطلت سحرهم وكيدهم وأنجى الله موسى وقومه من فرعون وشره حين ضرب بها البحر وضرب بها الجبل فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا، كما كانت ولاتزال هذه العصا رمزًا لإحباط المؤامرات والدسائس يقول [من الطويل]:

مِلِيـكٌ يَخُـوضُ الجـيشُ ضـربًا بسـيفِهِ   ومـا زالَ موسـى بالعصـا فـالِقَ البحـرِ(٢)

فعن طريق تشبيه الممدوح والذي تداعى اسمه مع اسم النبي موسى عليه السلام شبه الشاعر الممدوح بموسى وقد فلق البحر بعصاه كذا الممدوح فلق الجيش وفرقه، والأبيات أحالتنا إلى قوله تعالى: ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾ (٣).

ويقول في موضع آخر[من البسيط]:

بِمَجْـدِ سـيفِكَ آيـاتُ العصـا نُسِـخَتْ   إذَا تَفَـرْعَنَ يَـوْمَ الـرَّوْعِ كَـافِرُهُ(٤)

ويقول أيضًا [من البسيط]:

---

(١) الديوان (٣٤).

(٢) الديوان (٣٥).

(٣) الشعراء (٦٣).

(٤) الديوان (٨).

دِمْياط طُورٌ ونارُ الحرب موقَدَةٌ   وأنتَ موسى وهذا اليومُ مِيقاتُ
أَلقِ العصا تتلقف كلَّ ما صنعوا   ولا تَخَفْ ما حِبَالُ القوم حَيّاتُ(١)

فهذه النماذج الشعرية التي استند فيها ابن النبيه إلى استدعاء النبي موسى – عليه السلام – وعصاه؛ تفتح في النص الشعري فضاءات الإيحاء والإحالة فنراه عند قدومه على أخيه بجيش جرار لمساعدته في حرب الصليبيين بموقعة دمياط إذ قرنه بموسى الرسول ومعجزاته في الصواعق فقد استمد الشاعر فيها من العصا التي هي إحدى معجزات موسى عليه السلام صورة شعرية وأحالنا إلى قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾(٣). وإذا ما انتقلنا إلى نماذج شعرية أخرى تجلت فيها ظاهرة استدعاء شخصية النبي موسى – عليه السلام – وقصته مع عصاه، فتلتقي بجانب آخر من قصة موسى – عليه السلام –، وهو المتعلق بمعجزة اليد البيضاء، فيوظفها ابن النبيه في مديح الملك الأشرف موسى مستثمرًا آية أخرى وهي "اليد البيضاء"، حيث يقول [من الوافر]:

وَفِي تِلْكَ اليدِ البيضاءِ غُصْنٌ   يُحَقِّقُ كُلَّ فعْلٍ مُوَسَوِيِّ
إِذَا اشْتَجَرَ الْقَنَا أَفْنَاهُ حَطْمًا   كَمَا الْتقَف الحِبَالُ مَعَ العِصِيِّ(٤)

فهو يستوحي قوله تعالى في مخاطبة موسى: ﴿ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى ﴾(٥)، إن الكناية في اليد البيضاء هي معروفة ومتداولة لوصف كرم الممدوح وفيض العطاء، ولكن ما جعلنا نقول باستدعاء الآية هو لفظ (موسوي)، وهي واحدة من معجزات سيدنا موسى التسع التي جاء بها إلى فرعون وقومه، فجمع إلى الشجاعة عند الممدوح قوة البأس والكرم. فنرى اتكاء ابن النبيه على قصة موسى – عليه السلام – واستيحاءه منها – من خلال الاستدعاء- صراع ممدوحه صاحب الحق مع خصومه من أهل الباطل وانتصاره عليهم، ومن ذلك قوله في مفتتح مدحه الناصر أحمد [من الخفيف]:

أَنَسْتْ بِالعِرَاقِ بَرْقًا مُنِيرًا   فَطَوَتْ غَيْهَبًا وَخاضَت هَجِيرًا(٦)

---

(١) الديوان (٦٥).
(٢) الأعراف (١٤٣).
(٣) طه (٦٩).
(٤) الديوان (٤٥).
(٥)سورة طه آية: ٢٢.
(٦) الديوان (٥).

ففي هذا البيت يمثل لفظ (آنست) إحالة بارعة من ابن النبيه — من خلال تقنية الاستدعاء- إلى قوله تعالى: ﴿ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴾(١).

بما تفتحه هذه الإحالة في فضاءات تأويل النص من دلالة على طاقات الأمل التي يعد الممدوح معادلًا موضوعيًّا لها، ذلك أن نار موسى رمز للأمل الذي يعقبه الخير العميم بعد طول يأس وطول عنت وتعب، فالنار التي قصدها موسى والتجأ إليها مستأنسا بها للتدفئة والحصول على ما يسكت جوعه، قد أعقبها فضل كبير ونعمة فضيلة وهي تكريم موسى بالرسالة لكي ينقذ بني إسرائيل من فرعون ومن قبله"(٢).

وهذه الشحنات الإيحائية التي حملتها الموازنة أو المشابهة بين تلك العناصر التي استدعاها ابن النبيه من قصة موسى — عليه السلام — وبين نظائرها في ممدوحه الأشرف موسى؛ لئن كانت جلية في شعر ابن النبيه، فليس استثمار إيحاءات الموازنة والمشابهة هو كل ما أضفى على آلية استدعاء قصة موسى عليه السلام — هذا الزخم الدلالي، حيث نرى ابن النبيه يستثمر دلالة أخرى من عناصر قصة موسى عليه السلام، وهي دلالة المفارقة والمغايرة، فيستدعيها لأداء هذه الدلالة لأغراض بلاغية أخرى، ومن ذلك قوله: [من الكامل]:

مُوسَى الّذي أنِفَتْ شَهامَةُ عَزْمِهِ   أنْ يِسْتَمِدَّ النَّصْرَ مِن هارونِهِ(٣)

ففي هذا النحو من الاستدعاء نراه يؤدي وظيفة دلالية توحي بقوة ممدوحه وشهامته وعزمه، إلى الحد الذي لا يكون معه في حاجة إلى من يسانده أو يكون له معاضدا في تسيير أمور الدولة، وهذه على العكس تماما من الصورة التي جاء بها القرآن لسيدنا موسى عليه السلام والذي طلب من الله عز وجل أن يشد أزره بأخيه هارون عليه السلام ليكون له عونًا في أمور الدعوة، قال تعالى: ﴿ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) ﴾(٤). وفي الأفق الجمالي ذاته نرى استخدام ابن النبيه لتقنية الاستدعاء على نحو يرسم من خلاله صورة لممدوحه مغايرة لما جاء به القرآن، وهي قصة موسى مع الخضر، حيث يقول [من الطويل]:

عَلِيمٌ لَهُ سَهْمٌ مِنَ الْغَيْبِ صَائِبُ   وَمَا كُلُّ مُوسَى مُسْتَمِدٌّ مِنَ الْخَضْرِ(٥)

فمثل هذا الاتجاه الإيحائي الذي أتاحه استدعاء قصة موسى مع الخضر — عليهما السلام — مدخلًا أغرى ابن النبيه إلى المبالغة البعيدة، حيث جعل الشاعر من ممدوحه صاحب علم بالغيب، ثم إن هذا العلم بالغيب لا يتأتى من جانب بشري، كما أحالتنا كلمة (الخضر) وهو صاحب القصة المشهورة

---

(١) سورة طه آية: ١٠.

(٢)،أثر القرآن في الشعر الجزائري الحديث، محمد ناصر بو حجلم (٢/٢١٨).

(٣) الديوان (٣٢).

(٤) طه (٢٩-٣٠-٣١).

(٥) الديوان (٣٥).

مع سيدنا موسى عليه السلام، وذلك أن موسى لقي الخضر وطلب منه أن يرافقه في سيره فأخبره الخضر أنه لا يستطيع صبرًا على هذه المرافقة؛ إذ سيرى أمورًا ظاهرها منكر وإن كانت حقًّا في باطنها، وتكشف لنا هذه القصة عن التوق إلى المعرفة والحرص على العلم؛ لكن الشاعر خالفها وجعل ممدوحه صاحب علم ومعرفة من الغيب، وقد أحالتنا كلمة (الخضر) إلى الآيات: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا (٦٢) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (٦٣) قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا (٦٤) فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (٦٥) قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (٦٦) قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (٦٨) قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (٦٩)﴾(١).

وهكذا نرى أن الملك الأشرف موسى الذي صاغ فيه ابن النبيه كثيرًا من قصائده ومقطوعاته الشعرية مادحًا له، وإذ كان سميًّا للنبي موسى – عليه السلام – فقد أتاحت هذه المشابهة لابن النبيه أن يستثمر استدعاء اسم النبي موسى – عليه السلام – مع ومضات ومواقف وعناصر من قصته كما وردت في القرآن الكريم، على نحو أضفى على النسج الشعري مقدرة ظاهرة، كما فتح فيه آفاقًا دلالية وفضاءات تأويلية من خلال تقنيات المشابهة والموازنة حينًا، والمفارقة والمغايرة حينًا آخر، فنراه لا يكاد يترك حادثة واحدة إلا ويقوم بتوظيفها وتحويلها إلى معنى ممدوحه ويستغلها لبناء الصور. وفي اتكاء ابن النبيه على آلية استدعاء الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام – نراه يفرد حيزًا من شعره لغير موسى – عليه السلام – الذي استحوذ ذكره وقصته على كثير من شعر ابن النبيه خاصة في مدح الأشرف موسى. فنراه يستدعي قصة يوشع بن نون – عليه السلام – ويوظفها أيضًا في مديحه للملك الأشرف موسى، فيقول [من السريع]:

المِلكُ الأشرفُ شاهَ أرمنٍ   مُظَفَّرُ الدينِ الْفَتَى الْأَرْوَعُ
إنْ غَاضَ مَاءُ الرِّزْقِ مُوسَى وَإنْ   تغرب شمسي إنه يوشع(٢)

ويقول في موضع [من الكامل]:

الأشرفُ المِلكُ الذي سادَ الوَرَى   كَهْلًا ومُكْتَمِلَ الشبابِ وَمُرْضِعَا
رُدَّتْ بِهِ شمسُ السماحِ على الوَرَى   فَاستبشِرُوا ورأوا بِمُوسَى يُوشَعَا(٣)

والقرآن الكريم لم يصرح باسم يوشع، لكن قصته معروفه في أنه حبست له الشمس في يوم الجمعة حتى استطاع الانتصار على قوم الجبارين وقتلهم(٤)، وفي قصة يوشع ما يدل على التوكل على الله وطلب

---

(١) الكهف (٦٢-٦٩).

(٢) الديوان (١٧).

(٣) الديوان (١٨).

(٤)البداية والنهاية، لابن كثير ، (٣٣٣/١).

نصرته في كل حال وقد حقق الله له ذلك ونصره، وقد خلع الشاعر على الملك الأشرف في الأبيات السابقة صفات شخصية يوشع ووصفه بها.

ولا يخفى على المتأمل براعة ابن النبيه في استخدامه لتقنية الاستدعاء، حيث نراه متراوحًا في هذا الاستخدام ما بين استدعاء قطاع واسع من القصة، وبين اكتفائه بأن يبث في النص كلمات هي بمثابة المفاتيح للفضاءات الدلالية والبلاغية والجمالية التي يقصد إليها، مثل استخدامه كلمات (موسى – عصا – اليد البيضاء – تلقف – هارون – الخضر – يوشع)، فكان هذا الاستخدام كفيلًا بإيجاد مساحة من الجدل والحوار وكسر التوقع أحيانًا، بين النص وبين ذهن المتلقي. وهذه البراعة لا يمكن تصور تَأَتِّيها للشاعر إلا بعد تمرس طويل بالشعر، فالإبداع في الشعر من خلال ظاهرة استدعاء التراث الديني لا ينشأ لطفرة كلامية تتدفق على المتكلم،إنما هو نتيجة استحضار واع أو منسي لتراث إبداعي سابق عليه، وإن حضور ذلك الموروث بالاستشهاد أو التلميح أو الرمز أو المحاكاة يولد في النص المبدع أفقا رحيبا يجعل دلالاته بلا حدود، فيستفز المتلقي لكد الذهن قراءة وفهما وتأويلا"(١).

ونستمر في التجوال بين ثنايا ديوان ابن النبيه، وفي رصدنا لاستدعائه شخصيات الرسل والأنبياء، وإلماحه إلى أقباس من قصصهم، وذلك مظاهرة جزيئة داخل ظاهرة استدعاء الشخصيات الدينية، والتي تعد بدورها ظاهرة جزئية داخل الظاهرة الأعم التي يتناولها هذا البحث، لنقف في نموذج شعري آخر على استدعاء ابن النبيه شخصية سيدنا سليمان – عليه السلام – متناولًا من قصته ما اختصه به الله – سبحانه – من المعجزات، ليضفر هذا الاستدعاء موظفًا له ببراعة في قصائده التي يمدح بها الأشرف موسى، مستغلًا في ذلك الطاقات الإرشادية والإيحائية العديدة التي ترمز إليها قصة سليمان – عليه السلام – إذ تعد النموذج الأكمل في التاريخ البشري لفكرة القوة والسلطان المحوط بالعناية والتدبير الإلهيين، فنقف من خلال هذا النموذج الشعري على مقدار براعة ابن النبيه في صوغ القصة المستدعاة، وتضفير عناصرها في شعره، واستثمارها دلاليًّا وجماليًّا في مدحه للأشرف موسى... فيقول: [من الطويل]:

أَبُو الْفَتْحِ مُوسَى الأَشْرَفُ المِلِكُ الذِي   يَلُوحُ كَبْدِرِ التَّمِّ بين القَنَا القَانِي
فَيَخْضَرُّ طَوْرًا مِن نَدَى بَطْنِ كَفِّهِ   وَيَذْبُلُ طَوْرًا مِنْ سُطَاه بنيران
يُلاعبُ عِطْفَيْهِ مِنَ التِّيهِ طَرْفُهُ   وَيَمْشِي به من عُجْبِهِ مَشْيَ سَكْرَانِ
قَوَائِمُهُ مِثْلُ الْقَوَادِمِ وَإِنْ جَرَى   فَهَلْ رَاكِبُ الرِّيحِ غَيْرَ سُليمان
وَمَنْ كَانَ نَصْلُ السَّيْفِ خَاتَمَ مُلْكِهِ   أَيَنْزِعُهُ مِنْ كَفِّه خَطْفُ شَيْطَانِ(٢)

فنراه يصور صفات الملك الأشرف من خلال عدد من الصفات التي يتمتع بها كالكرم والشجاعة، ثم استخدم الكناية (فهل راكب الريح غير سلمان) للدلالة على السرعة التي يتمتع بها الممدوح وفيها

---

(١)من النص إلى سلطة التأويل، الحبيب شبيل، ص (٩٣).

(٢) الديوان (٢٤).

إشارة إلى تسخير الريح لسليمان من خلال قوله تعالى: ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴾(١).

ثم ومن خلال الإشارة أيضا استحضر معجزة سليمان الأخرى وهي خاتم نبوة سليمان، حيث لا يستطيع الأعداء انتزاعه كما لا تستطيع الشياطين المسخرة لسليمان مخالفة أوامره، قال تعالى: ﴿ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ (٣٧) وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴾(٢)، إن في استحضار قصة سليمان استحضارًا لملك لم يؤت لأحد من العالمين ولعل هذا ما قصده ابن النبيه في رسم صورة ملك الملك الأشرف من العظمة والمجد ، ليفتح في نصه الشعري فضاءً من التأويل على المشابهة بين صورة كلا الملكين، هذه المشابهة ال كانت بمثابة القناعة المبدئية التي دخل منها إلى النص الشعري ابن النبيه، محاولًا إبراز عناصرها في هذا المدح.

وكان لقصة النبي سليمان – عليه السلام – حضور كثيف في عدد آخر من النماذج الشعرية في ديوان ابن النبيه، ومن ذلك قوله: [من البسيط]:

ذَلُّـــوا لِمُلْـــكِ أَعَـــانَ اللهُ صَـــاحِبَهُ   مُوسَى سُلَيْمَانُهُ وَالسَّيْفُ خَاتَمُهُ(٣)

وفي موضع شعري آخر يستدعي فيه قصة النبي سليمان – عليه السلام – ليستثمرها في ابتناء الدهشة – التي يحيل إليها التساؤل – من تماثل الملك بينه – عليه السلام – وبين ممدوحه، فيقول: [من السريع]:

يَـــا سَـــيِّدَ الْأَمْـــلَاكِ بَـــيِّنْ لَنَـــا   أَأَنْـــتَ مُوسَـــى أَمْ سُـــلَيْمَانُ(٤)

ويبلغ ابن النبيه في محاولته لاستثمار قصة النبي سليمان – عليه السلام – شعريًّا في مدحه للملك الأشرف حد الشطط والخروج عما هو مستقر في الوجدان الجمعي، خاصة من الناحية الدينية، حيث يستدعي شخصية سليمان – عليه السلام – وينسب إليه الإقرار بالعجز عن الإتيان بمثل ما أتى به ممدوحه. وهي صورة أرى أن ابن النبيه لم يوفق فيها شعريًّا، بالإضافة لما تمثله من جرح للوجدان الجمعي للمتلقي، حيث نراه يقول [من الطويل]:

خَرَجْـتَ لِتَرْتِيـبِ الْبِنَـاءِ فَلَـوْ رَأَى   سُلَيْمَانُ مَا شَيَّدْتَهُ قَالَ لَا أَقْوَى(٥)

فقد جمحت المبالغة بالشاعر في هذا النموذج الشعري، الذي قصد فيه إلى إعلاء منزلة ممدوحه وبيان قدرته ومتانة ملكه، فوصفه بأنه من القوة ما جعل الملك سليمان يقف بالعجز أمام قوته، وهذا خلاف الصورة المعهودة عن سليمان والذي قال الله على لسانه في محكم تنزيله: ﴿ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾(١).

---

(١) الأنبياء (٨١).

(٢) ص (٣٧).

(٣) الديوان (٨٠).

(٤) السابق (٤٩).

(٥) السابق (٦٩).

ويستدعي ابن النبيه جانبًا من قصة سليمان – عليه السلام – ليستثمره في مدحه للأشرف موسى، فيقول: [من الوافر]:

أَغَرُّ عَلَى سَرِيرِ المُلْكِ فِيهِ   سُلَيْمَانٌ وَأَهْلُ الْأَرْضِ نَمْلُ

فنجد ابن النبيه في هذا الاستدعاء يسعى إلى أن يشبه الممدوح في عظمته بعظمة الملك سليمان وهو على سرير الملك، ويذهب إلى أبعد من ذلك حين يشبه الرعية بأنها كالنمل الذي خاف من سليمان أن يحطمه ويحيلنا بذلك إلى قوله تعالى: ﴿ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾(٢).

ومن خلال هذا التوظيف فقد نجح ابن النبيه في إظهار عظمة الممدوح ومنزلته، وهو توظيف يدل على براعة وسعة مخزونه التراثي والذي يتفاعل مع نصوصه بألوانه المختلفة.

وفي سياق استدعاء شخصيات الأنبياء – عليهم السلام – كان لقصة يوسف – عليه السلام – حضور ليس بالقليل في شعر ابن النبيه، حيث اتخذها معادلًا موضوعيًّا لأفكار كثيرة دارت فيها أحداث القصة وعناصرها ونقلاتها الحياتية والنفسية... ولعل أبرز هذه الأفكار فكرة الحسن الباهر، وتضافرها مع فكرة الحزن العميق، فنطالع في ديوان ابن النبيه ومضات من هذه القصة وما حملته من أفكار يضفرها في الحالات الشعرية ليستمد من مضمون القصة ما يخدم الطرح الشعري ويثريه فكريًّا ووجدانيًا، ومن ذلك قوله [من الوافر]:

سليمان ملك لا يضاهى   تزيّا بِالجَمَالِ الْيُوسُفِيِّ(٣)

وفي موضع آخر يقول [من الطويل]:

أَيَا يُوسُفِيَّ الحُسْنِ لَوَلَاكَ لم يهن   فَتىَ مُوسَوِي الْمُنتمَى أَشْرَفَيْهِ(٤)

ومثلما جنحت المبالغة بابن النبيه في قصائده في المدح الذي استدعى فيه كلًّا من موسى وسليمان – عليهما السلام – كذلك نراه في توظيفه لقصة يوسف – عليه السلام – لم يسلم من أن تستبد به المبالغة، ومن ذلك ما نراه في قوله [من البسيط]:

فِي حُسْنِ يُوسُفَ إِلَّا أَنَّهُ مَلِكٌ   فما يُبَاعُ بِبخْسِ النَّقْدِ مَعْدُودِ(٥)

---

(١) النمل (١٦).
(٢) النمل (١٨).
(٣) الديوان (٤٥).
(٤) السابق (٣٤).
(٥) السابق (٧٤).

لقد جعل الشاعر الممدوح في منزلة يوسف عليه السلام، ولكنه ذهب إلى أبعد من ذلك حين جعل ممدوحه مفضلًا على يوسف حيث لم يبع ولم يسجن كما أخبرتنا الآيات في قوله تعالى: ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾(١).

ومن مدخل الحسن الباهر الذي يعتبر فكرة رئيسة من الأفكار التي تدور حولها قصة يوسف – عليه السلام – نرى ابن النبيه داخلًا إلى غرض الغزل الذي كثر فيه استدعاء قصة يوسف لخدمة هذا الغرض الشعري. ومن ذلك ما نجده لدى ابن النبيه في قوله [من الكامل]:

يَا مَنْ حَكَى فِي الْحُسْنِ صُوَرَةَ يُوسُفِ   أَهٍ لَوْ انكَ مِثْلَ يُوسُفَ تُشْتَرَى(٢)

ففي هذا النموذج الشعري نرى الشاعر يتمنى أن يكون محبوبه يشترى مثلما وقع ليوسف – عليه السلام – والمبرر الذي يقوم عليه هذا الخيال الشعري هو ما صدَّر به ابن النبيه الشعر من خلال تقرير صورة الحسن التي عليها محبوبه، والتي حاكت صورة الحسن لدى يوسف – عليه السلام–.

ثم ينعطف ابن النبيه على حدث آخر من أحداث قصة يوسف – عليه السلام – إذ يستدعيها ليستلهم منها الموازنة بين اجتماعه بأخيه واجتماع الأشرف موسى بأخيه الصالح محمود صاحب آمد، فيقول [من السريع]:

مُوسَى وَمَحْمُودٌ إذَا استجمعا   قُلْتُ وَقَوْلِي صَادِقٌ وَاضِحُ
ذَا يُوسُفٌ رُدَّ أَخُوهُ لَهُ   وَمَاتَ ذَاكَ النَّازِغُ الَّنازِحُ(٣)

فيحيلنا ابن النبيه – من خلال هذا الاستدعاء – إلى أحداث جمة حصلت في قصة سيدنا يوسف عليه السلام، ومنها ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿ قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾(٤).

وإذا كان لفكرة الحزن حضور في ثنايا أحداث قصة يوسف – عليه السلام – والتي يجسدها يعقوب – عليه السلام – فقد كان لهذه الفكرة حضور في الموضوعات الشعرية التي يعبر بها ابن النبيه عن الحزن من خلال استدعائه قصة يعقوب في ثنايا قصة يوسف – عليهما السلام –، ومن ذلك قوله [من الرمل]:

وقد أبيضت به عيـ   ـني وللمهجور أن يحزن(٥)

---

(١) يوسف (٢٠).
(٢) الديوان (٣٩).
(٣) الديوان (٦٠).
(٤) يوسف (٨٩).
(٥) الديوان (٣٦).

فيستدعي في هذا البيت يعقوب – عليه السلام – من خلال التناص مع قصته الذي يصنعه التعبير بابيضاض العين من الحزن؛ إذ يحصل من هذا التعبير تناص مع قوله – تعالى – عن يعقوب – عليه السلام-: ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾(١).

فكان هذا التعبير موفقًا ورصينًا من ابن النبيه في الإحالة على الحزن، إذ يعمق الدلالة ويكسبها وضوحًا ويستدعي لذهن المتلقي تلك الصورة وهي بياض العين وفقدها من شدة الحزن.

ولفكرة الفرح حضور أيضًا في قصة يوسف – عليه السلام – ولذلك كان التعبير عن هذه الفكرة من خلال استدعاء ابن النبيه لشخصية يوسف – عليه السلام – وأحداث قصته حاضرًا في شعره، وكنموذج لذلك نطالع تعبيره عنها من خلال استدعاء صورة يعقوب ليعبر عن فرحه بما أوكل إليه من الملك الأشرف بالرد على كتاب الخليفة، فشبه هذا الكتاب بأنه كقميص يوسف عندما رمى به أخوه على وجه أبيهم في قوله تعالى: ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾(٢).

فيقول مستدعيًا هذا الموقف ومستلهمًا دلالته على الفرح [من الخفيف]:

سَيِّدِي سَيِّدِي كِتَابُكَ أَحْلَى   مِنْ زُلَالٍ على فؤادي الصَّادِي
خِلْتُ فِيهِ قَمِيصَ يُوسُفَ لَمَّا   أَلْصَقَتْهُ أَنَامِلِي بِفُؤَادِي(٣)

إن الثقافة العريضة لابن النبيه تتبدى من خلال نماذجه الشعرية التي اتكأ فيها على استدعاء شخصيات الأنبياء – عليهم السلام –، ويبرز ذلك جليًّا من خلال ذهابه بالدلالات والإيحاءات المستفادة من الشخصية المستدعاة أو الحدث المستدعى من أحداث قصته؛ إلى وجهات مغايرة لمألوف الشعراء في استدعاءاتهم.

ونسوق مثالًا لذلك: أن حدث الطوفان من أحداث قصة نوح – عليه السلام – إذا كان المألوف لدى الشعراء هو استدعاؤه للدلالة على إهلاك الظالمين أو نجاة المؤمنين، فإننا نجد له استدعاءً عند ابن النبيه ينأى عن هذه الدلالة إلى دلالة أخرى؛ هي كرم الممدوح. ونلاحظ في هذه النظرة الجديدة لهذا الحدث ما يشير جليًّا إلى عمق رؤية ابن النبيه الشعرية ووعيه بالطاقات الجمالية والبلاغية التي يمكن أن يؤديها الاستدعاء في النص الشعري؛ إذ نراه يقول [من البسيط]:

مَلْكٌ إِذْا ما طَغَى طوفانُ راحَتِهِ   أَرْسَت سَفِينَةَ راجِيهِ عَلَى الْجُودِي(٤)

لقد كنى الشاعر عن الكرم وفيض العطاء بقوله: (طغى طوفان راحته) مستدعيًا طغيان الماء في قصة سيدنا نوح عليه السلام، قال تعالى: ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴾(٥)، وقد لاحظنا أن

---

(١) يوسف (٨٤).

(٢) يوسف (٩٣).

(٣) الديوان (٥٥).

(٤) السابق (٧٤).

(٥) الحاقة (١١).

الشاعر استخدم نفس الفعل الوارد في سياق الآية "طغى" وبنفس الزمان مما أعطى المتلقي شعورًا بالكثرة، فالمتلقي لقصة نوح عليه السلام دائمًا ما يتبادر إلى ذهنه الكميات الهائلة للماء التي طغت على الأرض؛ نتيجة لجريان الماء من كل ناحية فهو يفيض من الأرض ويهطل من السماء، ثم عاد الشاعر يكمل هذه الصورة الجزئية معضدًا إياها بصورة أخرى وهي رسو السفينة على جبل الجودي ومستلهما ذلك من قوله تعالى: ﴿ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ﴾(١)، كان توظيفًا موفقًا وبيانًا عذبًا وكأن الشاعر قد عايش القصة وحضر أحداثها.

ثم نجد ابن النبيه ملتفتًا إلى عنصر يندر التفات الشعراء إليه من قصة نوح – عليه السلام – وهو طول عمره، فيستدعي هذا العنصر ليتخذه متكأ جماليًّا للدعاء لممدوحه أن يؤتى طول العمر، فيقول [من البسيط]:

وَرِثْتَ نُوحًا نَبِيَّ اللهِ فِي عُمُرٍ   يَجُوزُ حَدَّ مَدَى الأَيَّامِ أَقْصَاهُ(٢)

وفي استدعاء ابن النبيه لشخصية نبي الله أيوب – عليه السلام – نراه حريصًا في استدعائها على التعلق بما لهذه الشخصية من دلالات نفسية وفكرية متجذرة في الوجدان الجمعي الذي اتخذها نموذجًا ومعادلًا موضوعيًّا لفكرة الصبر على البلاء وعمق الإيمان، والرضا بقضاء الله والتسليم المطلق له(٣)، فنراه يقول [في السريع]:

وَكَيْفَ أَرْجُو وَصْلَهُ فِي الْكَرَى   وَالْعَيْنُ لَا تَغْفُو وَلَا تَهْجَعُ
قَدْ مَسَّنِي الضُّرُّ وَمَا لِي سِوَى   مَنْ يَمْنَعُ الْجَارَ وَلَا يُمْنَعُ(٤)

إلا أن الانعطافة التي تدل على تميز ابن النبيه في استدعائه لهذه القصة تتمثل في اتكائه على الدلالات السابق الإشارة إليها في قصة أيوب – عليه السلام – في سياق الغزل وليس الشكوى من تصاريف الأيام على نحو ما نجده من غيره من الشعراء، فنرى ابن النبيه واصفًا في هذا الاستدعاء حاله مع المحبوب وأنه لا يستطيع الوصول إليه فهو يعاني الأرق والسهر ونتيجة لذلك كله قد مسه الضر، استلهم جزءًا من دعاء أيوب عليه السلام: ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾(٥)، إن توظيف هذا الجزء من الدعاء يدل على مهارة حيث اكتسب الشاعر تعاطف المتلقي والذي تبادر إلى ذهنه حالة سيدنا أيوب عليه السلام مع البلاء والتي تشبه حالة الشاعر مع المحبوب مما أكسب النص حيوية وتدفقًا إيحائيًّا.

---

(١) هود (٤٤).
(٢) الديوان (٥٧).
(٣) استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر (٩١).
(٤) الديوان (١٧).
(٥) الأنبياء (٨٣).

ومن الأحداث ذات الدلالات الروحية الثرية في قصة سيدنا إبراهيم – عليه السلام – تحطيمه لأصنام القوم الكافرين، فنرى ابن النبيه يستدعي هذا الحدث ليستثمره دلاليًّا في سياق الإشادة بفتح دمياط على يد الملك الأشرف موسى؛ حيث يقول [من البسيط]:

طَهَّرْتَ مِنْبَرَهَا الْعَالِي وَمِئْزَرَهَا   مِنْ رِجْسِهَا بَعْدَ مَا سَاخَتْ قَوَائِمُهُ
وَقُمْتَ تَكْسِرَ تِمْثَالَ الْمَسِيحِ بِهِ   بِرَغْمِ مَنْ هُوَ بِاللَّاهُوتِ لَائِمُهُ
أَشْبَهْتَ جَدَّكَ إِبْرَاهِيمَ وَاتَّفَقَتْ   عَلَى عَزَائِمِكَ الْعُلْيَا عَزَائِمُهُ[1]

فاستثمر هذا الحدث دلاليًّا إذ استدعاه من القصة لربط وشائج المشابهة بين فعل الخليفة الأشرف وبين فعل نبي الله إبراهيم عليه السلام، حيث حطم الأول تمثال المسيح وصلبان النصارى وحطم الثاني الأصنام التي كان يعبدها قومه وأبوه من دون الله، مستلهمًا ذلك من قوله تعالى: ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ (٥٧) فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (٥٨) قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (٥٩) قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (٦٠) ﴾[2].

إن في توظيف قصة إبراهيم في مشهد من مشاهد الفتح التي حصلت في عهد الأشرف ما يدل على القوة في الحق والثبات عليه والذي تمتع به سيدنا إبراهيم عليه السلام وكذلك تمتع به الممدوح من وجهة نظر الشاعر.

وقصة خليل الله إبراهيم – عليه السلام – غنية بالأحداث والمعاني والعبر، ولذا نجد ابن النبيه مستلهمًا منها حدثًا آخر من أحداثها المفصلية، وهو النار التي صارت آية من آيات الله - تعالى - للمؤمنين، إذ أحالها بردًا وسلامًا على خليله – عليه السلام -، فيقول ابن النبيه مستفيدًا من إيحاءات هذه الدلالة [من الطويل]:

مَنْ يحبس الصَّخْرَ لِمُوسَى وَمَنْ   أَبْدَعَ فِي تَبْرِيدِ نَارِ الْخَلِيلِ[3]

فاستثمر ابن النبيه في هذا النموذج الشعري الدلالة الإيمانية في الحدث المستدعى - وهو جعل النار بردًا وسلامًا – ليتكئ عليها في التبرير الإنساني لشكواه المكبوتة حين جار عليه الدهر وقل ماله ونصيره وهو يلتمس النصرة والمعونة، من الله عز وجل في رفع ما وقع به من وشاية به عند الحاكم، ويستدعي من خلال معجزات الأنبياء في التوسل إلى الله - تعالى - فيبادر إلى هذا الحدث من قصة الخليل عليه السلام.

ونطالع في ديوان ابن النبيه انتقالًا إلى استدعاء شخصية أخرى من الأنبياء – عليهم السلام – وهو المسيح عيسى – عليه السلام – ليوظف دلالة معجزته في إبراء الأكمه والتي أشار إليها القرآن في قوله

---

[1] الديوان (٨٠).
[2] الأنبياء (٥٧-٦٠).
[3] الديوان (٨٥).

تعالى: ﴿وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي .. ﴾(١)، ليفتح منها أفقًا دلاليًا وإيحائيًا على استعادة ابن النبيه همته بعد أن فترت ببعد ممدوحه؛ حيث يقول [من الكامل]:

مَوْلاي إنْ مَاتَتْ ببُعْدِكَ هِمَّتي   فَنَدَاكَ مِثْلُ يَدِ الْمَسِيحِ إِذَا مَسَحْ(٢)

ووظف آيته الأخرى وهي إحياء الأموات، وأسقط تلك المعجزة على الممدوح بقوله [موشحًا]:

كَمْ أحْيي كعيسى   ميتا ولم يُدْفن(٣)

وهي المعجزة التي ذكرها الله في قوله: ﴿ وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي ﴾(٤).

ووظف شخصية المسيح مرة أخرى حين رأى في الممدوح رمزًا للمسلمين، كما كان المسيح رمزًا عند النصارى، حيث قال: [من الكامل]:

لَوْ كَانَ فِي الزَّمَنِ الْقَدِيمِ مُخَاطِبًا   لِلنَّاسِ لَمْ يَبْعَثْ رَسُولًا لِلْوَرَى
وَدَلِيلُهُ الْكَرْجُ الَّذِينَ بِرَبِّهِمْ   كَفَرُوا وَفَضْلُكَ بَيْنَهُمْ لَمْ يُكْفَرَا
حَجُّوا لِقَصْرِكَ مِثْلَ قُبَّةِ قُدْسِهِمْ   وَرَأَوْكَ فِيهَا كَالْمَسِيحِ مُصَوَّرَا(٥)

ويُتَّوج هذا التطواف من الاستدعاء لشخصيات الأنبياء – عليهم السلام – والذي استثمره ابن النبيه دلاليًا وإيحائيًا وجماليًا في شعره؛ باستدعائه أكثر شخصياتهم غنى وثراء بالمعاني والمثل والقيم والعبر، والتي تتضافر في أحداث سيرته العطرة أسمى الأفكار والمشاعر وسُلافة الدين النقي الخالص، وتظهر منها قدرة الله – تعالى – ونصرته لحبيبه خاتم الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، ((والذي تتجلى رمزيته في أنه رمز الخلاص للأمة، فإليه ينسب كل خير، وهو من جلى الظلمة، وكشف الغمة، وبه علا شأن الأمة، فهو المنصور المؤيد من الله، وجيشه من قهر اليهود، فحينما تستلهم شخصية محمد، فإنما يستلهم الجيش المنتصر، والذي يخلص الأمة من حالة الذل والهوان))(٦).

فمن غوامر هذه المعاني ينهل ابن النبيه إذ يستدعي شخصية النبي محمد ﷺ ليقول مادحًا الملك الناصر أحمد [من الكامل]:

بَغْدَادُ مَكَّتُنا وَأَحْمَدُ أَحْمَدُ   حُجُّوا إلى تِلْكَ المناسِكِ وَاسجُدوا
فَهُنَاكَ مِنْ جَسَدِ النُّبُوَّةِ بَضْعَةٌ   بِالْوَحْيِ جِبْرِيلٌ لَهَا يَتَرَدَّدُ

---

(١) المائدة (١١٠).

(٢) الديوان (٣٢).

(٣) السابق (٥٣).

(٤) المائدة (١١٠).

(٥) الديوان (٤٠).

(٦) عاطف جودة نصر ،الرمز الشعري عند الصوفية، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة ١٩٩٨م، ص (٨٧).

هَــذا هُــوَ السِّــرُّ الَّــذِي بَهَــرَ الــوَرَى   فِي ظَهْــــرِ آدَمَ والمِلائِــــكُ سُــــجَّدُ
هــذا الــذي يَسْــقِي العِطــاشَ بِكَفِّــهِ   والحَــوْضُ مُمْتَنِــعُ الحِمــى لا يُــورَدُ
اللَّــه أَنْــزَلَ وَحْيَــهُ لِمُحمَّــدٍ   وَإِلَــيْكُمُ أوصــي بِــذاكَ مُحَمَّــدُ(١)

إننا نجد في الأبيات السابقة تزاحمًا في استحضار رسول الله ﷺ وصفاته ومعجزاته، فالشاعر عندما أراد مدح الناصر ووصفه بالتقوى والصلاح لم يجد كصفات نبي الله (أحمد) ﷺ فالاستدعاء هنا تمثل في اسم من أسمائه ﷺ، ثم إن الشاعر ذهب إلى أبعد من ذلك حيث" جعل الخليفة العباسي الناصر بضعة من جسد الرسول؛ لأنه ليس من نسل الرسول، والحديث النبوي يقول: " فاطمة بضعة مني"(٢)، ولكن مبالغة الشاعر وغلوه في المدح جعل الخليفة الناصر من أبناء فاطمة مثله في ذلك مثل أئمة الشيعة"(٣).

وتظل المبالغة حاضرة في استدعاء صورة النبي الكريم؛إذ جعل الخليفة أحمد هو النور منقولا في الأصلاب من لدن آدم عليه السلام حتى ظهور هذا الخليفة، وهذ الوصف" هو نفس ما قاله الفاطميون عن مرتبة الاستيداع (النبوة) ومرتبة الاستقرار(الإمامة) وتنقلهما منذ خلق آدم هذا الدور. وهي نفس النظرية التي اعتنقها الصوفية في هذا العصر وهي نظرية النور المحمدي"(٤).

ويستمر الشاعر في استدعاء معجزات النبي مشوبة بالمبالغة فيستدعي له سقي الحوض عن طريق المشابهة وهي الكرامة التي اختص بها الله عز وجل محمدًا ﷺ في قوله: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾(٥)، وهو الذي فسره النبي بحديث أنس بن مالك رضي الله عنه "قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، إِذْ أَغْفَىٰ إِغْفَاءَةً. ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا . فَقُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللّهِ؟ قَالَ: «أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ». فَقَرَأَ: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (٣) ﴾ ثُمَّ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟» فَقُلْنَا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ، فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ، فَأَقُولُ: رَبِّ، إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي. فَيَقُولُ: مَا تَدْرِي مَا أَحْدَثَتْ بَعْدَكَ"(٦).

فما يمكن أن يخلص إليه النظر من استدعاء ابن النبيه لشخصية النبي ﷺ في هذا النموذج الشعري؛ هو أنه قد غلبت عليه سمتان أضعفتا الشعر وأربكتا الدلالة التي حاول استفادتها من الاستدعاء؛ استدعاء ابن النبيه لشخصية الرسول الكريم ومعجزاته تتصف بصفتين هما: المبالغة في رسم صورة الممدوح من خلال إلصاقها بمحمد ﷺ ثم التأثر بالفكر الشيعي والذي تسرب كثير من معتقدات الشيعة إلى ثنايا شعره.

---

(١) الديوان (٢).

(٢) صحيح البخاري بحاشية السندي، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري (٣٧٦٧).

(٣) دراسات في الشعر في عصر الأيوبيين ص (٣٤).

(٤) دراسات في الشعر في عصر الأيوبيين، ص(٣٥).

(٥) الكوثر (١).

(٦) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري (٥٣/٤٠٠).

وقال يمدحه في قصيدة أخرى [من الخفيف]:

نَظَمَ اللهُ فِيكَ فَضْلَ أُنَاسٍ   كَانَ فِيهِمْ مُقَسَّمًا مَنْشُورَا
أَهْلَ بَيْتٍ قَدْ أَذْهَبَ اللهُ عَنْهُمْ   كُلَّ رِجْسٍ وَطُهِّرُوا تَطْهِيرَا
أَنتَ يَا ابْنَ النَّبِيِّ خَابَتْ صَلَاةٌ   لَمْ تَكُنْ فِي خِلَالِهَا مَذْكُورَا
قَرَنَ اللهُ إِسْمَهُ بِاسْمِكَ الْعَا   لِي فَأَربَى جَلَالَةً وَظُهُورًا(١)

وقد غلبت الجوانب الفكرية التي يسعى ابن النبيه أن يرسخها بهذا الشعر على الجوانب الفنية التي استخدم من خلالها تقنية الاستدعاء، على نحو أضر بالشعر، بمعزل عن الفكرة سواء نجح في إبرازها أم أخفق. فنراه في هذا النموذج يلح على انتحال نسبة الملك الناصر أحمد إلى النبي محمد ﷺ، ولذلك - كما يرى ابن النبيه — فهو مطهر، ويشطح ابن النبيه في مبالغته بقوله: (قد خابت كل صلاة لا يكون الناصر في خلالها)، وإن هذا الشطح ليتصادم مع ما هو معلوم من الدين ومستقر في عقيدة المسلمين أهل السنة؛ حيث إن الصلاة قد خص بها سيدنا محمد ﷺ في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾(٢).

ومغلبًا لتلك الفكرة على الجمال الفني للشعر يستمر ابن النبيه ملحًّا على معنى أن الملك الناصر هو من نسل النبي فنجده يقول [من البسيط]:

فَلَيْسَ يُخْذَلُ فِي يَوْمِ الْحِسَابِ فَتًى   وَالنَّاصِرُ ابْنُ رَسولِ اللهِ نَاصِرُهُ(٣)

ثم يستدعي الرسول مرة أخرى ليؤدي من خلال هذا الاستدعاء معنى مباركته ﷺ للصلح الذي حصل مع صاحب آمد وأن هذا الصلح كان سببًا في قرة عين الرسول واستبشاره بوجهه فيقول [من السريع]:

أَقْرَرْتَ عَيْنَ الْمُصْطَفَى أَحْمَدٍ   فَوَجْهُهُ مُسْتَبْشِرٌ وَاضِحُ(٤)

ويؤكد على فرحة الرسول الكريم واستبشاره حين يتحقق النصر للمسلمين بالحروب التي يخوضونها ضد الأعداء في استرداد ثغورهم؛ حيث يقول [من البسيط]:

شَرَحْتَ صَدْرَ رَسْولِ اللهِ وَانْحَسَرَتْ   بِنُصْرَةِ الدِّينِ والدُّنْيَا غَمَامَاتُ(٥)

---

(١) الديوان (٦).
(٢) الأحزاب (٥٦).
(٣) الديوان (٧).
(٤) السابق (٦٠).
(٥) السابق (٦٥).

إن سياق المدح هو أكثر غرض يستدعي فيه شخصية محمد ﷺ، ومن ذلك شعره الذي استدعى فيه النبي محمدًا ﷺ ورأى فيه أن الأشرف موسى قد شرّف بني أيوب، كما شرّف محمد نسل إبراهيم – عليهما الصلاة والسلام –، حيث يقول [من البسيط]:

شَرَّفْتَ أَيُّوبَ مُوسَى مِثْلَمَا شَرُفَتْ   بِالْمُصْطَفَى نَفْسُ إِبْرَاهِيمَ فِي الْقِدَمِ(١)

ويستمر ابن النبيه في استدعاء شخصية الرسول محمد ﷺ ولكن عن طريق ما خصه الله به كالشفاعة، والتي من خلالها وبطريقة طريفة تنصل ممن طلب إليه الشفاعة، ولعب الاستدعاء دورا هامًا في تعزيز هذا المعنى، حيث يقول [من مجزوء الكامل]:

قَالُوا تَشَفَّعْ بِالْجَمَا   لِ وَلَوْ ثُبُتَّ لَكَانَ أَجْوَدْ
فَأَجَبْتُ إِنِّي مُسْلِمٌ   أَرْجُو الشَّفَاعَةَ مِنْ مُحَمَّدْ(٢)

فابن النبيه يتكئ في هذا الاستدعاء على ما هو معلوم أن الشفاعة قد وعد بها النبي الكريم ووردت أحاديث كثر في ذلك ومنها حديث أبي هريرة الطويل في الشفاعة وفيه: "ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ أُمَّتِي يَا رَبِّ أُمَّتِي يَا رَبِّ، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنْ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنْ الْأَبْوَابِ "(٣).

ولا يقتصر استدعاء ابن النبيه لشخصية النبي محمد ﷺ على اسمه أو ما اختص به، بل إن هذا الاستدعاء يتمثل في مواضع من الديوان في استدعائه لحديث أو جزء من حديث نبوي شريف، ويحاول ابن النبيه – من خلال استدعائه – أن يوظفه في سياق يخدم فكرته التي أراد الوصول إليها في مدح الملك الأشرف موسى والذي يحل في عهده الأمن والسلام بعد الجور والخوف؛ حيث يقول [من البسيط]:

مَنْ يَمْلأُ الْأَرْضَ عَدْلًا بَعْدَمَا مُلِئَتْ   جَوْرًا وَتَكْشِفُ غَماها صَوَارِمُهُ(٤)

وهذا الاستدعاء مستلهَم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الْمَهْدِيُّ مِنِّي، أَجْلَى الْجَبْهَةِ، أَقْنَى الْأَنْفِ، يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا، كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا، يَمْلِكُ سَبْعَ سِنِينَ»(٥)، ونلحظ أن البيت مبني على الأسلوب الطلبي والذي قوامه الاستفهام وترك الإجابة مفتوحة على

---

(١) السابق (٨٣).

(٢) السابق (٥٠).

(٣) أخرجه البخاري حديث (٤٧١٢)، ومسلم حديث (٣٢٧-١٩٤).

(٤) الديوان (٨٠).

(٥)سنن أبي داوود ،سليمان بن الأشعث ،أبي داوود السجستاني(٤٢٨٥).

على الاحتمالات التي يوجهها ابن النبيه — من خلال طاقة الإيحاء الذي يؤديه هذا الاستدعاء — إلى شخصية ممدوحه.

واستقراءً لمجمل استدعاءات ابن النبيه لشخصيات الرسل والأنبياء — عليهم الصلاة والسلام — مقترنة بأحداث ومواقف من قصصهم وسِيَرهم، يمكننا الوقوف على أنها شملت أولي العزم من الرسل: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد — عليهم الصلاة والسلام –، كما شملت غيرهم من الأنبياء الكرام؛ وهم: سليمان، ويوسف، يعقوب، ويوشع بن نون — عليهم السلام–.

وتجدر الملاحظة أن ابن النبيه لم ينتهج في استدعاءاته للأنبياء الكرام — عليهم السلام — نهجًا واحدًا، وإنما كانت له طرائق متعددة، ما بين أن يذكر النبي باسمه، أو بالإشارة إلى إحدى خصائصه، أو بحدث من أحداث قصته. وقد أدى هذا التراوح والتنوع في آليات الاستدعاء إلى إيجاد حالة من العصف الذهني بين النص الشعري وبين المتلقي، مما أسهم إلى حد بعيد في إكساب النص الشعري حيوية نشأت من آفاق التأويل والدلالة والإيحاء التي انفتحت عليها استدعاءاته، كما كانت جسرًا من الإبداع الفني بينه وبين المتلقي أوصله إلى المعاني والمرامي التي بثها ابن النبيه في تلك النماذج الشعرية.

●الملائكة.

كما كان للأنبياء والرسل — عليهم الصلاة والسلام — حضور في شعر ابن النبيه — من خلال تقنية الاستدعاء — كذلك كان للملائكة — عليهم السلام–، وهما فضاءان من فضاءات استدعاء الشخصيات الدينية، في سياق ظاهرة استدعاء التراث الديني في شعر ابن النبيه المصري.

ومن المعلوم أن الملائكة هي مخلوقات نورانية خلقت من النور، ويؤثر عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ»[1].

وقد تعددت الشخصيات الملائكية التي حضرت في قصائد ابن النبيه، فشملت جبريل، وميكائيل، وهاروت، ومنكرًا، ونكيرًا، ومالكًا، ورضوانًا.

ولا شك أن استدعاء ابن النبيه لكل شخصية منها إنما كان لما تحملها هذه الشخصية من المعاني والأفكار والقيم والمضامين التي أراد ابن النبيه — من خلال استدعائه لها — أن يحمل النص الشعري بظلال منها.

أما شخصية جبريل عليه السلام فترمز إلى الأمانة؛ لأن الله عز وجل قد آمنه على وحيه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤)﴾[2].

---

[1] (١) أخرجه مسلم (٢٢٩٤/٤) رقم (٢٩٩٦/٦).

[2] (٢) الشعراء (١٩٢-١٩٤).

وقد استلهم الشاعر شخصية جبريل عليه السلام في مواضع وسياقات من شعره في المدح، مثل قوله [من الكامل]:

فَهُنَاكَ مِنْ جَسَدِ النُّبُوَّةِ بِضْعَةٌ بِالْوَحْيِ جِبْرِيلٌ لَهَا يَتَرَدَّدُ(١)

ومن الملاحظات – بل المآخذ – التي تطل من الاستدعاء في هذا البيت الوارد في سياق مدح ابن النبيه للملك الناصر أحمد أنه حرص على الجزم والتوكيد أن الناصر هو من نسل النبي ﷺ، ثم أعقبه في الشطر الثاني بخاصية نزول الوحي والمكلف بها جبريل عليه السلام وأنه مازال يتردد بالوحي ليبلغه للخليفة، وفي هذا التوظيف ما يعد شططًا ومأخذًا تردى فيه ابن النبيه وتجاوز المبالغة؛ وذلك لما هو معلوم من الدين بالضرورة أن الوحي قد انقطع بوفاة النبي ﷺ.

ويعود ابن النبيه لاستلهام شخصية جبريل – عليه السلام – واستدعائها في قوله [من البسيط]:

رَأَيْتُ مَلْكًا كَبِيرًا فَوْقَ سُدَّتِهِ جِبْرِيلُ دَاعِيهِ أَوْ مِيكَالُ زَائِرُهُ(٢)

فالغاية البلاغية التي تظهر من هذا الاستدعاء من ابن النبيه لجبريل وقرنه مع ميكائيل – عليهما السلام – هي محاولة توظيفهما في البيت مبالغة منه في إعلاء شأن الممدوح والذي تتردد الملائكة زائرة سدة ملكة.

وما زالت الرؤية الفكرية لابن النبيه في استدعائه لشخصية جبريل – عليه السلام – هي الشطط والنزق، إذ نراه في نموذج شعري آخر يتجاوز حد المبالغة بجعله ممدوحه صاحب علم بالغيب يغنيه عن جبريل – عليه السلام – فيقول [من الكامل]:

مَلِكٌ بَأَسْرَارِ الْغُيُوبِ مُكَاشَفٌ فَظُنُونُهُ تُغْنِيهِ عَنْ جِبْرِيلِهِ(٣)

ونطالع في الديوان استدعاء ابن النبيه شخصية أخرى وهي الملك هاروت، ويرتبط اسم هذا الملك دائما بالسحر، وقد أشار إليه القرآن بقوله: ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ .. ﴾(٤).

ويقول الخبر بشأنهما: إن الله تعالى لما أطلع الملائكة على معاصي بني آدم، عجبوا من معصيتهم له مع كثرة أنعمه عليهم، فقال الله تعالى لهم: أما إنكم لو كنتم مكانهم لعملتم مثل أعمالهم، فاختاروا هاروت وماروت، فأهبطا إلى الأرض، وأحل لهما كل شيء، على ألا يشركا بالله شيئًا ، ولا يسرقا، ولا يزنيا، ولا يشربا الخمر، ولا يقتلا النفس التي حرم الله إلا بالحق، فعرضت لهما امرأة – وكانا يحكمان بين الناس – تخاصم زوجها واسمها بالعربية: الزهرة، وبالفارسية: فندرخت، فوقعت في أنفسهما، فطلباها،

---

(١) الديوان (٢).

(٢) السابق (٧).

(٣) السابق (٣٢).

(٤) البقرة (١٠٢).

فامتنعت عليهما إلا أن يعبدا صنمًا ، ويشربا الخمر، فشربا الخمر، وعبدا الصنم، وواقعاها، وقتلا سائبا مر بهما خافا أن يشهر أمرهما، وعلماها الكلام الذي إذا تكلم به المتكلم عرج به إلى السماء، فتكلمت وعرجت، ثم نسيت ما إذا تكلمت به نزلت فمسخت كوكبًا ، قال كعب: فوالله ما أمسيا من يومهما الذي هبطا فيه، حتى استكملا جميع ما نهيا عنه، فتعجبت الملائكة من ذلك، ثم لم يقدر هاروت وماروت على الصعود إلى السماء، فكانا يعلمان السحر(١).

وقد وظف ابن النبيه هذا الاستدعاء في سياق الغزل، والذي يأتي دائما في مقدمة قصائد المدح توظيفًا سعى فيه إلى المناسبة بين رمزية هاروت وبين الغرض الشعري الذي يتم فيه هذا الاستدعاء — وهو المدح — فيقول [من البسيط]:

فلو رأت مقلتا هاروت آيته الـ   كبرى لآمن بعد الكفر ساحره(٢)

وفي سياق الغزل كذلك استدعى ابن النبيه شخصية هاروت قائلًا [من الكامل]:

أَجْفَانُهُ شَرَكُ الْقُلُوبِ كَأَنَّمَا   هَارُوتُ أَوْدَعَهَا فُنُونَ فُتُونِهِ(٣)

ويبدو جليًّا من هذا النموذج الشعري ما أكسبه ابن النبيه إياه — من خلال الاستدعاء – من طاقات إيحائية حيث حفز ذهن المتلقي وأعاده إلى موروث ديني قديم، حيث ألقت شخصية هاروت بظلالها على الأبيات وخاصة في ظل ارتباطها بالسحر؛ وهو ما يبدو منه تميز ابن النبيه في استخدام هذه الشخصية في سياق الغزل تحديدًا مما أكسب النص حيوية وتفاعلا.

أما خازنا الجنة والنار الملكان (رضوان) و(مالك)، فكان استدعاؤهما في سياق الغزل والوصف، فرضوان عليه السلام حارس الجنة وخازنها دائمًا يمارس الوظيفة المنوطة به حتى في أشعار ابن النبيه؛ حيث يقول [من السريع]:

سَاقٍ سَهَى رِضْوَانَ عَنْ حِفْظِهِ   فَفَرَّ مِنْ جُمْلَةِ حُورِ الْجِنَانِ(٤)

فيبالغ ابن النبيه في رقة الغزل، إذ يصف محبوبته التي تسقيه بأنها من حور الجنة ولكنها فرت إلى هذه الدنيا بسبب سهو رضوان عنها وعن حفظها.

ويقول في وصف خيمة [من السريع]:

يَا مَنْ حَكَى الْجَنَّةَ فِي خَيْمَةٍ   بَوَّابُهَا الْمُحْسِنُ رِضْوَانُ(٥)

---

(١)تفسير القرآن العظيم ،أبو الفداء إسماعيل بن كثير ، (٣٥٢-٣٧٣).

(٢) الديوان (٧).

(٣) السابق (٣٢).

(٤) الديوان (٢١).

(٥) السابق (٤٩).

فنراه يشبه الخيمة بأنها في نعيمها وراحتها كالجنة، واستدعى شخصية رضوان حارس الجنة ووظفها في سياق شعره كحارس لهذه الخيمة التي تشبه الجنة، وهو وصف طريف واستدعاء حافز لذهن المتلقي.

وأما خازن النار مالك عليه السلام فقد قرنه مع رضوان في وصف أحد الترك؛ إذ يقول [من الطويل]:

مِنَ التُّرْكِ فِي خَدَّيْهِ لِلْحُسْنِ جَنَّةٌ   بِمَالِكِهَا مَخْزُونَةٌ لَا بِرِضْوَانِ(١)

وكان ابن النبيه في هذا الاستدعاء في غاية البراعة والقدرة على الإدهاش حيث لعب التضاد بين مالك ورضوان دوره في استحضار الدور المنوط بكل شخصية، وعمد الشاعر إلى عكس عملهما فأصبح مالك هو خازن الجنة بدل رضوان ليدل على مدى الحسن الذي يتمتع به الموصوف.

وكذلك يوظف الشاعر شخصية منكر ونكير – عليهما السلام – من خلال تقنية استدعاء الشخصيات الدينية محمَّلة بشحناتها الدلالية التي يضفيها عليها التراث، فنراه يقول [من الخفيف]:

يَا مُعِينِي إِذَا دَجَتْ ظُلْمَةُ الْقَبْـ   ـرِ وَخَاطَبْتُ مُنْكَرًا وَنَكِيرًا(٢)

لقد ترك لنا الشاعر الفضاء التأويلي مفتوحًا بذكره الملكين اللذين وردت فيهما أحاديث كثيرة تؤكد على عذاب القبر ونعيمه، وقد روي عن أبي هريرة قوله:- قال رسول الله ﷺ:- ((إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ، وَلِلْآخَرِ: النَّكِيرُ...))(٣)، جعلت المتلقي يستحضر هذه اللحظة العصيبة والموقف المهيب، فهو يتوسل بالله ويطلب الإعانة منه بأداة النداء (يا)، وهذه الإعانة تكون في ظلمة القبر ومخاطبة هذين الملكين اللذين جاء استدعاؤهما معززا للصورة المهيبة التي رسمها الشاعر.

● الصحابة.

ومن الشخصيات الدينية التي حرص ابن النبيه على حضورها، في إطار استدعاء الشخصيات الدينية، كسياق من سياقات استدعاء التراث؛ شخصيات الصحابة رضوان الله عليهم، بيد أن هذا الحضور كان ضعيفًا جدًا في ديوان ابن النبيه ولم تحضر سوى شخصية علي بن أبي طالب رضي الله عنه، رابع الخلفاء الراشدين، وأحد المبشرين بالجنة، وأول الفتيان إسلامًا، وهو من الشجعان المشهورين والعلماء الربانيين والخطباء المعروفين، وقد تمثله ابن النبيه في موضعين يقول في أولهما [من الوافر]:

حُسَامٌ جَاءَ مُنْتَفَلًا لَهُ عَنْ   أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ النَّبِيِّ
سَنَسْمَعُ عَنْهُمَا مَا قَدْ سَمِعْنَا   بِهِ عَنْ ذِي الْفِقَارِ وَعَنْ عَلِيِّ(٤)

---

(١) السابق (٢٣).
(٢) السابق (٦).
(٣) أخرجه الترمذي (١٠٧١).
(٤) الديوان (٤٤).

إنه يمدح الملك الأشرف موسى، ويذكر في سياق مدحه له سيفه الذي يقاتل به وقد ورثه عن أمير المؤمنين علي – رضي الله عنه – والذي انتقل إليه عن طريق الوراثة أيضًا من النبي ﷺ، وكيف سيكون لهذا السيف شأن في يد الممدوح كما كان (ذو الفقار) وهو سيف الرسول وعلي – رضي الله عنه – له شأن في المعارك التي كانا يخوضانها، إن الاستدعاء هنا صنع إحالة أسفرت في ذهن المتلقي عن مشابهة أكسبت الصورة المستدعاة واقعية قربت المعنى أقرب ما يكون.

وفي موضع آخر يذكر أن الممدوح وهو الملك الأشرف موسى يمتلك جيشًا عتيًا يشبه البحر في كثرته ويملأ السهول والجبال، وأن هذا الجيش كان قادرًا على تحقيق النصر لعلي كرم الله وجهه في معركة صفين⁽¹⁾، والتي خاضها ضد معاوية وانتهت بالتحكيم، ولعل في مثل هذا الاستدعاء ما حفز المتلقي للعودة إلى الموروث الديني والتاريخي لإعادة إنتاج الدلالة الشعرية، حيث يقول [من الكامل]:

مَلِكٌ إذَا مَا جَاشَ بَحْرُ جُيُوشِهِ مَلأَ الْمَلَا بِسُهُولِهِ وَحُزُونِهِ
لَوْ كَانَ بَيْنَ يَدَيْ عَلِيٍّ مِنْهُمُ صَفٌّ لَحَازَ النَّصْرَ فِي صِفِّينِهِ⁽²⁾

المبحث الثاني

استدعاء الأماكن ذات الدلالة الدينية

السياق الثاني الذي وظف فيه ابن النبيه المصري استدعاء التراث الديني في شعره — بعد استدعاء الشخصيات الدينية كما تناولنا في المبحث السابق — هو استدعاء الأماكن ذات الدلالات الدينية، وهي مكة المكرمة، والمدينة المنورة، والقدس الشريف، وما يتصل بها من أماكن تنطوي دلالاتها في دلالات هذه الأماكن المقدسة. وكان اتكاء ابن النبيه على هذه الأماكن واستخدامه لها عن طريق الاستدعاء لإنتاج دلالات ذات طاقة إيحائية مما يبزغ في النفس عند ذكر هذه الأماكن من طاقات روحية تهز النفس والكيان، وتسهم إلى أبعد حد في إيجاد حالة من التآلف بين الرسالة الجمالية التي يحملها النص وبين المتلقي.

ومن ذلك ما نراه من ذكر المدينة المنورة بأحد أسمائها التي تشتهر بها — وهو: دار السلام — فيقول [من الكامل]:

يَا سَاكِنِي دَارَ السَّلَامِ لِجَارِكُمْ شَرَفٌ أُنَافِسُكُمْ عَلَيْهِ وَأَحْسِدُ
إِنِّي أَوَدُّ إِذَا وَطِئْتُمْ أَرْضَهَا لَوْ أَنَّ تُرْبَتَهَا لِعَيْنِي إِثْمِدُ⁽³⁾

فمن خلال هذا النفث الشعري نحس بأشواق الشاعر إلى دار السلام (المدينة المنورة) وحنينه إليها، فملامح الشوق ترتسم في نداء المكان الذي استهل به الشاعر البيت وما يحمله من دلالات القرب، كما

---

(1) البداية والنهاية (٢٥٨/٧).

(2) الديوان (٣٢).

(3) الديوان (٤).

كنى الشاعر عن شوقه لرؤيتها بقوله: (لو أن تربتها لعيني إثمد) وهي كناية عن توقه إلى رؤية المدينة والتي متى ما رآها اكتحلت عيناه بترابها.

وكذلك نجد حضورًا للمكان الأعظم قدسية وهو مكة المكرمة، بيت الله العتيق وأول بيت وضع للناس في هذه الأرض وباركه الله تعالى وجعله هدى وأمنًا للعالمين، قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾(١).

ويستدعي ابن النبيه مكة بالاسم الصريح لها أو بالمشاعر التي تقام فيها أو بالأماكن الدينية التي ارتبطت بها.

يقول في استدعاء مكة لعقد التشبيه بينها وبين بغداد [من الكامل]:

بَغْدَادُ مَكَّتُنَا وَأَحْمَدُ أَحْمَدُ   حُجُوا إِلَى تِلْكِ الدِّيَارِ واسجدوا(٢)

وهو بهذا الاستدعاء يربط صورة ذهنية لقداسة مكة المكرمة مع بغداد؛ ليضفي على بغداد صفة القداسة من باب المبالغة في الوصف، وأيضًا للإيحاء بقربها من القلب قربًا يشبه ما لمكة المكرمة.

كما يستدعي مكة من خلال المناسك التي تقام فيها كالحج الذي يقول فيه الشاعر [من الكامل]:

طَرِبَتْ لَهُ عَرَفَاتُ وَاهْتَزَّ الصَّفَا   وَالْبَيْتُ مَعْ أَرْكَانِهِ وَحُجُونِهِ
لَوْ كَانَ لِلْحَجَرِ الشَّرِيفِ فَمَا شَكَا   مَا عِنْدَهُ مِنْ شَوْقِهِ وَحَنِينِهِ
ضَحَّى الْحَجِيجُ عَلَى مِنًى وَسُيُوفُهُ   فِي الشِّرْكِ تَسْقِي الْعِلْجَ مَاءَ وَتِينِهِ(٣)

فنراه يمدح الملك الأشرف ويذكر خدمته للحجيج، ويستحضر في خلال مدحه خدمة الحجيج صورة مليئة بالحركة والحياة، فيشخص من خلالها عرفات بإنسان طرب والصفا والبيت يهتزان، أما الحجر الشريف فإنه يشكو الشوق والحنين، وهي صورة يتآزر فيها السمع والبصر، ثم يعقب بصورة أخرى ومشعر آخر من مشاعر الحج فيعقد المماثلة والمشابهة بين ذبح الأضاحي في منى يوم النحر وصورة ذبح الشرك بسيوف الممدوح، وقد أكسب هذا الاستدعاء لمشاعر الحج والأماكن المقدسة نوعا من العمق في الصورة وقربًا لنفس المتلقي.

كما يستحضر الشاعر مكة من خلال ذكر الكعبة ويكرر الصورة ذاتها بالنسبة للممدوح فهو كالكعبة في توافد الناس عليه، يقول: [من السريع]:

ذَاكَ شِهَابُ الدِّينِ مَنْ بَابُهُ   كَعْبَةُ فَضْلٍ كُلَّ يَوْمٍ تُزَارْ(٤)

ويقول في موضع آخر [من السريع]:

---

(١) آل عمران (٩٦).
(٢) الديوان (٣).
(٣) الديوان (٣٢).
(٤) السابق (٦٣).

كَعْبَةُ إِحْسَانٍ نَرَى كَفَّهَا الْـ　　　ـبَيْضَاءَ مِثْلَ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ(١)

ثم يقول [من السريع]:

لَهُ يَدٌ ظَاهِرُهَا كَعْبَةٌ　　　وفي النَّدَى بَاطِنُهَا مُشْرَعُ(٢)

وقد أسهم استحضار الكعبة بوصفها معلمًا دينيًّا مقدسًا في حفز ذهن القارئ إلى استحضار المكان المقدس الذي تقع فيه وهو مكة المكرمة، وقد منح الاستدعاء الصورة الشعرية الثراء وأكسب التشبيه عمقًا في الدلالة.

وفي سياق الغزل يجعل الشاعر من وصل المحبوبة في بعد ديارها كبعد الكعبة في طلب الحج والاعتمار، حيث يقول [من الطويل]:

أَيَا كَعْبَةُ مَنْ خَالَهَا حَجَر لَهَا　　　بَعِيد عَلَيْنَا حَجُّها وَاعْتِمَارُها(٣)

وتتنوع السياقات الشعرية التي يورد فيها ابن النبيه ذكر مكة المكرمة وما يتصل بها من أماكن وشعائر مقدسة، في إطار استدعائه للأماكن ذات الدلالات الدينية، كسياق من سياقات استدعاء التراث الديني في شعره، على نحو يشي جليًّا بسعة ثقافة الشاعر من ناحية، وبقدرته على التوظيف الفني للاستدعاء من ناحية أخرى.

ومن ذلك ما نجده في ذكره لـ: (وادي العقيق، والعذيب، وبارق، واللوى، والرقمتين)، فنطالعه قائلًا [من الطويل]:

وَمَا سَكَنْتَ وَادِي الْعَقِيقِ وَلَا اللوى　　　وَلَكِنْ بِقَلْبِي أَوْ بِعَيْنَيَّ دَارُهَا(٤)

ويقول في موضع آخر [من البسيط]:

لَا فِي الْعَذِيبِ وَلَا فِي بَارِقٍ غَزَلِي　　　بل فِي لُمَى فَمِه أو ثَغْرِهِ شنب(٥)

ونراه ملحًّا على إسباغ قداسة روحية على النص تمثل مشتركًا وجدانيًّا بينه وبين المتلقي، من خلال استدعائه الأماكن المقدسة ذات الارتباط الجغرافي أو الشعائري بمكة المكرمة، حيث يقول [من الخفيف]:

إِنَّ بِالرَّقْمَتَيْنِ مَلْعَبَ لَهْوٍ　　　بَسَطَتْ دَوْحُهُ عَلَيْنَا ظِلَالَهْ(٦)

---

(١) السابق (٥٣).

(٢) السابق (١٧).

(٣) السابق (١٠).

(٤) الديوان (١٠).

(٥) السابق (٣٦).

(٦) السابق (٨٩).

ومن الأماكن التي استدعاها ابن النبيه القدس، بما لهذه المدينة المباركة من رمزية دينية للمسلمين والمسيحيين على حد سواء، فيقول: [من الكامل]:

حَجُّوا لِقَصْرِكَ مِثْلَ قُبَّةِ قُدْسِهِمْ   وَرَأَوْكَ فِيهَا كَالْمَسِيحِ مُصَوَّرًا(١)

فمن خلال هذا الاستدعاء يجعل قصر الممدوح كالقدس التي يتوافد إليها المسيحون، وجعل من الممدوح المسيح الذي يتبركون به، فالاستدعاء هنا للتشبيه وإن كان فيه صدام مع وجدان المسلم الذي يتأذى من تشبيه آحاد الناس بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، غير أن الحرص على الذهاب بالمبالغة الشعرية إلى هذا المدى البعيد هو ما أوقع الشاعر في ذلك الشطط.

وفي سياق المديح أيضًا، والذي استدعى فيه القدس الشريف، نطالع ابن النبيه مطهرًا للقدس من كل خنزير ومحررًا لها، حيث يقول [من السريع]:

طَهَّرْتَ بَيْتَ الْقُدْسِ مِنْ رِجْسِهِمْ   وَكَانَ مَأْوًى لِلْخَنَازِيرِ(٢)

وهكذا نرى أنه من خلال استدعاء ابن النبيه للأماكن ذات الدلالات الدينية حقق أقصى استثمار دلالي لها، بحسبانها "رمزًا دينيًا يشكل جزءًا من التجربة الدينية العميقة للأفراد والجماعات التي يكون الفكر الرمزي بعدًا من أبعادها، ويلتصق التصاقًا عميقًا في شعائرها وطقوسها التي تنتمي إلى الحقل الرمزي وتدخل ضمن قداسة المكان "(٣).

المبحث الثالث

استدعاء الإشارات الدينية

وفي الإطار الأعم لظاهرة استدعاء التراث الديني في شعر ابن النبيه المصري نراه معرِّجًا على سياق من سياقات هذا الاستدعاء، ويتمثل في استدعائه الإشارات الدينية، كالصوم والعيد، والأضحية، والأشهر الحرم، والأذان، وتلاوة القرآن... وغير ذلك من الإشارات والمضامين ذات الحمولات الدلالية والطاقات الإيحائية التي تسهم في إيجاد وشائج من القرابة الوجدانية بين النص الشعري وبين المتلقي.

وتجدر الإشارة إلى عدم خلو هذا السياق من سياقات الاستدعاء عند ابن النبيه من روح الفكاهة التي عرف بها شعب مصر، ومن ذلك ما نطالعه له إذ يقول: [من الكامل]:

أَغْلَيْتَ أَثْمَانَ الْمَدَائِحِ بَعْدَمَا   كَانَتْ تُبَاعُ بِأَرْخَصِ الْأَثْمَانِ
شَوَّالُ مِثْلُكَ مُطْعِمٌ فَلِأَجْلِ ذَا   أَضْحَى لَهُ فَضْلٌ عَلَى رَمَضَانِ(٤)

---

(١) السابق (٤٠).

(٢) السابق (١٢).

(٣)رمزية القدس الروحية، قداسة المكان ،شمس الدين الكيلاني ص (١).

(٤) الديوان (٤٧).

فيلاحظ في هذا النموذج الشعري أن روح الفكاهة والدعابة قد ورطت ابن النبيه في هذا الاستدعاء الذي حمله روح دعابته ليقول من خلاله بتفضيل شهر شوال على شهر رمضان الفضيل، متجاوزًا أو ضاربًا صفحًا عما هو مستقر في عقيدة المسلم والوجدان الجمعي للمسلمين أن رمضان هو أفضل الشهور، متخذًا لتلك المجاوزة ذريعة بأن شوال يتيح للناس الطعام بينما شهر رمضان يعاني فيه الشاعر من الحرمان طوال نهار شهر رمضان، وهي مداعبة من الشاعر تبرز ميله للذة والمتعة وعدم تحمل عناء الصوم(١).

ويوظف رمضان مرة أخرى في سياق المدح حين يقول [من الكامل]:

كَمْ نَاظِرٍ – أرْشَدْتَ – لَيْلَةَ صَوْمِنَا   قَدْ كَانَ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مُحَيَّرَا
رمضان ضيف سار حولا كاملا   حَتَّى رَآكَ مُسَلِّمًا فَاسْتَبْشَرَا
وَأَتَاكَ مُبْتَهِجًا ببرك والتقى   وَمَضَى بِمَا أَوْلَيْتَهُ مُتَشَكِّرًا
فَتَهَنَّ عِيدًا أَنْتَ حَقًّا عِيدُهُ   يَا خَيْرَ مَنْ صَلَّى وَصَامَ وَأَفْطَرَا(٢)

في استدعائه في هذا النموذج يشبه ابن النبيه الممدوح بالهلال في السماء وقد أرشد الناس إلى ليلة الصيام بعد أن كانوا حيارى، وقد عاد إليهم رمضان مستبشرا بعد غياب حول كامل، وهذا توظيف لإشارة دينية فيه طرافة.

وفي السياق ذاته من المديح يصف ابن النبيه ممدوحه بأنه بمنزلة ليلة القدر من رمضان إشارة إلى الفضل والعظمة؛ [من الخفيف]:

آلُ شَاذِي شَهْرُ الصِّيَامِ جَلالًا   وَأَبُو الْفَتْحِ مِنْهُ لَيْلَةُ قَدْرِ(٣)

ويستحضر الشاعر — من خلال الاستدعاء – عظمة شهر رجب وأنه من الأشهر الحرم كما جاء في الصّحيحين من حديث أبي بكرة رضي الله عنه، عن النّبي ﷺ قال: ((إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلاَثٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو القَعْدَةِ، وَذُو الحِجَّةِ، وَالمحَرَّمُ، وَرَجَبُ، مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى، وَشَعْبَانَ))(٤).

فنراه يتحرز من الذنوب فيه حين يقول مخاطبًا المحبوبة [من البسيط]:

وَيَا رَقِيبَ الذي أهواهُ نَمْ فَلَقَدْ   كُفِيتَ مِنِّيَ مَا تَخْشَاهُ فِي رَجَبِ
شهرٌ عظيمٌ كأنَّ اللهَ أَلْبَسَهُ   خَلائقَ العالِمِ ابنَ السادةِ النُّجُبِ(٥)

---

(١)،الصورة الفنية في شعر ابن النبيه المصري، حسين محمد إبراهيم أبو عيسى، ص (٣٤٤).

(٢) الديوان (٤٠).

(٣) السابق (٥٨).

(٤) أخرجه البخاري (٢١٣/١): رقم (٦٧)، ومسلم (١٣٠٥/٣) رقم (٢٩، ٣١/ ١٦٧٩).

(٥) الديوان (٦٩).

وفي نموذج آخر من استدعاء الإشارات الدينية في شعر ابن النبيه نراه موظفًا لاستدعائه الحج والعيد والأضحية توظيفا يخدم ما يريد الوصول إليه من فكرة، فهو يمدح ممدوحه بأن الناس ينادون باسمه تماما كما ينادي الحجاج باختلاف لغاتهم بالتلبية في الحج فيقول [من المتقارب]:

يُنَادُونَهُ بِاخْتِلافِ اللُّغَاتِ   كَتَلْبِيَةِ الْحَجِّ مِنْ كُلِّ جَانِبْ(١)

ويذهب الشاعر أبعد من ذلك حين يوظف الإشارات الدينية كالحج، فيشبه الممدوح بأنه كالبيت الحرام الذي تهوي إليه أفئدة الناس، فيقول [من البسيط]:

كَأَنَّهُ الْحَرَمُ الْمَحْجُوجَ والْعَلَمُ الْـ   ـمَنْصُوبُ يَهْوِي لَهُ مِنْ كَانَ يَهْوِاه(٢)

ويستحضر ابن النبيه العيد وما يحمله من شعائر كالأضحية ويوظفها – من خلال الاستدعاء – في صورة تقرب المعنى من المتلقي، فهو يهنئ الممدوح بالعيد الذي أصبح به الأعداء كالأضاحي فيقول [من المتقارب]:

فَهُنِّيتَ عِيدًا تُرِينَا بِهِ   جَمِيعَ الْعِدَى مِثْلَ بَعْضِ الْأَضَاحْ(٣)

ويهنئه بالعيد ويجعل أيام حكمه كلها عيدًا للناس؛ لما فيها من خير وبهجة وفرحة ودعة؛ حيث يقول [من البسيط]:

وَاسْتَقْبِلِ الْعِيدَ فِي عِزٍّ وَفِي دَعَةٍ   فَالنَّاسُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْكَ فِي عِيدِ(٤)

ومن الإشارات ذات الدلالات الدينية التي حرص ابن النبيه على استحضارها واستدعائها في شعره: القرآن والأذان؛ وهو ما نراه في قوله [من البسيط]:

اللهُ أَكْبَرُ أَنْ تُمْسِي مَزَامِرُهُمْ   تُتْلَى وَتُنْسَى مِنَ الْقُرْآنِ أُيَاتُ
وَأَنْ يَخُورَ عَلَى الْقُرْبَانِ عِجْلُهُمُو   جَهْرًا وَيخفى أَذَانٌ أَوْ تِلَاوَاتُ(٥)

فمن خلال هذا الاستدعاء يستنهض الشاعر ممدوحه لفتح عكا وصور، ويخاطبه موظفًا القرآن والآيات لحثه على فتحهما حتى لا تكون المزامير بدلًا عن القرآن والآيات.

وفي نموذج شعري آخر يعتمد فيه ابن النبيه على الاستدعاء يمدح ممدوحه بعد أن طهر أرمينية من رجز الصليبية واستبدل بدقات النواقيس أصوات الأذان، فيقول [من الكامل]:

طَهَّرْتَ أَرْمِينِيَّةً فَاسْتُبْدِلَتْ   مِنْ دَقِّ نَاقُوسٍ بِصَوْتِ أَذَانِ(٦)

---

(١) السابق (٢٧).
(٢) السابق (٥٦).
(٣) السابق (٨٧).
(٤) السابق (٧٦).
(٥) الديوان (٦٦).
(٦) السابق (٤٧).

ونرى في نموذج آخر ما لاحظناه على نماذج شعرية لابن النبيه، حيث تجنح به المبالغة — في سياق الاستدعاء — إلى الوقوع في مآزق وصدام مع الوجدان الجمعي وثوابت العقيدة الإسلامية، ومن ذلك ما يبدو جليًّا في قوله [من الكامل]:

يَا مَنْ يُصَدَّقُ مادحوه كَأَنَّهُمْ يَتْلُونَ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ(١)

فقد شبه قصائد المدح التي قيلت في الممدوح بأنها كالقرآن الذي يتلى.

ومن خلال هذه النماذج الشعرية التي اتكأ فيها ابن النبيه على تقنية الاستدعاء، فاستدعى الإشارات الدينية، تسهل ملاحظة مقدار استفادته من ثقافته الدينية الواسعة، وجعل تلك النماذج وشائج تقارب بين النص الشعري وبين المتلقي الذي يشاركه الشاعر الوجدان الجمعي الذي تحتل فيه هذه الإشارات مكانًا من القداسة لا جدال فيه. نراه في هذا النهج ناجحًا إلى حد بعيد في توظيف الاستدعاء دلاليًّا وإيحائيًّا على نحو يوائم الفكرة ويقرب المعنى والصورة الشعرية من المتلقي. ونلاحظ في هذا السياق أيضًا أن هذا الملمح من الاستدعاء عند ابن النبيه لم يخل من ظاهرتين جزئيتين؛ هما: انسياقه وراء روح الفكاهة المصرية، وجنوحه بالمبالغة إلى حد الشطط والصدام مع الثابت الديني.

---

(١) السابق (٤٧).

المبحث الرابع

استدعاء الألفاظ القرآنية

من الصعب تصور أن تجوب ظاهرة استدعاء التراث الديني في شعر ابن النبيه تلك السياقات التي عرضنا لها — من استدعاء الشخصيات الدينية، واستدعاء الأماكن ذات الدلالات الدينية، واستدعاء الإشارات الدينية دون أن يكون للقرآن الكريم حضور إلى جانب هذه السياقات، ليمثل رافدًا دلاليًّا لا شك أنه هو الأغنى على الإطلاق من كل عناصر التراث الديني التي يمكن لشاعر مسلم ذي ثقافة دينية واسعة —كابن النبيه أن يستدعيها ليستلهمها.

ولذا فقد حرص ابن النبيه على توظيف القرآن الكريم " – من خلال استدعاء ألفاظه – وأمر استدعاء الآيات القرآنية لفظًا وتركيبًا ومضمونًا لقصة واستلهام الأحاديث النبوية الشريفة لفظا ومعنى وأسلوبا أمر ظاهر جلي في الشعر الشامي زمن الحروب الصليبية، فضلًا عما يوحيه التاريخ العربي والإسلامي من أحداث ومعارك برزت فيها شخصيات سياسية وعسكرية وأدبية"(١).

وابن النبيه يستدعي الألفاظ مفردة ومركبة، وتكون هذه الاستدعاءات بارزة بشكل واضح، فتكسب السياق جمالًا فنيًا، ومن أمثلة استدعائه للألفاظ المفردة والمركبة قوله [من مجزوء الكامل]:

مَوْلَايَ وَجْهُكَ جَنَّةٌ   وَرُضَابُكَ الْمَعْسُولُ كَوْثَرْ
وَلَّى بِشَعْرٍ كَالْدُّجَى   وَبَدَا فَقُلْتُ: الصُّبْحُ أَسْفَرْ
يَا قَاصِرَ الطَّرْفِ الْغَضِيـ   ـضِ كَذَلِكَ الْهِنْدِيُّ أَبْتَرْ(٢)

فإذا بابن النبيه يقتبس مفردة واحدة ذات صيغة تؤدي بنا إلى الإحالة إلى النص الغائب وهي في نفس الوقت تؤدي دورها الجمالي والدلالي في الأبيات، فكلمة (كوثر) في المعجم بمعنى الشراب العذب، وهو اسم سورة أنزلت على الرسول الكريم، وهو نهر أعطاه الله عز وجل للرسول في الجنة يسقي منه أمته عليه خير كثير...آنيته عدد النجوم.

أما قوله: (الصبح أسفر) فهي مأخوذة من قوله تعالى في الآية القرآنية: ﴿ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴾(٣)، ويستخدمها الشاعر بنفس دلالاتها القرآنية التي تشير إلى ظهور الضوء أو الضياء، وقد أكسب التضاد بين معنى سواد الشعر في الدجى وبين الضياء والضوء جمالية خاصة ومفارقة عجيبة، كما أنه استخدم (قاصر الطرف) بنفس دلالاتها القرآنية التي وردت في قوله تعالى: ﴿ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴾(٤) والمقصود بها قصر أعينهن على أزواجهن فلا يرين غيرهم، والشاعر أراد وصف محبوبته بهذه الصفات وقد لاءم ذلك ما اختاره من الآيات.

---

(١) الاستدعاء الديني والأدبي في الشعر الشامي زمن الحروب الصليبية، منال عطا الله صالح النبوي (٢٠).

(٢) الديوان (٤٢).

(٣) المدثر (٣٤).

(٤) الصافات (٤٨).

ويستدعي ابن النبيه لفظين آخرين تجاورا في السياق القرآني، فاستدعاهما على الحال نفسه من التجاور الذي نشأ عنه بروز للفكرة من خلال معنى التضاد الكامن في اللفظتين القرآنيتين، فيقول [من الطويل]:

أهيم به في عقده ونجاده   فلا بد في السراء منه وفي الضراء(١)

وقد وردت كلمتا السراء والضراء في الآية القرآنية ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ﴾(٢) أي: في حال الشدة والرخاء، وهذا ما رمى إليه الشاعر في محاولة الوصول للمحبوب في أي حال كان عليه.

وفي سياق الغزل يستدعي كلمة (يسطرون) فيقول [من السريع]:

يَا حُسْنَ وَرَّاقِ الْعِذَارِ الَّذِي   قَبَّحَ عِنْدَ النَّاسِ مَا يَسْطُرُونَ(٣)

وهي تحمل ذات الدلالة القرآنية في قوله تعالى: ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾(٤).

ويستدعي كلمة (مشكاة) فيقول [من الكامل]:

لَوْ كَانَ قَبْلَ الْيَوْمِ كَانَ جَبِينُهُ   أَوْلَى مِنَ التَّشْبِيهِ بِالْمِشْكَاةِ(٥)

وقد جاءت بالدلالة القرآنية نفسها في قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ ﴾(٦)، وهي تعني موضع الفتيل من القنديل، والشاعر يبالغ في وصف ممدوحه حين يرى أن التشبيه بجبينه كان ألزم من التشبيه بالمشكاة لو كان ظهوره في زمن سابق.

ويعظم ابن النبيه ممدوحه ويستدعي كلمة (تخر) التي وردت في قوله تعالى: ﴿ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ↑(٧)، فيقول [من السريع]:

وذكاءُ يَسْتَنْقِصُ الأبحرَ السبـ   ـعَ وحلم له تَخِرُّ الرواسي(٨)

وحينما يعمد الشاعر إلى استلهام معنى التحصين الذي أحاط بممدوحه، فإنه يلجأ إلى استدعاء تعبير السبع المثاني، فيقول [موشحًا]:

بالسبع المثاني أعيذ سلطاني   من رأى جبنيه ومن رأى المشتري دونه(٩)

وقد وردت السبع المثاني في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾(١).

---

(١) الديوان (٤٨).
(٢) آل عمران (١٣٤).
(٣) الديوان (٧٧).
(٤) القلم (١).
(٥) الديوان (١٣).
(٦) النور (٣٥).
(٧) مريم (٩٠).
(٨) الديوان (٦٩).
(٩) السابق (٥٣).

وكما وظف ابن النبيه الكلمة المفردة القرآنية داخل سياق النص، فقد وظف كذلك التركيب القرآني في استدعائه له على صورة يكون فيها موافقًا للنص القرآني دون تغيير كما في قوله [من السريع]:

إِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهُ مَا خِدَعُ الْحَرْبُ بِتَقْصِيرِ[2]

فابن النبيه يدعو ممدوحه إلى السلم والسلام، ويوجه له رسالة إن الحرب خدعة، ويأتي استدعاؤه للفظ القرآني متوافقا مع قوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[3].

وفي نموذج آخر يستدعي ابن النبيه التركيب القرآني في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ (٤١) كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ﴾[4] فيقول: [من مجزوء الرجز]:

يَا تَارِكِي أَخَذْتَنِي أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرْ[5]

ويتوافق الاستدعاء لدى ابن النبيه مع المعاني التي يرمي إليها في كثير من أبياته الشعرية كما في قوله [من السريع]:

أَلَسْتَ مِنْ قَوْمٍ إِذَا مَا دَجَى لَيْلَ الْمُنَى بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونْ[6]

فهو مستدعًى من النص القرآني ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾[7]، وقوله في بيت آخر [من السريع]:

فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى ذَا وَذَا وَحَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلْ[8]

المستدعَى من قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾[9].

وللإفادة من الدلالات والإيحاءات المتجذرة في الوجدان المسلم من سورة الناس، والطاقات الروحية الكامنة بها، ومنها التحصين فقد استدعاها ابن النبيه في سياق مدح الوزير صفي بن شكر، فقال [من الخفيف]:

قُلْ لِرَائِيهِ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّا سِ هَذَا الْوَزِيرُ رَبُّ النَّاسِ[1]

---

(١) الحجر (٨٧).

(٢) الديوان (١٢).

(٣) الأنفال (٦١).

(٤) القمر (٤٢).

(٥) الديوان (٧٣).

(٦) السابق (٧٧).

(٧) النحل (١٦).

(٨) الديوان (٨٥).

(٩) آل عمران (١٧٣).

ونلحظ هاهنا المأزق الذي وقع فيه كثيرًا ابن النبيه إذ جمحت به المبالغة إلى الصدام مع العقيدة، فالشاعر أراد أن يحصن الصاحب بسورة الناس خوفا عليه من الحسد مادحا إياه بأنه رب الناس أي وزيرهم ومدبر شؤونهم والمسئول عنهم، ولكنه اعتمد الاستدعاء ولم يحسن التوظيف، فقد أعطى قارئ البيت وسامعه انطباعا بأنه يصف الوزير بما اختص الله – تعالى – به نفسه في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾، ولا يشفع له قصده من قوله: ﴿ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ أنه وزيرهم والمسئول عنهم؛ لأن هذا الاستدعاء قد عمل على استحياء معنى راسخ بأن الله هو الحامي والحصن لكل إنسان؛ لأنه رب الناس جميعا(٢).

ومن الآليات التي يرد بها استدعاء ألفاظ القرآن الكريم في شعر ابن النبيه استدعاؤه للتركيب القرآني مستحوذًا على شطري البيت، كما في قوله: [من الخفيف]:

أَهْلُ بَيْتٍ قَدْ أَذْهَبَ اللهُ عَنْهُمْ   كُلَّ رِجْسٍ وَطُهِّرُوا تَطْهِيرًا(٣)

وهو مستدعًى من قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾(٤).

ومثل قوله: [من الكامل]:

تنبو المسامعُ عن حديثِ سِواهمُ   إذ كان أكثرُه حديثًا يُفترى(٥)

وهو مستدعى من قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى ﴾(٦).

وقوله: [من مجزوء الوافر]:

لَكَ الْحُسْنَى وَرَبُّكَ لَا   يُضَيِّعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنْ(٧)

وهو مستدعًى من قوله تعالى: ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾(٨).

وبرغم غلبة غرض المدح على الأغراض الشعرية لابن النبيه، إلا أن استدعاءاته قد بثها أغراضًا أخرى كثيرة غير المدح، ومن أبرزها في ديوانه غرض الغزل، الذي اعتمد فيه الاعتماد نفسه على استدعاء ألفاظ القرآن الكريم، سواء في صورة ألفاظ مفردة، أو متعاطفة، أو في صورة تراكيب لغوية قرآنية، ومن ذلك قوله في الغزل: [من الوافر]:

قَلِيلُ الْوَصْلِ يَنْفَعُهَا فَإِنْ لَمْ   يُصِبْهَا وَابِلٌ مِنْهُ فَطَلُّ(١)

---

(١) الديوان (٦٨).
(٢) الصورة الفنية في شعر ابن النبيه (٣٣٤).
(٣) الديوان (٥).
(٤) الأحزاب (٣٣).
(٥) الديوان (٣٩).
(٦) يوسف (١١١).
(٧) الديوان (٣٩).
(٨) الكهف (٣٠).

فيستفيد دلاليًّا وإيحائيًّا من الدلالة القرآنية ذاتها في قوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾(٢).

وقد يستدعي ابن النبيه التركيب القرآني مع إحداث تغيير في مواقع الألفاظ أو تغيير كلمة بدل أخرى أو تغيير في صيغة، مما يشي بالمقدرة الشعرية للشاعر، وفي ذلك يقول القرطاجني: ((على الشاعر إذا ما أورد الكلام أن يورده بنوع من التصرف والتغيير أو التضمين فيحيل إلى ذلك أو يضمنه أو يدمج الإشارة إليه أو يورد معناه في عبارة أخرى على جهة قلب أو نقل إلى مكان أحق به من المكان الذي هو فيه))(٣).

ومن ذلك قوله: [من السريع]:

النَّاسُ لِلْمَوْتِ كَخَيْلِ الطِّرَادْ   فَالسَّابِقُ السَّابِقُ مِنْهَا الْجَوَادْ(٤)

وقد استدعاه من قوله تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١) ﴾(٥)، وجاء بها في البيت بصيغة المفرد وجاءت في الآية الكريمة بصيغة الجمع.

ومن التغيير في التركيب – عند الاستدعاء – استبدال كلمة مكان أخرى كما في قوله [من الكامل]:

يَا مَنْ يَرَى أَنَّ الثَّنَاءَ ذَخِيرَةٌ   تَبْقَى عَلَيْهِ وَكُلَّ شَيْءٍ فَانِ(٦)

فقد بدل في قوله تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٧) ﴾(٧).

وكقوله متغزلًا [من السريع]:

مَحَاسِنُ الطَّرْفِ الَّذِي رَامَهَا   لَهُ حَسِيرٌ خَاسِئًا يَرْجِعُ(٨)

حيث نراه اعتمد على التقديم والتأخير فيما استدعاه من قوله تعالى: ﴿ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾(١).

---

(١) الديوان (٤١).

(٢) البقرة (٢٦٥).

(٣)،منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبو الحسن محمد بن حازم القرطاجني ص (٣٩).

(٤) الديوان (٨).

(٥) الواقعة (١٠-١١).

(٦) الديوان (٤٧).

(٧) الرحمن (٢٦).

(٨) الديوان (١٨).

ويستخدم الشاعر الصبر الجميل بنفس الدلالة القرآنية؛ إذ يستدعي هذا التعبير قائلًا [من الكامل]:

يَـا أَيُّهَـا الْوَجْـهُ الْجَمِيـلُ تَـدَارَكِ الصَّـ　　　ـبْرَ الْجَمْيـلَ فَقَـدْ عَفَـا وَتَضَـعَّفَا(٢)

وهو مستدعًى من الآية القرآنية ﴿ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴾(٣) وقد عمد ابن النبيه إلى التغيير في الموقع الإعرابي من المفعول المطلق إلى المفعول به.

ويحيلنا ابن النبيه من خلال الاستدعاء في قوله: [من المنسرح]:

جئنـا إليهـا بشـق أنفسـنا　　　مـن ثقـل أيـد لهـا حملناهـا(٤)

إلى قوله تعالى: ﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ ﴾(٥).

ويقول في موضع آخر [من الخفيف]:

أَعُيُونًـا أَدَارَهَـا أَمْ عَقَـارَا　　　فَتَـرَى النَّـاسَ حِـينَ يَرْنُـو سُـكَارَى(٦)

مستدعيًا إياه مع قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى ﴾(٧).

ومن الآليات التي استخدمها ابن النبيه المصري في استدعاء آيات القران الكريم توظيف معنى الآية القرآنية بما يتوافق مع مقصده الذي يهدف إليه، ومنها قوله [من البسيط]:

كُـلُّ الْكَـلَامِ قَصِـيرٌ عَـنْ مَنَاقِبِـهِ　　　إِلَّا إِذَا نَظَـمَ الْقُـرَآنَ شَـاعِرُهُ(٨)

فالشطر الثاني يتوافق ويشير إلى معنى قوله تعالى: ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ﴾(٩)، فالله عز وجل ينفي صفة الشعر ونظمه عن القرآن الكريم، وكذلك الشاعر يقر ويعترف بقصور الكلام عند تعداد وصف الممدوح، ولا يمكن أن يلم بصفات هذا الممدوح إلا في حال كان القرآن من نظم شاعر.

ويستدعي من قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ ﴾(١٠). وينظمها في قوله [من الكامل]:

شُـهُبٌ بِهَـا قُـذِفَتْ شَـيَاطِينُ الْعَـدَى　　　فَجَـرَتْ كَجَـرْيِ الشُّـهْبِ مُشـتعلاتِ(١)

---

(١) الملك (٤).
(٢) الديوان (١٨).
(٣) المعارج (٥).
(٤) الديوان (٨٦).
(٥) النحل (٧).
(٦) الديوان (٧٦).
(٧) الحج (٢).
(٨) الديوان (٧).
(٩) الحاقة (٤١).
(١٠) الحجر (١٨).

فيستثمر هذا التركيب القرآني في استدعائه له ليعقد الموازنة في تشبيه خيول الجيش الجرار الذي يقوده الممدوح ويهزم به الأعداء بالشهب التي يقذف بها الله عز وجل على الشياطين التي تسترق السمع، وقد وظفها الشاعر توظيفا خدم فكرة التشبية التي رمى إليها.

ويستدعي معنى آخر من تراكيب القرآن الكريم، ليؤدي دلاليًّا وإيحائيًّا الإشارة إلى تأييد الملائكة لمدوحه، إذ يقول [من الكامل]:

يَعْلُوهُ مِنْ زُمَرِ الْمَلَائِكِ فَيْلَقٌ   بِالرُّعْبِ يَنْصُرُ عَزْمَهُ وَيُؤَيِّدُ
يَا عَاقِدًا لِلطَّعْنِ فَضْلَ لِوَائِهِ   مَهْلًا فَأَجْنِحَةُ الْمَلَائِكِ تُعْقَدُ(٢)

فيستدعيه من قوله تعالى: ﴿ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ﴾(٣).

وبالآلية ذاتها التي يستثمر فيها الاستدعاء القرآني ليؤدي المعنى القرآني ذاته في النص الشعري ما نطالعه في قوله [من السريع]:

يَا ثَالِثَ السِّبْطَيْنِ خَلَّفْتَنِي   أَهِيمُ مِنْ هَمِّيَ فِي كُلِّ وَادْ(٤)

فيؤدي هذا الاستدعاء إشارة بينة إلى الحالة التي وصل إليها في حب ممدوحه حيث أصبح هائمًا على وجهه في كل واد، وهي الحالة التي وصف بها الله عز وجل الشعراء في قوله: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) ﴾(٥).

ويستدعي معنى السجود والركوع شكرًا لله عز وجل والذي ورد في قوله تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴾(٦).

ليستثمره دلاليًّا بتوظيفه في سياق المدح، حيث الممدوح يحمل السيوف ويقاتل بها فيظلون لذلك سجدًا وركعًا.

ومن الآليات التي تنفتح آفاقها في النص الشعري من خلال استدعاء الأساليب القرآنية؛ استدعاء ابن النبيه لفواتح السور القرآنية، كما في قوله: [من المنسرح]:

الْحَمْدُ لِلَّهِ بِتُّ فِي دَعَةٍ   لَسْتُ لهم غَيْرَ الْهَوَى حامل(٧)

فنرى استفتاحه البيت الشعري بقوله: "الحمد لله" على غرار مُفتتح السور القرآنية (الفاتحة- الكهف- سبأ- فاطر- الأنعام).

---

(١) الديوان (١٤).

(٢) الديوان (٣).

(٣) التوبة (٤٠).

(٤) الديوان (٨).

(٥) الشعراء (٢٢٤-٢٢٥).

(٦) الفتح (٢٩).

(٧) الديوان (٦٧).

ومن ذلك أيضًا قوله [من الكامل]:

هَلْ مِنْ سَبِيلٍ أَنْ أَبُثَّ صَبَابَتِي   أَوْ أَشْتَكِي بَلْوَايَ أَوْ أَتَوَجَّعَا(١)

وقوله في موضع آخر [من الرجز]:

هَلْ مِنْ سَبَيلٍ أَنْ أُرَوِّي عَطَشِي   مِنْ بَرَدِ الثَّغْرِ الَّذِي قد اتَّسَقْ(٢)

فنرى في هذا الاستدعاء الإفادة من محاكاة النص القرآني في قوله تعالى: ﴿ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴾(٣).

(٣).

وكذلك المحاكاة في صيغة السؤال: هل، بقوله: (هل من سبيل)؟

ويستخدم الأسلوب ذاته في قوله [من البسيط]:

أَيْنَ الْمَفَر لِسِرْبِ الرُّومِ مِنْ أَسَدٍ   ضارٍ له من رماح الخط غابات(٤)

وقوله [من البسيط]:

أَيْنَ الْمَفَر لِمَنْ عَادَاهُ مِنْ يَدِهِ   وَالْوَحْشُ وَالطَّيْرُ أَتْبَاعٌ تُسَايِرُهُ(٥)

فحقق ابن النبيه – من خلال هذا الاستدعاء – إفادة قصوى من الأسلوب القرآني في قوله تعالى: ﴿ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ﴾(٦) ووظفه في رسم شجاعة الممدوح.

ومن الآليات الأخرى التي انتهجها ابن النبيه في استدعائه لألفاظ القرآن الكريم: استدعاؤه للفواصل القرآنية، ومن ذلك قوله [من الخفيف]:

يَا مُجِيرِي إنْ خِفْتُ يَوْمًا عَبُوسًا   مُكْفَهِرًّا مُسْتَصْعَبًا قَمْطَرِيرَا

يَا مُغِيثِي وَالنَّارُ تُوقَدُ بِالنَّا   سِ وَتَرْمِي شَرَارَهَا الْمُسْتَطِيرَا

بِوَلَائِي أَمِنْتُ مِنْ سَيِّئَاتِي   يَوْمَ أَلْقَى كِتَابِيَ الْمَنْشُورَا

فِيكَ سِرٌّ لَوْلَاهُ مَا قَسَمَ اللـ   ـهُ عَلَى النَّاسِ جَنَّةً وَسَعِيرَا

قَدْ هَدَانَا بِكَ السَّبِيلَ فَإِمَّا   مُؤْمِنا شَاكِرًا وَإِمَا كَفُورَا

فَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا أَكْرَمَ النَّا   سِ كَمَنْ جَاءَ شَاهِدًا وَنَذِيرَا(٧)

---

(١) السابق (١٨).

(٢) الديوان (٧١).

(٣) الانشقاق (١٨).

(٤) الديوان (٦٥).

(٥) السابق (٨).

(٦) القيامة (١٠).

(٧) الديوان (٦).

ففي هذا النسق الاستدعائي استمد ابن النبيه طاقات دلالية وجمالية في غاية الثراء، حققها في النص ذلك الزخم الإيقاعي المبثوث في فواصل سورة الإنسان، فنجد الأبيات مؤسسة على استدعاءات قرآنية كثيرة ومتنوعة في سياق المدح، وتنتهي الأبيات بالكلمات (قمطريرا- المستطيرا- المنثورا- سعيرا- كفورا- نذيرا) التي ضمتها فواصل آيات السورة الكريمة، مع حفاظ الشاعر على بعض معانيها، والخروج بالبعض الآخر عن المعنى الحرفي لها إذ أدخلها في علاقات دلالية جديدة تعطي النص قوة بفضل النص القرآني المستدعى منه.

ومنها أيضا قوله [من الخفيف]:

قُمْتُ لَيْلَ الصُّدُودِ إِلَّا قَلِيلَا   ثُمَّ رَتَّلْتُ ذِكْرَكُمْ تَرْتِيلَا
وَوَصَلْتُ السُّهَادَ أَقْبَحَ وَصْلٍ   وَهَجَرْتُ الرُّقَادَ هَجْرًا جَمِيلَا
مَسْمَعِي كَلَّ مِنْ كَلام عَذُول   حِينَ أُلْقَى عَلَيْهِ قَوْلًا ثَقِيلَا(١)

إن القصيدة السابقة تسير على وتيرة واحدة في اقتباس فواصل سورة المزمل، وقد يلجأ الشاعر إلى استخدام الفاصلة القرآنية والكلمة المجاورة لها كما في (هجرا جميلا – قولا ثقيلا) فالفاصلة استدعت الألفاظ السابقة، وحققت استثمارًا كبيرًا للمعاني والدلالات والإيحاءات الفكرية والنفسية الناشئة عن هذا النهج من الاستدعاء الذي برع فيه ابن النبيه على أوضح ما يكون.

---

(١) الديوان (٦٦).

الخاتمة

ويمكن إجمال النتائج التي توصل إليها البحث فيما يأتي :

١- جاء استدعاء التراث الديني متنوعًا عند الشاعر ابن النبيه، حيث نجده متمثلًا في استدعاء (الشخصيات الدينية من الأنبياء والملائكة والصحابة، وكذلك استدعاء الأماكن ذات الدلالة الدينية، والإشارات الدينية، واستدعاء القرآن الكريم وتوظيفه).

٢- اتكأ في استدعاء الآيات القرآنية على آليات عدة منها استدعاء (اللفظ – والتركيب– والأسلوب – والفاصلة).

٣- جاء الاستدعاء الديني متوافقًا مع التجربة الشعرية للشاعر.

٤- جاء توظيف الاستدعاء في أغراض مختلفة ومتنوعة من مدح وغزل ورثاء، وهو ما يكشف براعته بمزج التراث الديني مع الأغراض المتنوعة.

٥- ظهرت بعض المبالغات في استدعاءات الشاعر خلال توظيفه للرمز الديني.

٦- تأثر استدعاءات الشاعر بروحه المصرية المرحة التي تميل إلى الفكاهة والمرح.

المصادر والمراجع

القران الكريم.

١. أثر القرآن في الشعر الجزائري الحديث. بو حجلم، محمد ناصر. (د. ط، المطبعة العربية، غراديه،١٩٩٢م).

٢. استدعاء التراث في الشعر الكويتي (المرجعية – التناص – الطرائق – الأنماط) .عبد الوهاب، سعاد ، أعمال المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الأدب خلال نصف قرن، مهرجان القرين، ١٩٥٠–٢٠٠٠.

٣. الاستدعاء الديني والأدبي في الشعر الشامي زمن الحروب الصليبية. النبوي، منال عطا الله صالح. (رسالة ماجستير، جامعة مؤته، ٢٠٠٤م).

٤. استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر. زايد، علي عشري. (د. ط، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٧م).

٥. إنتاج الدلالة الأدبية. فضل، صلاح. (الطبعة الثانية،: مركز الحضارة العربية، الجيزة ،٢٠٠٢م).

٦. البداية والنهاية. ابن كثير. تحقيق أحمد عبد الوهاب فتيح. (د. ط، دار الحديث، القاهرة ،١٩٩٣م).

٧. تاريخ إربل. الأربلي، شرف الدين بن أبي البركان المبارك بن أحمد ،تحقيق: سامي بن سيد خماعد الصقار، (د. ط ، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ١٩٨٠م).

٨. تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات (مصر)،ضيف، شوقي د. ط ، دار المعارف، مصر، د.ت).

٩. التراث والتجديد، موقفنا من التراث القديم. حنفي، حسن. (الطبعة الرابعة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٩٢م).

١٠. التراث والحداثة، دراسات ومناقشات. الجابري، محمد عابد. (د. ط ،مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩١م).

١١. التراث والمعارضة عند شوقي. التطاوي، عبد الله. (د. ط ،القاهرة: مطبعة السعادة، د.ت).

١٢. تفسير القرآن العظيم. بن كثير، أبي الفداء اسماعيل. تحقيق سامي محمد سلامة. (الطبعة الثانية، دار طيبة، الرياض، ١٩٩٩م).

١٣. التناص نظريًا وتطبيقيًا، الزعبي، أحمد. (د. ط ،مكتبة الكتاني، د. م ،١٩٩٥م).

١٤. الجامع الصحيح «سنن الترمذي». بن سورة، أبي عيسى محمد بن عيسى. تحقيق بشار عواد معروف. (الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت ،١٩٩٨م).

١٥. دراسات في الشعر في عصر الأيوبيين. كامل، محمد حسين. (د. ط ،: مؤسسة هنداوي سي آي سي، المملكة المتحدة، ٢٠١٧م).

١٦. الديوان. المصري، ابن النبيه. (د. ط،: مطبعة جمعية الفنون، بيروت ١٢٩٩م).

١٧. الرمز الشعري عند الصوفية. نصر، عاطف جودة. (د. ط، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة ١٩٩٨م).

١٨. رمزية القدس الروحية. الكيلاني، شمس الدين. (د. ط، اتحاد كتاب العرب، دمشق ،٢٠٠٥م).

١٩. سنن أبو داود .السجستاني، سليمان بن الأشعث أبي داود (د. ط، دار الجنان، د.م،١٩٨٨م).

٢٠. صحيح البخاري بحاشية السندي. البخاري، الحافظ أبي عبد الله محمد بن اسماعيل. (د. ط ،القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٧١م).

٢١. صحيح مسلم. القشيري، مسلم بن الحجاج. (د. ط ،طبعة رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية،١٩٨٠م).

٢٢. الصورة الفنية في شعر ابن النبيه المصري، أبو عيسى، حسين محمد ابراهيم. *مجلة كلية الآداب* ٤٠، إبريل (٢٠١٥م).

٢٣. عن بناء القصيدة العربية. زايد، علي عشري. (الطبعة الخامسة، مكتبة الرشد، الرياض، ٢٠٠٣م).

٢٤. قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان. الموصلي، كمال الدين المبارك بن الشعار. (د. ط، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م).

٢٥. الكامل في التاريخ. الجزري، ابن الأثير. تحقيق :محمد يوسف الدقاق. (د. ط ،دار الكتب العلمية ،بيروت، د.ت).

٢٦. لسان العرب. ابن منظور. (الطبعة الثالثة، دار صادر، بيروت ،٢٠٠٤م).

٢٧. المثل السائر في أدب الشاعر والكاتب. ابن الأثير، ضياء الدين. تحقيق أحمد الحوفي، وبدوي بطانة. (د. ط ،القاهرة: دار النهضة، ١٩٥٩م).

٢٨. المعارضات الشعرية أنماط وتجارب. التطاوي، عبد الله. (د. ط، دار قباء للنشر القاهرة، والتوزيع، ١٩٩٨م).

٢٩. مصطلحات نقدية من التراث الأدبي العربي. عزام ، محمد، (د. ط ،منشورات وزارة الثقافة، دمشق ١٩٩٥م).

٣٠. مع الأنبياء في القران الكريم. طبارة، عفيف عبد الفتاح. (الطبعة الثالثة عشر،:دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٤م).

٣١. المعجم الأدبي. عبد النور، جبور. (الطبعة الثانية،: دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٤م).

٣٢. معجم المصطلحات في اللغة والأدب. وهبة، مجدي، والمهندس، كامل. (الطبعة الثالثة، مكتبة لبنان، بيروت، د.ت).

٣٣. معجم متن اللغة. رضا، أحمد. (د. ط، دار مكتبة الحياة، د. م، ١٩٥٨م).

٣٤. من النص إلى سلطة التأويل. شبيل، الحبيب. *مجلة الفكر العربي المعاصر*، (١٩٩١م).

٣٥. منهاج البلغاء وسراج الأدباء. القرطاجني، أبي الحسن محمد بن حازم. تحقيق محمد الحبيب خوجه. (د. ط، دار الغرب الإسلامي، بيروت ،١٩٨١م).

٣٦.   الوافي بالوفيات. الصفدي، صلاح الدين الصفدي، " تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، (د. ط، دار إحياء التراث، بيروت ٢٠٠٠م).

٣٧. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. بن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد. تحقيق إحسان عباس. (د. ط، دار صادر، بيروت ،١٩٧٢م).

5

Writing apprehension of Saudi tertiary level English majors students, and its sources, in exam versus practice conditions

د. صلاح عايض الفروان
أستاذ اللغويات التطبيقية
المشارك بجامعة المجمعة

Abstract

Students' anxiety is an important variable affecting their foreign language learning and performance. While much attention has been paid to anxiety related to speaking in a foreign language, less has been given to that affecting writing, often termed writing apprehension (WA), and its causes, especially in Saudi Arabia. This study therefore measured the level of WA reported by Saudi tertiary level students at two levels (preparatory year, and first year English major) with respect to how much anxiety about writing in English as a foreign language they had, and how it varied depending on various factors, especially the writing conditions (practice writing task versus writing exam). A WA questionnaire (n=117) and interviews (n=16) were used. Results showed that WA was not high but just below the midpoint of the scale. Its major sources were students' low rating of their own writing related abilities and fear of negative evaluation. Some differences were found between the two levels of student, and between genders (with the lower level and female students having slightly more WA). There was however little evidence of a systematic difference in WA, or its causes, related to the writing task conditions. Reasons for this and its implications are discussed.

Key words: English as a foreign language, Saudi university students, self-efficacy, writing anxiety, writing performance, writing tasks

المستخلص

قلق الطلاب متغير مهم له تأثير على تعلمهم وأدائهم للغة الأجنبية. في حين أُولي اهتمام كبير للقلق المتعلق بالتحدث بلغة أجنبية، فإن هناك اهتمامًا أقل لدراسة القلق الذي يؤثر على الكتابة (والذي يطلق عليه بالخوف من الكتابة) وأسبابه في المملكة العربية السعودية، تقيس هذه الدراسة مستوى الخوف من الكتابة لدى الطلاب السعوديين في السنة التحضيرية و السنة الأولى تخصص لغة إنجليزية فيما يتعلق بمدى قلق الكتابة باللغة الإنجليزية بوصفها لغة أجنبية، ومدى الاختلاف بناء على تمايز العوامل ذات الصلة، وخاصة ظروف الكتابة (ممارسة مهام الكتابة مقابل اختبار الكتابة). أُستُخدِمَ استبيان (عدد:١١٧) وإجراء مقابلات (عدد:١٦) حول قلق الطلاب من الكتابة، وأظهرت نتائج هذه الدراسة – أنه على النقيض من معظم الدراسات الأخرى لطلاب اللغة الإنجليزية العرب – فإن القلق لدى الطلاب من الكتابة لم يكن مرتفعًا ولكن كان فقط أقل من المعدل الوسطي للمقياس. وبينت الدراسة أن الأسباب الرئيسة لذلك القلق من الكتابة شملت انخفاض تقدير الطلاب لقدراتهم المرتبطة بالكتابة والخوف من التقويم السلبي. كما أظهرت نتائج الدراسة أن هناك بعض الاختلافات بين مستوى الطلاب، و الجنسين (بخصوص المستوى المنخفض/المتدني، حيث وضحت الدراسة أن الطالبات يعتبرن الأكثر قلقًا). ومع ذلك هناك دليل ضئيل على وجود اختلاف منهجي بخصوص القلق من الكتابة، أو أسبابها، كما نُوقِشت الأسباب والآثار المترتبة عليه في الدراسة.

كلمت مفتاحية

قلق الكتابة، الكفاءة الذاتية، اللغة الإنجليزية بوصفها لغة أجنبية، أداء الكتابة، تعلم اللغة.

Introduction

In applied linguistic research into foreign language learning there has long been recognition that learners' performance in a language is affected not only by their current knowledge of the language but by many other factors, including affective ones related to how they feel (Ellis, 2008). Among the latter, the apprehension or anxiety of the learner has attracted attention for some decades. Furthermore, greater degrees of this emotion have been widely assumed to have a negative effect on language performance (in any of the four skills), e.g. as reflected in Krashen's affective filter hypothesis (1988), even though there is some general literature that affords support for the view that some degree of it is in fact beneficial (Strack & Esteves, 2015).

In the applied linguistic literature, work on anxiety and the factors that create it has for some decades been dominated by work by, or following in the footsteps of, Horwitz, Horwitz and Cope (1986) who developed a questionnaire instrument for measuring it called the Foreign Language Classroom Anxiety Scale (FLCAS). While this from its title might appear to be a general measure of FLL anxiety, and in fact has often been used by researchers as if it was, in fact it is predominantly a measure only of speaking anxiety. Those of its items that mention any particular skill nearly all refer to speaking, and speaking is implied by several that do not use the word (e.g. *It embarrasses me to volunteer answers in my language class*). In fact the FLCAS nowhere explicitly mentions writing, which is possibly covered only very implicitly in a few items which mention no specific skill, such as *I worry about the consequences of failing my foreign language class*.

Research problem and objectives

There therefore remains something of a shortfall in the area of second language research into the nature and sources of anxiety in relation to skills other than speaking, although writing in particular is important at tertiary level. The present study therefore contributes to filling that gap which exists in the area of writing anxiety/apprehension research in Saudi Arabia especially with respect to gender, level and task differences, as the following sections will show.

Importance of English writing anxiety at tertiary level

The present study investigates English writing apprehension at tertiary level in Saudi Arabia, a country where English is learned and used as a foreign language (EFL) with little day to day currency in the country for most citizens. The importance of English writing apprehension at university level in EFL countries therefore first needs some explanation.

Clearly in many such countries tertiary level instruction in most majors is still predominantly conducted in the local language. Hence English writing would seem of little relevance except for students in the English department. However, with increasing internationalisation of key areas of life such as business, defence and politics, the learning of the language of globalisation, i.e. English, is being emphasised more and more in countries where it does not historically have any place in daily communication. Saudi Arabia is in the forefront of such countries where policies are being pursued to heighten the level of English proficiency of the graduate workforce in general, so as to assist the country in taking its proper place in the new globalised world. One aspect of this in Saudi Arabia is the promotion of undergraduate teaching in most majors through the medium of English. Related to that is the provision in most universities of special courses to improve the English of students either just before, or concurrent with, the first year of their undergraduate major program (Alenezi, 2016).

In the inner circle of English speaking countries, such as the US and UK, we are familiar with writing being at the core of university study. While the other language skills are needed for obtaining and learning the required knowledge, undergraduates usually find that assessment on their courses primarily requires writing, in many subjects in the form of essay coursework or term papers, or in the form of shorter essays written in timed exams.

In Saudi Arabia the assessment of undergraduates is also predominantly written, although not usually in the form of essays of the length and complexity expected in the US or UK. Furthermore, while students may be able to partially circumvent the need for English in studying and acquiring their subjects, e.g. by accessing books or websites about their subject written in Arabic, they cannot escape using English in the assessment. In this context therefore, the nature of factors other than knowledge of the subject being assessed that affect English writing quality, such as writing apprehension and the ulterior factors which determine it, are clearly of key importance in the Saudi tertiary context today. Indeed they will be important to understand in any similar contexts around the world, where EFL countries are introducing English medium instruction at university level.

Literature review

Writing apprehension (WA) as a term was first introduced by Daly and Miller (1975), in relation to native speaker writers. Other terms used include writer's block (Rose, 1983) and, as noted above, writing anxiety (e.g. Cheng, 2004; Tanyer & Susoy, 2013). It is regarded as an affective variable closely related to fear, and associated with strong dislike of writing, which are in fact the notions most heavily relied upon in the items which comprise the famous original questionnaire instrument for measuring writing apprehension (Daly & Miller, 1975).

WA is described as a complex attitudinal, emotional, and behavioral construct which shows itself in many ways including negative attitudes, avoidance behaviors, and physical manifestations such as a faster heart rate. It can affect the performance of both native and non-native writers (Graves, 1984). Its negative effects before writing include avoidance of situations where writing is needed, putting off writing, and failure to be able to get started on writing (Daly & Miller, 1975). During writing it can appear in the form of a person's agitation and physical response such as sweating, while after writing, if indeed it gets completed, apprehension can appear as negative evaluation of what was written (Hettich, 1994). Indeed the product may be objectively poorer than that of lower apprehension writers (Hanna, 2010). The writing of highly apprehensive students has been found to be shorter, syntactically more restricted, with less use of qualification, and generally of poorer quality (Cornwell & McKay, 2000:119).

A number of studies have described WA of non-Saudi Arab undergraduate English majors (Abu Shawish & Atea, 2010; Al-Sawalha & Chow, 2012; Salem, 2007; Latif, 2015). They generally showed that such learners evidenced high levels of writing apprehension. Salem (2007) for example showed that English majors in the University of Al-Azhar (Cairo) felt overwhelmed when required to write essays. This was associated with lack of relevant writing skills in matters such as how to start, how to develop ideas, how to select and make valid relevant points, and even how to write without mistakes in grammar and punctuation. However, we may comment that such lack of skills might have been a cause of the anxiety (see later below) as much as an effect of it. In Saudi Arabia we know of only a few tertiary level WA studies. Altukruni (2019) studying female preparatory year students, found high WA. However two others found only moderate WA. Aljafen (2013) measured the overall WA of science students and only found similar middling degrees of WA among students at different levels (preparatory to 9th level) and of different specialisms. Aloairdhi (2019) found middling WA of female EMs of unspecified levels. Our study will therefore contribute to clarifying the contradictory findings in this area by assessing the level of WA in a similar context, and for the first time clearly distinguishing the results for different genders and different student levels.

In addition to the nature and effects of WA, its sources or factors increasing it have also received some attention and it is these that are targeted in the current study. Latif (2015), for example, studying Egyptian EFL university students, lists low vocabulary and grammar knowledge, low perceived language competence, low writing performance level, low perceived writing competence (self-efficacy), certain instructional practices, and fear of criticism. However, the precise composition of the list of relevant influences is uncertain, as is the relative size of the effect of each member. We will therefore investigate whether, for example, WA is itself more influenced by a student's self-perceived proficiency (self-efficacy) or by the teacher's instructional practices, and so forth.

Other studies in universities but in contexts more distant from ours reveal the same and further possible factors producing or affecting WA. Huwari and Hashima (2011), investigating Jordanian postgraduate students in Malaysia, found WA was high and related to age and socio-economic status. It was also reported as higher for writing a thesis rather than assignments or a journal. Lin and Ho (2009) in Taiwan found factors heightening WA were: time restriction of the writing, expectation of negative teacher evaluation of the writing, peer competition and comment, certain writing topics and formats. Daud, Daud and Kassim (2005) in Malaysia found higher anxiety and lower writing performance arose from poor writing skills which in turn were due to lack of vocabulary knowledge and writing experience. In Saudi Arabia, Aljafen (2013) identified only a few distinct causes of WA: the main one was 'weakness of past English education' which presumably has its effect through poor English skills that students acquired; the second was 'lack of confidence in writing' which is, in effect, self-efficacy; another was evaluation of the writing. Altukruni (2019) similarly reports lack of confidence, fear of making mistakes and fear of evaluation. Aloairdhi (2019) reports evaluation of writing, generating ideas (effectively topic knowledge), grammar knowledge, time pressure, and lack of confidence. Our study will however be the first to examine a comprehensive list of causes paying due attention to gender and level differences at university level in the KSA.

Overall, putting together the rather incomplete and variously worded lists of factors found in the literature cited above, we may deduce that the factors potentially influencing WA fall into three main areas.

> Learner personal ability and belief: writer's actual language proficiency, writing ability (including strategic competence), knowledge of topics and genres and types of writing task; writer's self-perceived language proficiency, writing ability, knowledge of topics and genres and types of writing task (i.e. self-efficacy or confidence)
>
> Learner instructional context: the amount of opportunity to write, the type of writing instruction received, the type and frequency of writing exams/tests experienced, the amount and degree of negativity of teacher's and peers' feedback/marks/evaluation, perceived ability of peers
>
> The specific writing task: the topic set to write about, its genre/format, complexity of writing instructions/prompt, linguistic demand, time and resources allowed, amount of teacher or peer support before and during the task.

The above analysis was used to inform the questions that we asked in the questionnaire that we used, so that (unlike most prior studies that we found) it covered the full range of likely factors affecting WA. It also drew our attention to a specific factor to focus on in the study. In our context, as in many around the world, despite the increasing popularity in some quarters of portfolio assessment of writing, there is a clear distinction between writing tasks that are done purely for practice, whether in class or as homework, whose scores, if awarded, do not count towards course assessment, and those that are done to be marked and counted as part of the course assessment. The latter are often also done in stricter conditions of limited time and resources than the first. One would therefore expect WA to be greater in the latter, given that the stakes are higher and the conditions less supportive. Yet we found no studies where this had been directly tested. This might be argued to be a straw man, i.e. an obvious fact, which there is no need to verify. However, the equally 'obvious' effect of variables such as time allowed on writing quality have been widely researched (e.g. Powers & Fowles, 1996) and not found necessarily to have the expected effect if for example the extra time is at home (Kroll, 1990). Hence, we also set out to test whether the 'obvious' connection does actually exist for the effect of exam vs practice conditions (with their time and resource differences) on WA in the KSA. This to my knowledge is the first study to do this.

Research questions

Following from the above, RQs are posed with respect to two target populations of Saudi university students: a. IEC students in their intensive English course prior to entering their English major program; b. EM students in their first year as English major undergraduates in Saudi Arabia, still receiving mostly English language improvement courses prior to starting subject content courses. Unlike any of the Saudi WA studies we reviewed, gender is included as a variable.

1. How high is their degree of writing apprehension?

2. What are the main factors that affect their writing apprehension?

3. Is there any difference in the above depending on gender or level (IEC vs EM) of writer or depending on the writing conditions (exam versus class practice task)?

Hypotheses

I did not formulate hypotheses related to RQ1 and 3, since the literature did not support any clear expectation: either there was insufficient literature or it did not suggest a clear answer (e.g. some studies suggested high anxiety, others medium/low (RQ1); task effect (RQ3) is not supported by all past studies). With respect to the factors affecting anxiety (RQ2), I predicted that they would fall in the three areas described in the previous section, summarised from past research.

Methodology

A mixed method approach was adopted in order to benefit from the advantages of both quantitative data (closed response questionnaire items) and qualitative data (open responses, especially in interviews). The data gathering at a state university in Saudi Arabia was all completed some time before the COVID 19 crisis, so it can be assumed that anxiety generated by that would not have affected the study.

Participants

Students were invited to participate from the usual English Writing courses that were running both in the IEC and the first year of the EM program. All participants were Saudis with L1 Arabic, aged between 19 and 21. In our view they can be regarded as typical of students joining the English department at the university, and at other provincial universities across Saudi Arabia.

There were 117 participants in the questionnaire data gathering, divided as follows: 57 IEC students (22 male, 35 female); 60 EM students (33 male, 27 female). Of these, 16 participated in the interviews. These consisted of one participant for each possible combination of the values of four two-valued variables: male - female, IEC - EM, high anxiety - low anxiety (based on the questionnaire), exam condition essay - practice condition essay. In other words, we sought one high anxiety female IEC student volunteer to be interviewed after the exam writing task, and so on.

Questionnaires

A questionnaire was devised to gather background information about the participants (part A), and to elicit rating scale response data relevant to students' writing and WA (parts B and C) on two occasions (after completing each writing assignment). Parts B and C were immediately retrospective questionnaires, asking about the writing they had just completed, not asking in general terms about WA in past writing experiences. This approach was used for two reasons. First, a researcher is more likely to obtain valid reporting about a very recent event that is still in respondents' mind than distant past events, where memory lapses or halo effect may produce false information. Second, it was necessary to distinguish between how the students felt about the writing done in each condition separately.

Our literature review did not uncover a questionnaire that could be regarded as a satisfactory ready made choice for WA measurement in this study, therefore we compiled our own. The FLCAS was not suitable because, as described earlier, it makes no explicit mention of writing anxiety. Some of its items were however suggestive and could be adapted (e.g. *I keep thinking that the other students are better at languages than I am* inspired our more explicitly WA and immediately retrospective part C item *I was not concerned about the other students doing better than me on that composition*). Daly and Miller's (1975) EWAT questionnaire, although a foundation stone of WA research and widely used in the studies that we reviewed, was also deemed unsuitable. Researchers often seem to use it even where the wording of the items clearly does not fit their context. Aljafen (2013) for example used the following items with his Pharmacy majors: *Taking a writing course is a very frightening experience; Handing in an English composition makes me feel good*. Yet it seems unlikely that his pharmacy majors of levels 6/7/9 would be taking a composition course or that the word *composition* fits the kind of writing that would be done in that discipline.

Daly and Miller's questionnaire also contains many items which really measure variables that we would wish to keep separate today, even though they are usually found to correlate well with anxiety. For instance, *I'm not good at writing* is really targeting self-efficacy rather than WA directly. *I enjoy writing* targets the joy-sorrow emotional dimension which in the many rival classifications of different emotions is always regarded as separate from fear/anxiety (e.g. Robinson, 2009). *I avoid writing* targets a behavior which indeed might be due to WA but could equally be due to the time it takes, or being better in other modes, etc.

We therefore designed our own questionnaire using items inspired by suitable ones found in Daly and Miller and other sources reviewed in the literature. One set of items (part C) contained 16 statements focusing on the range of potential causes of or factors leading to WA, as described and analysed in the literature review above. These were responded to on a 5 point Likert scale, and contained a mixture of positively and negatively coded items. E.g. a high agreement rating for *I was nervous about getting a low mark* is positive for WA while high agreement with *I did not worry about the amount of correction I might get from the teacher* is negative for WA. Care was taken that all these items clearly related to the WA construct by containing an emotion word close to *anxious* or its opposite, e.g. *nervous, worried, stressed, concerned, upset, relaxed*. Thus, unlike questionnaires that we found it the literature, the items were controlled to focus on possible causes of WA, not how it showed itself or its effects on writing.

A further set of 9 items (part B) contained statements responded to on a low-high scale and measured a range of variables which might affect writing quality and/or anxiety. These were items about how much the respondent claimed to possess a certain attribute, not items about reasons for their anxiety. The attributes included one global question, B13, about degree of anxiety itself (regardless of cause).

The questionnaire was compiled in English then translated into the students' L1 by a bilingual translation expert. It was piloted with 10 students who did not participate in the main study and who demonstrated that it was clear and straightforward.

Interviews

Interview questions were composed in Arabic, and again referred back to the recent writing task that had been completed for the research. Open questions with ad hoc follow up questions were posed in order to obtain interviewees' richer reports on their anxiety and its causes. They were asked questions covering the following areas relevant to the research questions of this paper:

> how their anxiety showed itself with them, if they were indeed anxious
>
> what they really thought caused their anxiety, or lack of it
>
> to make a comparison with speaking (so as to prompt more thought about factors affecting their WA or lack of it)

Procedure

Two specially chosen equivalent essay topics were introduced into weeks 5 and 7 of the Writing courses. Each was done by one group as a practice writing task and by the other as an exam item in a counterbalanced design: the topics were assigned in such a way that approximately half of the participants wrote on the first one in the practice condition and on the second one in the exam condition, while the other half did the reverse.

The topics were chosen to be parallel in key respects. Both were argumentative, focusing on contemporary issues resonant in Saudi Arabia. One focused more on males and the other more on females but both potentially arouse strong opinions in both males and females. They were:

1. Is it a good thing that women are now allowed to drive in the KSA? Why/Why not?

2. Should men all learn how to cook? Why/Why not?

The course teachers were encouraged to introduce the writing tasks as far as possible as normal parts of the ongoing course and official examining. This was helped by the fact that in Saudi universities the exams are in any case set by the class teachers. Since we wished to research WA in the real conditions obtaining in the context, we did not impose the details of the practice versus exam writing conditions but left them to be decided by the class teachers, following usual customs in their institution. In fact the differences between the conditions were as follows.

Practice writing was done in class rather than as homework, with 10-20 minutes allowed, depending on the teacher. In a typical writing class, the students are first assigned a topic as an exercise activity to write a rough draft and the work is then seen and evaluated, usually by a peer who offers feedback on the content, and checks the work for mechanical mistakes such as grammar, punctuation and capitalization. Then a teacher makes a round of the students to check their work after which a final draft is written. In exam conditions, however, the students just receive an announcement that assessment will be at a certain time. The exam writing was done without support as part either of a 'quiz' (which in Saudi Arabia is in fact a short exam) or a midterm exam, where it was variously accompanied by other tasks such as an item on connectors and writing short essays on other topics. Exam writing time available for our essay was usually 20 minutes.

Each writing task was closely followed by the questionnaire after which the researcher went over students' questionnaire responses identifying relatively extreme anxious and non anxious students for the interviews which shortly followed with select cases. For the interviews with female students, an assistant who was a PhD in TESOL from the UK was specially trained by the researcher. Interviews were predominantly in Arabic with some code switching and took between 15 and 20 minutes.

Data analysis

The questionnaire data was entered into SPSS for statistical analysis. Where summary scores needed to be created across sets of WA related items, scores of negative coded items were polarity reversed so that higher summary scores unambiguously represent greater WA. The questionnaire data for individual items failed to exhibit normality of distribution (Kolmogorov-Smirnov test with Lilliefors correction p<.001 on all items). Therefore nonparametric tests were used wherever significances were tested. Especially the Generalized Linear Model was used, which can treat the data as ordinal and perform multiple comparisons of the type that can be done separately using nonparametric tests such as the Mann-Whitney test and the Wilcoxon test.

The interview data was transcribed and translated into English. It was then submitted to content analysis using the constant comparison technique. It was read several times by the researcher and an independent expert to identify the emerging themes or categories in the content, especially with respect to reasons for, or causes of, WA and how they related to the two writing conditions.

Reliability and validity

The validity of the questionnaire items was supported by the careful way in which the items were constructed, using the literature critically as described above. The validity of all aspects of the methods used was further supported by the judgment of an independent applied linguistics expert who reviewed them. Internal reliability of the 16 items targeting different causes of WA (questionnaire part C), which are the focus of this paper, was assessed by the use of Cronbach alpha for each writing condition separately. Alpha for the exam condition =.907 and for the practice condition=.868. This confirms that, aside from targeting different factors affecting WA, the items all reflect a single construct.

Results and discussion

How high is the participants' degree of writing apprehension?

This we can judge from the questionnaire in two ways: from the single item where we asked directly about this, independently of cause (B13), and indirectly from the mean of participant responses to all the part C 16 items about WA due to specific reasons.

The mean response to item B13 across all students and conditions was 2.45 (SD=1.160), which is significantly lower than the midpoint 3 on the rating scale (binomial test p<.001 for each condition separately). Thus students endorsed the view that *My level of anxiety when I wrote that composition was.. between moderate and quite low*.

Their overall mean across all items of part C was a little higher but similarly below the midpoint at 2.65 (SD=0.714) (binomial p=.001). It thus indicated overall judgment between *neither agree nor disagree* and *disagree* that they had WA for the reasons covered.

Is there any difference in the overall degree of WA depending on gender or level (IEC vs EM) of writer, or depending on the writing conditions (exam versus class practice task)?

Figure 1 shows the overall WA as determined from part C of the questionnaire in relation to our three independent variables (and a very similar pattern emerged from item B13 alone). Descriptively, anxiety is higher among IEC than EM students, especially among males. In addition, aside from IEC males in the exam condition, males generally show lower anxiety than females and anxiety is slightly greater in the practice than the exam condition.

Figure 1. Overall WA differences between groups and conditions (based on mean of items of questionnaire part C)

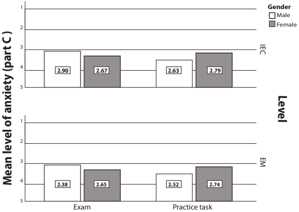

If we consider the results of the significance tests however (Table 1), there was a generalizable overall WA difference (p=.046) only between IEC and EM students (means 2.74 and 2.56). There was also a significant interaction effect between level and gender (p=.034). This reflects the fact that, as we can see in Figure 1, there is a WA difference between genders that is not the same at the two levels. Among the EM students there is greater WA among females (mean 2.69) than males (mean 2.45). Among IEC students however the difference is close to zero (female mean 2.73; male mean 2.76). Notably no difference involving the writing conditions was significant.

Table 1. Generalized linear model analysis of overall WA scores (based on questionnaire part C)

Effect	Wald Chi-Square	df	Sig.

Level	3.999	1	.046
Writing condition	.056	1	.813
Gender	.816	1	.366
Level * Writing condition	1.172	1	.279
Level * Gender	4.473	1	.034
Writing condition * Gender	.950	1	.330
Level * Writing condition * Gender	1.006	1	.316

Discussion of overall finding

Overall it is not surprising to find IEC students having greater WA than EM students, given their lower ability level when faced with what for them would be a more demanding writing topic compared with what they were familiar with. The task was not a simple description or narrative but an argumentative topic requiring higher writing skills and something longer than a single paragraph which many usually write.

A general difference between genders is not really anticipated from the literature which largely finds no gender difference for anxiety. Cheng (2002) however did find females possessed more WA than males in Taiwan. Among the Saudi studies only Aljafen (2013) included both genders, but reports no comparative results. It is not clear why the genders should differ at EM level but not IEC. In Saudi Arabia however the genders are taught separately by same sex teachers, even at university level. Therefore, although the two genders follow the same courses, with the same set textbooks and course specifications, there are inevitable differences due to the teachers being different which might create a gender difference. That could account for the gender difference being different at different levels.

What however mostly demands explanation is the generally low level of WA and the lack of expected difference between the writing conditions. The latter will be addressed further below, so we address here the first of these. With respect to the generally low level of WA, the literature that we reviewed on WA among Arabic learners of English at university level, but not in the KSA, unambiguously reports high levels of anxiety. Studies in the KSA are divided: moderate in Aljafen (2013) and in Aloairdhi (2019, female only); high in Altukruni (2019, female only). We therefore need to consider why WA was not higher in our study.

Aljafen (2013) advances an explanation for the only moderate WA of his Saudi science major students. He says (p 53) 'One probable reason was that the Saudi instructors, knowing the students' level of English education was not very strong, did not expect excellent writing and based their evaluation on the ideas of the writing rather than the quality of writing. Therefore, the students' anxiety may have been related more to the scientific course rather than to the writing itself.' That cannot not apply exactly in our case, however, since the students in our study were not yet at the level of their major where they write subject essays (e.g on English literature or linguistics) through the medium of English. Still, the general idea of what we might call 'teaching accommodation to student ability' (TASA) recognised by Aljafen could appear in our case in a different form. Standards in Saudi universities, especially rural provincial ones, often seem to be set, or interpreted by teachers, in terms of what it is thought that the (often low proficiency) students can achieve rather than what they need or is comparable with BA degrees in other countries.

For instance, a typical objective specified for a first year EM course called Writing I is: 'Write a paragraph with an appropriate topic sentence and supporting details with unity and coherence' on a topic such as entertainment. The time allowed for the writing tasks is consistent with this since in 20 minutes it is unlikely that a low proficiency non native writer could write more than 100 words maximum, which would probably be just one or two short paragraphs. This is clearly way short of preparing students for what they need in order to write proper academic essays on English literature or linguistics as they progress through their BA, but is designed to suit the level of ability that the students are still at (so exhibits TASA). Indeed for the most part TASA continues for EMs at Saudi universities at higher levels in the form of avoiding making them write such essays in subject classes in linguistics or literature, by resorting to assessment through multiple choice or gap filling or at most short answer assessment formats requiring only a sentence or two to be written. It is only perhaps at the very end of their BA program that they have to write a 'graduation project' that would usually entail a full length essay, which they still struggle with. Such an approach would therefore likely serve the purpose of keeping students relatively free of WA, as reflected in our data.

What are the main factors that affect student writing apprehension?

Table 2 shows the findings for the individual items mentioning specific causes of WA, across all groups and conditions. We can see at once that on average no causes were rated above 3 (neither agree nor disagree) and none below 1 (disagree). Thus all were mildly rejected as generating anxiety, consistent with the overall finding above. Within that, some of the relatively more endorsed items related to fear of negative evaluation in the context where they write (C8, C6, C16). Others related to lack of preparation (C13), and to low self-efficacy (C1, C3, C5), especially perception of their own English or genre knowledge as insufficient rather than their knowledge of topic. At the bottom, they were even less worried by aspects of the writing task (its difficulty C11 and time pressure C14) or by their peers being better (C12). They agreed least of all that they were worried by lack of support from teachers or resources like dictionaries (C15). The results for C14 and C15 may seem surprising since half the data comes for writing in exam conditions: indeed C15 is lowest rated, and C14 nearly so, in each condition considered separately. This implies perhaps that teachers did give some help in the exam condition although that is not strictly supposed to happen.

Table 2. Mean agreement with various causes of WA (all conditions and participants)

NO	Item	Mean	Std. Deviation
C8	I was nervous about getting a low mark	2.91	1.327
C13	I was anxious because I did	2.83	1.195

	not feel well prepared to write that composition		
C6	I did not worry about the amount of correction I might get from the teacher (Reversed)	2.82	1.184
C16	I was stressed because doing well on that writing task was important	2.78	1.128
C1	I worried that my knowledge of the English language was not enough for the task	2.75	1.131
C3	I was nervous that I might not know the right overall structure of the text to use, i.e. narrative or argumentative etc	2.72	1.188
C5	I was nervous because I did not feel I had the necessary planning and revising skills	2.71	1.124
C7	I worried about not understanding the feedback I might get from the teacher	2.69	1.161
C2	I was not afraid that the topic was too hard for me (Reversed)	2.68	1.094
C9	I worried that I might not have understood the task instructions properly	2.61	1.107
C11	I was not upset by the difficulty of writing that composition (Reversed)	2.58	1.144
C14	I was not stressed by time pressure when writing that composition (Reversed)	2.55	1.240
C12	I was not concerned about the other students doing better than me on that composition (Reversed)	2.54	1.260
C15	I was worried because I could not get enough help from the teacher or dictionaries etc. while doing that writing task	2.30	1.111

Is there any difference in the effect of different factors affecting WA depending on gender or level (IEC vs EM) of writer, or depending on the writing conditions (exam versus class practice task)?

There were no significant differences between the two writing conditions for any cause of WA. Three specific causes however exhibited main effect differences for level, and explain the overall effect we found for level. In all three cases IEC reported more WA than EM students due to the cause in question, explicable from their lower actual proficiency level. The variables were: C1 self-perceived low English proficiency (means IEC 2.96, EM 2.55; Wald chi sq=5.19, p=.023), C13 self-perceived low state of general preparedness (means IEC 3.01, EM 2.67; Wald chi sq=3.96, p=.047), C15 insufficient teacher/dictionary support (means IEC 2.52, EM 2.10; Wald chi sq=7.61, p=.006).

There were also three gender main effect differences, although as we have seen, gender overall was not significant (Table 1). In all three cases, females registered more WA than males due to the cause in question: C1 self-perceived low English proficiency (means M 2.52, F 2.95; Wald chi sq=6.34, p=.012), C3 self-perceived poor knowledge of text structure (means M 2.55, F

2.88; Wald chi sq=3.91, p=.048), C16 perceived importance of getting a good evaluation (means M 2.60, F 2.94; Wald chi sq=4.48, p=.034). We have not found this result reported before for L2 anxiety in Saudi Arabia.

Insights from the qualitative data

In some respects the qualitative data simply supported the quantitative findings. For example the slightly greater WA of females was illustrated by the contrast between a high WA male who said specifically *I felt anxious as I do not have enough vocabulary and the vocabulary relevant to the topic or that can be used properly in writing such a topic* (EM M Prac High). By contrast a high WA female voiced the effect of a much more global lack of self-efficacy: *I didn't know how to write* (EM F Prac High). Note the interviewees' extracts are identified here by their group (EM or IEC), gender (M or F), task condition (Practice or Exam), and relatively higher/lower WA score in the questionnaire.

The main contribution of the qualitative data however was to illuminate why there were no significant WA differences between the two writing conditions. Where the task was practice rather than exam, there were a few references to that fact as lowering WA, as might be expected. A low anxiety interviewee said: *It was just an exercise task worth few marks that can be compensated if not obtained a high score* (EM F Prac Low); *I had enough time allotted to write about...* (EM M Prac Low). However the low anxiety interviewees also found reasons for the exam writing to be unstressful: *For this exam, it is not the final one, although the credits accounts towards my total grade of the course, where I learn from my mistakes* (EM M Exam Low). Another said that despite being in exam conditions, *there was enough time to compose the task* (IEC F Exam Low), which is consistent with the finding for C14 earlier. Furthermore, it was admitted that *the teacher before at the beginning of the term had talked about that topic* (IEC F Exam Low), which might seem unexpected for an exam essay topic but is not unfamiliar in the Saudi context (cf the finding for C15 above).

The high anxiety interviewees also showed that there was less difference between the conditions than was anticipated, to the extent that one even referred to the practice writing as an *exam*: *My writing, it was full of mistakes, because I wasn't prepared and the exam came out of the blue* (EM F Prac High). This excerpt also implies that there was no special prewriting preparation organised by the teacher (e.g. brainstorming ideas or preteaching some useful words), such as one might have expected with writing practice (but not exam writing). It may also suggest that it was done in much the same conditions as the exam essay, just its marks were not part of the course assessment.

With respect to time limitation this similarity was supported by a high anxiety student who said of the practice task: *The writing task if it were a homework not in class it would be more comfortable as I would take my time and think at ease while in the class writing I'm limited in time and I have to finish within a certain time that makes me stressed* (IEC F Prac High). Although she does not say so, the limited time would also curtail her ability to make use of any support that is permitted in practice tasks from peers and teacher while writing. Conversely, with respect to the exam conditions, clearly time limitation was not necessarily felt as an issue: <*What about time limit for doing the exam*?> *I came late and also made me anxious but if I had come on time it would not have an impact* (EM M Exam High). For the students we may surmise that WA is not so much influenced by the practice vs exam distinction but rather by whether the writing is done at home versus in class. This could be related to the fact that, although no student mentioned it, students writing at home in the Saudi context very often rely on the internet for their essays and seek texts to imitate or cut and paste from, which would of course make writing less stressful than having to compose all the text oneself, as in a class writing task (whether practice or exam).

In the interviews, the most mentioned factor in WA by far was in fact self-efficacy, regardless of condition or level: *Well, having poor language proficiency is the main factor to be honest* (IEC F Exam High); *I was not anxious at all, because basically I know about it considerably plus I have a good set of vocabulary about such a topic* (EM M Prac Low). This agrees with the relatively high ratings of self-efficacy items in the questionnaire.

Discussion of the causes of WA

The overall relatively high ratings of WA based on fear of negative evaluation in the context where they write (C8, C6, C16), lack of preparation (C13), and low self-efficacy with respect to relevant knowledge and skill (C1, C3, C5 and qualitative data), are all paralleled in many anxiety studies of other skills, e.g. those based on FLCAS from Horwitz et al. (1986) through to Sadighi and Dastpak (2017). Apart from perhaps C13 they naturally apply equally to writing in practice or exam conditions.

The differences in WA by levels that we found, especially due to self-efficacy (C1) and lack of teacher/dictionary support (C15), are explicable given that the actual proficency of IEC is lower than that of EM, and that this is reflected in their degree of self-efficacy which then affects WA. Level differences were not found by Aljafen (2013) but his participants were not English majors. Qualitative data supports the lower self-efficacy of IEC since only the IEC students mentioned self-perceived deficiencies in low level features of writing such as punctuation and capitalisation.

Gender differences in WA are interesting since no comparable Saudi studies have included and compared both genders. The females particularly recognised their WA as affected by their English knowledge (self-efficacy, C1) and their concern to do well (C16). However, the qualitative data does not conclusively decide whether their self-efficacy was actually lower than that of males or just that its impact on WA was greater for them.

The reasons for lack of quantitative WA difference between the two writing conditions seem to arise from how the two conditions were implemented in practice in the context, which was not as differently as might be expected. As revealed by the quantitative data there was in both conditions relatively low WA due lack of time (C14), which was similar in both conditions (around 20 minutes), and especially low reported WA due to lack of help from teacher or dictionary (C15). The qualitative data also suggested the conclusion that the exam writing was supported a little more than might be expected and the practice writing possibly less so, perhaps due to shortness of the time allowed for it and the fact that it was done in class not at home. The tasks were therefore quite similar but for the importance of the mark awarded, unlike the scenarios found in EFL texts on the teaching of writing (e.g. Harmer, 2004), and consequently generated the same WA rather than greater in the exam condition.

Implications and conclusion

The following argument is developed for the Saudi context of the present study, but we believe it will resonate in other contexts around the world and be of interest to researchers in the field of language anxiety more generally.

Assuming that we follow the majority view in the literature that all anxiety is bad, then we must consider how to reduce it. The obvious way is to address its causes. In our findings it seemed to be primarily poor self-efficacy that increased anxiety, together with (in the quantitative data anyway) fear of negative evaluation, which could be seen as a corollary of poor self-efficacy: if a student does not feel they are good at X, then they will likely fear negative feedback on X. This lack of self-efficacy concerned especially students' perceived knowledge of topic, genre and vocabulary, and in lower level students also writing mechanics. It was slightly more prominent in females than males and more strongly seen in IEC than EM.

According to the pioneer of the self-efficacy concept (Bandura, 1997), a key way of boosting self-efficacy (and so lowering anxiety) is by enabling students to experience success in easier related tasks, thus developing confidence: prolonged attention to mastering the basic skills in any chosen domain is a key to building confidence in ability. However, there is a risk in this strategy that the easier tasks may take over teaching time, and come to dominate tests and exams, to the point that the harder tasks that it is the goal of a course to master never get reached or tested. That is an extreme form of what we named TASA above. Thus students maintain low anxiety (and the teacher secures impressive student pass rates) but the students do not in fact achieve the course outcomes that they are supposed to.

There is some feeling that exactly that occurs already in the Saudi educational system with respect to English teaching, both at school level (Al-Seghayer, 2015, p97), and in the preparatory year with respect to reading (Alenezi, 2016). I suggest that we see this in the present study in the form of the brevity of the writing tasks required, i.e. not necessarily much more than one paragraph or about 100 words, despite the tertiary level English medium instructional context. That is perhaps also what explains why our levels of anxiety did not seem to be as high as those in studies of Arabs in other countries. Saudi students know that one paragraph and only 100 words will do for an English composition even as a first year EM, so did not in our study find the 20 minute or so time limit a great source of WA in either condition.

I suggest however that this will not do if standards of course quality with respect to student actual needs and the achievement of national objectives for graduate English proficiency are to be maintained. There needs to be a way of providing low ability students with the 'success in easier related tasks' referred to above that does not involve completely dumbing down the kind and length of writing required. I suggest this needs to be attempted by providing writing practice of the richly supported type (e.g. as described in White & Arndt, 1991) which makes it vastly different from the typical writing exam. In such practice far more time is involved than 20 minutes and there could be an attempt made with teacher framing and peer support and proper use of online resources to write complete three or five paragraph essays that get much closer to the realistic academic writing requirements that should be associated with upcoming subject classes, yet do not greatly increase WA.

In conclusion, this field retains many conundrums. We have thrown some light on the factors affecting the moderate to low WA in our context, and the significance of those findings. However we have yet to determine whether the effects of WA are at all beneficial in the contexts such as Saudi Arabia or are purely negative as most anxiety studies assume. In addition we do not know how great the impact of WA is on actual writing performance and how it compares in that respect with other major factors such as motivation. Furthermore, clearly much of the above interpretation is speculative and needs further research.

References

Abu Shawish, J., & Atea, M. (2010). An investigation of Palestinian EFL majors' writing apprehension: Causes and remedies. In *Proceedings of the First National Conference on improving TEFL methods & practices at Palestinian Universities*.

Alenezi, S. (2016).The suitability of the EFL reading texts at the secondary and preparatory levels as a preparation for academic reading at first year university level in Saudi Arabia. PhD dissertation. UK: University of Essex.

Aljafen, B. S. (2013). Writing anxiety among EFL Saudi students in science colleges and departments at a Saudi university. PhD Dissertation. US: Indiana University of Pennsylvania.

Al-Khasawneh, F. M. S. (2010). Writing for academic purposes: Problems faced by Arab postgraduate students of the college of business, UUM. *ESP World, 9*(2), 1-23.

Aloairdhi, N.M. (2019). Writing anxiety among Saudi female learners at some Saudi universities. *English Language Teaching, 12*(9), 55-65.

Al-Sawalha, A. M. S., & Chow, T. V. V. (2012). The effects of writing apprehension in English on the writing process of Jordanian EFL students at Yarmouk University. *International Interdisciplinary Journal of Education, 1*(1), 6-14.

Al-Seghayer, K. (2015). Salient key features of actual english instructional practices in Saudi Arabia. *English Language Teaching, 8*(6), 89-99.

Altukruni, R. (2019). *English writing anxiety in Saudi undergraduate female students*. PhD dissertation. University of Tennessee.

Bandura, A. (1997). *Self-efficacy: the exercise of control*. New York: W.H. Freeman.

Britt, M., Pribesh, S., Hinton-Johnson, K., & Gupta, A. (2018). Effect of a mindful breathing intervention on community college students' writing apprehension and writing performance. *Community College Journal of Research and Practice, 42*(10), 693-707.

Carrier, C., Higson, V., Klimoski, V., & Peterson, E. (1984). The effects of facilitative and debilitative achievement anxiety on notetaking. *The Journal of Educational Research, 77*(3), 133-138.

Cheng, Y. (2002). Factors associated with foreign language writing anxiety. *Foreign Language Annals, 35*, 647–656.

Cheng, Y. S. (2004). A measure of second language writing anxiety: Scale development and preliminary validation. *Journal of Second Language Writing, 13*(4), 313-335.

Cornwell, S. & McKay, T. (2000). Establishing a valid, reliable measure of writing apprehension for Japanese students. *Japan Association for Language Teaching Journal, 22*(1), 114–139.

Daly, J. A., & Miller, M. D. (1975). The empirical development of an instrument to measure writing apprehension. *Research in the Teaching of English, 9*(3), 242-249.

Daud, N. M., Daud, N. M., & Kassim, N. L. A. (2005). Second language writing anxiety: Cause or effect? *Malaysian Journal of ELT, 1*(1), 1-19.

Ellis, P. D. (2010). *The essential guide to effect sizes: Statistical power, meta-analysis, and the interpretation of research results*. Cambridge University Press.

Ellis, R. (2008). *The study of second language acquisition* (2nd edition). Oxford: Oxford University Press

Graves, D. H. (1984). *A researcher learns to write: Selected articles and monographs*. Exeter, New Hampshire: Heinemann Educational Books.

Hanna, K. J. (2010). *Student perceptions of teacher comments: Relationships between specific aspects of teacher comments and writing apprehension*. Doctoral dissertation. University of North Dakota.

Harmer, J. (2004). *How to teach writing*. Pearson.

Hettich, E., L. (1994). *Writing apprehension: A critique*. Doctoral dissertation. US: Purdue University. Retrieved from: http://docs.lib.purdue.edu/dissertations/AAI9523364.

Horwitz, E. K., Horwitz, M. B., Cope, J. (1986). Foreign language classroom anxiety. *The Modern Language Journal, 70*(2), 125-132.

Huerta, M., Goodson, P., Beigi, M., & Chlup, D. (2017). Graduate students as academic writers: Writing anxiety, self-efficacy and emotional intelligence. *Higher Education Research and Development, 36*(4), 716-729.

Huwari, I. & Hashima, N. (2011). Writing apprehension in English among Jordanian postgraduate students in UUM. *Academic Research International Journal, 1*(2), 190-198.

Krashen, S. (1988). *Second language acquisition and second language learning.* Prentice-Hall International.

Kroll, B. (1990). What does time buy? ESL student performance on home versus class compositions. In B. Kroll (Ed.), Second language writing: research insights for the classroom. New York: Cambridge University Press, pp. 140-154.

Latif, A.M. (2015). Sources of L2 writing apprehension: A study of Egyptian university students. *Journal of Research in Reading, 38*(2), 194-212.

Lin, G. H. C., & Ho, M. M. S. (2009, April). An exploration into foreign language writing anxiety from Taiwanese university students' perspectives. Paper presented at the *NCUE Fourth Annual Conference on Language, Teaching, Literature, Linguistics, Translations and Interpretation*, Taiwan.

Olinghouse, N. G., Graham, S., & Gillespie, A. (2015). The relationship of discourse and topic knowledge to fifth graders' writing performance. *Journal of Educational Psychology*, *107*(2), 391-406.

Powers, D. E., & Fowles, M. E. (1996). Effects of applying different time limits to a proposed GRE writing test. *Journal of Educational Measurement, 33*, 433-452.

Robinson, D. L. (2009). Brain function, mental experience and personality. *The Netherlands Journal of Psychology,* 152–167.

Rose, M. (1983). *Writer's block: The cognitive dimension*. Carbondale, IL: Southern Illinois University Press.

Sadighi, F. & Dastpak, M. (2017). The sources of foreign language speaking anxiety of Iranian English language learners. *International Journal of Education & Literacy Studies*, *5*(4), 111-115.

Salem, M. S. A. S. (2007). *The effect of journal writing on written performance, writing apprehension, and attitudes of Egyptian English majors.* Doctoral dissertation. US: Pennsylvania State University.

Singh, T. K. R., & Rajalingam, S. K. (2012). The relationship of writing apprehension level and self-efficacy beliefs on writing proficiency level among pre-university students. *English Language Teaching, 5*(7), 42-52.

Strack, J., & Esteves, F. (2015). Exams? Why worry? Interpreting anxiety as facilitative and stress appraisals. *Anxiety Stress Coping, 28*(2), 205-14.

Tanyer, S. & Susoy, Z. (2013). A closer look at the foreign language writing anxiety of Turkish EFL pre-service teachers. Paper presented at the *IAC-ETel 2013 - International Academic Conference on Education, Teaching and E-learning*, Prague.

White, R. & Arndt, V. (1991). *Process writing*. UK: Longman.

جامعة الجوف
Jouf University

6

السياسة المائية للمملكة العربية السعودية
"بناء السدود أنموذجًا"
١٤٠٢-١٣٧٣هـ/١٩٨٢-١٣٥٣م
(دراسة تاريخية حضارية)

د زهير بن عبدالله بن عبدالكريم الشهري
قسم التاريخ والحضارة
جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية

المستخلص

يتناول هذا البحث " **السياسة المائية للمملكة العربية السعودية "بناء السدود أنموذجًا " ١٣٧٣-١٤٠٢هـ/١٣٥٣-١٩٨٢م**" " دراسة تاريخية حضارية"، وتتمثل السياسة المائية في الخطوات والإستراتيجيات التي تتخذها الدولة لاستثمار الامكانات المائية ، وتنطلق أهميته من أهمية الدراسات المرتبطة بالمياه خاصة في بلد يعاني من نقص مصادره المائية في ظل وقوعه في المنطقة الجافة ، إلى جانب أهمية الفترة التاريخية التي يتناولها البحث والتي شملت مرحلتي التأسيس والتوسع في بناء السدود في ظل تنامي الطلب على المياه ، وتنفيذ الكثير من الخطوات الإدارية والمالية والفنية ، والإفادة من تجارب تطور الموارد المائية ومنها السدود والبناء عليها ، إضافة الى البحث في دور السدود في دعم موارد المملكة المائية.

واعتمدت هذه الدراسة على المنهج الوصفي التاريخي والمنهج التحليلي والمنهج المقارن ، وخرجت بعدد من النتائج من أهمها : أن بناء مؤسسات إدارية للزراعة والمياه ثم العمل على تطويرها بشكل تدريجي حتى برزت وكالة وزارية خاصة بالمياه ؛ مما ساعد على تنفيذ الكثير من السياسات المتمثلة في البرامج والمشاريع المائية ومنها السدود ، كما نفذ الكثير من السياسات والبرامج والأبحاث المائية التي تناولتها الدراسة ، وتضمنت التخطيط وتصميم المشاريع المائية وتشغيلها وصيانتها وفي مقدمتها السدود ، وبينت الدراسة أنواع السدود وطرق بنائها ، وأن التوسع في بناء السدود مر بمرحلتين مهمتين خلال فترة الدراسة كان عددها في نهاية المرحلة الأولى (١٦) ستة عشر سدًا و (٦١) سدًا في نهاية المرحلة الثانية ، وكان لهذه السدود دور في المحافظة على الحصاد المائي ، وحفظه ، وتوظيفه في الشرب ، والري ، وتغذية الآبار ، والحد من الفيضانات.

الكلمات المفتاحية :

المياه ، السدود ، الأمطار ، وزارة الزراعة والمياه ، الأمن المائي ، السياسة المائية

Abstract

This research deals with the "water policy of Saudi Arabia", "Building dams as a model", 1373-1402 H/1353-1982, "Building dams as a model", "a historical civilization study", and the water policy is the steps and strategies taken by the state to invest the water potential, and its importance is based on the importance of related studies, especially in a country suffering from a lack of water resources in the dry area, in addition to the importance of the historical period addressed by the research, which included the stages of establishment and expansion of the construction of dams in light of the growing demand for water, the implementation of many administrative, financial and technical steps, and benefit from the experiences of the development of water resources, including dams and construction, in addition to research in the role of .dams in supporting the kingdom's water resources

This study was based on the historical descriptive approach, the analytical approach and the comparative approach, and came up with a number of results, the most important of which are: that the construction of administrative institutions for agriculture and water and then work on its development gradually until the emergence of a ministerial agency for water, which helped to implement many policies represented in water programs and projects, including dams, as well as implemented many of the policies, programs and water research dealt with by the study, including planning, operation and maintenance of water projects, foremost of which The study showed the types of dams and ways of building them, and that the expansion of the construction of dams went through two important stages during the study period was the number at the end of the first stage (16) sixteen dams and (61) dams at the end of the second stage, and these dams had a role in maintaining the harvest, conservation, and employment in drinking, irrigation, feeding wells, and .reducing floods

:Keywords

Water, dams, rain, Ministry of Agriculture and Water, Water Security, Water Policy

مقدمة :

تعد المملكة العربية السعودية من الدول الكبيرة حيث تستأثر بنحو ٨٠% من مساحة شبه الجزيرة العربية ، ولها ساحلان طويلان على البحر الأحمر والخليج العربي وتشمل المملكة أغلب أنواع الصخور وكذلك على أكثر أنواع التضاريس ومن أهمها: السهول الساحلية في الشرق وفي تهامة ، والهضاب الغربية ، وهضبة نجد ، والهضاب الشرقية ، والهضاب الشمالية ، والتضاريس الصحراوية وتقتصر الموارد المائية فيها على : المياه السطحية ، والمياه الجوفية ، وتمتد المملكة بين درجتي عرض ١٦ ٣٢ شمالًا يعني أن الجزء الأكبر منها يقع في النطاق الصحراوي الجاف لغرب القارات.

وكان للمملكة سياسة مائية وتجربة في التعامل مع هذه الظروف الطبيعية لدعم مواردها المائية بالأساليب المختلفة وانطلاقًا من أهمية الموارد المائية في المملكة يتناول هذا البحث : **السياسة المائية للمملكة العربية السعودية ١٣٧٣-١٤٠٢هـ/١٣٥٣-١٩٨٢م**" (بناء السدود أنموذجًا " دراسة تاريخية حضارية"، وتهدف الى :

أولًا : أهمية دراسة تجربة السياسة المائية للمملكة العربية السعودية وتطور الموارد المائية فيها من خلال بناء السدود للتقييم والإفادة من هذه التجارب والمواقف المختلفة في هذا الشأن ، خاصة أن هذه الدراسة لا زالت بكرًا من حيث الطرح الأكاديمي.

ثانيًا : أهمية الفترة التاريخية لهذا البحث من ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م حتى سنة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م والتي تمتد من نهاية عهد الملك عبدالعزيز حتى نهاية عهد الملك خالد والتي أختيرت لأنها تضمنت مرحلتي التأسيس والتوسع في بناء السدود ، وتخللها الكثير من الخطوات الإدارية والمالية والفنية.

ثالثًا : القاء الضوء على تطور بناء السدود في المملكة خلال فترة الدراسة وجهود الدولة في هذا المجال ، والتي تضمنت وضع السياسات وتنفيذ الأبحاث والدراسات المائية وبناء السدود ، وبشكل كشف لنا زوايا تاريخية جديدة ومهمة يمكن الإفادة منها والبناء عليها ، بحيث تسهم في نمو المعرفة والوعي بتاريخنا في التعامل مع مواردنا المائية بشكل خاص وتاريخنا الوطني بشكل عام.

رابعًا: استقصاء وتحليل دور السدود في دعم الموارد المائية في المملكة من خلال تتبع الفوائد والآثار الناتجة عن التوسع في بناء السدود.

– منهج الدراسة :

ستعتمد هذه الدراسة على المنهج الوصفي التاريخي ، والمنهج التحليلي ، والمنهج المقارن ؛ لأن ذلك يؤدي إلى فهم تطور بناء السدود في المملكة ودورها في دعم الموارد المائية بشكل يستفاد منه في المعرفة والوعي بتاريخنا الوطني في هذا المجال.

– الدراسات السابقة :

– الدراسة التي أنجزتها وزارة الزراعة والمياه تحت عنوان : تحد وإنجاز عبر مائة عام للزراعة والمياه في المملكة ١٣١٩–١٤١٩هـ ، وزارة الزراعة والمياه ، الرياض : وقد تناولت بالرصد جوانب التطور المائي والزراعي في المملكة والخطوات الإدارية التي قامت بها الدولة لخدمة هذا القطاع.

–تطور القطاع الزراعي في عهد الملك خالد ١٣٩٥–١٤٠٢هـ/١٩٧٥–١٩٨٢م ، الجحيني ، محمد بن علي : ركز هذا البحث على التطور الزراعي في عهد الملك خالد ومنها الجانب المائي والذي يمثل تحولًا كبيرًا في السياسات المائية لاسيما في بناء السدود.

– الموارد المائية في المملكة العربية السعودية :

تعتبر المملكة من البلدان الصحراوية ؛ نظرًا لما تتميز به من طقس ومناخ صحراويين ، وعدم وجود أنهار أو مياه جارية فيها ، وتختلف طبوغرافيتها من منطقة إلى أخرى ، فهناك الجبال العالية والسهول والنجاد إلى جانب المناطق الساحلية ، وأدى اختلاف طوبوغرافيتها إلى تباين المناطق حيث تفاوت درجات الحرارة ، والرطوبة ، والأمطار وغيرها ، وكان سببًا في التأثير المباشر وغير المباشر على تنمية موارد المياه والتنمية الزراعية والصناعية التي انعكست آثارها على حياة السكان ونشاطهم الاقتصادي.

وتُعد الأمطار المصدر الرئيس للمياه العذبة في المملكة على اختلاف مسمياتها كالمياه الجوفية التي هي في أصلها أمطار سقطت في أزمنة قديمة ثم تجمعت في جوف القشرة الأرضية(١)، وفي العصر الحديث يجدر بنا الإشارة الى ما تتعرض له شبه الجزيرة العربية من سنوات القحط والجفاف وسنوات المطر والسيول يستطيع المرء أن يدرك أثر ذلك في حياة السكان ، وتقدر سنوات القحط بين ١٠٤٧هـ/١٦٣٨م وعام ١٢٩٠هـ/١٨٧٤م بخمس وثلاثين سنة وذلك على مدى ٢٣٦سنة (٢)، وتؤكد جداول إحصاءات الأمطار تباين كميات الأمطار الساقطة بين مناطق المملكة العربية السعودية بحسب الظروف الطبيعية

---

(١) قامت بعثة أمريكية بتقدير عمر مياه طبقات الوجيد في منطقة الرياض باستخدام التريتيوم (Tritium) فوجدتها ترجع إلى ٣٠ ألف سنة. المملكة العربية السعودية (دراسة في الهوية الجغرافية) ، محمدين ، محمد ، دار الخريجي ، الرياض ، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م ، ص١٠٤.

(٢) المزاج الطبيعي لمنطقة نجد ، النص ، عزة ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الملك سعود ، ١٣٩٠هـ ، ص١٤.

المختلفة(١)، كما برزت بعض المؤشرات الخاصة بسنوات القحط كما هو الحال في الحجاز حيث أكدت إحدى الدراسات التي أجريت على حلقات في جذع شجرة عرعر عمرها ١٠٠ سنة أن هناك دورة جفاف تحدث كل سبع أو تسع سنوات(٢).

وتباين أمطار المملكة كمًا وموسمًا بين جهاتها المختلفة يأتي نتيجة لاتساعها وامتدادها ما بين ١٦ درجة عرضية ، وعلى مدى أكثر من عشرين عامًا ١٣٩٠هـ-١٤١٠هـ/١٩٧٠-١٩٩٠م تفاوتت كميات الأمطار في معدلاتها ما بين محطة وأخرى حيث تدنت في القريات إلى ٥١ملم وزادت في النماص الى ٤٦٦ملم ، ولا يقتصر التفاوت بين محطة وأخرى بل وفي نفس المحطة من سنة إلى أخرى(٣).

وبما أن مناطق الجزيرة العربية جافة أو شبه جافة ، واعتمادًا على المعدل السنوي للأمطار ، فقد ينخفض في بعض المناطق في الشمال الشرقي إلى ٧٠مم/سنة ، بينما لا يتجاوز في الجنوب الغربي ٥٠٠مم/سنة ، بينما يبلغ متوسط سقوط الأمطار من ٥٠—٧٥مم في السنة في المنطقة الشمالية الغربية ، وبين ٥٠—١٠٠مم في السنة في المنطقة الشرقية والشمالية الشرقية ، وبين ٧٥ — ١٠٠مم في السنة في المنطقة الوسطى(٤).

وقد اهتمت الحضارات المتعاقبة في الجزيرة العربية بمصادر المياه فكان الناس يتتبعون مجاري السيول ومحاجرها وأماكن تجمعها في الآبار والغدران والرياض والقلات(٥)، وفي حالات الجفاف فقد تتبع الناس مصادر الماء في الينابيع والعيون وسبروا الأرض بحثًا عن مظان وجود الماء ومحاجره في الثماد(٦)والماش(٧)وحفروا عنها الأقلية والأحسية(٨)والآبار(٩).

---

(١) ينظر جداول كميات الأمطار الساقطة في الرياض بين عامي ١٩٥٣-١٩٨٠م بالمليلترات ، وكميات الأمطار الساقطة على محطات المملكة من ١٩٦٧- ١٩٨٣م.جغرافية المملكة العربية السعودية ، الشريف ، عبدالرحمن صادق ، ص٧٧ -٨٠.

(٢) الأقاليم الجافة ، محمدين ، محمد ، وعبدالعزيز ، حسن ، مكتبة دار العلوم ، الرياض ، ١٤٠٥هـ ، ص١٥٢.

(٣) المملكة العربية السعودية (دراسة في الهوية الجغرافية) ، محمدين ، ص١٠٥.

(٤) الماء ومسيرة التنمية في المملكة العربية السعودية ، عثمان ، مصطفى نوري ، جدة ، المملكة العربية السعودية ، ط١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م ، ص٣٠ ؛ وللمزيد عن مناطق المملكة وأهم الأماكن والمدن والقرى والأودية ينظر : المعجم الجغرافي للبلاد السعودية ، الجاسر ، حمد ، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض ، ٣ مجلدات.

(٥) قال ابن منظور : "القلت بإسكان اللام النقرة في الجبل تمسك الماء ، وقلات الصمان نقر في رؤوس قفافها يملأها ماء السماء في الشتاء. (لسان العرب ، ابن منظور ، جمال الدين محمد ، دار صادر ،بيروت ، ١٤١٠هـ ، ص٢٧١.

(٦) الثمد : الماء القليل والثماد الحفر يكون فيها الماء القليل. لسان العرب ، ابن منظور ، ص٢٧٦.

(٧) المشاش : أرض رخوة لا تبلغ أن تكون حجرًا يجتمع فيها ماء السماء وفقها رول يحجز الشمس عن الماء ، وتمنع المشاشة الماء أن يتسرب في الأرض. لسان العرب ، ابن منظور ، ص٢٣٧.

(٨) الحسي أو الكر : الرمل المتراكم أسفل جبل صلد. لسان العرب ، ابن منظور ، ص١٢٥.

(٩) الماء ومسيرة التنمية في المملكة العربية السعودية ، عثمان ، ص٣٠-٣١.

ورغم قلة الأمطار إلا أنها عادة ما تسقط على شكل زخات كثيفة ومفاجئة أحيانًا وخاصة ما يسقط منها في الصيف ، وجزء من مياه الأمطار تستفيد منها النباتات ، والباقي إما أن يتبخر ثانية أو يتسرب في باطن التربة أو يجري في الشعاب والأودية ، وتختلف قدرة التربة على تشرب الماء تبعًا لانحدارها ، وقوامها ، ورطوبتها ، وكثافة الغطاء النباتي على سطحها. والمياه السطحية وتحت السطحية أقرب مصادر المياه وأيسرها للاستغلال لسهولة الوصول اليها ، ولكنها بالمقابل كثيرة التذبذب وعرضة للتأثر بالملوثات البشرية والحيوانية(١). ويقطع أرض شبه الجزيرة العربية عدد من الأودية والروافد الضخمة والتي يبدأ بعضها من السفوح الشرقية لمرتفعات الحجاز وتنصرف نحو الشرق فوق الدرع العربي ثم الرف العربي باتجاهها نحو مصباتها في حوض الخليج العربي التي ليست وليدة نظام تدفق السيول الحالية وتؤكد الشواهد المختلفة أن شبه الجزيرة العربية تعيش فترة جافة لا زالت تتزايد حدتها مع الوقت(٢). ومما يدل على أن المنطقة كانت في في السابق تستقبل كميات من الأمطار أكبر من الوقت الحالي الشواهد التي تدل على تعاقب فترات مطيرة وجافة أو شبه جافة خلال التاريخ الجيولوجي لشبه الجزيرة العربية ، وحيث إن المملكة العربية السعودية تقع في نطاق هامشي بين نظامين مطريين أحدهما تابع لنظام البحر المتوسط شتوي الأمطار في الشمال والآخر تابع لنطاق الرياح الموسمية الصيفية في الجنوب ، فإن التساؤل القائم هو أي هذين النظامين كانت له السيادة خلال الفترات المطيرة ، والواقع أن جميع الشواهد سواء من المملكة العربية السعودية أو من المناطق المجاورة في شمال أفريقيا وحوض البحر الميت أو المناطق المشابهة في أستراليا تشير إلى أن ارتفاع كميات الأمطار مرتبط بتزحزح منطقة الالتقاء بين المداري Inter Tropical Convergence Zone (ITCZ) نحو الشمال مما يتيح للرياح الموسمية مد تأثيراتها المطيرة نحو الشمال لتشمل جنوب ووسط المملكة العربية السعودية بإذن الله تعالى(٣).

ويمكن القول إن معدلات الأمطار في المملكة منخفضة بشكل عام، وإن كانت تختلف من منطقة لأخرى ومن موسم لآخر ، وهي تأخذ شكل الزخات المطرية الكثيفة وقصيرة الأمد في الغالب ، مما يتيح للمياه المتساقطة أن تتجاوز قدرة التربة على التشرب Infiltration rate فتتدفق مياه السيول على سطح الأرض وفي الأودية جارفة التربة ومسببة الكثير من الآثار التدميرية. ورغم أن العلاقة بين التساقط

---

(١) Watar Quality of Some Wells in Saudi Arabia ,Nabil, A., Madany , I, Al-Tayaran A., Al-Jubair, A., Gomaa , A., (1994) , Trends in, Science of Total Enviromment, Vol. 143 (2-3)pp 173-181.

(٢) تغيرات المناخ في المناطق الجافة : دراسة حالة المملكة العربية السعودية (الكتاب الجغرافي السنوي) ، الوليعي ، عبدالله بن ناصر ، جامعة جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، ١٤٠٨هـ ، ص ص ، ٣١ ، ٨٥.

(٣) paleoclimatology of peninsula A Synoptic Approach ,Alhawas , Assaf A., , Unpublished paper , College of Social Seiences , Imam Muhammed Islamic University , Riyadh , 1996 , p91-93.

والجريان السطحي لم تحظ باهتمام كبير في أودية المملكة العربية السعودية ؛ إلا أن تباين خواص أحواض التصريف لنظم الصرف المختلفة في الدرع العربي(١)وفي الرف العربي(٢) من حيث الانحدار وقوام الفتات الصخري ونوعه الذي يغطي سطح الأرض يجعلنا نجزم بوجود فوارق بين أحواض التصريف المختلفة في كمية المطر اللازمة لإحداث جريان سطحي (effective rain) في شبكات التصريف ، وتستغل مياه الطبقات الرسوبية تحت السطحية غير العميقة على أنها موارد متجددة بحفر الآبار اليدوية والأنبوبية واستخدامها للأغراض المختلفة(٣).وتعتبر مياه السيول ضمن المصادر المائية المتجددة وتستغل منذ القدم بإقامة السدود أو العقوم – (الحواجز) – الترابية لمنع هدر المياه والإفادة منها لفترة أطول قرب المناطق الزراعية أو لتحويل مجاريها إلى المزارع المجاورة للوادي، وبعد توحيد المملكة واستقرارها ، وفي ظل التقدم الإداري والعلمي الذي شهدته ، وإدراك الحاجة لاستغلال مياه الأمطار واستثمارها لأهداف عديدة أُنشئ عدد كبير من السدود بالطرق الحديثة وهذا ما سنتطرق اليه في المحاور التالية.

– التطور الإداري لشؤون المياه :

منذ ضم الملك عبدالعزيز للحجاز صدرت تعليمات ولوائح تهتم بالزراعة والمياه وتحدد الجهات المشرفة عليها ، كما هو الحال عندما صدر الأمر السامي رقم ٤٧ في ١٣٤٤/٧/٢٤هـ ٦ /١٩٢٦/٢م بإنشاء إدارة النافعة والتجارة والزراعة والصنائع وربطت بمديرية المالية(٤)، كما صدرت التنظيمات المعتمدة على القرار رقم ٥٦/٨٦٨ في ١٣٤٧/٤/٤هـ – ١٩ /١٩٢٨/٩م وألحق به قرار رقم ٢٢٧ في

---

(١) ويسمى إقليم الكتلة الصلبة القديمة ويقع غرب المملكة ويظهر على شكل نصف دائرة مفتوحة على ساحل البحر الأحمر ، ويشكل نصف قبة كبيرة ؛ لأن نصفها الآخر أي الغربي يقع في افريقيا وقد فصلها البحر الأحمر بعد تشكله نتيجة الانهدام إلى قسمين ، ويمتد من خليج العقبة شمالًا إلى حدود المملكة مع اليمن جنوبًا بامتداد يبلغ نحو ١٨٠٠كم كما يمتد من السهول الساحلية للبحر الأحمر غربًا إلى وسط نجد شرقًا أي بعرض ١٠٠٠كم وتقارب مساحته نحو ٢٧% من مساحة المملكة. للمزيد ينظر :جغرافية المملكة العربية السعودية ، الشريف ، عبدالرحمن صادق ، دار المريخ للنشر ، الرياض ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ، ج١ ، ص٣٢.

(٢) ويسمى إقليم الصخور الرسوبية ويقع إلى الشرق من الإقليم السابق ويمتد من الخليج العربي من حدود المملكة الشمالية مع الاردن والعراق شمالًا حتى حدودها مع اليمن جنوبًا وعمان في الجنوب الشرقي ، ويعد رصيفًا قاريًا لكتلة الدرع العربي ترسبت فيه خلال العصور الجيولوجية طبقات من الصخور الرملية والجيرية والطينية وغيرها. جغرافية المملكة العربية السعودية ، الشريف ، ج١ ، ص٣٢

(٣) Recharge Dam Effeciency Based on Subsurface flow Analysis , AL – Hassoum, S. ; AL – Turbak, A., , Water International Vol. 20, No. 1 , pp, 1995 , pp, 40-45.

(٤) تحد وإنجاز عبر مائة عام للزراعة والمياه في المملكة ١٣١٩–١٤١٩هـ ، وزارة الزراعة والمياه ، الرياض ، ١٤١٩هـ ، ص٧٦ ؛ الغامدي ، عبدالعزيز :وزارة الزراعة خمسون عامًا من البناء والتطوير ، مطابع هلا ، الرياض ، ١٤٢٣هـ ، ص١٨.

١٣٤٨/١٢/٢٥هـ - ١٧ /١٩٣٠/٥م ٢٦ /١٩٣٢/٣م بإنشاء مأمورية للإشراف وتقديم الخدمات للمزارعين(١).

وفي ١٣٥٠/١١/١٩هـ - ٢٦ /١٩٣٢/٣م صدر القرار رقم ٦٨٦ بتكوين هيئة لدراسة خطوات التنمية الزراعية ، كما صدرت الموافقة بإنشاء مديرية الزراعة ضمن ميزانية الدولة لعام ١٣٦٨/١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م/١٩٤٩م ومقرها جدة وترتبط بوزارة المالية وظل هذا الارتباط حتى صدر أمر نائب الملك في الحجاز بربطها بوزارة الداخلية بالرقم ١٢٨٩/٢/٢٠/٢١ في ١٣٧٠/٩/٦هـ - ١٠ /١٩٥١/٦م(٢).وفي عام ١٣٦٠هـ/١٩٤١م صدر الأمر السامي رقم ١٠٣٤٠ في ١٣٦٠/٨/١٣هـ ٤ /١٩٤١/٩م بتخصيص الأراضي الأميرية المعدة لتخصيصها للزراعة واعفائها من الرسوم(٣).

وصدرت في عام ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م موافقة مجلس الشورى على إنشاء صناديق لإقراض المزارعين واستقدام أطباء ومساعدين بيطريين ، كما قامت المديرية بتوثيق معلوماتها وحفظها وأصدرت نشرات دورية لتنمية مهارات ومعارف المزارعين(٤). وفي عام ١٣٧١هـ/١٩٥١م وأُنشئت محطة أبحاث بمنطقة جازان ، كما أنشئت محطة لأبحاث التمور في المدينة المنورة عام ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م(٥).

وكان لكل هذه الخطوات التطويرية أثرها المباشر و غير المباشر في التأسيس وتنمية القطاع الزراعي بكل فروعه ومنها المائي ، وفتح آفاق تطويرية جديدة يؤكد هذا الأمر تحول الإدارة المشرفة عليه من مديرية إلى وزارة مستقلة بعد صدور المرسوم الملكي رقم ٤٩٥١/١٢١١/٥ في ١٣٧٣/٤/١٨هـ - ٢٤

---

(١) تحد وإنجاز ، وزارة الزراعة والمياه ، ص١٨ ؛ التطورات السياسية والحضارية في الدولة السعودية المعاصرة ، السلوم ، لطيفة عبدالعزيز ، ، ط١ ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م ، ص٢٠٦.

(٢) اقتصاد المملكة العربية السعودية "نظرة تحليلية" ، العبيد ، عبدالله سليمان وآخر ، دار عالم الكتب ، الرياض ، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م ، ص١٨٠ ؛ تحد وإنجاز ، وزارة الزراعة والمياه ، ص٧٧-١١٦ ؛ وزارة الزراعة خمسون عامًا ، الغامدي ، ص١٩ ؛ الملك عبدالعزيز آل سعود ، الغلامي ، عبدالمنعم ، مطبعة السفير ، الرياض ، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م ، ص٢٨٠؛ أسد الجزيرة قال لي ، المحامي ، محمد رفعت ، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة ، الرياض ، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م ، ص١٨١.

(٣) مسيرة التنمية الزراعية منذ تأسيس المملكة العربية السعودية ، السعد ، فيصل عبدالله ، بحث مقدم في الندوة الجامعية الكبرى (المحور الزراعي) المنعقدة بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية ، الرياض ، ٧ -١٨ رجب ١٤٢٠هـ الموافق ١٦ – ٢٧ أكتوبر ١٩٩٩م ، جامعة الملك سعود ، ط١ ، الرياض ، النشر العلمي والمطابع بجامعة الملك سعود ، ١٤٢١هـ ، ص٣٣٦ ؛ تحد وإنجاز ، وزارة الزراعة والمياه ، ص٥٧٩ ، ٥٨٢ ، ٥٨٣ ؛ السلوم ، ٢٠٥.

(٤)مسيرة التنمية الزراعية ، السعد ، ص٣٣٦ ؛ تحد وإنجاز ، وزارة الزراعة والمياه ، ص١٥٨ ، ٢٦٨.

(٥) تحد وإنجاز ، وزارة الزراعة والمياه ، ص٧٩ ، ٢٤٥ ؛ الصحاري الخضر ، وزارة الزراعة والمياه وإدارة الارشاد الزراعي ، الرياض ، قسم الاعلام والنشر ، ١٣٩٠/ ١٣٩١هـ – ١٩٧١/١٩٧٠م ، ص٦٨ ؛ اقتصاد المملكة العربية السعودية (نظرة تحليلية) ، العبيد ، عبدالله سليمان وآخر ، ، ط١ ، الرياض ، دار عالم الكتب ، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م ، ص١٨١.

/١٩٥٣/١٢م بإنشائها وتعيين الأمير سلطان بن عبدالعزيز كأول وزير لها (١)، كما أنشئت ست وحدات زراعية في الرياض، والخرج ، والاحساء ، والمدينة المنورة ، وجازان ، وبريدة(٢)، وشغل منصب وزير الزراعة في عهد الملك سعود وزراء قادوها في تلك المرحلة التي شهدت تطورًا كبيرًا من خلال ما قدمته من خدمات وإعانات ومشاريع(٣).

وقدرت الوزارة في عام ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م المساحة المزروعة من البلاد بقرابة ٦٠% من المساحات الصالحة للزراعة ، وأن أكثر من ٨٠% منها يعتمد على الري و٢٠% منها تقريبًا على مياه الأمطار ، وعملت الوزارة كذلك على دعم المجال الزراعي وتوزيع أشجار الفاكهة ، وبيع المضخات بالتقسيط ، وجرى اقتراح مشروع نظام خاص بوقاية المزروعات والمبيدات(٤).وفي مجال التعليم الزراعي قامت الوزارة بتأسيس مدرسة زراعية في الخرج ١٣٧٦هـ/ م ١٩٥٦م ، وفي عام ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م أُفتُتحت خمس مدارس في : الهفوف ، والمجمعة ، وبريدة ، وبلجرشي ، وجازان ، كما بدأت خطوات التدريب والابتعاث الفني والإداري(٥).

---

(١) وزارة الزراعة خمسون عامًا ، الغامدي ، ص٣٩ ؛ شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز ، الزركلي ، ج٣ ، ص١٠٢١ ؛ اقتصاد المملكة ، العبيد ، ص٧٣.

(٢) النظام الإداري في المملكة العربية السعودية ، السلوم ، يوسف إبراهيم ، ، شركة الطباعة العربية السعودية ، الرياض ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ، ص٢١٦ ؛ وزارة الزراعة خمسون عامً ، الغامدي ، ص٧٤.

(٣) تولى وزارة الزراعة والمياه عددًا من الوزراء أولهم الأمير سلطان بن عبدالعزيز الذي استمر من ١٣٧٣/٤/١٨هـ حيث عين وزيرًا للمواصلات بموجب المرسوم الملكي رقم ٧٢١/١/١٩/٥ في ١٣٧٥/٣/٢٠هـ ثم الشيخ عبدالعزيز بن أحمد السديري بموجب المرسوم الملكي رقم ١١٧٤/١/٢١/٥ في ١٣٧٥/٦/٥هـ بسبب وفاته ، ثم الشيخ خالد بن أحمد السديري بموجب المرسوم الملكي رقم ١١٧٤/٢١/٥ في ١٣٧٥/٦/٥هـ وحتى عام ١٣٨٠هـ ثم الأستاذ عبدالله الدباغ بنفس القرار رقم ٣٧ في ١٣٨٠/٧/٣هـ وانتهت مهمته بالقرار رقم ٤٢ في ١٣٨١/١٠/٩هـ بالقرار رقم ١٧ في ١٣٨٢/٥/١٨هـ أنهيت فترته وتم تعيين الأستاذ حسن المشاري بالأمر الملكي رقم ٢١ في ١٣٧٢/٦/٣هـ وانهيت مهمته بتعيينه سفيرًا بواشنطن ، ث معين الأستاذ حسن المشاري بالأمر الملكي رقم ٨/١ في ١٣٨٤/٢/٢١هـ واستمرت حتى نهاية عهد الملك سعود. للمزيد ينظر : مراحل تطور تنظيم الإدارة المحلية في المملكة العربية السعودية ولمحات من إنجازها ، السنيدي ، عبدالله راشد ، ط٤ ، الرياض ، مرامر للطباعة الالكترونية ، ١٤١٤هـ/١٩١٩م ، ص١٤١-١٤٢ ؛ تطور الإدارة العامة في المملكة العربية السعودية خلال مائة عام (١٣١٩-١٤١٩هـ/١٩٠٢-١٩٩٩م) ودور معهد الإدارة العامة في تنميتها ، معهد الإدارة العامة ، ط١ ، مركز الطباعة والنشر بمعهد الإدارة العامة ، الرياض ، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م ، ص٢٤٢-٢٤٣.

(٤) تاريخ الملك سعود بن عبدالعزيز ١٣١٩-١٣٨٩هـ/١٩٠٢-١٩٦٩م ، عبدالعزيز ، سلمان بن سعود ، ط١ ، ج٢ ، دار الساقي ، الرياض ، ١٤٢٩هـ ، ص٤٧١-٤٨٨ ؛ وزارة الزراعة خمسون عامًا ، الغامدي ، ص١٢٦-١٣٠.

(٥) وزارة الزراعة خمسون عامًا ، الغامدي ، ص٤١ ؛ تحد وإنجاز ، وزارة الزراعة والمياه ، ص١٥٢-١٨٠ ؛ التعليم في المملكة العربية السعودية ، رؤية الحاضر واستشراف المستقبل ، الحامد ، محمد معجب وآخرون ، ، ط٣ ، مطابع الحيضي ، الرياض ، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م ، ص١٦١.

وسُلم للدولة في عهد الملك سعود المشروع الزراعي في الخرج من قبل شركة أرامكو عام ١٣٧٩هـ/١٣٥٩م ومشروع تطوير البادية ، وأُنشئت أول محطة لقياس السيول في وادي جازان عام ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م ، وأول محطة مناخية عام ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م في سكاكا(١).

وأُنشئ البنك الزراعي بموجب المرسوم الملكي رقم ٥٨ في ١٣٨٢/٢/٣هـ- ٥ /١٩٦٢/٧م ، كما حُث رجال الأعمال على الاستثمار في الزراعة وإنشاء الجمعيات الزراعية التعاونية مثل الجمعيات التعاونية في : الدرعية ، وعرقة ، والقريات ، والقطيف ، والمدينة المنورة ، ووادي فاطمة ، ورنية ، وتربة ، وجازان(٢)، وقد زاد عددها في عهد الملك خالد حيث أصبحت ثمانية عشر بنكًا (٣).

ومنذ نشأة وزارة الزراعة كُونت أجهزة الوزارة بشكل مرحلي من خلال إحداث أجهزة وفروع جديدة للخدمات الميدانية وتدعميها بالكفاءات الإدارية والفنية وبدلًا من (١٥٠) موظفًا شكلوا جهاز الوزارة وفروعها في بداياتها ، أصبح لدى الوزارة في بداية عام ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م ما يربو (٦٠٠) موظف بين فني وإداري في مختلف التخصصات إلى جانب الجيولوجيين ، والهيدرولوجيين ، والمهندسين ، والمدنيين ، والميكانيكيين وغيرهم(٤).

ومن أجهزة الوزارة المتعلقة بالإشراف على المياه وادارتها مدير عام شئون المياه والذي كان يرتبط به : قسم أبحاث المياه والأرصاد ، وقسم الحفر الارتوازي ، وقسم السقيا ، وقسم الهندسة المدنية(٥).

ومنذ عام ١٣٨١هـ/١٩٦١م بدأت وزارة الزراعة والمياه تتبني تحديث أهدافها ومهاها فأُعيد النظر في بناء الهيكل التنظيمي للجهاز المركزي للوزارة ، حيث فُصِل بين مكونات قطاعي الزراعة والمياه ؛ مما أعطى كلًّا منهما القدرة والمرونة على ممارسة مهامه ومسئولياته بشكل واضح يخدم الغايات والأهداف ويحقق في نفس الوقت التكامل بينهما(٦).

وبالنظر في الهياكل التنظيمية لوزارة الزراعة والمياه نجد في خارطتها التنظيمية عام ١٣٨١هـ/١٩٦١م أنه أصبح في الوزارة وكيل لشئون المياه بدلًا من مدير عام شئون المياه ويرتبط به الشئون الإدارية للوكالة

---

(١) تاريخ الملك سعود ، عبدالعزيز ، ص٤٨٩ ؛ وزارة الزراعة خمسون عامًا ، الغامدي، ص٩٠ ؛ تحد وإنجاز ،وزارة الزراعة ، ص٣٣٤.

(٢) مقدمة اقتصاديات المملكة العربية السعودية، الجاسم ، محمد علي رضا ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٧٢م ، ص٢٢٢ ؛ التطورات السياسية والحضارية في الدولة السعودية المعاصرة ، السلوم ، يوسف ، ص٢٥٥ ؛ تطور الإدارة العامة في المملكة العربية السعودية خلال مائة عام (١٣١٩-١٤١٩هـ/١٩٠٢-١٩٩٩م) معهد الإدارة العامة ، ص٢٧٢.

(٣) اقتصاد المملكة العربية السعودية (نظرة تحليلية) ،العبيد ، ص١٨٥ ؛ الطيار ، التطور الاقتصادي والاجتماعي للمملكة العربية السعودية ، ملكة بكر ، ط١ ، مركز الدراسات العربي الأوربي ، باريس ، ١٩٩٧م ، ص١١٨، ١١٩ ؛ مقدمة اقتصاديات المملكة العربية السعودية ، الجاسم ، ص٢٢٣.

(٤) تحد وإنجاز ، وزارة الزراعة والمياه ، ص١٣٠.

(٥) الخارطة التنظيمية لوزارة الزراعة لعام ١٣٧٥هـ ؛ تحد وإنجاز ، وزارة الزراعة والمياه ، ص١٣١.

(٦) وزارة الزراعة والمياه خمسون عامًا ، الغامدي ، ص٧٤-٧٥.

والشئون الفنية التي شملت الأقسام الآتية : قسم المشروعات ، وقسم البحث والأرصاد ، وقسم الحفر الارتوازي ، ومكتب مياه الشرب(١).

وكانت اللجنة العليا للإصلاح الإداري التي تشكلت وفقًا للأمر الملكي رقم ٢٥٠ وتاريخ ١٣٨٣/٧/٥هـ - ١٩٦٣/٨/٢٣م قد بدأت تنفيذ مشروع يتضمن إعادة النظر في تنظيم الجهاز الحكومي ككل حيث قامت بالاستعانة ببعض خبراء التنظيم بمؤسسة (فورد) لتنفيذ دراسة ميدانية للوضع القائم في ذلك الوقت وتقديم رؤيتها بشأن التنظيم المقترح لإعادة تنظيمها وعُرِض لصاحب السمو الملكي نائب رئيس اللجنة العليا للإصلاح الإداري الأمير سلطان بن عبدالعزيز الذي تولى مناقشته مع الجهات المعنية ومن ثم صدر قرار اللجنة العليا للإصلاح الإداري رقم ٨/٢/٢٤/٢ وتاريخ ١٣٨٥/٦/٢١هـ - ١٩٦٥/٩/١٦م القاضي بتنظيم جهاز الوزارة المركزي تحت مسماها الجديد (وزارة الزراعة والمياه) لتبدأ الوزارة مرحلة جديدة نحو تجويد أعمالها وتحقيق أهدافها ، وتضمن القرار تقسيم الوزارة إلى ثلاثة قطاعات رئيسة هي : قطاع الشؤون الزراعية برئاسة وكيل الوزارة لشؤون الزراعة الذي ترجع إليه جميع الإدارات الفنية الزراعية ، وقطاع شؤون المياه برئاسة وكيل الوزارة لشؤون المياه وترجع إليه جميع الإدارات الفنية لشؤون المياه ، وقطاع الشؤون الإدارية والمالية بالقطاعين في مرفق واحد برئاسة مدير عام الإدارة العامة(٢). وأصبح يرتبط من الناحية الفنية بوكيل الوزارة لشئون المياه الإدارات الآتية : إدارة البحث والتنقيب ، وإدارة الري والسدود ، وإدارة السقيا(٣).

وقد حرصت الدولة على ترشيد استخدامات الموارد المائية وتقنينها والعمل على تنميتها وصيانتها واستثمارها ، كما هو الحال مع صدور الأمر الملكي رقم م/٣٤ في ١٤٠٠/٨/٢٤هـ- ٧ /١٩٨٠/٧م الذي اشتمل على نظام المحافظة على مصادر المياه ، كما خول النظام لوزير الزراعة إجراء التعديلات اللازمة وإصدار اللوائح والتي تحقق المصلحة العامة، وتنظيم الإفادة من الثروة المائية والمحافظة عليها(٤).

وكان قد أُجرِيت في ١٣٨٣/٧/٥هـ٢١ /١٩٦٣/١١م دراسات خاصة بالتنظيم والبرامج والعمليات الداخلية والمشكلات الإدارية ، وقد تمخضت تلك الدراسة عن صدور عدة توصيات رئيسة ، هيأت الأساس لقرار اللجنة العليا للإصلاح الإداري رقم ٨ وتاريخ ١٣٨٥/٦/٢١هـ ١٤ /١٩٦٥/١١م والذي قُسِّمَ بموجبه وزارة الزراعة والمياه إلى ثلاثة قطاعات رئيسة هي :قطاع الشئون الزراعية ، وقطاع شئون المياه

---

(١) الخارطة التنظيمية لوزارة الزراعة لعام ١٣٨١هـ ؛ تحد وإنجاز ، وزارة الزراعة والمياه ، ص١٦٧.

(٢) وزارة الزراعة خمسون عامًا ، الغامدي ، ص١٣٧-١٣٨.

(٣) الخارطة التنظيمية لوزارة الزراعة لعام ١٣٨٤هـ ؛ تحد وإنجاز ، وزارة الزراعة والمياه ، ص١٦٨.

(٤) ينظر نص الوثيقة في الملحق رقم (٢) ؛ أم القرى العدد رقم ٢٨٣٢ في ١٤٠٠/٩/٢٠هـ الموافق ١٣٩٨/٨/١م ؛ تطور القطاع الزراعي في عهد الملك خالد ١٣٩٥-١٤٠٢هـ/١٩٧٥-١٩٨٢م ، الجحيني ، محمد بن علي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، قسم التاريخ ، جامعة الملك خالد ، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م ، ص٨٤.

، وقطاع الإدارة [١]. ومن الواضح أن هناك نموًا إداريًا لشؤون المياه تبعًا لسياسة الدولة وخطواتها الإصلاحية ، وتهدف إلى منحها إمكانات أكبر بحيث تسعى لتنمية شؤون المياه ومواجهة تحدياتها.

ومع أن وزارة الزراعة والمياه هي الجهة المعنية بشئون المياه في المملكة منذ نشأتها إلا أن مسماها الرسمي بقي مواكبًا لمقتضى المادة الأولى من المرسوم الملكي رقم ٤٩٥١/١/٢١/٥ وتاريخ ١٣٧٣/٤/١٨هـ – ١٩٥٣/١٢/٢٤م القاضي بإنشائها باعتبارها وزارة بمسمى (وزارة الزراعة) وإلى أن صدر الأمر الملكي رقم ١٤٦٤٨ وتاريخ ١٣٨٥/٧/٩هـ- ٢ /١٩٦٥/١١م باعتماد إنفاذ ما نص عليه قرار اللجنة العليا للإصلاح الإداري رقم ٨/٢/٢٤/٢ وتاريخ ١٣٨٥/٦/٢١هـ- ١٦ /١٩٦٥/١٠م القاضي بإعادة تنظيم جهاز وزارة الزراعة والمياه ، وتبعًا لما نصت عليه المواد (٩ ، ١٠) من هذا القرار فقد أصبح المسمى الرسمي للوزارة اعتبارًا من ١٣٨٥/٧/٩هـ – ٢ /١٩٦٥/١١م هو : وزارة الزراعة والمياه[٢].وتمشيًا مع مضمونه فقد أُجريت الدراسة اللازمة لتصميم مشروع دليل وإعداده للتنظيم والأهداف والمهام والمسئوليات وقد أعتمد بالقرار الوزاري رقم ٧/٣٦٣٠ في ١٣٩١/١/٢٠هـ- ١٧ /١٩٧١/٣م ، وعند إعداد الدليل وُزِّعت أعمال الوزارة في ذلك الوقت على ستة أقسام تنوعت بين : إدارية وفنية ، وزراعية ، وتحلية المياه ، وتصميم المشروعات الانشائية ، أما النوع الذي يختص بالمياه فقد رُبط بوكيل الوزارة لشؤون المياه ويشمل : إدارة تنمية موارد المياه ، وإدارة المحافظة على المياه ،وإدارة خدمات المياه ، وإدارة تصميم وتنفيذ المشروعات الانشائية ، وإدارة تحلية المياه المالحة[٣].

وقد أنشئت بعد ذلك المؤسسة العامة لتحلية المياه عندما صدر الأمر الملكي رقم م/٤٩ في ١٣٩٤/٨/٢٠هـ – ١٩٧٤/٩/٦م ، وهي مؤسسة تتمتع بالشخصية الاعتبارية وتتبع إداريا وزير الصناعة ، ويكون لها محافظ بالمرتبة الممتازة يعين بأمر ملكي ، ومجلس إدارة[٤].

ومما سبق يتضح النمو والتنوع التدريجي في المؤسسات الإدارية ذات العلاقة المباشرة أو غير المباشرة بشؤون المياه وهذا النمو يتجه بشكل تدريجي نحو ظهور شخصية إدارية مختصة بالمياه ومن ضمن مهماتها الرئيسة تنمية موارد المملكة المائية ومنها السدود ، وهذا ما ساعد الدولة ومؤسساتها وبالتحديد وزارة الزراعة

---

(١) تحد وإنجاز ، وزارة الزراعة والمياه ، ص١٣٤.

(٢) تحد وإنجاز ، وزارة الزراعة والمياه ، ص١٣٤.

(٣) كان قد عُيِّن سمو الأمير محمد الفيصل بن عبدالعزيز رئيسًا لمكتب تحلية مياه البحر في ١٣٨٥/٩/٥هـ ، ثم مديرًا عامًا لإدارة تحلية المياه المالحة في ١٣٩٠/٧/١هـ ؛ وفي عام ١٣٩١/٨/٢١هـ تم رفع مستوى مديرية شؤون تحلية المياه إلى وكالة وتعيين صاحب السمو الملكي الأمير محمد الفيصل بن عبدالعزيز وكيلًا لشؤون تحلية المياه المالحة. للمزيد ، ينظر : وزارة الزراعة خمسون عامًا ، الغامدي ، ص١٤٤-١٤٥، ١٦٧-١٦٨.

(٤) المؤسسة العامة لتحلية المياه المالحة ، تحلية المياه المالحة في المملكة : نشأتها وتطورها ودورها في التنمية ، وزارة الزراعة ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، ١٤١٩هـ ، ص١٦٨.

والمياه على البدء في تنفيذ البرامج والمشاريع الخاصة بالسدود والتوسع في هذا الشأن حسب المعطيات والأولويات ذات العلاقة.

– السياسة المائية :

تُوضع السياسات المناسبة للمياه بناءً على معطيات عديدة تأخذ بعين الاعتبار النمو الاجتماعي والاقتصادي ، وفي اطار الأهداف والأولويات التي تقرها الدولة لتنبثق عن هذه السياسات والأنظمة واللوائح الخطوات والبرامج التي تستثمر الثروة المائية(١).

وعندما نرصد ونستقصي مجال المياه نجد أنها تضمنت وضع السياسات وتنفيذ الإجراءات من خلال الدراسات والبرامج والمسوحات المائية بحيث اشتملت على ما يأتي : تصميم شبكات الري والصرف الرئيسة وإنشائها ويشمل : توفير إمكانيات حفر الآبار وتصميم وبناء مرافق الري ، وتوزيع مياه الري ، والسماح بتنمية موارد المياه بواسطة القطاع الخاص(٢). وقد شملت الخطوات اللازمة لتنفيذ السياسات المائية ثلاث مراحل متتابعة هي : المرحلة الأولى : حصر المصادر المائية : المرحلة الثانية : حصر الطلب :(٣)المرحلة الثالثة : إعداد الأنظمة واللوائح(٤).

وأعتمد في هذه المرحلة على أدوات من أهمها التحليل الرياضي (الحسابي) لمختلف أوجه تنمية حقول الآبار ونقل المياه عبر الأنابيب، وإعادة استعمال المياه واقتصادية استعمالها وجمع المعلومات وتخزينها واستخراجها ، إلى جانب أنها تضمنت توصيات بشأن السياسات المائية المحلية لتنمية متينة وأساليب فعالة للمحافظة على المصادر المائية ، ومن خلال المرحلة الثالثة أُعدت السياسة المائية للمملكة ووضعت الأنظمة المائية ولوائحها وأُقترح الجهاز التنفيذي الذي سيقوم بتنفيذ الخطط المتعلقة بالمياه(٥).

– الأبحاث والبرامج المائية :

بدأت المسوحات والدراسات المائية منذ عهد الملك عبدالعزيز حيث أُستُفيد من بعثات فنية أجنبية للبحث والتنقيب عن مصادر المياه عامي : ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م و١٣٥١هـ/١٩٣٢م . وفي عام ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م أُستُقدمت بعثة فنية من الولايات المتحدة الأمريكية نفذت مسحًا شاملًا للمياه

---

(١) الماء ومسيرة التنمية في المملكة العربية السعودية ، عثمان ، ص٢١٩.

(٢) تحد وإنجاز ، وزارة الزراعة والمياه ، ص١٤٦-١٤٧.

(٣) الماء ومسيرة التنمية في المملكة العربية السعودية ، عثمان ، ص٢١٩،٢٢٠.

(٤) الماء ومسيرة التنمية في المملكة العربية السعودية ، عثمان ، ص٢٢٠

(٥) الماء ومسيرة التنمية في المملكة العربية السعودية ، عثمان ، ص٢٢١.

وإمكانات الزراعة وتطويرها في البلاد ، وقامت بزيارات استطلاعية في المنطقة الغربية ، والخرج، والافلاج ، والاحساء ،وقدمت تقريرها للملك عبدالعزيز عام ١٣٦١هـ/١٩٤٢م(١).

عملت الوزارة على تنفيذ أبحاث وبرامج مائية حيث قامت بتنفيذ خطة ميدانية لإجراء دراسات ومسوحات هيدرولوجية مكثفة سبقت عمليات بناء السدود إذ دُرِست المواقع المرشحة للبناء بحيث تتضمن جمع معلومات عن : الأمطار ، والسيول ، والتبخر ، والحرارة ، والرطوبة ، وسرعة اتجاه الرياح ، والاشعاع الشمسي وغيرها من العناصر التي عادة ما تقاس بصفة يومية ، أو أسبوعية ، أو شهرية ، حسبما تقتضيه الظروف المناخية والغرض من إجرائها(٢).

ومنذ نشأة وزارة الزراعة والمياه بوصفها جهازًا مختصًا سنة ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م بدأت بإجراء بعض الدراسات الهادفة إلى استكشاف المصادر المائية بواسطة جهازها الفني في تلك الفترة بالتعاون مع بعض الخبرات المتعاقد معها من الخارج ، وبناءً على قرار مجلس الوزراء رقم ١٨٨ وتاريخ ١٣٨٤/٧/٢٥هـ – ٢٩/١١/١٩٦٤م المتضمن تفويض وزارة الزراعة والمياه للاتفاق مع بعض الشركات الاستشارية لدراسة مصادر المياه بالمملكة حيث أُستقدم فريق استشاري من منظمة الأغذية والزراعة الدولية للمساعدة في تصميم البرنامج المطلوب لتنفيذ الدراسة حيث قُسِّمت أراضي المملكة إلى ثمانية أقسام على أساس المعالم الهيدرولوجية(٣).

واستهدف هذا البرنامج دراسة الطبقات الحاملة للمياه من كل من المواقع المحددة والتكوينات ورواسب الأودية وشملت هذه الدراسة ما يزيد على ٥٠% من أراضي المملكة أي حوالي (١,٣) مليون كم من مساحة المملكة ، وقد أوكلت الوزارة عملية تنفيذ الدراسات والمسوحات الميدانية الأولية للمياه والزراعة والتربة إلى كل من الشركات الاستشارية (بارسون بازل – و سوغريه ايتالكونسلت) التي أنجزت هذه المهمة خلال خمس سنوات من العمل الميداني وبينت وجود مخزون كبير من المياه ومساحات واسعة من الأراضي الصالحة للزراعة(٤)، كما قدمت الشركات الاستشارية عبر دراساتها لوزارة الزراعة : المسح الطبوغرافي ، ونوعية التربة ، ومدى توفر المياه الجوفية والسطحية ، وتحديد مواقع السدود(٥).وكانت الدولة حريصة على

---

(١) Twitchell , K.S. 1947 , Saudi Arabia with an account of the development of its natural resources Princeton University press , Princeton , New Jersey , U.S.A. P,21.

(٢) وزارة الزراعة خمسون عامًا ، الغامدي ، ص٢٣١.

(٣) الهيدرولوجيا Hydrology : هو علم المياه التي تكمل الدورة الهيدرولوجية منذ لحظة تساقط الأمطار فوق سطح الأرض الى أن تعود ثانية إلى البحر أو الجو وقسمها بعض العلماء إلى هيدرولوجيا سطحية وهيدرولوجيا مياه أرضية أو جيوهيدرولوجيا. تحد وإنجاز ، وزارة الزراعة والمياه ، ص٥٦٤.

(٤) وزارة الزراعة خمسون عامًا ، الغامدي ، ص١٤٦-١٥١.

(٥) الماء ومسيرة التنمية في المملكة العربية السعودية ، عثمان ، ص١٦٩.

توفير كل احتياجات تنفيذ الأبحاث والبرامج المائية ، كما هو الحال عندما وافق مجلس الوزراء بقراره رقم ١٣٠/٨ في ٦/٢٧/ – ١٩٦١/١٢/٥م على صرف مبالغ الحصول على نسخ من الصور والخرائط الجوية لمناطق : وادي فاطمة ، رابغ ، القنفذة ، الليث ، عسير ، وتضمن القرار السماح لوزارة البترول والثروة المعدنية بشراء نسخ الصور والخرائط الجوية للمناطق المذكورة بالمبلغ المقدر بـ (٣٩٣٤٦.٢) تسعة وثلاثين ألفًا وثلاثمائة وأربعين ريالًا وقرشين ، على أن يصرف من الفقرة الخاصة بمخصصات وزارة البترول والثروة المعدنية لعام ١٣٨١/١٣٨٠هـ – ١٩٦١/١٩٦٠م(١).

وفي عام ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م قامت وزارة الزراعة والمياه بالاستعانة ببعض الشركات الاستشارية لإجراء دراسات ومسوحات أولية للمياه والزراعة والتربة استمرت مدة خمسة أعوام وغطت نحو ١.٣ مليون كيلو متر مربع من أراضي المملكة شملت مناطق القصيم ، وشمال شرق حائل ، وتبوك ، والجوف ، والقريات ، ووادي السرحان ، وتيماء ، والعلا ، والرياض ، وسدير ، والوشم ، ومنطقة مكة المكرمة ، والمنطقة الواقعة على امتداد ساحل البحر الأحمر ، والمنطقة الشرقية ، ووادي الدواسر ، والسليل(٢).

– الدراسات الهيدروجيولوجية(٣) التفصيلية :

صدر قرار رئاسة مجلس الوزراء رقم ٢٢٩٥٣ في ١٣٨٢/١١/٢٠هـ ١٣ /١٩٦٣/٤م بالموافقة على التعاقد مع أخصائيين جيولوجيين وهيدرولوجيين في وزارة الزراعة(٤).وقد أظهرت الدراسات والمسوحات الأولية عن الموارد المائية والزراعية لمعظم مناطق المملكة وحددت مواقعها وإمكانية تطوير بعض منها واستغلاله لأغراض الشرب والري وعدم إمكانية ذلك في مواقع أخرى ، وبناءً على ذلك شرعت الوزارة عام ١٣٩١هـ/١٩٧٢م بإجراء دراسات تفصيلية لبعض الطبقات الجيولوجية الحاملة للمياه بالاستعانة ببعض الشركات الاستشارية العالمية المتخصصة وقد شملت دراسات تفصيلية لتدعيم مصادر مياه الشرب للمدن والقرى والهجر ودراسات أخرى تتعلق بتصميم السدود والتحكم في الفيضانات ، وأخرى لمعرفة امتداد الطبقات الرئيسة الحاملة للمياه وتحديد خصائصها الفيزيائية والكيميائية ، وقد ارتكزت منهجية إعداد تلك

---

(١) خطاب وزير الدولة لشئون رئاسة مجلس الوزراء رقم ١٣٠/٨ ١٣٨١/٦/٢٧هـ إلى وزير البترول والثروة المعدنية. وثائق معهد الإدارة : وثيقة رقم ٥٧٩ في ١٣٨١/٦/٧هـ.

(٢) تحد وإنجاز ، وزارة الزراعة والمياه ، ص٣١٧.

(٣) الهيدروجيولوجيا Hydrogeology : تعرف الهيدرولوجيا أو علم المياه الأرضية بأنه العلم الذي يختص بدراسة وتوزيع وكذلك حركة وانتشار المياه تحت سطح الأرض إلى جانب علاقة هذه المياه بالبيئة الجيولوجية المحيطة بها ، وهناك من العلماء في هذا المجال من عرف الهيدولوجيا بأنها دراسة قوانين وجود وحركة المياه الأرضية ومنهم من استعمل كلمة جيوهيدولوجيا بوصفها مرادفًا للكلمة الأولى. وزارة الزراعة والمياه ، تحد وإنجاز ، ص٥٦٤.

(٤) خطاب صادر من رئاسة مجلس الوزراء رقم ٢٢٩٥٣ في ١٣٨٢/١١/٢٠هـ. وثائق معهد الإدارة : وثيقة رقم ٦٠٠ في ١٣٨٢/١١/٢٠هـ.

الدراسات على أحدث الوسائل العلمية مثل المسوحات الجيوفيزيائية المتنوعة والاستعانة بالصور الجوية وصور الأقمار الصناعية لإعداد الخرائط الرئيسة لكل منطقة آبار الاستكشافية وأخرى للمراقبة لاختبار الطاقة التخزينية للطبقات المائية المختلفة لإجراء التحاليل اللازمة لعينات المياه كيميائيًا وبكترولوجيًا وتحليل نظائرها المشعة والثابتة لمعرفة عمرها وسلوكها ومدى وجود استعاضة من مياه الامطار ونحوها ، بالإضافة إلى إعداد نماذج رياضية حاسوبية لمختلف الطبقات المائية لمحاكاة سلوك النظام المائي الجوفي في هذه الطبقات ومدى تأثره بفعل العوامل الخارجية مثل الضخ والاستعاضة وتداخل مياه الطبقات مع بعضها بعض ، وتسرب المياه فيما بينها وتأثير هذه المتغيرات على المخزون كمًا ونوعًا (١).

وتعتبر نمذجة المياه الجوفية والسطحية أحدث وسيلة علمية عملية لإدارة مصادر المياه الجوفية حتى يمكن بها إعداد إستراتيجيات قائمة وفرضيات محتملة ، ومن تلك الدراسات التفصيلية ما يأتي :

-البحث عن مصادر جديدة للمياه لمدينة الطائف (المرحلة الأولى) أنجزت عام ١٣٩٥هـ/١٩٧٤م.

-دراسة تطوير وادي نجران بهدف استغلال المصادر المائية ، أنجزت عام ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

-دراسات هيدروجيولوجية لتكوين الوسيع في المنطقة الشرقية ، انجزت عام ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.

-دراسات تنمية موارد المياه وإدارتها في واحة الأحساء ، أنجزت عام ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

-الدراسات المائية لحوض وادي خليص (تدعيم مصادر مياه جدة) ، أنجزت عام ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

-الدراسات التفصيلية لمنطقة المدينة المنورة (تدعيم مصادر مياه المدينة المنورة) والتي أوصت بحفر آبار الحقل الثاني في المدينة المنورة وإنشاء محطة تحلية مياه البحر بينبع وأنجزت عام ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

-الدراسات التفصيلية لمنطقة الدرع العربي وشملت مصادر المياه والتربة أنجزت عام ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

-دراسة تكوين أم رضمة(٢) (دراسات للتنمية الزراعية والمائية في الربع الخالي من حرض جنوبًا حتى الحدود الشرقية والجزء الجنوبي الشرقي للربع الخالي وحتى شرورة في الغرب ، أنجزت عام ١٤٠٠/١٩٨٠م.

-دراسة إيجاد مصدر إضافي لمدينة الطائف (المرحلة الثانية—وادي تربة)، أنجزت عام ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

-الدراسات التفصيلية لتطوير تهامة الجنوبية والشمالية.

وباستكمال الدراسات والمسوحات الأولية والدراسات التفصيلية في مصادر المياه في المملكة والمتمثلة في : المياه السطحية ، والمياه الجوفية ، مياه البحر المحلاة ، إلى جانب مياه الصرف الصحي المعالجة(٣).

---

(١) تحد وإنجاز ، وزارة الزراعة والمياه ، ص٣١٨.

(٢) إحدى تكوينات عصر الأيوسين وهي مختلطة من تكوينات عصر الألغوسين وتتكون من الحجر الكلسي بلون القشدة والبني والرمادي وقد تكون ممزوجة بالدولوميت ، وتظهر على شكل شريط يمتد من الشمال الى الجنوب الى الشرق من رمال الدهناء مباشرة. جغرافية المملكة العربية السعودية ، الشريف ، ج١ ، ص٣٨.

(٣) تحد وإنجاز ، وزارة الزراعة والمياه ، ص٣١٨-٣١٩.

– الدراسات الهيدرولوجية :

تهدف هذه الدراسات الهيدرولوجية إلى جمع المعلومات عن الأمطار ، والسيول ، والتبخر ، والحرارة ، والرطوبة ، والإشعاع الشمسي وغيرها من العناصر ، والتي عادة ما تقاس بصفة يومية أو أسبوعية أو شهرية حسبما تقتضيه الظروف المناخية أو الهدف من إجرائها ، ويستخدم في هذه الدراسات أجهزة خاصة لكل عنصر من العناصر المذكورة ، ويعمل بعضها بصورة آلية (اتوماتيكية) وتقام عادة محطات هيدرومترولوجية في مختلف مناطق المملكة حيث تُجمع بواسطتها المعلومات المطلوبة ثم يُجري تحليلها وتفسيرها علميًّا للإفادة منها في معرفة توازن المياه الجوفية وفي تصميم السدود ، وإنشاء الطرق والجسور والمشروعات الزراعية وغيرها(١).

وقد بدأت الدراسات الهيدرولوجية منذ أوائل السبعينات الهجرية (الخمسينات الميلادية) حيث أنشأت الوزارة أول محطة أرصاد مناخية في سكاكا الجوف(٢)، وفي عام ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م تعاقدت وزارة الزراعة والمياه مع الشركة الاستشارية (ايتال كونسلت) مقابل مبلغ وقدره (٢,٢٨٠٠٠٠) ريال سنويًّا ومع الشركة الاستشارية (ريكس) بمبلغ (٢.١٧٠.٠٠٠) ريال سنويًّا ولمدة خمس سنوات لكل منهما ، وقد أسندت المناطق الثانية والثالثة والثامنة ومنطقة جدة ومكة والطائف على شركة (ايتال كونسلت)(٣)، أما المناطق السادسة والرابعة فأسندت إلى شركة (ريكس) للقيام بالدراسات الهيدرولوجية المطلوبة وتدريب فنيين سعوديين ، وانتهاء عقديهما في عام ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م ، وقام قسم الهيدرولوجيا بالوزارة بمواصلة جمع المعلومات بكفاءة تامة بعد أن انضم اليه أولئك الفنيون السعوديون الذين تدربوا مع الشركات الاستشارية (٤)، وعلى سبيل المثال لا الحصر أفادت الدراسة التي أجريت على : جدة ، ومكة ، والطائف (بمساحة ٢٠٩ آلاف كيلو متر مربع) أن مجموع ما هطل من أمطار خلال عام ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م كان حوالي ١٥٠٠ مليون متر مكعب(٥).

ثم تلى ذلك إجراء دراسات هيدرولوجية للمناطق الثانية والثالثة والثامنة ومنطقة جدة ، ومكة ، والطائف ، ودراسة هيدرولوجية أخرى للمناطق السادسة والرابعة كان الهدف منها الإفادة من المعلومات الهيدرولوجية في معرفة توازن المياه الجوفية.

---

(١) تحد وإنجاز ، وزارة الزراعة والمياه ، ص٣٢٣.

(٢) النشرة الهيدرولوجية ١٠٤ ، ١٤٠٤هـ ، وزارة الزراعة والمياه.

(٣) الماء ومسيرة التنمية في المملكة العربية السعودية ، عثمان ، ص١٧٢.

(٤) الماء ومسيرة التنمية في المملكة العربية السعودية ، عثمان ، ص١٧٢،١٧٣.

(٥) مصادر ومشروعات المياه في المملكة العربية السعودية ، وزارة الزراعة والمياه ، ط٢ ، ١٣٩٤هـ ، ١٤٠١هـ.

ولما كان توفير المعلومات الهيدرولوجية على مستوى المملكة يتطلب وضع برنامج شامل وتنفيذه من أجل ذلك رأت الوزارة أن دراسة بعض الأحواض المائية (الأودية) والتي تُختار بحيث تكون ممثلة لبيئة وصفات هيدرولوجية معينة على أن تجري الدراسات وفقًا لبرامج نموذجية مكثفة لاستخلاص النتائج واستنباط الوسائل التي يمكن تعميمها على المناطق المشابهة والتي لا يتوفر عنها معلومات، أو لا يوجد بها قياسات كافية لضمان وضع التخطيط المناسب المبني على أسس علمية ، ولهذا فقد أختيرت أربعة من أودية المملكة وهي : وادي الغيل بالأفلاج ، ووادي البار بحائل ، ووادي الحناكية بالمدينة المنورة ، ووادي فاطمة بمكة المكرمة حيث أجريت عليها الدراسات المطلوبة بتكلفة إجمالية بلغت (٦,٨٢١,٠٠٠) ريال وأنجزت عام ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

واستمرارًا لهذا النوع من الدراسات الهيدرولوجية للأحواض المائية فقد أختيرت خمسة أودية في المنطقة الجنوبية هي : وادي تبالة ببيشة ، ووادي يبا ، ووادي الليث بتهامة الشمالية ، ووادي لية بتهامة الجنوبية ، ووادي حبونة بمنطقة نجران أجريت عليها الدراسات المطلوبة وأُنجزت عام ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م بتكلفة بلغت (٥٠،٨٢٧،٥١٠) ريال(١).

وبانتهاء تلك الدراسات قام قسم الهيدرولوجيا بالوزارة بمواصلة جمع المعلومات بكفاءة حتى أصبح لدى الوزارة شبكة هيدرولوجية (شبكة الرصد المائي والمناخي) مكونة من :

المحطات المناخية : وقد أنشئت أول محطة مناخية في المملكة عام ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م في مدينة الظهران ثم تلتها محطة إرصاد مناخية في حائل عام ١٣٦١هـ/١٩٤١م ، تم أُنشئت الوزارة أول محطة أرصاد مناخية في مدينة سكاكا بالجوف(٢)، واستمر التوسع في إنشاء محطات قياس الأمطار في مختلف مناطق المملكة ، وتحتوي كل محطة من المحطات المناخية العادية على أجهزة لقياس العناصر الآتية : درجات الحرارة العظمى والصغرى ، و الحرارة والرطوبة ، و سرعة واتجاه الرياح ، و عدد ساعات سطوع الشمس ، وكمية التبخر ، وكمية المطر اليومي (جهاز مطر عادي) ، وكمية المطر شهريًا ، و حرارة التربة على أعماق : ٥سم ، ١٠سم ،و ١٥سم ،و ٧٠سم ،و ٥٠سم ، و ١٠٠سم(٣).

– **محطات قياس السيول :**

---

(١) تحد وإنجاز ، وزارة الزراعة والمياه ، ص٣٢٣-٣٢٤.

(٢) النشرة الهيدرولوجية ١٠٤ ، وزارة الزراعة والمياه ، ١٤٠٤هـ.

(٣) وبشكل تدريجي تطورت الشبكة الهيدرولوجية لتشمل الأودية الرئيسة والأودية الفرعية حتى أصبح عددها (١٣) محطة مناخ آلية و (٦٥) محطة مناخ عادية و (١١٣) جهازا لقياس كمية المطر اليومي و (٨٧) جهازًا لقياس كمية المطر شهريًا و (٤٥) مجمع مطر لكل ثلاثة أشهر وذلك نهاية عام ١٤١٨هـ. تحد وإنجاز ، وزارة الزراعة والمياه ، ص٣٢٦.

أُنشئت خلال الأعوام من ١٣٧١هـ /١٩٥٠م إلى ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م بالتعاون مع منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة العديد من محطات قياس السيول والمحطات المناخية في الجزء الجنوبي الغربي من المملكة بهدف دراسة المصادر المائية السطحية والزراعية ، فقد أُنشئت أول محطة لقياس السيول على وادي جازان في عام ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م(١)، ثم وصل العدد إلى (٥) محطات عام ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م؛ ليرتفع العدد إلى ٣٥ محطة خلال الفترة من ١٣٨٥هـ/١٣٨٩هـ- ١٩٦٥/١٩٦٩م، ثم إلى ١٥٢ محطة لقياس السيول نهاية ١٤١٨هـ/١٩٩٨م ، ويشمل ذلك العدد المحطات التي أنشأتها الوزارة إبان تنفيذ تلك الدراسات(٢).

وهذه التجهيزات الرئيسة في جميع المحطات المناخية بشكل عام تطابق مواصفات منظمة الأرصاد العالمية وأن المعلومات المناخية التي تُجمع وتحلل من قبل الفنيين المختصين في هذا المجال تمثل القاعدة المعلوماتية لإعداد الدراسات الهيدرولوجية ، وقد أقامت الوزارة (١٠) مكاتب هيدرولوجية حقلية في كل من (عنيزة ، الهفوف ، والسليل ، والمدينة المنورة ، والطائف ، وأبها ، والمخواة ، وسكاكا ، وتبوك ، وصبيا) وتنحصر مهمة هذه المكاتب في الإشراف الفني والإداري على تلك المحطات من أجل جمع المعلومات وتحليلها وتدقيقها وتبويبها وتقديمها للجهات ونشرها في متناول الباحثين للإفادة منها(٣).

– بنك معلومات المياه :

نظرًا للدراسات والمسوحات الأولية والدراسات التفصيلية الهيدروجيولوجية لمناطق المملكة عن المياه والزراعة والتي تضمنت إقامة محطات مناخية وهيدرولوجية ، وفرت معلومات كان لابد من حفظها وتبويبها لاسترجاعها وقت الحاجة وبأسرع ما يمكن ؛ لذلك أُنشئ بنك معلومات المياه باستخدام الحاسب الآلي حيث تُدخل وتُخزن جميع البيانات الجيوهيدرولوجية وبيانات الأرصاد المناخية والمياه الجوفية وبيانات آبار المراقبة وبيانات نتائج التحاليل الكيميائية لعينات المياه السطحية أو الجوفية ويستعمل في بنك المعلومات الذي أُنشئ عام ١٣٩٨هـ/١٩٧٧م جهاز حاسب آلي من نوع (DATA GENERAL) يتم

---

(١) النشرة الهيدرولوجية ١٠٤ ، وزارة الزراعة والمياه ، ١٤٠٤هـ.

(٢) وبشكل تدريجي تطورت الشبكة الهيدرولوجية لتشمل الأودية الرئيسة والأودية الفرعية حتى أصبح عددها (١٣) محطة مناخ آلية و (٦٥) محطة مناخ عادية و (١١٣) جهازا لقياس كمية المطر اليومي و (٨٧) جهازًا لقياس كمية المطر شهريًا و (٤٥) مجمع مطر لكل ثلاثة اشهر وذلك نهاية عام ١٤١٨هـ. تحد وإنجاز ، وزارة الزراعة والمياه ، ص٣٢٦.

(٣) تحد وإنجاز ، وزارة الزراعة والمياه ، ص٣٢٦.

بواسطته تشغيل نظام معالجة بيانات الأرصاد الجوية ونظام معلومات موارد المياه ، ونتائج تحاليل عينات مياه الأمطار والسيول ومستويات المياه وجريان المياه السطحية وغيرها من البيانات(١).

وللدراسات والمسوحات أهميتها في بناء السدود ومنها معرفة نطاقات تمدد الأحواض المائية السطحية والذي هو من الأمور الهيدرولوجية المهمة في العديد من الدراسات المائية المختلفة. وكما هو معروف حسب المفاهيم الجيومورفولوجية، فإن الأحواض المائية تُحدد نطاقاتها من خلال معرفة مسارات الأودية الموجودة ضمنها وبالتالي تُحدد نقاط الوصل ما بين المرتفعات المحيطة بهذه الأودية وروافدها المختلفة. ولعل تحديد نطاقات الأحواض المائية ذات جدوى من حيث تحديد خصائص المنطقة عبر التعرف على الأنماط الجيومترية والمورفومترية للنُظم المائية السطحية(٢).

وأمام بناء السياسة المائية وتنفيذ الكثير من الدراسات المائية أصبح من المهم المحافظة على الحصاد المائي في المملكة العربية السعودية ، لا سيما أن المملكة تقع في منطقة مُصنّفة على أنها منطقة جافة وينمو عدد سكانها بشكل كبير ، فكان للدراسات دورها في تحديد المناطق التي يجب التعامل معها كمواقع لحصر وتجميع المياه من خلال بناء السدود ، واعتمادًا على السياسات الزراعية والمائية والدراسات والمسوحات المائية سالفة الذكر تم البدء والتوسع في بناء السدود بشكل تدريجي كما سيتضح في المبحث الآتي.

– بناء السدود :

تعد السدود في المملكة أحد طرق تنمية وزيادة المصادر المائية وذلك اعتمادًا على المعطيات الهيدروجيولوجية (المياه الجوفية) والهيدرولوجية (المياه السطحية) التي تسود المنطقة المراد زيادة أو تحسين مصادرها المائية ، ويتم إنشاء السدود في المملكة لتحقيق عدد من الأهداف الرئيسة أهمها ما يأتي:

– الاستعاضة عن المياه الجوفية في منطقة السد وتغذية الآبار في المناطق الزراعية خلف السد.
– تأمين مياه الشرب لبعض المناطق من خلال إقامة محطات تنقية وضخ للمياه المحجوزة خلف السد.
– تأمين مياه الري للأغراض الزراعية عن طريق إقامة شبكة ري منظمة لسقاية الأرض الزراعية من المياه المحجوزة خلف السد وبشكل مستديم.

---

(١) وأُنشئ مركز الوثائق والمعلومات في الوزارة عام ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م طُور بنك معلومات المياه وربط بالحاسب الآلي بالمركز وربطت أجهزة الشبكة الهيدرولوجية بالمركز لنقل المعلومات من المحطات الآلية هاتفيًا ، وسُجلت تلك المعلومات على أشرطة ممغنطة وحفظت في الحاسب الآلي ، إلى جانب إدخال المعلومات الأخرى عن المياه. تحد وإنجاز ، وزارة الزراعة والمياه ، ص٣٢٦.

(٢) دور التقنيات الفضائية والجيومعلوماتية في الإستراتيجيات المائية: تطبيقات من المملكة العربية السعودية ، آل سعود ، مشاعل ، بحث مقدم للملتقى العلمي حول: إستراتيجية الأمن المائي العربي ، ٢٤-١٤٣٣/١/٢٦هـ / ١٩-٢٠١١/١٢/٢١م ، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والقنية، معهد بحوث الفضاء ، ص١٥.

– التحكم في جريان السيول وحماية المدن والقرى والمزارع وغيرها من خطر السيول والفيضانات والحفاظ على أرواح وممتلكات المواطنين(١).وتتباين السعة التخزينية للسدود ، فمنها السدود الكبيرة ذات السعة التخزينية العالية ، والسدود المتوسطة والسدود الصغيرة ، وتؤدي عدة عوامل دورًا كبيرًا في تحديد نوع السد وسعته التخزينية كالموقع وطبيعة الوادي ونتائج الدراسات التي تمت قبل إقامة السد ، حيث يسبق التنفيذ دراسات مستفيضة لمواقع السدود بحيث تتضمن الآتي :

– الدراسة الأولية : وهي دراسة طبوغرافية تشمل مسح طبيعة المكان المرشح للسد والتأكد من خلوه من العوائق كالطرق الزراعية أو الإنشاءات وغيرها ، حتى تُتجاوز ويُعرف مدى توفر المواد اللازمة والمناسبة للإنشاء ، وبعدها تُعمل خرائط مساحية كنتورية لمنطقة السد لتحديد مساحة حوض التخزين بالإضافة إلى مقاطع عرضية وطولية لموقع السد.

– الدراسات الهيدرولوجية : وتهدف إلى تحديد كميات الأمطار التي تسقط على المنطقة ودورتها الزمنية والسيول والفيضانات التي تحدث بالوادي وذلك من واقع سجلات الأمطار المتوفرة من المحطات المناخية ، وتحديد منطقة تجميع المياه التي يمكن تخزينها والتي تمثل الطاقة التخزينية للسد وبالتالي يمكن تحديد ارتفاع السد وسعة المخارج اللازمة (المفيض) لضمان سلامة السد حال حدوث الفيضانات.

– الدراسات الجيولوجية : وتتم لتحديد جيولوجية المنطقة وذلك بالاستعانة بالخرائط الجيولوجية بالإضافة إلى إجراء الاختبارات الحقلية اللازمة في موقع السد للتعرف على التكوين الجيولوجي؛ وذلك للتأكد من قوة الأساسات ومقدرتها على تحمل الأوزان والضغوط الناتجة عنها.

– الدراسات الهندسية ودراسات الجدوى الاقتصادية : وتشمل إعداد الدراسات اللازمة؛ لتحديد أنسب أنواع السدود تبعًا لحجم الوادي والسعة التخزينية والارتفاع المقترح وتوفر المواد اللازمة للبناء في الموقع وذلك بما يضمن تحقيق الغرض الذي من أجله سيقام السد.

– دراسة الآثار البيئية لمعرفة ما قد يترتب على تنفيذ السد من آثار أو تغير لطبيعة الوادي والحياة النباتية والحيوانية ومن ثم وضع الحلول اللازمة لمنع ما قد يحدث من تغيرات سلبية على البيئة(٢).

أنواع السدود :

يلاحظ المتتبع للزراعة في المملكة قيام المزارعين منذ القدم بإقامة الحواجز الترابية (العقوم) أو المرصوفة بالأحجار بهدف التحكم في مياه الأمطار والسيول المفاجئة أو الحد من فيضانها على الأراضي الزراعية

---

(١) الماء ومسيرة التنمية في المملكة العربية السعودية ، عثمان ، ص٧٤.

(٢) تحد وإنجاز ، وزارة الزراعة والمياه ، ص٣٨٠.

والقرى والإفادة منها في الري والشرب ، وامتدادًا لأهمية السدود أسست الوزارة أول سد عام ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م وهو سد عكرمة بالطائف ثم توالت عمليات إنشاء السدود في مختلف المناطق(١).

وقد حرصت الدولة على إقامة السدود بهدف التحكم بمياه السيول ؛ لمنع حدوث فيضانات وخاصة في المناطق الغنية بالتربة لمنع انجرافها والإفادة من مياه السيول ، وحجزها للري ، وتغذية الآبار الجوفية ، وللشرب بعد تنقيتها ، وحماية أرواح المواطنين من خطر تلك السيول(٢).

وتُزوَّد كافة السدود بمخارج خرسانية (مفيض) تنساب منها المياه الزائدة من حوض التخزين نتيجة للفيضانات ، كما تعمل فتحات تصريف في جسم السد مزودة ببوابات آلية لتصريف المياه من حوض التخزين إلى منطقة خلف السد ، وتزود السدود الكبيرة بأنفاق موازية لمحور السد يُصل منها إلى غرف البوابات لأعمال التشغيل والصيانة ، كما توضع بها أجهزة الرصد الدقيقة الخاصة بمتابعة السد وتحركاته الأفقية والرأسية إن وجدت وقياس درجات الحرارة داخل السد وخارجه والضغوط الناتجة أسفل السد(٣). وتقسم السدود عادة من ناحية استعمالاتها إلى ثلاثة أنواع (٤) وهي :

-**أولًا** :السدود التخزينية: تُقام لتخزين المياه خلفها للإفادة منها في عملية الري المستديم ،كما هو الحال في سد وادي جازان أو الإفادة منها لتأمين مياه الشرب للسكان كما هو الحال في سد أبها.

– **ثانيًا** : السدود التحويلية : وتقام لرفع مستوى المياه ونقلها في قنوات ضمن نظام ري معين من مكان لآخر ،كما هو الحال في السدود التحويلية الصغيرة المقامة ضمن شبكة ري سد وادي جازان.

–ثالثًا : السدود الكابحة : وتقام من أجل تهدئة سرعة السيول والتقليل من الخطر المفاجئ للفيضانات كما يستفاد منها في تخزين المياه وعند الحاجة بفتح البوابات لتمر منها كميات من المياه لا تزيد عن سعة الوادي في الجزء الواقع أسفل السد ، أو أن يستمر حفظ المياه لأطول مدة ممكنة مع السماح لها بغمر أرضية الوادي وضفافه لتغذية المياه الجوفية بمياه السيول والفيضانات ، كما هو الحال في سد وادي نجران(٥). أما من ناحية البناء والتشييد والمواد المستخدمة فتقسم السدود إلى الأنواع الآتية :

أولًا : السدود الترابية :

---

(١) تحد وإنجاز ، وزارة الزراعة والمياه ، ص٣٧٨.

(٢) تحد وإنجاز ، وزارة الزراعة والمياه ، ص٤٠٢ ؛ خياط ، نوال محمد : الملك خالد بن عبدالعزيز آل سعود (دراسة تاريخية حضارية ١٣٣١-١٤٠٢هـ/١٩١٣-١٩٨٢م ، رسالة ماجستير ، مكة المكرمة ، جامعة أم القرى ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م ، ص٥١١.

(٣) تحد وإنجاز ، وزارة الزراعة والمياه ، ص٣٨١.

(٤) الماء ومسيرة التنمية في المملكة العربية السعودية ، عثمان ، ص٧٤.

(٥) تحد وإنجاز ، وزارة الزراعة والمياه ، ص٣٧٨ ؛ الماء ومسيرة التنمية في المملكة العربية السعودية ، عثمان ، ص٢٣٩.

أولًا : السدود الترابية :

وهي أكثر أنواع السدود المنفذة لقلة تكاليف إنشائها ؛ لأن المواد المستعملة في تشييدها لا تحتاج إلى تصنيع فالعنصر الأساس لتنفيذها هو الردميات الترابية التي تعمل على طبقات وتُدك لها بمواصفات معينة ومن ثم يُكسى جسم السد الترابي بالبلاطات الخرسانية والقواطع الأرضية أمام السد وخلفه حفاظًا عليها من الانجراف ، وتُنفذ الردميات بميول جانبية يتم تحديدها طبقًا للتصميم وتُنفذ هذه السدود في الوديان الواسعة وذات الرواسب الوديانية السميكة (١).

ثانيًا : السدود الركامية :

وهي مشابهة للسدود الترابية من ناحية الشكل العام إلا أنها تختلف في مادة تكوينها الرئيسة حيث تستخدم الردميات الصخرية مختلفة المقاسات وتعمل على شكل طبقات تدك بطريقة معينة ومن ثم تنفذ تكسيات بالبلاطات الخراسانية أو الأحجار المرصوصة من الأمام والخلف مع عمل القواطع الأرضية لكلتا الجهتين وتُنفذ هذه السدود في الوديان ذات الرواسب العالية في نسبة تكوين الصخور بها(٢).

ثالثًا : السدود الخرسانية :

وتُنفذ بواسطة الخرسانة وتسمى أحيانًا السدود الثقيلة لأنها تعتمد على ثباتها على وزنها وتصمم على أساس ميول في الخلف حسب الدراسات وتستخدم في الوديان الضيقة والتي لا يتوفر بها موقع مناسب للمفيض الجانبي ٥٠ عام(٣)، وأكثر السدود تكلفة وتُنفذ من الخرسانة وهي على نوعين :

-سدود خرسانية ثقيلة وتعتمد على ثباتها على وزنها الكلي حيث يتم توزيع الأحمال على الأساسات كما هو الحال في سد وادي جازان(٤).

-سدود خرسانية مقوسة وتعتمد في ثباتها على توزيع الضغوط على الجوانب (الأكتاف) كما هو الحال في سد وادي نجران(٥).

رابعًا : السدود الجوفية :

وهذا النوعية من السدود تُنفذ بطريقة خاصة تشابه الطرق المتبعة في تنفيذ السدود السطحية حيث تُنفذ تحت منسوب سطح الوادي ، وكذلك خلال قاطع خرساني يمتد من سطح الأرض مخترقًا الرواسب

---

(١) تحد وإنجاز ، وزارة الزراعة والمياه ، ص٣٧٩ ؛ الغامدي ، ٥٠ عامًا من البناء ، ص٢٣٣ ؛ الماء ومسيرة التنمية في المملكة العربية السعودية ، عثمان ، ص٢٤١.

(٢) وزارة الزراعة والمياه ، تحد وإنجاز ، ص٣٧٩ ؛ الغامدي ، ٥٠ عامًا من البناء ، ص٢٣٣ ؛ الماء ومسيرة التنمية ، عثمان ، ص٢٤١.

(٣) تحد وإنجاز ، وزارة الزراعة والمياه ، ص٢٢٤-٢٣٣.

(٤) تحد وإنجاز ، وزارة الزراعة والمياه ، ص٣٧٨.

(٥) تحد وإنجاز ، وزارة الزراعة والمياه ، ص٣٧٩ ؛ وزارة الزراعة خمسون عامًا ، الغامدي ، ص٢٣٣.

الوديانية إلى أن يصل إلى الطبقة الصخرية ، و تُخزن مياه السدود داخل الرسوبيات المتواجدة أمام السد الجوفي والتي تُحفر الآبار بها وتمتاز هذه النوعية من السدود عن السدود السطحية بقلة الفاقد من المياه المخزونة نتيجة التبخر وعدم غمر أي منشآت أو ممتلكات في حوض التخزين ويُنفذ هذا النوع من السدود في الأودية ذات التوافق المستمر في السيول من السمك العالي لطبقة الرسوبيات عالية المسامية ، وتُنفذ من الخرسانة على هيئة حائط يقطع الوادي تحت سطح الأرض ليتم تخزين المياه داخل الرسوبيات لرفع مستوى الماء من الآبار الموجودة في المنطقة ، ويتميز هذا النوع من السدود بقلة الفاقد من المياه المختزنة لعدم تأثرها بعامل التبخر وهي عمومًا قليلة جدًا (١).

- **التوسع في بناء السدود :**

من الواضح أن وزارة الزراعة والمياه بدأت في بناء السدود بشكل تدريجي بعد إجراء الدراسات اللازمة وذلك بناءً على عدد من المعطيات والأولويات التي تعتمد على الأهداف المراد تحقيقها من بنائها ، إلى جانب الإمكانات اللازمة لبناء السدود والتوسع فيها ، ومن خلال استقصاء تطور بناء السدود وتحليلها في المملكة خلال فترة الدراسة نجد أنها مرت بمرحلتين مهمتين هما :

-المرحلة الأولى تبدأ من عام ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م وتنتهي عام ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م وتتضمن هذه المرحلة البدء في بناء السدود والتوسع بشكل تدريجي يعتمد على الأولويات المعتمدة على إمكانات الدولة المادية في تلك الفترة ، وشارك فيه جهات أخرى ، وبلغ عدد السدود خلال هذه المرحلة (١٦) سدًا .

-المرحلة الثانية تبدأ من عام ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م وتنتهي عام ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م وتشمل التوسع في بناء السدود حيث وصل عددها إلى (٤٥) سدًا ، في ظل نمو دخل الدولة.

بدأت المرحلة الأولى عام ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م بإنشاء أول سد في المملكة وهو سد عكرمة الذي يقع في أعلى وادي المثناة بمحافظة الطائف ويبعد عنه بما لا يقل عن تسعة كيلو مترات في بداية وادي وج الكبير الذي يخترق مدينة الطائف(٢)، وطاقته التخزينية (١,٥٠٠,٠٠٠) متر مكعب ، وكان الهدف منه حماية مدينة الطائف من أخطار السيول ، ودعم مصادر المياه في مدينة الطائف في ذلك الوقت(٣).

---

(١) تحد وإنجاز ، وزارة الزراعة والمياه ، ص٣٧٩ ؛ وزارة الزراعة خمسون عامًا ، الغامدي ، ص٢٣٤.

(٢) واختلف الرواة في سبب تسميته هذه ؛ نظرًا لوجود خمس شخصيات ممن عاشوا في صدر الإسلام ويحملون اسم "عكرمة" ويرجع كثير من الرواة نسبة اسم هذا السد إلى عكرمة بن عبدالله البربري المدني ، أبو عبدالله ، مولى عبدالله بن عباس رضي ؛ ظنًا وليس يقينًا ؛ لأن كتب التاريخ لم تذكر شيئًا عن ذلك. الطائف بين الموروثات والمستجدات ، الجودي ، صالح بن غازي ، دار الحارثي للطباعة والنشر ، ط١ ، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م ، ص١٧٣-١٧٤.

(٣) تحد وإنجاز ، وزارة الزراعة والمياه ، ص٣١١ ؛ الصحاري الخضر ، وزارة الزراعة والمياه ، ص٢٥-٢٦ ؛ وللمزيد عن السدود خلال فترة الدراسة من حيث أماكنها ، وتاريخ انشائها ، وأنواعها ، وتكاليفها المادية ، وطاقاتها التخزينية. ينظر ملحق الوثائق رقم (١).

وقد بُني مع بداية شهر رجب من عام ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م وأُنتهي من عمارته في شهر ذي القعدة ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م ، وتكلف بناؤه (٩٢٥.٩١٠) تسعمائة وخمسًا وعشرين ألفًا وتسعمائة وعشرة ريالات سعودي ، ويبلغ طول هذا السد حوالي تسعين مترًا ، وارتفاعه أربعة عشر مترًا (١).

وفي المدينة المنورة بُني سد العاقول الذي يقع على وادي العاقول غرب مطار المدينة المنورة حيث يبعد عنها حوالي (١٠)كلم ، وقد قامت مؤسسة بن لادن ببناء هذا السد عام ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م من خلال إنشاء حاجز من الأحجار والخرسانة بطريقة غير منتظمة معرجة على مجرى الوادي بارتفاع حوالي (٣,٩) مترًا ويبلغ طول السد حوالي (١٩٠) مترًا .

وحوض تخزين هذا السد يمكنه استيعاب حوالي (١٧) مليون متر مكعب من الماء ويرجع كبر حجم حوض التخزين إلى وجود متسع منبسط أمام السد الذي ينتج عنه تخزين هذه الكمية من المياه(٢).

وقد أُضيفت العديد من التعديلات والإضافات لهذا السد ، كما هو الحال عندما صدر القرار من رئاسة مجلس الوزراء رقم ١٣٩١٨/٠٤ في ١٣٨١/٥/٥هـ - ١٤ /١٩٦١/١٠م بالموافقة على التعديلات التي يرى وزير الزراعة إجراءها على سد العاقول والبالغ تكاليفها (١٠٠,٠٠٠) ألف ريال واعتماد المبلغ المطلوب مناقلة من فقرة التنمية الاقتصادية فصل (٣٤) لموازنة الوزارة(٣).

ولأن المدينة المنورة تتعرض في بعض الفترات إلى سيول تنحدر اليها من الجهة الجنوبية الشرقية ، كما هو الحال عندما داهمتها السيول عام ١٣٨٢هـ/١٩٧٢م حتى شارفت على الحرم ، عندها أمر الملك سعود بتكوين لجنة تألفت من : رئيس البلدية ، ومدير الأوقاف ، والحج ، ورئيس العين الزرقاء ، ومدير الزراعة للوقوف على الأودية الرئيسة التي كان لها الأثر الكبير في دفع مياه السيول إلى المدينة المنورة وقررت إنشاء سد على وادي بطحان (الشولة) الذي هو أكبر الأودية التي تحمل السيول إلى المدينة ، وقد اختير الموقع للأهداف الآتية :

- درء السيول عن المدينة المنورة أو تخفيف حدتها وحماية المباني والمزارع.
- الإفادة من مياه السيول بتخزينها لتغذية الآبار والعيون المجاورة ومنها الآبار التي حفرتها البلدية لتزويد المدينة بمياه الشرب والزراعة(٤).

---

(١) الطائف بين الموروثات والمستجدات ، الجودي ، ص١٧٤.

(٢) الصحاري الخضر ، وزارة الزراعة والمياه ، ص٣٤-٣٥.

(٣) خطاب وزير الدولة لشؤون رئاسة مجلس الوزراء رقم ١٣٩١٨/٠٤ في ١٣٨١/٥/٥هـ الى وزير الزراعة. وثائق معهد الإدارة : وثيقة رقم ١٣٩١٨/٠٤ في ١٣٨١/٥/٥هـ.

(٤) الصحاري الخضر ، وزارة الزراعة والمياه ، ص٢٢.

وقامت وزارة الزراعة والمياه بإعداد الخرائط الكنتورية والتي يمكن من خلالها معرفة مقدار كمية المياه التي يمكن تخزينها أمام السد والتي تبلغ حوالي ٥٠٠.٠٠٠ متر مكعب، وقد تصل إلى حوالي ٨٠٠.٠٠٠ متر مكعب إلى حد التخزين العلوي ، كما تبلغ مساحة الحوض المطري لسد بطحان حوالي ١٦كلم٢ ؛ إلى جانب مفيض علوي يبلغ تصريفه حوالي ١٠٠ متر مكعب بالثانية ؛ ونظرًا لأن السد يقع خلفه مزارع شاسعة فقد زود السد بخمس فتحات لتزويد تلك المزارع بالمياه؛ لسد احتياجات الري والزراعة في حالة عدم امتلاء الخزان المائي(١).

وسد بطحان من النوع الخرساني الثقلي وهو يشكل سدين متصلين على الوادي ويفصلهما جزيرة صغيرة من حمم بركانية بازلتية قابلة لامتصاص المياه ويبلغ طول السد (١٧٦) مترًا ، وقد بلغت تكاليف إنشاء سد بطحان ومنشآته حوالي ٢.٥٠٠.٠٠٠ريال ونُفّذ في غضون عامين ونصف حيث أنتهي من بنائه سنة ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م(٢).

ونتيجة للنمو السكاني الواسع لمدينة الرياض وما حولها وزيادة الطلب على المياه للشرب أو الري ، ورغبة من الدولة في تأمين المياه عن طريق تنويع الموارد المائية ومنها السدود والتي أُنشئت لا سيما على وادي حنيفة ومن أهم هذه السدود : سد وادي حنيفة الذي يقع على وادي حنيفة وعلى بعد عشرة كيلو مترًا شمال غرب مدينة الرياض ، ويعد وادي حنيفة من الأودية التي تهدد مدينة الرياض إذا ما فاضت بغزارة ، إلى جانب أن المنطقة الواقعة خلف السد عبارة عن مزارع ذات جودة عالية ؛ مما دعا إلى التخطيط لإنشاء هذا السد لسببين رئيسين : حماية مدينة الرياض من أخطار السيول ، وتغذية الآبار بمياه الشرب والري.

وقد أُنشئ السد من النوع الثقلي من الخرسانة مع واجهات مبنية من الأحجار المنحوتة من الحجر الجيري المتوفر في المنطقة ويبلغ طول السد بين جانبي الوادي ٥٦٠ مترا أما السد الخرساني فيبلغ طوله ١٥٦,٠٠مترا والباقي بطول ٤٠٤مترًا سد ركامي مكون من الأتربة والحجارة مع نواة المباني في الوسط ، أما السيول الخارجية للسد الركامي فقد بنيت من الأمام بالإسمنت والرمل ، أما السيول الخلفية فقد بنيت بالأحجار التي غُطت بخرسانة سمكها ١٥سم عام ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م ويبلغ ارتفاع الجدار الخرساني ٦,٥مترا ، والذي يعمل بوصفه مفيضًا لصرف المياه الزائدة ، وتبلغ سعة خزان السد (١.٥٠٠,٠٠٠م٣)، بهدف تغذية الآبار والعيون والمزارع خلف السد(٣).

---

(١) الصحاري الخضر ، وزارة الزراعة والمياه ، ص٢٣.

(٢) الصحاري الخضر ، وزارة الزراعة والمياه ، ص٢٣-٢٤.

(٣) الصحاري الخضر ، وزارة الزراعة والمياه ، ص٢١.

وقامت وزارة الزراعة والمياه بإنشاء سد حنيفة في موازنه ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م وبلغت تكاليف الإنشاء حوالي (١,٧١٨,١٠٠) ريال مليون وسبعمائة وثمانية عشر ومئة ريال(١).

ونظرًا لجدوى تأسيس سد وادي حنيفة قامت وزارة الزراعة والمياه على دراسة تولتها شركة (سوغريا) الهندسية ، وأوصت بإمكانية بناء سدود صغيرة وحواجز مائية على الأودية الفرعية لوادي حنيفة ، واختير ثلاثة أودية وهي(٢):

م	السد	الارتفاع/م	العرض/م	مساحة تجميع الامطار/كلم٢	كمية التخزين/م٣	وصف السد	الغرض من السد	تاريخ الانتهاء من البناء
١	صفار	٣	٣٢٥	٥٤	٢٠٠,٠٠٠	ترابي	تغذية الآبار	جمادى الأول ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م
٢	غبيرة	٦	١٧٠	٢١	٩٠,٠٠٠	ترابي	تغذية الآبار	شعبان ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م
٣	حريقة	٥	١٩٠	١٩	٨٠,٠٠٠	ترابي	تغذية الآبار	جمادى الأول ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م(٣).

وشاركت بلدية الرياض عام ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م في إنشاء سدي وادي لبن ونمار فأنشئ سد وادي لبن على أحد فروع وادي حنيفة الذي يبعد حوالي (٦)كلم غرب مدينة الرياض ، وهو من النوع الركامي ويبلغ ارتفاع السد حوالي (٨) أمتار وذلك بطول (٥٠٠) متر ، والسد مزود بمفيض بطول (٢٠) مترًا والسد يكون أمامه بحيرة لتجميع المياه يمكن أن تستوعب حوالي (٢) مليون متر مكعب ، وقد استلمت وزارة الزراعة والمياه الاشراف وصيانة هذا السد من بلدية الرياض ١٣٨٧هـ/١٩٧٧م ، وبلغت تكاليف إنشائه (١,٥٠٠,٠٠٠) ريال ، ويستفاد من المياه التي تخزن فيه لتغذية آبار المنطقة لري المزروعات(٤).

أما سد وادي نمار الذي أُسس في نفس العام ويقع على بعد (٥)كلم شمال غرب مدينة الرياض ، فتولت بلدية الرياض هذا البناء ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م ، وهو النوع الركامي ويبلغ ارتفاع السد حوالي (٨) أمتار وذلك بطول (٤٠٠) متر ،كما أن السد يمكن أن يكون أمامه حوض لتخزين المياه تبلغ مساحته وسعته حوالي (١,٥) مليون متر مكعب وقد تُسلم هذا السد من بلدية الرياض وأصبح الإشراف عليه وصيانته من وزارة الزراعة والمياه منذ عام ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م(٥).

---

(١) الصحاري الخضر ، وزارة الزراعة والمياه ، ص٢٢.

(٢) الصحاري الخضر ، وزارة الزراعة والمياه ، ص١٧-١٩.

(٣) الصحاري الخضر ، وزارة الزراعة والمياه ، ص٢٠.

(٤) الصحاري الخضر ، وزارة الزراعة والمياه ، ص٣٣.

(٥) الصحاري الخضر ، وزارة الزراعة والمياه ، ص٣٢.

وبُني سد العيينة بالجبيلة وهو من السدود القديمة التي تُكونت من الأحجار المتناثرة والاتربة بطول يصل إلى حوالي (٤٠٠) متر على وادي العيينة أحد فروع وادي حنيفة وقد نُفذ وأُنجز عدد من التحسينات عليه عام ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م(١).

وامتدادًا لخطط الدولة في التوسع في بناء السدود صدر قرار مجلس الوزراء رقم ١٠٤/٣/١٨٨٨٦ في ١٣٨٧/١/١٣هـ - ٢٢ /١٩٦٧/٤م بإضافة سد وادي حريملاء وسد ملهم إلى مشروع تنمية وادي صفار(٢) حيث أُختير موقعهما مع مواقع سدود الدرعية بواسطة لجنة من خبراء الوزارة وشركة (سوغريا) الاستشارية ، وقد أُختير سد حريملاء جنوب غرب حريملاء ٢٠٠كلم على وادي أبو قتارة أكبر الأودية اتساعًا ، بحيث يساعد على زيادة مقدار الحصاد المائي ، ويدل ذلك على أن مساحة تجميع مياه الأمطار فيه تبلغ حوالي ٣٥٠كلم٣ ، وقد صُمم سد وادي حريملاء على غرار الأنواع الركامية ، ويبلغ طول هذا السد ١٢٥٠ م ، وارتفاعه الأقصى ٦م ، وتبلغ السعة التخزينية للسد حوالي مليون ونصف متر مكعب ، كما عُمل امتداد جانبي من الناحية الغربية للسد حتى سفح الجبل بطول ٣٦٠ مترًا وذلك لتحويل كافة المياه الواردة للوادي إلى الحوض التخزيني للسد الذي يبلغ سعة خزانة ١,٥٠٠,٠٠٠م٣ ، وبلغت تكاليفه (٣,٦٠٠,٠٠٠) ريال وأُنجز سنة ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م(٣).

أما سد ملهم فقد أُختير موقعه غرب بلدة ملهم الواقعة بمحافظة حريملاء شمال مدينة الرياض حيث صمم على أساس إنشاء جدار خراساني بمجرى الوادي بطول ١٠٠متر وبارتفاع أربعة أمتار ونصف ، وتبلغ السعة سعته التخزينية حوالي ٢٠٠,٠٠٠م٣ ، وبلغت تكاليف السد ١,٩,٠٠,٠٠٠يال ، وأُنجز سنة ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م(٤).

واعتمد ضمن ميزانية عام ١٣٩٣/١٣٩٤هـ-١٣٧٣/١٣٧٤م بالرقم ٢٨/٠/١١٧ مشروع إنشاء سد الحائر على وادي حنيفة(٥). حيث صدر قرار مجلس الوزراء رقم ٧٢٧ في ١٣٩٤/٥/٢٨هـ بالموافقة على تكلفة المشروع التي بلغت (٦,٠٠٠,٠٠٠) ستة ملايين ريال(٦).

---

(١) الصحاري الخضر ، وزارة الزراعة والمياه ، ص٣٣-٣٤.

(٢) وثائق معهد الإدارة : وثيقة رقم ١٨٨٨٦/٠٤ في ١٣٨٧/١/١٣هـ.

(٣) الصحاري الخضر ، وزارة الزراعة والمياه ، ص١٧-١٩.

(٤) الصحاري الخضر ، وزارة الزراعة والمياه ، ص٢٠.

(٥) خطاب رئيس ديوان رئاسة مجلس الوزراء رقم ٢/٤٠٦٦١ في ١٣٩٤/٦/٥هـ الى وزير الزراعة والمياه . وثائق معهد الإدارة وثيقة رقم ٤٠٦٦/٠٤ في ١٣٩٤/٦/٥هـ.

(٦) خطاب رئيس ديوان رئاسة مجلس الوزراء رقم ٢/٤٠٦٦١ في ١٣٩٤/٦/٥هـ الى وزير الزراعة والمياه . وثائق معهد الإدارة وثيقة رقم ٤٠٦٦/٠٤ في ١٣٩٤/٦/٥هـ.

وفي منطقة عسير أُنشئ سد أبها الذي يقع غرب مدينة أبها ، حيث تم في ٤ /٤/ ١٣٨٨هـ- ٣٠ /١٩٨٦/٦م حيث تم توقيع اتفاقية مع شركة (ايطال كونسلت) لإعداد الدراسات والتسميات النهائية للمشروع وتبلغ تكاليف اعداد الدراسة للمشروع (٩٥٤.٠٠٠) تسعمائة وأربعة وخمسين ألف ريال ومدتها ثمانية اشهر على أن يعلن عن مناقصة السد في مناقصة عالمية ، وهو من النوع الخراساني ، وسعته التخزينية (٢١٣٠٠٠) متر مكعب ، وطوله (٣٥٠) مترًا والارتفاع (٣٣) مترًا ، وبلغت تكاليف إنشائه (٢٩) مليون ريال ، وأُفتتح في شهر ربيع الثاني عام ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م تحت رعاية صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبدالعزيز وزير الداخلية في تلك الفترة(١).

وفي منطقة جازان قامت وزارة الزراعة والمياه في عام (١٣٧٢هـ/١٩٥٢م) بالتعاون مع منظمة الأغذية والزراعة (FAO) بإعداد تقارير ودراسات لوادي جازان ، وأشارت هذه الدراسات إلى وجود إمكانات زراعية كبيرة في منطقة وادي جازان ، وتضمنت اقتراحًا بإقامة سد في المنطقة للتحكم في مياه الأمطار الموسمية لدرء أخطار السيول وللحد من اضرار الفيضانات التي كانت تهدد الأراضي الزراعية والسكان وتسبب خسائر مادية للذين يعتمدون في دخلهم الرئيس على الزراعة ، وقد أُختير موقع السد في "ملاكي" على بعد (٥٠) كم شرق مدينة جازان بين سلسلة من الجبال تنتهي بسهل ساحلي صالح للزراعة وتتجمع فيه عدد من الأودية في منطقة تلاقي خمسة أودية وبين سلسلة من الجبال المرتفعة التي تنتهي من الناحية الغربية بسهل ساحلي ينتهي تدريجيًا نحو البحر الأحمر ، ويبلغ عرض الحزام الساحلي من الأرض المنبسطة الصالحة للزراعة حوالي (٤٠) كلم ، ويساعد على الإفادة من هذا السد ارتفاع نسبة الرطوبة في منطقة جازان لقربها من البحر إلى جانب ارتفاع المعدلات المطرية التي تبلغ على الساحل حوالي (٢٢) ملمتر في السنة وتهطل الأمطار في المنطقة على فترتين ، والفترة الصيفية خلال شهري أغسطس وسبتمبر والفترة الشتوية في شهري ديسمبر وينابر وسقوط الأمطار بهذه المعدلات في الموسمين الشتوي والصيفي تجمع سيولًا عارمة تنساب من ضفاف الوديان في طريقها إلى البحر دون فائدة ، وهذا السد من النوع الخرساني ويبلغ طوله بين الجبلين (٣١٦) مترًا ، وعرضه عند القاعدة (٤٠) مترًا ، وعند القمة (٣٨٥) مترًا وسعته التخزينية (٧٥) مليون متر مكعب ، وتغطي بحيرته مساحة (١٤٠٩) هكتار ، ولقد بدأ تنفيذ هذا المشروع الذي يُعد من أكبر وأهم المشاريع التي قامت بها المملكة في هذا المجال في عام (١٣٨٧هـ/١٩٦٧م) ، واختيرت شركة هوكتيف الألمانية لتنفيذه وشركة ايتالكونست للإشراف على التنفيذ(٢). افتتح السد في شهر محرم عام (١٣٩١هـ/١٩٧١م) وقد بلغت تكاليف إنشائه (٤١,٠٠٠,٠٠٠) ريال وللمشروع ميزانية سنوية

---

(١) تحد وإنجاز ، وزارة الزراعة والمياه ، ص٣١١ ؛ الصحاري الخضر ، وزارة الزراعة والمياه ، ص٣٥-٣٦.

(٢) الضراب ، ابراهيم بن عبدالرحمن ، وزارة الزراعة والمياه ، وحدة التخطيط والبرامج والمشروعات الانمائية ، محرم ١٣٩٤هـ ، فبراير ١٩٧٤م ، ص٣٩ — ٤٠.

خاصة بالتشغيل والصيانة(١)، وقد أُنشئت نظام قنوات ري توزيعية تشكل جزءً من مشروع الري بوادي جازان انتهت عام ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م ويتحكم هذا النظام في توزيع المياه لمساحة تزيد عن (٣٠٠٠) هكتار(٢).

والسد مزود ببوابتين لتصريف المياه ونفق داخل جسم السد لأعمال المراقبة والتشغيل والصيانة ويستفاد من المياه المحجوزة لري ما يقارب من (١٠٠٠٠٠) هكتار وقد أنشئ نظام قنوات ري توزيعية تشكل جزءا من مشروع الري بوادي جازان انتهت عام ١٣٩٧هـ ويتحكم هذا النظام في توزيع المياه لمساحة تزيد عن (٣٠٠٠) هكتار ، وأفتتح السد في محرم ١٣٩١هـ/١٩٧١م تحت رعاية صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبدالعزيز وزير الداخلية آنذاك(٣).

وقد صدر قرار مجلس الوزراء رقم ١٣٦٧ في ١٣٩٦/٨/٢٣هـ - ١٨ /١٩٧٦/٨م بتأسيس سد وادي نجران(٤) والذي يقع على بعد (٣٥) كيلو مترا جنوب غرب مدينة نجران ، وهو خراساني مقوس بنصف قطر (١٤٠) متراً وعرض (٩,٥) متر ، وسعته التخزينية (٨٦) مليون متر مكعب ، ويبلغ الارتفاع (٧٣) متراً وطول (٢٧٤) متراً ، وتكاليف الإنشاء (٢٧٧) مليون ريال وعرض الطريق (٤,٥) متر ، واكتمل تنفيذه عام ١٤٠٠هـ /١٩٨٠م(٥).

وقد أُنشئ طريقان أحدهما (٦) كيلو مترات يبدأ من قمة الكتف الأيمن للسد ويؤدي إلى قرية الموفجة(٦)، وقد شق أغلب الطريق من الموفجة في سفح المضيق على ارتفاع أدناه (٣,٥) متر فوق مستوى قاع الوادي ويمر خلال نفقين طولهما على التوالي (١٥٠٠) متر و(٤٠٠) متر ويمتد عبر الوادي على جسر من الخرسان بطول (٥٠) مترا ، أما الطريق الآخر فيبلغ طوله (٧٠٠) متر ويبدأ من الواجهة العليا من قمة الكتف الأيسر للسد إلى البحيرة وقد أفتتح السد في شهر رجب ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م تحت رعاية صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز وزير الداخلية (٧).

---

(١) وزارة الزراعة والمياه ، وحدة التخطيط : المرجع السابق ، ص٤١ — ٤٢.

(٢) تحد وإنجاز ، وزارة الزراعة والمياه ، ص٣٨٩.

(٣) تحد وإنجاز ، وزارة الزراعة والمياه ، ص٣١١.

(٤) وثائق معهد الإدارة وثيقة رقم ٣٣٢٢٣/٠٤ في ١٣٩٦/٨/٢٣هـ.

(٥) تحد وإنجاز ، وزارة الزراعة والمياه ، ص٣١١.

(٦) الموفجة : قرية زراعية غزيرة المياه كثيرة البساتين ، تقع في حلق وادي نجران بعد السد. بين مكة وحضرموت (رحلات ومشاهدات) ، البلادي ، عاتق بن غيث ، ، ط١ ، دار مكة للنشر والتوزيع ، مكة المكرمة ، ١٤٠٢هـ ، ص١٩١؛ صفة جزيرة العرب ، الهمداني ، الحسن بن أحمد ، تحقيق محمد بن علي الأكوع ، منشورات دار اليمامة ، الرياض ، د.ط ، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م ؛ المسري ، حسين ، نجران ودورها السياسي والاقتصادي ، مجلة المؤرخ المصري ، ع٩ ، يوليو ١٩٩٢م، ص ٤٤.

(٧) تحد وإنجاز ، وزارة الزراعة والمياه ، ص٣١١.

وفي شمال غرب محافظة بلدة حوطة سدير بالقصيم تم تشييد سد وادي العنانية ، وقد أعتمد هذا السد في ميزانية الدولة لعام ١٣٨٤/١٣٨٣هـ – ١٩٦٤/١٩٦٣م وقد صمم من النوع الركامي ، وقد بلغ طول السد بين جانبي الوادي (١٨٠) مترًا بارتفاع (٨) أمتار وبعرض من أعلى وعرض بمجرى الوادي (٥٧) مترًا ويعتبر هذا السد من السدود التحويلية وليس التخزينية؛ لأن الهدف منه تحويل الماء إلى بلدة حوطة سدير ؛ للإفادة منها في تغذية الآبار وري الزراعات والنخيل في المنطقة ، وبما أن السد من النوع الركامي فإن الغرض منه حجز المياه ثم تحويلها بواسطة قناة شقت في الصخر بطول حوالي (٧٥٠) مترًا وبعرض للقاع أسفل مجراها (١٥) مترًا ، وقد بلغت تكاليف إنشاء هذا السد وقناة التحويل حوالي (١,٣٦٠.٠٠٠) ريال وانتهي منه سنة ١٣٨٥/١٩٦٥م(١).

وفي المجمعة بُني سد على بعد ٧ كلم من مدينة المجمعة على ملتقى وادي السنجر والدش لكي يحجز سيول وادي النمل الذي يعتبر أهم أودية هذه المنطقة ، وهو من النوع الركامي والذي بلغ طوله (٣٦٠) مترًا وبارتفاع (١١) مترًا من منسوب أسفل الوادي بالإضافة إلى مفيض من الخرسانة بارتفاع (٩) أمتار وبطول (٥٠) مترًا وقد زود المفيض بفتحة للتصريف؛ لري الزراعات الخلفية يمكن قفلها أو فتحها وقت الاحتياج أو في حالة عدم ارتفاع المياه حتى تصب فوق المفيض(٢). وقد أُعيد دراسة هذا السد وتصميمه والاشراف عليه من قبل شركة سوغريا الاستشارية ، ونفذ بواسطة شركة تاموسا في مدة عام واحد ، وبلغت التكاليف الكلية لإنشاء السد حوالي (٤.٠٠٠,٠٠٠) ريال وانتهى العمل منه سنة ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م(٣).

ومن أهم فوائد هذا السد تخزين ما يقرب من (١,٥) مليون متر مكعب تساعد وتزيد من تصريفات الآبار المجاورة التي تستعمل لأغراض الزراعة والشرب ، إلى جانب حماية بلدة المجمعة من السيول العارمة التي كانت سببًا في قلق بعض السكان(٤).وصدر قرار مجلس الوزراء رقم ١٦٦ في ١٣٩٩/٦/٢٥هـ بصرف مبلغ (٦,٢٧٥,٢٩٦) ستة ملايين ومائتين وخمسة وسبعين الفًا ومائتين وستة وتسعين ريالًا لشركة النمال المنفذة لسد وادي الرمة بالقصيم(٥).

وكان في حرمة سدير حائط أثري قديم لحماية الأراضي الزراعية وبعض المباني على الجانب الأيمن لوادي المجمعة والتي تبعد حوالي (٢٠) كلم من سد المجمعة ، ويبلغ طول الحائط الواقي لروضة سدير حوالي (٤٠٠) مترًا وهو حائط حجري ولكن الوزارة قامت بترميم هذا الحائط بتبطينه بالخرسانة وتعلية الحائط

---

(١) الصحاري الخضر ، وزارة الزراعة والمياه ، ص٢٤.

(٢) الصحاري الخضر ، وزارة الزراعة والمياه ، ص٣١.

(٣) الصحاري الخضر ، وزارة الزراعة والمياه ، ص٣١.

(٤) الصحاري الخضر ، وزارة الزراعة والمياه ، ص٣١.

(٥) قرار مجلس الوزراء رقم ١٦٦ في ١٣٩٩/٦/٢٥هـ. وثائق معهد الإدارة ، وثيقة رقم ١٦٦/٠٤ في ١٣٩٩/٦/٢٥هـ.

حتى يبلغ ارتفاعه (٣,٥) أمتار بحيث يُحافظ على المياه التي تسيل في وادي أشجير مارة من سد المجمعة مع تحويل هذه المياه إلى المزارع الجانبية للإفادة من مياه السيول المتدفقة لتغذية الآبار(١).

وحرصت الوزارة خلال هذه المرحلة على تنفيذ الترميمات والصيانة اللازمة للسدود كما هو الحال عندما صدرت موافقة مجلس الوزراء رقم ١٣٨٩٦/٠٤ في ١٣٨١/٥/١٢هـ - ٢١ /١٩٦١/١٠م بالموافقة على قيام وزارة الزراعة بتأمين معدة (تراكتور) لصيانة سد وادي حنيفة وصرف المبالغ اللازمة من الاعتماد المرصود بميزانية الوزارة لعام ١٣٨١/١٣٨٠هـ باسم صيانة مشاريع التخزين والصرف(٢)، كما صدر قرار مجلس الوزراء رقم ١٥٩٣١/٠٤ في ١٣٨٣/٩/٨هـ - ٢٢ /١٩٦٤/١م بالموافقة على اعتماد مبلغ (٩٠٠,٠٠٠) ألف ريال لترميم سد وادي نمار ، وعلى صرف (٥٠%) من القيمة للمقاول مقدمًا لتسهيل سرعة إنجاز الأعمال اللازمة للترميم(٣).ومما سبق يتضح أن المرحلة الأولى من مرحلتي التوسع في بناء السدود خلال فترة الدراسة كان قائمًا على الاحتياجات والأولويات الضرورية التي تهدف إلى توفير مياه الشرب أو الري أو لمنع الفيضانات ، وشارك في هذه المرحلة مع وزارة الزراعة والمياه ووزارة البلدية والشؤون القروية للإفادة من هذه السدود في تنفيذ برامجها وخدماتها.

أما المرحلة الثانية من مراحل التوسع في بناء السدود في المملكة خلال فترة الدراسة والممتدة من عام ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م فقد شهد قطاع السدود تطورًا ملحوظًا ، حيث كان العدد قبل ذلك العام (١٦) سدًا فقط ، وبطاقة تخزينية قدرها (٦٦) مليون متر مكعب من المياه فقط ، فارتفع العدد إلى (٦١) سدًا عام ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م وبطاقة تخزينية قدرها (٢٥٨) مليون متر مكعب ، وهذا يبين أن عددها وطاقتها التخزينية زاد ثلاثة أضعاف عما كانت عليه في عام ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م بنهاية عهد الملك خالد عام ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، وهذا يفسر الدعم الكبير الذي حظي به قطاع السدود من الدولة إدراكًا لأهميته ولدوره الفاعل في تطوير وتنمية القطاع الزراعي بتوفير المياه ، حيث أصبح من الثابت عدم جدوى الزراعة بالاعتماد على مياه الأمطار ، فسعت وزارة الزراعة والمياه لتوفير مصادر بديلة كان أهمها إنشاء السدود(٤).وعندما نرصد المرحلة الثانية ١٣٩٥-١٤٠٢هـ/١٩٧٥-١٩٨٢م من مراحل التوسع في بناء السدود خلال فترة الدراسة نجد العدد التراكمي للسدود وسعتها لتخزينية على النحو الآتي(٥) :

---

(١) الصحاري الخضر ، وزارة الزراعة والمياه ، ص٣٥.

(٢) وثائق معهد الإدارة : وثيقة رقم ١٣٨٩٦/٠٤ في ١٣٨١/٥/١٢هـ.

(٣) وثائق معهد الإدارة : وثيقة رقم ١٥٩٣١/٠٤ في ١٣٨٣/٩/٨هـ.

(٤) خالد بن عبدالعزيز سيرة ملك نهضة مملكة ، الدعجاني ، أحمد : ، ط١ ، الرياض ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م ، ص٢٠٩.

(٥) السلاسل الزمنية للإحصاءات الزراعية في المملكة خلال ثلاثة عقود ١٤٢٦/١٤٢٥هـ-١٣٩٢/١٣٩١هـ (١٩٧١-٢٠٠٦م) ، وكالة الوزارة لشؤون الأبحاث والتنمية الزراعية ، إدارة الدراسات والتخطيط والإحصاء ، الرياض ، ١٤٢٣هـ ، ص١٨.

السنة	العدد	السعة (ألف متر مكعب)
١٣٩٥هـ/١٩٧٥م	١٩	٦٥١٣٠
١٣٩٦هـ/١٩٧٦م	٢٦	٧٢١٨٠
١٣٩٧هـ/١٩٧٧م	٢٨	٧٥٦٨٠
١٣٩٨هـ/١٩٧٨م	٣٢	٧٩٥٨٠
١٣٩٩هـ/١٩٧٩م	٣٧	٨٣٠٨٠
١٤٠٠هـ/١٩٨٠م	٤١	١٧٢٤٨٠
١٤٠١هـ/١٩٨١م	٤٦	١٩٤٢٦٠
١٤٠٢هـ/١٩٨٢م	٦١	٢٤١٢٨٥

وفيما يلي عدد السدود التي نُفذت وسعتها التخزينية والغرض من إنشائها من عام ١٣٩٥ -١٤٠٢هـ/١٩٧٥-١٩٨٢م(١):

السنة	التحكم	السعة	الري	السعة	التعويض	السعة	المجموع	السعة
	العدد	ألف/م٣	العدد	ألف/م٣	العدد	ألف/م٣	العدد	ألف مم٣
١٣٩٥هـ	١		–	–	٢	٢٧٥٠	٣	٢٩٥٠
١٣٩٦هـ	٢		–	–	٥	٤٧٥٠	٧	٨٠٥٠
١٣٩٧هـ	–		–	–	٢	٣٥٠٠	٢	٣٥٠٠
١٣٩٨هـ	١		–	–	٣	٢٩٠٠	٤	٣٩٠٠
١٣٩٩هـ	١		–	–	٤	١٢٥٠٠	٥	١٤٥٠٠
١٤٠٠هـ	٣		–	–	١	٤٠٠	٤	٨٩٤٠٠
١٤٠١هـ	–		–	–	٥	٢١٧٨٠	٥	٢١٧٨٠
١٤٠٢هـ	٤		١	٥٠٠	١٠	١٠٢٠٠	١٥	٤٧٤٢٥
المجموع	١٢		١	٥٠٠	٣٢	٥٨٧٨٠	٤٥	١٩١٥٠٥

ومن الواضح أن المملكة كانت تمر بفترات تتزايد فيها الحاجة للمياه وبشكل كبير في ظل النمو السكاني، وارتفاع مستوى المعيشة للمواطنين ، كما هو الحال عام ١٣٩٧هـ/١٩٧٩م عندما استعرض مجلس الوزراء المذكرة المرفوعة من وزير الزراعة والمياه بالخطاب رقم ١٣٣٦/١ في ١٣٩٧/٩/١٦هـ - ٩/٩/١٩٧٦م المتضمن الإشارة إلى الحاجة المتزايدة على مياه الشرب في مختلف مدن وقرى وبادية المملكة والتي أصبحت واقعًا يتطلب الأمر معالجته ، وتضمن الخطاب أن شح المياه مشكلة تعيشها الكثير من مدن وقرى المملكة ، في ظل الكثافة السكانية المتزايدة إلى جانب الاستهلاك الكبير للمياه عن السابق ، وبين أن الوزارة قد لمست بحكم اختصاصها وتجاربها ومعايشتها لهذه التحديات والتي تتطلب دراسة هذا الواقع وتنفيذ الحلول عاجلة تجاهه(٢).

وبيَّن أن الوزارة أقامت بعض مشاريع المياه الصغيرة وأغلبها يعاني من قلة المياه ومن سوء نوعيتها ، كما أن هناك مواقع أخرى تؤمن لها الوزارة مياه الشرب بواسطة الصهاريج ؛ نظرًا لعدم وجود مصادر مياه ثابته

---

(١) تحد وإنجاز ، وزارة الزراعة والمياه ، تحد وإنجاز ، ص٤٠٧-٥٨٩ ؛ الملك خالد بن عبدالعزيز ، خياط ، ص٥١٢ ؛ التطور الزراعي في عهد الملك خالد ، الجحيني ، ص٨٦.

(٢) وثائق معهد الإدارة : وثيقة رقم ٤/١٢٠٨ في ١٣٩٧/٩/١٦هـ.

يمكن الاعتماد عليها لإقامة مشاريع المياه وحتى هذه المواقع فإنها تشكو من قلة الكميات الموردة لها وعدم وفائها بحاجة المواطنين وإلى جانب هذا فهناك مواقع أخرى لم تنل نصيبها بعد لتأمين المياه ؛ لذلك فان سكانها يتزودون بمياه الشرب بوسائلهم الخاصة والتي تتمثل في طرق بدائية ومن مياه غير صالحة للشرب وغير متوفرة في أغلب الأوقات.

وذكر وزير الزراعة في تقريره أنه أمام هذا الواقع تبنت الوزارة برنامجًا موسعًا لتوفير مياه الشرب لكافة مدن البادية ومواردها وأعدت الدراسات والتصاميم اللازمة لذلك على النحو الآتي :

-تدعيم مصادر المياه وتحسين الشبكات الحالية للمدن وذلك بإيجاد مصادر مياه جديدة وامداد الأحياء الجديدة فيها لتلبية احتياجات السكان في هذه المناطق.

-إيجاد مصادر مياه بديلة للمصادر الحالية بسبب نضوب المياه في السدود والآبار أو انخفاض منسوب المياه الجوفية أو تغير نوعيتها حيث أصبحت غير صالحة للشرب.

-حفر آبار وتمديد شبكات لمواقع جديدة في القرى والهجر وموارد البادية ومراكز الحدود.

-تزويد القرى والهجر التي لا تتوفر فيها مياه صالحة للشرب بالمياه بواسطة الصهاريج.

-القيام بتشغيل مشاريع الشرب وصيانتها.

-العمل على معالجة المياه غير الصالحة للشرب وذلك بتنقيتها وتعقيمها لتكون صالحة للشرب.

ووضح التقرير أن الوزارة تقدمت ببرنامجٍ في مشروع ميزانيتها للعامين الماليين ١٣٩٧/١٣٩٦هـ وتنتظر اعتماده ، كما أفاد أن المبالغ المعتمدة في ذلك العام ١٣٩٨هـ بلغ (٥) ملايين ريال فقط من تكلفة المشاريع الصغيرة البالغ مجموع تكاليفها (١٦٥) مليون ريال ، كما لم يعتمد حفر (١٨٠) بئرًا ارتوازية ، و(٣٠١) بئرًا يدوية ، وطي وتعميق (٧٩) بئرًا يدوية في مواقع متفرقة من المملكة(١).

وعرضت الوزارة على مجلس الوزراء أهمية إنشاء السدود والتوسع فيها لدورها الواضح في تغذية مصادر المياه ، واعتمادًا على خطة الوزارة الخمسية الثانية المتضمنة إنشاء (٥٠) سدًا فقد تقدمت الوزارة في ميزانيتها عامي ١٣٩٧/١٣٩٦هـ /١٣٩٨/١٣٩٧هـ بـ (١٠٠) سد التي قررت تنفيذها، وطلبت الوزارة من المجلس اعتماد مبالغ لمشاريعها خاصة السدود فقرر مجلس الوزراء الموافقة على ما يأتي :

أولًا : اعتماد ميلغ (٣٠٠,٠٠٠,٠٠٠) ثلاثمائة مليون ريال بوصفها حدًا أدني لمشاريع مياه الشرب بتكلفة كلية يخصص منها للصرف هذا العام ١٣٩٨/١٣٩٧هـ (٢٠٠,٠٠٠,٠٠٠) مائتا مليون ريال وذلك لتنفيذ بعض مشاريع المياه الضرورية والعاجلة.

---

(١) وثائق معهد الإدارة : وثيقة رقم ٤/١٢٠٨ في ١٣٩٧/٩/١٦هـ.

ثانيًا : اعتماد مبلغ (٣١٢,٠٠٠,٠٠٠) ثلاثمائة واثني عشر مليون ريال بوصفها تكلفة كلية يخصص منها هذا العام (١٠٠,٠٠٠,٠٠٠) مائة مليون وبقية التكاليف ، توزع على العامين الماليين القادمين وذلك لإنشاء عشرة سدود الأولى من القائمة المقترحة على أن تُعتمد تكاليف تنفيذ بقية السدود الواردة في هذه القائمة خلال الأعوام المالية القادمة(١).

وقد قرر مجلس الوزراء الموافقة على ما عُرض ووجهت إليه وزارة المالية والاقتصاد الوطني بتوفير المبالغ اللازمة، وقائمة السدود المقترحة لعام ١٣٩٧/١٣٩٨هـ وهي :

م	اسم السد	التكلفة التقديرية (مليون ريال)
١	سد حوطة بني تميم	٣٠,٠٠٠,٠٠٠
٢	سد وادي سنان بالزلفي	١٣,٥٠٠.٠٠٠
٣	سد وادي سراة بالمخزمة بسراة عبيدة	٦.٥٠٠,٠٠٠
٤	سد وادي تماء ببلقرن	١٣,٠٠٠,٠٠٠
٥	سد وادي الجنابي بالدوادمي	٣٢,٠٠٠,٠٠٠
٦	سد وادي الشرائع بمكة المكرمة	١٨,٠٠٠,٠٠٠
٧	سد وادي الغيل بالأفلاج	١٣,٠٠٠,٠٠٠
٨	سد وادي تربة بالطائف	١٥٠.٠٠٠,٠٠٠
٩	سد وادي صلبوخ قرب سدوس بالرياض	١٧,٥٠٠,٠٠٠
١٠	سد وادي العاقول بالمدينة المنورة	٢٠,٠٠٠,٠٠٠
١١	سد وادي العيص بالرقة	٨,٠٠٠,٠٠٠
١٢	سد وادي ستراه بالنماص	١٢,٠٠٠,٠٠٠
١٣	سد وادي غضار ببلاد بلقرن	١٢,٠٠٠,٠٠٠
١٤	سد وادي المنحنى بأشيقر	١,٠٠٠,٠٠٠
١٥	سد وادي العيص بعسير	١٦,٥٠٠,٠٠٠
١٦	سد وادي المعترضة برغبة	٢٠,٠٠٠,٠٠٠
١٧	سد وادي بيده بالطائف	١٤,٠٠٠,٠٠٠
١٨	سد وادي الأمالح بحوطة سدير	٢٠,٠٠٠,٠٠٠
١٩	سد وادي عتود بخميس مشيط	٢٤,٥٠٠,٠٠٠
٢٠	سد وادي البار والصر بحائل	٢٨,٠٠٠,٠٠٠
٢١	سد وادي القويعية	١٨,٠٠٠,٠٠٠
٢٢	سد وادي النسف بالقويعية	٨,٥٠٠,٠٠٠
٢٣	سد وادي الجريسية وادي الذهب بالمدينة المنورة	١٥,٠٠٠,٠٠٠
٢٤	سد وادي عنم بسراة عبيدة	٨,٠٠٠,٠٠٠
٢٥	سد وادي قرية العليا بالطائف	١٤,٠٠٠,٠٠٠
٢٦	سد وادي حجيلا بالقويعية	١٢,٥٠٠,٠٠٠
٢٧	سد وادي الداهنة بالوشم	٨,٠٠٠,٠٠٠
٢٨	سد وادي ميسان بالطائف وخمسة عقوم فرعية	٣٥,٥٠٠,٠٠٠
٢٩	سد وادي أمام محطة أبو حصاني بوادي فاطمة	٣٠,٠٠٠,٠٠٠
٣٠	سد وادي الفرعة بينبع النخل	٨٠,٠٠٠,٠٠٠

---

(١) المصدر نفسه.

٣١	سد وادي العمارية بالرياض	٣٦,٠٠٠,٠٠٠[1].

وقد واجهت وزارة الزراعة والمياه مشكلة عدم القدرة على تنفيذ التصميمات الهندسية الخاصة بتلك السدود لقلة عدد مهندسيها البالغ عددهم في تلك الفترة ستة مهندسين ؛ ونظرًا لارتباطهم بأعمال أخرى منها الاشراف على تنفيذ السدود الجاري تنفيذها أو تصميم ودراسة مشاريع السدود المراد تنفيذها وطلبه الاعتمادات اللازمة لها في ميزانية ١٣٩٦/١٣٩٧هـ ؛ لذلك قررت الوزارة الاستعانة بأحد المكاتب الاستشارية السعودية للقيام بأعمال الدراسة والتصميم والإشراف على تنفيذ حوالي عشرة سدود سنويًّا للإسراع بتنفيذ برنامج السدود المقرر في خطة الوزارة وقد أعتمدت عشرة ملايين ريال لهذا الهدف بميزانية العام المالي ١٣٩٥/١٣٩٦هـ ورأت الوزارة أن يكون التعاقد مع المكتب الاستشاري الذي سيقوم بهذا الدور عن طريق التكليف المباشر ، وقد قامت وزارة الزراعة والمياه بتوجيه الدعوة إلى عدد من المكاتب الاستشارية السعودية المتخصصة بتقديم عروضها وفتحت مظاريف العملية بتاريخ ١٣٩٦/١/٩هـ ١٠ يناير ١٩٧٦م ، ودُرست العروض المقدمة من النواحي الفنية والمالية ، وبعد دراسة العروض وتحليلها رُشح العرض المناسب وهو المقدم من مكتب المجموعة الاستشارية الهندسية (نجاتي وكشميري) والذي تبلغ قيمته في المتوسط حوالي (٤,٠٦٥,٠٠٠ريال) أربعة ملايين وخمسة وستين الف ريال مقابل التصميم والإشراف على عشرة سدود ، واعتمادًا على هذه المسوغات والخطوات رفع وزير الزراعة والمياه خطابه رقم ٦٦/٥٢٣/٢٣ في ١٣٩٦/٢/٩هـ ٩ /١٩٧٦/٢م إلى مجلس الوزراء يعرض الموضوع ويتطلع للموافقة على التعاقد بالتكليف المباشر مع مكتب المجموعة الاستشارية الهندسية (نجاتي وكشميري) ، وبعد اطلاع مجلس الوزراء على توصية اللجنة التحضيرية رقم ٢٤ في ١٣٩٦/٥/١٨هـ ١٦ /١٩٧٦/٥م ، قرر الموافقة على طلب الوزارة مع مراعاة شروط المناقصات والأنظمة المتبعة[2].

ويتضح خلال هذه المرحلة حرص الدولة ووعيها ومرونتها في التعامل مع مستجدات الطلب المتزايد على المياه في ظل توسع المدن ونمو السكان ، وذلك بالتوسع في المصادر المائية والتي من أهمها السدود فبُنيت عشرات السدود ، كما أن هذه المرحلة التاريخية في عمومها وفرت الكثير من التجارب والخبرات وهيأت لمرحلة جديدة ساعدت على التوسع في بناء السدود حتى أصبحت مئات السدود .

– دور السدود في دعم الموارد المائية :

بناءً على سياستها الزراعية والمائية اتجهت الدولة إلى بناء السدود لدعم مواردها المائية وكان لهذا الاتجاه دوره في تحقيق الكثير من الأهداف في هذا الشأن وفيما يلي نعرض بالأمثلة التي يبرز من خلالها دور السدود في دعم الموارد المائية ، فسد وادي عكرمة على سبيل المثال بُني للأهداف الآتية :

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) وثائق معهد الإدارة : وثيقة رقم ٤/٨٣٤ في ١٣٩٦/٥/٢٤هـ.

–حماية المناطق السكنية المقامة داخل مدينة الطائف ، وعلى جانبي وادي وج من الفيضانات التي كانت تعقب هطول الأمطار ؛ وذلك لأنه يصب في وادي الوهط ما يقرب من سبعين شعبًا كبيرًا من بلاد قريش غربًا والطلحات شرقًا وجنوبًا ، حول جبل برد الشهير جنوب غرب محافظة الطائف.

–الإفادة من تجمع المياه عند تسربها لطبقات الأرض الدنيا ، مما يجعلها تزيد من مياه عيون الطائف ، كعين الوهط(١) ، والمثناه(٢) ، وشبرا(٣) ، وغيرها من الآبار المجاورة.

– الإفادة من طمي السيول بعد جفافها في الزراعة حيث يتم نقل الكثير منه إلى البساتين المجاورة(٤).

وفي منطقة الرياض وما حولها تم استثمار وادي حنيفة وفروعه لبناء عدد من السدود والتي من أهمها سد وادي حنيفة والذي تبلغ سعته التخزينية (٣,٥٠٠.٠٠٠) ثلاثة ملايين وخمسمائة ألف ﷼ متر مكعب(٥).

وهذا السد كان له دور في دعم الموارد المائية من حيث :

أولًا : تغذية رواسب الوادي للحفاظ على مخزون الآبار والعيون التي تمد مدينة الرياض بمياه الشرب ، إلى جانب ري المزارع والنخيل خلف السد عند شح الأمطار.

ثانيًا : نزع الطمي المتراكم أمام السد الذي يقلل سعة الحوض كذلك سد مسام التربة وعدم تسرب المياه المخزونة إلى الطبقات الجوفية الحاملة للمياه التي من شأنها تغذية الآبار والعيون بالماء(٦).

ثالثًا : حماية مدينة الرياض من أخطار السيول؛ نظرًا لأن وادي حنيفة يعد من الأودية التي تهدد هذه المدينة إذا ما فاضت بغزارة ، إلى جانب أن خلف السد مزارع ذات جودة عالية(٧). أما سد وادي لبن وهو أحد فروع وادي حنيفة والمزود بمفيض بطول (٢٠) مترا وأمامه بحيرة لتجميع المياه يستوعب حوالي (٢) مليون م٢ فأفيد من المياه التي تخزن فيه لري المزروعات(٨).

---

(١) عين الوهط : أحد الأماكن الأثرية غرب الطائف يفصلها عن المثناة الطريق الدائري الذي يربط بين الشفا وشهار. المعجم الأثري لمحافظة الطائف ، الحارثي ، ناصر بن علي ،ط١ ، لجنة المطبوعات في التنشيط السياحي ، محافظة الطائف ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م ، ص٨٨.

(٢) المثناة : من أشهر المواقع التاريخية في مدينة الطائف تقع على امتداد وادي وج وتشتهر بمزارعها ومياهها واجواءها المعتدلة وبها الكثير من المعالم الأثرية. المعجم الأثري لمحافظة الطائف ، الحارثي ، ص٩٢.

(٣) شبرا : من الأحياء الأثرية القديمة في مدينة الطائف وبالقرب من وادي وج وبه عدد من المعالم التاريخية من أهمها قصر شبرا الشهير. المعجم الأثري لمحافظة الطائف ، الحارثي ، ص٩٤.

(٤) الطائف بين الموروثات والمستحدات ، الجودي ، ص١٧٤.

(٥) تحد وإنجاز ، وزارة الزراعة والمياه ، ص٣١١.

(٦) الصحاري الخضر ، وزارة الزراعة والمياه ، ص٢١.

(٧) الصحاري الخضر ، وزارة الزراعة والمياه ، ص٢١-٢٢.

(٨) الصحاري الخضر ، وزارة الزراعة والمياه ، ص٣٣.

وسد وادي العيينة أحد فروع هذا الوادي ، بُني بحيث يكون أمامه بحيرة تسع حوالي مليون متر مكعب ، والحوض التخزيني من الأحجار التي يتخللها فلوق أو شقوق يكون له دور في السماح للمياه بالتسرب إلى باطن الوادي ، وهذه الظاهرة واضحة إذ نشأت عين طبيعية خلف السد بسفح الوادي القابل للزراعة وهذه العين منذ امتلائها بالماء ينبع منها الماء وتروى مساحات كبيرة من الأراضي ؛ لأن الوادي يكون أرضًا صالحة للزراعة تكونت من الرواسب الطينية تراكمت على مر الأعوام ولهذا السد دور في تغذية الآبار المجاورة ، والإفادة من مياه التخزين في الزراعة لري الينابيع وتغذية الآبار ، إلى جانب حماية الزراعات الواقعة في مجرى الوادي من الفيضانات المدمرة التي قد تداهم الوادي(١).

أما الدرعية التي بنيت سدودها على فروع وادي حنيفة وهي : وادي صفار (٢٠٠,٠٠٠م٣) ، ووادي غبيرة (٩٠,٠٠٠م٣) ، ووادي حريقة (٨٠,٠٠٠م٣) ، فكان لها دور في تغذية الآبار وتشبع طبقات الأرض الحاملة للمياه من طبقات الأرض بالمياه ، وكذلك تنظيم الرواسب الطينية في الوادي(٢).

أما سد نمار شمال غرب مدينة الرياض فكان مزودًا بمفيض ، كما أن السد يمكن أن يكون أمامه حوض لتخزين المياه تبلغ مساحته وسعته حوالي (١,٥) مليون متر مكعب ، ويستفاد من مياه هذا السد في تغذية الآبار القريبة منه وهي حوالي (٧) آبار تقع خلف السد لمساعدة فرع الوزارة بالرياض في تغذية مدينة الرياض بالماء(٣)، وكان للتوسع في بناء السدود في منطقة الرياض دور في تغذية الآبار في الأودية وزيادة كميات المياه فيها كما كان لها دور في تشجيع الدولة في التوسع في حفر الآبار في الأودية القريبة من مدينة الرياض والتي يعتمد عليها السكان منذ القدم خاصة في أودية : حنيفة ، ولبن ، والحائر ، والتي بنيت عليها العديد من السدود خلال فترة الدراسة حيث بلغ عدد الآبار المحفورة مع حلول عام ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م (٧٠) بئرًا وتراوحت أعماقها بين (٦٠-٨٠) مترًا ، وبلغ عمق بعضها (١٨٠) مترًا ثم حفرت بعد ذلك (٦) آبار في الحائر بعمق (٥٠) مترًا لكل متر لكل بئر(٤)، كما كان لهذه السدود دور في تغذية آبار مشاريع مياه الرياض المتمثل في تأمين مياه الشرب عن طريق حفر الآبار الأنبوبية أو اليدوية بعد تحديد مصدر المياه وتوفرها بالكمية والنوعية الصالحة للشرب سواء مباشرة أو بعد معالجتها مثل مشروع آبار وادي نساح ، ومشروع آبار صلبوخ وغيرها(٥). كما أن سد الحائر كان له دور كبير في زيادة الرقعة الزراعية

---

(١) الصحاري الخضر ، وزارة الزراعة والمياه ، ص٣٣-٣٤.

(٢) الصحاري الخضر ، وزارة الزراعة والمياه ، ص١٧-١٩.

(٣) الصحاري الخضر ، وزارة الزراعة والمياه ، ص٣٢.

(٤) تحد وإنجاز ، وزارة الزراعة والمياه ، ص١١٣-١١٤.

(٥) تحد وإنجاز ، وزارة الزراعة والمياه ، ص٢٤٥-٢٤٨.

والمحافظة على الإنتاج الزراعي وزيادته ، وزيادة كمية المياه في آبار الحائر التي تعتبر من المصادر المهمة لتزويد مدينة الرياض بمياه الشرب⁽¹⁾.

أما سد وادي نجران فكان له دور في توفير المياه لنحو (٣٠) قرية أهمها : الموفجة ، و بئر الخضراء ، والحضن ، و الجربة ،و القابل ، وغيرها ⁽²⁾. كما يعمل على حماية هذه القرى ومزارعها في المنطقة من اخطار السيول والفيضانات التي تداهمها وبناءً على ذلك رُكب جهاز إنذار مبكر هو الأول من نوعه في المملكة لمثل هذه الأغراض ، وهو عبارة عن صافرة إنذار تمتد من موقع السد إلى ابعد نقطة يمكن أن تتأثر بفعاليات التشغيل حيث تطلق الصافرات مؤذنة بقدوم السيول إلى بحيرة السد وعندما يراد فتح المخارج لتصريف المياه إلى الوادي تطلق الصافرات مرة أخرى بنغمة تختلف عن الأولى معلنة أنه قد فُتحت المخارج ويجب الابتعاد عن مجرى الوادي تحاشيًا لحدوث أي أخطار⁽³⁾.

أما سد وادي جازان فله دور في التحكم في مياه الأمطار الموسمية لدرء أخطار السيول وللحد من أضرار الفيضانات التي كانت تهدد الأراضي الزراعية والسكان وتسبب خسائر مادية للذين يعتمدون في دخلهم الرئيسي على الزراعة ، وقد تم اختيار موقع السد في "ملاكي" على بعد (٥٠) كم شرق مدينة جازان بين سلسلة من الجبال تنتهي بسهل ساحلي صالح للزراعة وتتجمع فيه عدد من الأودية في منطقة تلاقي خمسة أودية وبين سلسلة من الجبال المرتفعة التي تنتهي من الناحية الغربية بسهل ساحلي ينتهي تدريجيًا نحو البحر الأحمر ، ويبلغ عرض الحزام الساحلي من الأرض المنبسطة الصالحة للزراعة حوالي (٤٠) كلم ، ويساعد على الإفادة من هذا السد ارتفاع نسبة الرطوبة لقربها من البحر وارتفاع المعدلات المطرية التي تبلغ على الساحل حوالي (٢٢) ملمتر في السنة وتهطل الأمطار في المنطقة على فترتين ، والفترة الصيفية خلال شهري أغسطس وسبتمبر والفترة الشتوية في شهري ديسمبر ويناير وسقوط الأمطار بهذه المدلات في الموسمين الشتوي والصيفي تجمع سيولًا عارمة تنساب من ضفاف الوديان في طريقها إلى البحر ، وهو من النوع الخرساني ويبلغ طوله بين الجبلين (٣١٦) مترًا ، وعرضه عند القاعدة (٤٠) مترًا ، وعند القمة (٣٨٥) مترًا وسعته التخزينية (٧٥) مليون متر مكعب ، وتغطي بحيرته مساحة (١٤٠٩) هكتار ، ولقد بدأ تنفيذ هذا المشروع الذي يُعد من أكبر المشاريع وأهمها في هذا المجال في عام (١٣٨٧هـ/١٩٦٧م) ، واختيرت شركة هوكتيف الألمانية لتنفيذه وشركة (ايتالكونست) للإشراف على

---

(١) خطاب رئيس ديوان رئاسة مجلس الوزراء رقم ٢/٤٠٦٦١ في ١٣٩٤/٦/٥هـ الى وزير الزراعة والمياه . وثائق معهد الإدارة وثيقة رقم ٤٠٦٦/٠٤ في ١٣٩٤/٦/٥هـ.

(٢) تحد وإنجاز ، وزارة الزراعة والمياه ، ص٣١١ ، وللمزيد عن الأماكن في نجران ينظر : بين مكة وحضرموت ، البلادي ؛ جغرافية المملكة العربية السعودية "إقليم جنوب غرب المملكة" ، الشريف ، عبدالرحمن صادق ، (الرياض ، دار المريخ للنشر ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) ، ج٢.

(٣) تحد وإنجاز ، وزارة الزراعة والمياه ، ص٣١١.

التنفيذ(١). افتتح السد في شهر محرم عام (١٣٩١هـ/١٩٧١م) وقد بلغت تكاليف إنشائه (٤١,٠٠٠,٠٠٠) واحد وأربعين مليون ريال وللمشروع ميزانية سنوية خاصة بالتشغيل والصيانة(٢)، وقد أنشئ نظام قنوات ري توزيعية تشكل جزءً من مشروع الري بوادي جازان انتهت عام ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م ويتحكم هذا النظام في توزيع المياه لمساحة تزيد عن (٣٠٠٠) هكتار(٣).

وتمت الإفادة من سد أبها وسعته التخزينية (٢١٣٠٠٠م٣) لتأمين مياه الشرب لسكان مدينة أبها ، وله دور في التحكم في مياه السيول وحماية المدينة من أخطارها وزيادة المخزون الجوفي في المنطقة المحيطة به ، وهو مزود بفتحة مجهزة ببوابات منزلقة للتحكم في كميات المياه ، وذلك لتصريف المياه من السد إلى محطة الترشيح ثم إلى برج السحب ومنه إلى محطة التنقية التي أُقيمت على السد ومنها يُمد المواطنون بالمياه ، كما أن السد مزود بنفق سفلي لمتابعة اعمال التشغيل والمراقبة للسد بصفة مستمر ، إلى جانب إنشاء قناة تصريف على ارتفاع (٢٢,٥) مترًا وبطول (١٣١) متر لتصريف مياه الفيضان في وادي أبها والتي تزيد عن طاقة تخزين السد ، وظل هذا السد الوحيد الذي يؤمن مياه الشرب للأهالي لفترة طويلة ،وذلك قبل تحلية مياه البحر المحلاة اليها ونقلها من محطة الشقيق على البحر الأحمر(٤).

أما سد بطحان فقد أُنشئ على وادي بطحان (الشولة) الذي هو أكبر الأودية بالمدينة المنورة التي تحمل السيول إلى المدينة ، وقد أُفيد من السد في :

-درء السيول عن المدينة المنورة أو تخفيف حدتها وحماية المباني والمزارع حيث تكرر مداهمة السيول للمدينة المنورة كما هو الحال عام ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م عندما قاربت الحرم النبوي الشريف.

-الإفادة من مياه السيول بتخزينها لتغذية الآبار والعيون لتغذية المدينة(٥).

كما أُنشئ سد العاقول في المدينة المنورة وحوض تخزين هذا السد يمكنه استيعاب حوالي (١٧) مليون متر مكعب من الماء(٦). وفي القصيم تمثل دور سد وادي العنانية ١٣٨٥/١٩٦٥م في حوطة سدير بالقصيم حيث يعتبر هذا السد من السدود التحويلية وليس التخزينية حيث يعمل على تحويل الماء إلى بلدة حوطة سدير ؛ للإفادة منها في تغذية الآبار وري الزراعات والنخيل في المنطقة ، وبما أن السد من النوع الركامي الصامت فإن الغرض منه حجز المياه ثم تحويلها بواسطة قناة شقت في الصخر بطول حوالي

---

(١) وزارة الزراعة والمياه ، وحدة التخطيط والبرامج ، محرم ١٣٩٤هـ ، فبراير ١٩٧٤م ، إبراهيم الضراب ، ص٣٩ – ٤٠.

(٢) وزارة الزراعة والمياه ، وحدة التخطيط ، المرجع السابق ، ص٤١ – ٤٢.

(٣) تحد وإنجاز ، وزارة الزراعة والمياه ، ص٣٨٩.

(٤) تحد وإنجاز ، وزارة الزراعة والمياه ، ص٣١١ ؛ الصحاري الخضر ، وزارة الزراعة والمياه ، ص٣٥-٣٦.

(٥) الصحاري الخضر ، وزارة الزراعة والمياه ، ص٢٢.

(٦) الصحاري الخضر ، وزارة الزراعة والمياه ، ص٣٤-٣٥.

(٧٥٠) مترًا وبعرض للقاع أسفل مجراها (١٥) م(١). وكان لسد وادي عكرمة الذي يقع في أعلى وادي المثناة بمحافظة الطائف ، والذي تبلغ طاقته التخزينية (١,٥٠٠,٠٠٠) متر مكعب دور في ري المزارع ، وفي العمل على حماية مدينة الطائف من أخطار السيول التي كانت تلحق بها الأضرار بصفة مستمرة بالإضافة إلى دعم مصادر المياه التي تمد الطائف آنذاك(٢).

أما سد المجمعة ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م فمن أهم فوائده تخزين ما يقرب من (١,٥) مليون متر مكعب ساعدت في زيادة مياه الآبار المجاورة التي تستعمل لأغراض الزراعة والشرب ، إلى جانب حماية بلدة المجمعة من السيول العارمة التي كانت سببًا في قلق السكان(٣).وفي المجمعة كان لبناء الحائط الواقي لحماية الأراضي الزراعية ومباني حرمة سدير الواقعة على الجانب الأيمن لوادي المجمعة والتي تبعد حوالي (٢٠) كلم من سد المجمعة ، ويبلغ طول الحائط الواقي لروضة سدير حوالي (٤٠٠) مترًا وهو حائط حجري ولكن وزارة الزراعة والمياه قامت بترميم هذا الحائط بتبطينه بالخرسانة وتعلية الحائط حتى يبلغ ارتفاعه (٣,٥) أمتار بحيث يُحافظ على المياه التي تسيل في وادي أشجير مارة من سد المجمعة مع تحويل هذه المياه إلى المزارع الجانبية حيث أفيد من مياه السيول المتدفقة لتغذية الآبار(٤).

وشهدت مشاريع السدود تطورًا خلال المرحلة الثانية منذ عام ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، حيث كان العدد قبل ذلك العام (١٦) سدًا فقط ، وبطاقة تخزينية قدرها (٦٦) مليون متر مكعب من المياه ، فارتفع العدد إلى (٦١) سدًا عام ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م وبطاقة تخزينية قدرها (٢٥٨) مليون متر مكعب ، حيث شهد نمو السدود بعدد (٤٥) سدًا بنسبة زيادة بلغت ٢٨١% منها (١٢) سدًا للتحكم ، وسد واحد للري ، و(٣٢) سدًا للتعويض وبسعة تخزينية بلغت (١٩١٥٠٥) آلاف متر مكعب وهذا يبين أن عددها وطاقتها التخزينية زادت ثلاثة أضعاف عما كانت عليه في عام ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م بنهاية عهد الملك خالد عام ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، حيث أسهمت بشكل كبير في دعم موارد المملكة المائية وفي تقدم القطاع الزراعي ، واتساع المساحة المزروعة ، وتطور الانتاج الزراعي والحيواني(٥).

---

(١) الصحاري الخضر ، وزارة الزراعة والمياه ، ص٢٤.

(٢) تحد وإنجاز ، وزارة الزراعة والمياه ، ص٣١١ ؛ الصحاري الخضر ، وزارة الزراعة والمياه ، ص٢٥-٢٦.

(٣) الصحاري الخضر ، وزارة الزراعة والمياه ، ص٣١.

(٤) الصحاري الخضر ، وزارة الزراعة والمياه ، ص٣٥.

(٥) خالد بن عبدالعزيز سيرة ملك نهضة مملكة ، الدعجاني ، ص٢٠٩.

الخاتمة

خرجت هذه الدراسة لـ " **السياسة المائية للمملكة العربية السعودية "بناء السدود أنموذجًا " ١٣٧٣-١٤٠٢هـ/١٣٥٣-١٩٨٢م**" دراسة تاريخية حضارية" بعدد من النتائج أهمها :

أولًا : تطور الشؤون الإدارية لشؤون المياه بشكل تدريجي في إطار وزارة الزراعة والمياه حيث أخذ هذا التطور شكل النمو والتنوع التدريجي بشكل تدريجي نحو ظهور شخصية إدارية مختصة بالمياه تعمل على تنمية موارد المملكة المائية ومنها السدود ، وهذا ما ساعد الدولة على البدء في تنفيذ البرامج والمشاريع الخاصة بالسدود.

ثانيًا : نفذت المملكة عددًا من السياسات المائية تتضمن التخطيط وتصميم المشاريع المائية وتشغيلها وصيانتها ومن أهمها السدود كما نفذ عدد من البرامج والأبحاث المسوحات المائية ، وكان لهذه السياسات دور في البناء والتأسيس الإداري والفني للتوسع في بناء السدود.

ثالثًا : أن بناء السدود مر بمرحلتين مهمتين بدأت عام ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م وتنتهي عام ١٣٩٤هـ/١٩٧٢م وتضمنت التوسع التدريجي بشكل يعتمد على الأولويات حيث بلغ عدد السدود خلال هذه المرحلة (١٦) سدًا ، أما المرحلة الثانية فبدأت عام ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م وانتهت عام ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م حيث تُوسع في بناء السدود فوصل عددها إلى (٤٥) سدًا ، في ظل نمو دخل الدولة والبدء في جني ثمار خطتيها التنمويتين الأولى والثانية.

رابعًا : كان للسدود دور في دعم الموارد المائية من خلال المحافظة على الحصاد المائي ، فكان للسدود دور في حجز الكثير من المياه وحفظه وتوظيفه للشرب أو للري كما كان للسدود دورها في تغذية مياه الآبار في بعض الأودية بالمياه وكذلك في الحد من الفيضانات التي تحدث مع هطول الأمطار الشديدة على بعض المدن أو أجزاء منها.

وخرجت الدراسة بعدد من التوصيات والتي من أهمها :

- أهمية دراسة السياسات المائية والمشروعات الخاصة بها لأهميتها في بناء معرفة تراكمية عن كل الحالات والخطوات المرتبطة بالمياه ، وحتى تحقق الجودة المعرفية من اللازم أن تكون أكثر دقة بحيث يُركز على المناطق أو الأودية أو تخصص لكل سد بشكل مستقل.

-أن الدراسات التاريخية المرتبطة بالمياه تساعد على تحقيق الوعي بأمننا المائي من خلال تحديد أوقات وأماكن المصادر المائية أو الأزمات وكيفية معالجتها والتعامل معها في بلد يُعد من البلدان الجافة ولديه في نفس الوقت الكثير من الانجازات والبيئة المتنوعة مناخيًا وتضاريسيًا.

المصادر والمراجع

أولًا : الوثائق :

١- وثائق معهد الإدارة : وثيقة رقم ١٣٩١٨/٠٤ في ١٣٨١/٥/٥ه.
٢- وثائق معهد الإدارة : وثيقة رقم ١٣٨٩٦/٠٤ في ١٣٨١/٥/١٢ه.
٣- وثائق معهد الإدارة : وثيقة رقم ٥٧٩ في ١٣٨١/٦/٧ه.
٤- وثائق معهد الإدارة : وثيقة رقم ٦٠٠ في ١٣٨٢/١١/٢٠ه.
٥- وثائق معهد الإدارة : وثيقة رقم ١٥٩٣١/٠٤ في ١٣٨٣/٩/٨ه.
٦- وثائق معهد الإدارة : وثيقة رقم ١٨٨٨٦/٠٤ في ١٣٨٧/١/١٣ه.
٧- وثائق معهد الإدارة وثيقة رقم ٤٠٦٦/٠٤ في ١٣٩٤/٦/٥ه.
٨- وثائق معهد الإدارة : وثيقة رقم ٤/٨٣٤ في ١٣٩٦/٥/٢٤ه.
٩- وثائق معهد الإدارة : وثيقة رقم ٣٣٢٢٣/٠٤ في ١٣٩٦/٨/٢٣ه.
١٠- وثائق معهد الإدارة : وثيقة رقم ٤/١٢٠٨ في ١٣٩٧/٩/١٦ه.
١١- وثائق معهد الإدارة ، وثيقة رقم ١٦٦/٠٤ في ١٣٩٩/٦/٢٥ه.

ثانيًا : الكتب العربية :

١- أسد الجزيرة قال لي ، المحامي ، محمد رفعت ، ط٢ ، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة ، الرياض ، ١٤١٩ه/١٩٩٩م.
٢- الأقاليم الجافة ، محمدين ، محمد ، وعبدالعزيز ، حسن ، مكتبة دار العلوم ، الرياض ، ١٤٠٥ه.
٣- اقتصاد المملكة العربية السعودية (نظرة تحليلية) ، العبيد ، عبدالله سليمان وآخر ، ط١ ، دار عالم الكتب ، الرياض ، ١٤١٥ه/١٩٩٤م.
٤- بين مكة وحضرموت (رحلات ومشاهدات) ، البلادي ، عاتق بن غيث ، ط١ ، دار مكة للنشر والتوزيع ، مكة المكرمة ، ١٤٠٢ه.
٥- تاريخ الملك سعود بن عبدالعزيز ١٣١٩-١٣٨٩ه/١٩٠٢-١٩٦٩م ، عبدالعزيز ، سلمان بن سعود ، ط١ ، دار الساقي الرياض ، ج٢ ، ١٤٢٩ه.

٦- تحد وإنجاز عبر مائة عام للزراعة والمياه في المملكة ١٣١٩-١٤١٩هـ ، وزارة الزراعة والمياه ، وزارة الزراعة والمياه ، الرياض ، ١٤١٩هـ.

٧- تطور الإدارة العامة في المملكة العربية السعودية خلال مائة عام (١٣١٩-١٤١٩هـ/١٩٠٢-١٩٩٩م) ودور معهد الإدارة العامة في تنميتها ، معهد الإدارة العامة ، ط١ ، مركز الطباعة والنشر بمعهد الإدارة العامة ، الرياض ، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

٨- التطور الاقتصادي والاجتماعي للمملكة العربية السعودية ، الطيار ، ملكة بكر ،ط١ ، باريس ، مركز الدراسات العربي الأوربي ، ١٩٩٧م.

٩- التطورات السياسية والحضارية في الدولة السعودية المعاصرة ، السلوم ، لطيفة عبدالعزيز ، ط١ ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م .

١٠- التعليم في المملكة العربية السعودية ، الحامد ، محمد معجب وآخرون ، رؤية الحاضر واستشراف المستقبل ، ط٣ ، مطابع الحيضي ، الرياض ، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

١١- جغرافية المملكة العربية السعودية "إقليم جنوب غرب المملكة" ، الشريف ، عبدالرحمن صادق ، (الرياض ، دار المريخ للنشر ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) ، ج٢.

١٢- جغرافية المملكة العربية السعودية ، الشريف ، عبدالرحمن صادق ، دار المريخ للنشر ، الرياض ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ، ج١

١٣- خالد بن عبدالعزيز سيرة ملك ونهضة مملكة ، الدعجاني ، أحمد ، الرياض ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

١٤- السلاسل الزمنية للإحصاءات الزراعية في المملكة العربية السعودية خلال ثلاث عقود ١٤٢٦/١٤٢٥هـ-١٣٩٢/١٣٩١هـ (١٩٧١-٢٠٠٦م) ، وزارة الزراعة والمياه ، وكالة الوزارة لشؤون الأبحاث والتنمية الزراعية ، إدارة الدراسات والتخطيط ، الرياض ، ١٤٢٣هـ.

١٥- شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز ، الزركلي ، خير الدين ، ط٧، دار العلم للملايين ، بيروت ، ج٣.

١٦- الصحاري الخضر، وزارة الزراعة والمياه ، قسم الاعلام والنشر ، الرياض ، ١٣٩٠/ ١٣٩١هـ — ١٩٧١/١٩٧٠م.

١٧- صفة جزيرة العرب ، الهمداني ، الحسن بن أحمد ، تحقيق محمد بن علي الأكوع ، منشورات دار اليمامة ، الرياض ، د.ط ، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

١٨- الطائف بين الموروثات والمستجدات ، الجودي ، صالح بن غازي ، دار الحارثي للطباعة والنشر ، ط١ ، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

١٩- لسان العرب ، ابن منظور ، جمال الدين محمد ، دار صادر ،بيروت ، ١٤١٠هـ.

٢٠- الماء ومسيرة التنمية في المملكة العربية السعودية ، عثمان ، مصطفى نوري ، ط١ ، جدة ، المملكة العربية السعودية ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.

٢١- مراحل تطور تنظيم الإدارة المحلية في المملكة العربية السعودية ولمحات من إنجازها ، السنيدي ، عبدالله راشد ، ط4 ، مرامر للطباعة الالكترونية ، الرياض ، 1414هـ/1919م

٢٢- مصادر ومشروعات المياه في المملكة العربية السعودية ، وزارة الزراعة والمياه ، ط1 ، ط, 2, 1394هـ ، 1401هـ .

٢٣- المعجم الأثري لمحافظة الطائف ، الحارثي ، ناصر بن علي ،ط1 ، لجنة المطبوعات في التنشيط السياحي ، محافظة الطائف ، 1422هـ/2001م .

٢٤- المعجم الجغرافي للبلاد السعودية ، الجاسر ، حمد ، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض ، 3 مجلدات .

٢٥- مقدمة اقتصاديات المملكة العربية السعودية ، الجاسم ، محمد علي رضا ، القاهرة ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٧٢م.

٢٦- الملك الراشد جلالة المغفور له الملك عبدالعزيز آل سعود ، الغلامي ، عبدالمنعم ، ط٣ ، مطبعة السفير ، الرياض ، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٢٧- المملكة العربية السعودية (دراسة في الهوية الجغرافية) ، محمدين ، محمد ، دار الخريجي للنشر والتوزيع ، الرياض ، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م .

٢٨- المؤسسة العامة لتحلية المياه المالحة : تحلية المياه المالحة في المملكة : نشأتها وتطورها ودورها في التنمية ، وزارة الزراعة ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، ١٤١٩هـ.

٢٩- منطقة الرياض – دراسة تاريخية وجغرافية واجتماعية (الخصائص الطبيعية لمنطقة الرياض ، امارة منطقة الرياض ، صدر بمناسبة الاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية ، ١٤١٩هـ.

٣٠- النشرة الهيدرولوجية ١٠٤ ، ١٤٠٤هـ ، وزارة الزراعة والمياه.

٣١- النظام الإداري في المملكة العربية السعودية ، السلوم ، يوسف إبراهيم ، ط٢ ، شركة الطباعة العربية السعودية ، الرياض ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٣٢- وزارة الزراعة والمياه ، الضراب ، ابراهيم بن عبدالرحمن ، وحدة التخطيط والبرامج والمشروعات الانمائية ، محرم ١٣٩٤هـ ، فبراير ١٩٧٤م.

٣٣- وزارة الزراعة والمياه خمسون عامًا من البناء والتطوير ، الغامدي ، عبدالعزيز بن سالم ، مطابع هلا ، الرياض ، ١٤٢٣هـ.

ثالثًا : الرسائل الجامعية :

١- تطور القطاع الزراعي في عهد الملك خالد ١٣٩٥-١٤٠٢هـ/١٩٧٥-١٩٨٢م ، الجحيني ، محمد بن علي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، قسم التاريخ ، جامعة الملك خالد ، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

٢- الملك خالد بن عبدالعزيز آل سعود (دراسة تاريخية حضارية) ١٣٣١-١٤٠٢هـ/١٩١٣-١٩٨٢م ، خياط ، نوال محمد : رسالة ماجستير ، مكة المكرمة ، جامعة أم القرى ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

رابعًا : الخرائط التنظيمية :

الخارطة التنظيمية لوزارة الزراعة لعام ١٣٧٥هـ.

الخارطة التنظيمية لوزارة الزراعة لعام ١٣٨١هـ.

الخارطة التنظيمية لوزارة الزراعة لعام ١٣٨٤هـ.

خامسًا :الدوريات العلمية :

١- تغيرات المناخ في المناطق الجافة : دراسة حالة المملكة العربية السعودية (الكتاب الجغرافي السنوي) ، الوليعي ، عبدالله بن ناصر ، جامعة الامام محمد بن سعود ، الرياض ، ١٤٠٨هـ.

٢- دور التقنيات الفضائية والجيومعلوماتية في الإستراتيجيات المائية: تطبيقات من المملكة العربية السعودية ، بحث مقدم للملتقى العلمي حول: استراتيجية الأمن المائي العربي ، آل سعود ، مشاعل ، ٢٤-٢٦/١/١٤٣٣هـ / ١٩-٢١/١٢/٢٠١١م ، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والقنية، معهد بحوث الفضاء.

٣- المزاج الطبيعي لمنطقة نجد ، النص ، عزة ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الملك سعود ، ١٣٩٠هـ.

٤- مسيرة التنمية الزراعية منذ تأسيس المملكة ، السعد ، فيصل عبدالله ، ، بحث مقدم في الندوة الجامعية الكبرى (المحور الزراعي) المنعقدة بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية ، الرياض ، ٧ -١٨ /٧/١٤٢٠هـ الموافق ١٦ — ٢٧ /١٠/١٩٩٩م ، جامعة الملك سعود ، ط١ ، الرياض ، النشر العلمي والمطابع بجامعة الملك سعود ، ١٤٢١هـ.

٥- نجران ودورها السياسي والاقتصادي ، المسري ، حسين ، مجلة المؤرخ المصري ، ع٩ ، يوليو ١٩٩٢م

سادسًا : المراجع الأجنبية :

-Nabil, A., Madany , I, Al-Tayaran A., Al-Jubair, A., Gomaa , A., (1994) , Trends in Watar Quality of Some Wells in Saudi Arabia, Science of Total Enviromment, Vol. 143 (2-3)pp 173-181.

-Alhawas , Assaf A., paleoclimatology of peninsula A Synoptic Approach, Unpublished paper , College of Social Seiences , Imam Muhammed Islamic University , Riyadh , 1996 , p91-93.

-AL – Hassoum , S. ; AL – Turbak, A., Recharge Dam Effeciency Based on Subsurface flow Analysis , Water International Vol. 20, No. 1 , pp, 1995 , pp, 40-45.

-Twitchell , K.S. 1947 , Saudi Arabia with an account of the development of its natural resources Princeton University press , Princeton , New Jersey , U.S.A. P,21.

7

الحجية القانونية لقيود السجل العقاري وفقًا لنظام التسجيل العيني للعقار في المملكة العربية السعودية

الدكتور محمود محمد أبوفروة
أستاذ القانون المدني المساعد
قسم القانون- كلية العلوم
والدراسات الإنسانية -حريملاء- جامعة شقراء

المستخلص

يتناول هذا البحث كيفية تعامل نظام التسجيل العيني للعقار الصادر عام ١٤٢٣ مع مبدأ الحجية المطلقة للقيود الواردة في السجل العقاري والذي يعد أحد أهم المبادئ التي يقوم عليها نظام التسجيل العيني كما هو متعارف عليه في الأنظمة المقارنة، وقد رُكز في هذا البحث على الخصوصية التي يتمتع بها نظام التسجيل العيني السعودي من حيث طبيعته، ومن حيث الآثار المترتبة عن تطبيقه سواء على مستوى القيد الأول للعقار في السجل العقاري، أو عند قيد التصرفات التي ترد على العقار بعد تسجيله، وذلك من خلال تحليل النصوص القانونية التي يتضمنها.

وقد انتهى هذا البحث إلى أن مفهوم مبدأ الحجية المطلقة للقيود الواردة في نظام التسجيل العيني السعودي يختلف عن مفهومه في الأنظمة المقارنة، فالمنظم السعودي لم يعترف بالأثر المطهر لقيود السجل العقاري؛ نظرًا لما قرره من وسائل للطعن في تلك القيود، كما لم يعترف بالأثر الإنشائي لتلك القيود بالنظر لكونه لم يجعل لها أثرًا على صعيد صحة التصرفات القانونية أو الحقوق التي تُقيد.

الكلمات المفتاحية: السجل العيني، الحجية المطلقة، الأثر المطهر، الأثر المنشئ

Abstract

This research study how did the Saudi real estate registration law deals with the principle of absolute authenticity of record entries, which is one of the most important features that the real estate registration system based on, as it is known in the Comparative laws.

The research is focusing on the specificity of the Saudi real estate registration law in terms of its nature and in terms of the implications of its application, either at the level of the first registration of the property in the real estate registry or when registering legal actions on the property after its registration, through analyzing the legal texts

This study concluded that the concept of the absolute authenticity of record entries contained in the Saudi real-estate registration law differs from its concept in the comparative laws, as the Saudi regulator did not recognize the cleansing effect of real estate registry records due to the means of appeal established on those records , nor did he recognize the structural effect of those records, because it had no effect on the validity of legal acts or the rights recorded in the registry

Keywords: Key words: real estate registry, the absolute authenticity, the cleansing effect , the structural effect

المقدمة

تشكل الملكية العقارية عنصرًا مهمًا من عناصر الذمة المالية للأفراد بالإضافة إلى كونها ركيزة رئيسة من ركائز تحقيق سياسات التنمية الاقتصادية والاجتماعية التي تسعى إليها مختلف الدول، ولهذا اهتمت الأنظمة القانونية منذ بداية نشأة الدول بحمايتها ووضعت القواعد والقوانين التي تضمن استقرارها واستقرار المعاملات التي تجرى بصددها لبعث الطمأنينة في نفوس المتعاملين بها، ولتحقيق هذه الأهداف وبعد تطورات كثيرة شهدتها الملكية العقارية على مدار العصور في وظائفها وأهميتها استقرت غالبية النظم القانونية على ضرورة توثيق الملكية العقارية والمعاملات التي ترد عليها، ومن ثم مسكها ضمن سجلات تقوم عليها الدولة من خلال أجهزتها المختصة باعتبارها الجهة الأقدر على حفظ حقوق أصحابها وصيانتها، وحتى يمكن الرجوع والاطلاع عليها من طرف أي شخص يبتغي التعامل بها.

وبالنظر للأهمية العملية لتسجيل المعاملات العقارية وتوثيقها فقد أولت مختلف الأنظمة هذا الموضوع أهمية خاصة تمخض عنها ظهور نظامين للتسجيل، التسجيل الشخصي وهو نظام قديم يُشهر من خلاله التصرفات العقارية اعتمادًا على أسماء الأشخاص القائمين بها، ويكون ذلك من خلال إنشاء سجلات خاصة بأسماء المتصرفين تسجل فيها ما يقومون به من تصرفات (ورتي، ٢٠١٧)، ونظرا لما تعرض له هذا النظام من انتقادات تتمثل في كونه مجرد وسيلة إشهارية غير دقيقة كون قيوده في كثير من الأحيان قد لا تكون مطابقة للواقع لعدم دقة قيوده وعدم مطابقتها للواقع في الكثير من الأحيان (السنهوري، الوسيط في شرح القانون المدني، ج٤، العقود التي تقع على الملكية، البيع والمقايضة، ١٩٦٤) فضلت غالبية الدول الاعتماد على النظام الآخر المقابل وهو نظام التسجيل العيني، فهذا النظام الأخير يعد أكثر دقة؛ نظرًا لأنه يعتمد في إشهاره للتصرفات العقارية على العقار نفسه كما أنه يقوم على مجموعة من الأسس والمبادئ التي تضمن استقرار الملكية العقارية وتحقق الطمأنينة للمتعاملين بها، وتدعم الائتمان العقاري من أهمها مبدأ الحجية المطلقة للقيد الوارد في السجل العقاري (غانم، ١٩٩٤)، والذي يترتب عليه آثار مهمة فيما يتعلق بالتكييف القانوني لعملية القيد بحد ذاتها، وكذلك على صحة التصرفات الواجبة القيد.

فوفقًا لمبدأ الحجية المطلقة للقيد فإن القيود الواردة في السجل العقاري لها حجية مطلقة ولا يمكن الطعن فيها كقاعدة عامة، كما أن القيد في السجل العقاري يطهر العقار وكذلك التصرفات التي تقع عليه من أي شوائب أو عيوب يمكن التمسك بها لإبطال التسجيل أو التصرف، بالإضافة إلى اعتبار القيد شكلية لازمة لانعقاد التصرف القانوني الذي يؤدي إلى إنشاء الحقوق التي ترد على العقار أو نقلها أو تغييرها أو إنهائها

وفي المملكة العربية السعودية صدر نظام التسجيل العقاري تحت مسمى "نظام التسجيل العيني للعقار لعام ١٤٢٣"، والذي تقرر تطبيقه بشكل تدريجي بعد أن كانت العقارات ولا زالت في غالبيتها خاضعة لنظام قديم قائم على قواعد مبادئ الفقه الإسلامي في توثيقها وإثباتها، وعلى الرغم من أن المنظم السعودي أطلق على النظام "نظام التسجيل العيني للعقار" إلا أن عدم انسجام بعض المبادئ التي يقوم عليها هذا النظام كما قررته الأنظمة والتوجهات الفقهية المقارنة مع المبادئ العامة التي تحكم الأنظمة السعودية والمستقاة من قواعد الشريعة الإسلامية دفعت المنظم السعودي إلى تعديل بعض أحكامه وخصوصًا تلك المتعلقة بالحجية المطلقة للقيود الواردة في السجل العقاري بما يتناسب مع التوجه العام الذي خطه المنظم السعودي، ومن هنا ظهرت العديد من الإشكالات المتعلقة بمدى إمكانية الحديث عن الحجية المطلقة للقيود الواردة في السجل العقاري السعودي.

إشكالية البحث:

بما أن نظام التسجيل العيني نشأ وتطور في ظل الأنظمة المستمدة من القانون الوضعي، وبما أن المبادئ العامة للأنظمة السعودية مستقاة من قواعد الشريعة الإسلامية الغراء، فإن الإشكالية الرئيسة التي سوف تشكل محور هذا البحث تتمثل في تحديد مفهوم الحجية القانونية ونطاقها لمطلقة لقيود السجل العقاري السعودي كما نص عليها نظام التسجيل العيني للعقار، ويتفرع عن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات، منها مدى استطاعة المنظم السعودي التوفيق بين نظام التسجيل العيني وأحكام الشريعة الاسلامية؟ ومدى التأثير المتبادل بين النظام السعودي وما يقوم عليه نظام التسجيل العيني للعقار من مبادئ كمبدأ الأثر الإنشائي ومبدأ الأثر المطهر؟

أهداف البحث:

تسعى هذه الدراسة بالأساس إلى تحديد مدى الحجية المقررة لقيود السجل العقاري السعودي ونطاقها وفقًا للمفاهيم التي كرسها المنظم السعودي في نظام التسجيل العيني للعقار، كما تهدف إلى تحليل نصوص هذا النظام ومقارنة أحكامه مع القواعد المستقرة للتسجيل العيني كنظام له مبادئه وقواعده الخاصة التي يتميز بها عن غيره من أنظمة التسجيل الأخرى، بالإضافة إلى رصد طبيعة التنظيم العقاري في المملكة وتحديده ومدى تأثير ذلك على القواعد التي قررها المنظم السعودي في نظام التسجيل العيني.

الدراسات السابقة:

في حدود ما اطلعنا عليه لم نجد سوى عدد قليل من الدراسات التي تناولت موضوع حجية القيود الواردة في السجل العقاري وفقًا للنظام السعودي سواء بشكل مباشر، أو بشكل غير مباشر من خلال دراسة موضوعات أخرى مرتبطة بهذا الموضوع، وهذه الدراسات تتمثل في الآتي:

-صالح، عبد الحميد (٢٠٠٥)، دراسة بعنوان "الحجية المطلقة للقيد في نظام التسجيل العيني للعقارات"، مجلة معهد الإدارة العامة.

وقد تناول فيها الباحث مبدأ الحجية المطلقة للقيد في النظام السعودي مفصلاً في هذا المبدأ، ومطبقًا القواعد العامة لها وما يترتب عنها من آثار وفقًا لما قررته الأنظمة والتشريعات المقارنة، إلا أن هذه الدراسة لم تأخذ بعين الاعتبار خصوصية المبادئ العامة للنظام السعودي وبالتالي اختلاف نظام التسجيل العيني كما قرره المنظم السعودي عن غيره من الأنظمة المشابهة.

-أبو دياب، علي (٢٠١٩) دراسة بعنوان "نقل مليكة العقار في النظام السعودي"

تناولت هذه الدراسة أحكام نقل الملكية العقارية في النظام السعودي وآثارها ، وقد أشارت إلى بعض الآثار المترتبة عن مبدأ الحجية المطلقة للقيد عن الحديث عن مبدأ الأثر المنشأ للقيد في السجل العقاري، وبالتالي فإن هذه الدراسة لم تتناول كافة الآثار المترتبة عن مبدأ الحجية المطلقة محل دراستنا هذه.

أهمية البحث:

إن لدراسة موضوع حجية القيد في السجل العقاري في النظام السعودي أهمية بالغة من الناحيتين النظرية والعملية، فمن الناحية النظرية تبرز أهمية دراسة هذا الموضوع في تسليط مدى تأثير التوجه العام للأنظمة السعودية والمتمثل في الاعتماد على قواعد الشريعة الإسلامية على أي نظام قانوني يسعى المنظم إلى اقراره، أما من الناحية العملية فتتمثل أهمية هذه الدراسة في تحديد الطبيعة القانونية لقيود السجل العقاري والدور الذي تؤديه في تحقيق استقرار الملكية وتأثيرها على طبيعة التصرفات القانونية التي ترد على العقارات.

منهج البحث :

بالنظر لطبيعة هذه الدراسة وأهميتها فإن المنهج المتبع فيها سوف يكون بالأساس هو المنهج الوصفي التحليلي القائم على وصف الظواهر المرتبطة بموضوع الدراسة وتحليلها، ومن ثم دراسة النصوص القانونية المرتبطة بها في النظام السعودي وتحليلها.

خطة البحث:

المبحث الأول: طبيعة السجل العيني والحجية القانونية للقيود الناتجة عن تسجيل العقار فيه

المطلب الأول: طبيعة التسجيل العقاري في النظام السعودي

المطلب الثاني: الحجية القانونية للقيد الأول للعقار في السجل العيني

المبحث الثاني: حجية القيود التالية للقيد الأول

المطلب الأول: الحقوق والتصرفات الخاضعة للقيد في السجل العقاري

المطلب الثاني: الآثار المترتبة عن القيد في السجل العقاري

المبحث الأول

طبيعة السجل العيني والحجية القانونية للقيود الناتجة عن تسجيل العقار فيه

قبل إقرار المنظم السعودي لنظام التسجيل العيني للعقار كانت جميع العقارات في المملكة خاضعة لنظام قديم يقوم على الاعتماد على مبادئ الفقه الإسلامي ولا يفرض شكليات معينة على التصرفات العقارية فهي رضائية بالأساس، كما أن توثيق الملكية العقارية وفقًا لهذا النظام والذي تضطلع به المحاكم وكتابات العدل هو طريق اختياري وليس اجباريًا للأطراف (حمدان، ٢٠٠٣)، لكن بعد صدور نظام التسجيل العيني للعقار أوجد المنظم السعودي نوعًا جديدًا من العقارات ذات أحكام خاصة وهي العقارات الخاضعة لنظام التسجيل العيني، والطريقة التي ينتقل فيها العقار من كونه غير مسجل إلى أن يصبح مسجلًا وخاضعًا لنظام التسجيل العيني للعقار تكون من خلال اتباع مجموعة من الإجراءات تنتهي بتسجيله في السجل العقاري لأول مرة، وهذا يعني إحداث نوع من القطيعة بين العقار المسجل و تطبيق الاحكام القانونية للعقارات غير المسجلة فيصبح العقار خاضعًا لأحكام خاصة فيما يتعلق بالتصرفات التي ترد عليها وكيفية توثيقها، والاصل وفقًا لنظام التسجيل العيني للعقار أن كل ما لم يُسجل في السجل العقاري من

حقوق وتصرفات لا يعتبر موجودًا، ومن هنا يثار التساؤل حول مدى حجية تسجيل العقار لأول مرة وطرق الطعن في القيود.

لكن قبل الحديث عن مدى حجية القيد الأول وطرق الطعن فيه تثور إشكالية أخرى لا تقل عنها أهمية وتتعلق بحقيقة النظام القانوني للسجل العقاري السعودي، فمن خلال الاطلاع على نصوص نظام التسجيل العيني للعقار يلاحظ أن المنظم السعودي حاول التوفيق بين المبادئ والأسس التي يقوم عليها نظام التسجيل العيني كما هو متعارف عليه في الأنظمة المقارنة، ومقتضيات النظام العام الذي يقوم على قواعد الشريعة الإسلامية، فاحدث هذا الأمر خلافًا فقهيًّا حول طبيعة نظام التسجيل الذي اعتمده المنظم السعودي، لهذا فقبل البحث في حجية قيد العقار لأول مرة في السجل العقاري (المطلب الثاني) لا بد من دراسة طبيعة نظام التسجيل العقاري السعودي (المطلب الأول).

المطلب الأول: الطبيعة القانونية لنظام التسجيل العقاري السعودي

الفقرة الأولى: نظام التسجيل السعودي بين العينية والشخصية

سبق وأشرنا إلى أن أنظمة التسجيل المتعارف عليها تتمثل في نظامين، الأول وهو نظام التسجيل الشخصي وهو نظام يسعى في الأساس إلى اشهار التصرفات القانونية التي ترد على العقارات من خلال إنشاء سجلات خاصة تدون فيها التصرفات باسم المتصرف، أي إن السجل يكون باسم الشخص دون ان يكون للعقار أي دور أو مكانة في هذا السجل سوى أنه يكون محلًا للتصرف، أما النظام الآخر فهو نظام التسجيل العيني، وهو نظام يعتمد على العقار بوصفه أساسًا له فيُنشئ سجلات خاصة يفرد فيها لكل عقار صحيفة معينة؛ لهذا فإن هذا النظام لا يعد فقط نظاما للإشهار وإنما يسعى بداية إلى تنظيم الملكية العقارية من خلال جمع كافة المعلومات المتعلقة بالعقار من ملاكه ومساحته وحدوده وموقعه وغيرها وتسجليها في سجل خاص ويستتبع ذلك ضرورة اشهار أي تصرف أو حق يرد على هذا العقار في السجل العقاري.

فنظام السجل العيني أو ما يسمى كذلك السجل العقاري هو ذلك النظام الذي يقوم على العقار في ذاته لذلك يسمى بالعيني (السنهوري، الوسيط في شرح القانون المدني، ج٤، العقود التي تقع على الملكية، البيع والمقايضة، ١٩٦٤)، ويمسك هذا السجل لدى دائرة خاصة على شكل صحائف، وتحتوي كل صحيفة على البيانات الخاصة بالعقار من موقع ومساحة وحدود والرقم بالإضافة إلى اسم مالكه وبياناته إلى جانب جميع ما يثقل العقار من التزامات وما له من حقوق وما عليه من تصرفات؛ لذلك فالسجل العقاري يشبه إلى حد كبير السجل المدني للشخص الطبيعي (عيد، ١٩٩٦).

ونظرًا لحداثة نظام التسجيل العيني للعقار السعودي واعتماد مبدأ التطبيق التدريجي له بالنظر لاتساع الرقعة الجغرافية للمملكة وحجم الموارد والامكانيات المتطلبة لتطبيق النظام، فإن النظام العقاري للمملكة العربية السعودية في الوقت الحالي هو نظام مزدوج تنقسم فيه العقارات إلى نوعين، القسم الأكبر وهو العقار غير الخاضع لنظام التسجيل العيني والذي تطبق عليه القواعد العامة فيما يتعلق بكيفية إثبات التصرفات القانونية وتقييد الحقوق المرتبة عليه وسجلاته ممسوكة من طرف كل من المحاكم وكتابات العدل، ويرى بعض الفقهاء أن النظام المطبق على هذا النوع من العقارات هو نظام خاص، ففد اعتبر (حمدان، ٢٠٠٣) أن النظام الذي تخضع له تلك العقارات يمكن اعتباره نظامًا ثالثًا يقوم إلى جانب نظام التسجيل الشخصي والعيني وفي نفس الاتجاه يذهب (العميرة، ٢٠١١) والذي أطلق على هذا النظام مصطلح التوثيق المطلق، أي الذي لا يستند إلى شكلية أو إجراء معين في إثبات التصرفات القانونية والحقوق الواقعة على العقار سواء تعلق الأمر بإثبات تملك العقار ابتداء أو بإثبات أحد الحقوق العينية الأصلية أو التبعية التي تقع على العقار وهو نفس ما اتجه إليه كذلك (الشمري ح.، ٢٠١٩).

وهذا ما اكد عليه القضاء السعودي في العديد من الأحكام والقرارات الصادرة عنه، حيث يلاحظ من خلال تتبع أحكام المحاكم أنها لا تستند في إثباتها للملكية العقارية والحقوق المترتبة على العقار إلى أي إجراءات او شكليات معينة، فعلى سبيل المثال جاء في أحد الأحكام "... كما جرى الاطلاع على قرار هيئة النظر بالمحكمة والمتضمن أن البيت يقع في حي (...) بمحافظة تثليث، وأن الحدود والأطوال والمساحة في الإنهاء والشهادة مطابقة لما جاء في القرار... فبناء على ما سلف تضمنته إجابة المنهي وما أقام من دليل عليها،، ولقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من أحيا أرضا ميتة فهي له) سنن الترمذي، وقوله صلى الله عليه وسلم: (من أحاط حائطا على أرض فهي له) سنن أبي داود، فقد ثبت لدي تملك (...) للبيت الموصوف بعاليه أرضًا وبناء (مجموعة الاحكام القضائية، ١٤٣٥)، كما جاء في حكم آخر "... فبناءً على ما تقدم من إنهاء المنهي وشهادة الشاهدين المعدلين وفق الأصول والقواعد الشرعية فقد ثبت لدي تملك ورثة)...(لكامل الأرض الزراعية الواقعة في قرية (...) الموصوفة أعلاه بحدودها وأطوالها ومساحتها الإجمالية، يتصرف فيها تصرف الملاك في أملاكهم.." (مجموعة الاحكام القضائية، ١٤٣٥).

وعلى خلاف التوجه السابق اعتبر (صالح، ٢٠٠٥) ان النظام المعمول به بخصوص العقارات غير المسجلة في النظام السعودي هو في حقيقته نظام الشهر الشخصي ويسمى نظام تسجيل العقود والذي يقوم على إشهار التصرفات والحقوق التي ترد على العقار وفقًا لأسماء الأشخاص وليس بالاعتماد على موقع العقار، والحقيقة أن هذا الرأي لا يتفق مع الواقع العملي، فالنظام المطبق على العقارات غير الخاضعة لنظام التسجيل العيني غايته توثيقية بالأساس وليست إشهارية، وكل من المحاكم وكتابات العدل لا تمسك

سجلات شخصية بالمعنى المعروف في نظام التسجيل الشخصي، وإنما تضطلع فقط بتوثيق المعاملات ومسكها دون ترتيبها ضمن سجلات خاصة وفقًا لأسماء المتصرفين أو غيره.

أما النوع الثاني من العقارات في المملكة فهي تلك التي خضعت لإجراءات قانونية وقضائية وإدارية حددها نظام التسجيل العيني ، وانتهت بتسجيلها ضمن سجلات خاصة تمسكها جهة معينة محددة قانونًا، وبالتالي أصبحت تتميز عن النوع الأول من العقارات بمجموعة من الاحكام القانونية التي تطبق عليها.

وبالرجوع لنظام التسجيل العيني للعقار نجد أن المنظم السعودي وفي المادة الأولى منه قام بتعريف السجل العقاري على أنه "مجموعة الوثائق التي تبين أوصاف كل عقار وموقعه وحالته الشرعية، وما له من حقوق وما عليه من التزامات، والتعديلات التي تطرأ عليه تباعًا"، كم قام بالإضافة إلى ذلك بتعريف التسجيل العقاري في المادة الأولى من (اللائحة التنفيذية لنظام التسجيل العيني للعقار، ١٤٢٥) على أنه " الطريقة التي تجعل من الوحدة العقارية محل الحق أساسًا لقيد الحقوق العقارية، بحيث تخصص صحيفة في السجل العقاري لكل وحدة عقارية، توصف فيها الوحدة وصفًا دقيقًا من حيث موقعها، ومساحتها، وطبيعتها، وتبين فيها الحقوق، والالتزامات الواردة عليها"، وبالتالي فإنه من الواضح من اسم النظام وكذلك من المفاهيم السابقة والتي تتطابق بشكل كامل مع الفكرة التي ينبني عليها التسجيل العيني أن نية المنظم السعودي كانت متجهة وبشكل صريح إلى الأخذ بنظام التسجيل العيني، وهذا ما يتضح أكثر بقراءة مختلف نصوص النظام ولائحته التنفيذية حيث تتناول تلك النصوص في غالبيتها تنظيم السجل العيني وعملية تسجيل الحقوق والتصرفات القانونية وغيرها من الاحكام الخاصة بنظام السجل العيني

لكن مع ذلك فإن المنظم السعودي قد أدرج بعض الاحكام التي من شأن وجودها أن يتعارض مع فكرة اعتماد نظام التسجيل العيني دون غيره من الأنظمة، ومن هذه الاحكام على سبيل المثال ما ورد في المادة ٧ من (نظام التسجيل العيني للعقار، ١٤٢٣) والتي جاء فيها "يلحق بكل سجل عقاري فهرس شخصي هجائي تستقى بيانته منه، يخصص فيه لكل مالك صحيفة أو أكثر، تبين فيها الوحدات العقارية التي يملكها وما يطرأ عليها من تعديلات"، فهذا النص يستوجب إنشاء سجل شخصي إلى جانب السجل العيني ، مما يطرح التساؤل حول الغاية التي سعى لها المنظم من ذلك على الرغم من الانتقادات الكبيرة الموجهة لنظام السجل الشخصي وقيام الكثير من الدول بهجره والتحول بشكل كامل إلى نظام السجل العيني (بوشنافة، اختلاف أنظمة الشهر العقاري وموضع نظام الشهر العقاري الجزائري منها، ٢٠٠٧).

وفي الحقيقة أننا لا نجد أي غاية عملية ترتبط بالهدف الرئيس من نظام التسجيل بحد ذاته، فإذا كان الهدف من نظام التسجيل هو الشهر وحفظ الحقوق ومنع ازدواج الصكوك وغيرها من المشاكل التي تواجه العقار (اليحيى، ٢٠١٢) فإن نظام السجل العيني قادر وحده على القضاء على تلك المشاكل بشكل أكثر فاعلية من نظام السجل الشخصي، بل أن من مشاكل نظام السجل الشخصي والذي دفع الدول إلى هجره هي عدم قدرته على حل تلك المشاكل، لذلك فلعل الغاية التي سعى اليها المنظم من اقحام السجل الشخصي ضمن نصوص نظام التسجيل العيني هي إحصائية وحسب وإذا كان الأمر كذلك فإن اعتماد التقنيات الحديثة في مسك السجل العقاري يقوم بهذا الدور دون حاجة إلى إرهاق دوائر التسجيل بمسك سجلات شخصية وما يستلزمه ذلك من إجراءات فهرسة وحفظ وإتلاف وغيرها مما نصت عليه المادة ٧ من (اللائحة التنفيذية لنظام التسجيل العيني للعقار، ١٤٢٥)، وفي جميع الأحوال فإن إدراج بعض القواعد الخاصة بالسجل الشخصي ضمن نظام التسجيل العيني يدفعنا للتساؤل حول حقيقة طبيعة نظام التسجيل في المملكة العربية السعودية، هل هو بالفعل نظام تسجيل عيني، بمعنى آخر هل تنطبق القواعد والمبادئ المتعارف عليها للسجل العيني على نظام التسجيل السعودي، أم أنه اتبع منهجًا مغايرًا عما اتبعته النظم المقارنة ؟

في هذا الصدد يرى (أبودياب، ٢٠١٩) أن النظام السعودي اتبع منهجًا فريدًا يختلف عما اتبعته أنظمة التسجيل العالمية المختلفة، فالجهات التي تتولى عملية التسجيل تتوزع بين المحاكم وكتابات العدل وبعض الوزارات والهيئات والبلديات، وغالبية تلك الجهات ليست مختصة بالشهر مما ينتج عنه صعوبة التعرف على الوضعية الحقيقية للعقار، كما أن البنية القانونية لنظام التسجيل في المملكة العربية السعودية غير واضحة المعالم من حيث الهيكلة والاختصاصات ونصوصه غامضة وغير دقيقة، وهو لا يهدف سوى لإشهار التصرفات القانونية التي ترد على العقار، ومن هنا استدل (أبودياب، ٢٠١٩) هذا النظام لا يعتبر نظامًا للتسجيل العيني بحسب ما هو مقرر في مختلف الأنظمة التي أخذت بنظام التسجيل العيني وإنما هو نظام فريد لا يمكن اعتباره حتى تسجيل شخصي.

وعلى خلاف الرأي السابق اعتبر (صالح، ٢٠٠٥) أن النظام المطبق على العقارات المسجلة هو في حقيقته نظام التسجيل العيني كما هو متعارف عليه ووفقًا لنفس الأسس والمبادئ التي يقوم عليها التسجيل العيني بشكل عام، فخصائص هذا النظام واجراءاته بالإضافة إلى الآثار المترتبة عن القيود التي تتم وفقًا لأحكامه تتطابق بشكل كامل مع نظام التسجيل العيني كما هو متعارف عليه.

والحقيقة أنه على الرغم من وجاهة الرأي الأول فيما يتعلق بالعقارات غير المسجلة أو غير الخاضعة لنظام التسجيل العيني فإننا نرى عدم إمكانية تعميمه على كافة أنواع العقارات في المملكة، فالعقارات

الخاضعة لنظام التسجيل العيني تتميز عن العقارات غير الخاضعة له من عدة أوجه، من بينها أن الجهة التي تتولى عملية تسجيل التصرفات التي ترد عليها محصورة في دائرة التسجيل دون المحاكم؛ لذلك فإن الاختصاصات محددة وواضحة، كما تتميز العقارات الخاضعة لنظام التسجيل العيني بإمكانية التعرف على وضعيتها المادية والقانونية على خلاف ما هو الأمر بالنسبة للعقارات غير الخاضعة لهذا النظام.

أما بخصوص الرأي الثاني فإنه يلاحظ أنه استند في تحليله لطبيعة نظام التسجيل السعودي على المبادئ العامة التي يقوم عليها نظام التسجيل العيني كما هو متعارف عليه في الأنظمة المقارنة، معتبرًا أن النظام السعودي لم يخرج عنها وقام بتطبيقها كما هي وذلك دون الأخذ بعين الاعتبار خصوصية النظام السعودي ودون التعمق في دراسة الأحكام التي نص عليها هذا النظام وخصوصًا تلك المتعلقة بحجية القيود وأثرها على طبيعة التصرفات القانونية التي ترد على العقارات المسجلة، فالمنظم السعودي خرج عن العديد من المقتضيات المعروفة في نظام التسجيل العيني ولم يطبق هذا النظام بكافة مبادئه واسسه.

لهذا فقد اعتبر (الزين، ٢٠١٩) وهو الرأي الذي نتفق معه أن نظام التسجيل السعودي ما هو في حقيقة الأمر سوى مزيج بين قواعد نظام الشهر الشخصي ونظام التسجيل العيني ولا يمكن القول قطعًا باعتباره سجلًا عينيًّا بشكل مطلق، ليس فقط لأنه اشترط مسك السجلات الشخصية على غرار نظام التسجيل الشخصي، وإنما كذلك لكونه لم يعترف ببعض المبادئ والقواعد الرئيسة المعروفة في نظام التسجيل العيني خصوصًا تلك المتعلقة بحجية القيود الواردة في السجل العقاري واثرها على طبيعة وصحة التصرفات القانونية المنشئة لها.

الفقرة الثانية: طبيعة إجراءات تسجيل العقار لأول مرة:

إن الانتقال بالعقارات في المملكة العربية السعودية من المنظومة التي تقوم عليها إلى نظام التسجيل العيني يتطلب الكثير من الوقت والجهد والأموال، فالمساحات التي ينبغي تغطيتها شاسعة، والنظام القديم للتوثيق يفتقر إلى الكثير من المعلومات الخاصة بالعقار حيث لا تتجاوز بعض المعلومات التي تصفه وصفًا ماديًّا ولا تحدد موقعه بشكل دقيق (الريش، ٢٠٠٨)، كما أن تسجيل الملكية لأول مرة يجب أن ينطوي على الضمانات التي تضمن تسجيل الحقوق المشروعة فقط واستبعاد الحقوق المشكوك فيها، بالإضافة إلى ضرورة البت في العديد من النزاعات التي قد تثور أثناء عملية تسجيل العقار لأول مرة، لهذا استدعى الأمر من المنظم السعودي توفير البنية التحتية الإدارية والقانونية اللازمة لتطبيق هذا النظام مع اعتماد التطبيق التدريجي له حتى تتكون الخبرة ويُتعرف على أبرز الإشكالات التي يطرحها التطبيق على الواقع العملي.

وتتميز إجراءات التسجيل العقاري في النظام السعودي بكونها إجراءات قضائية منذ بداية أعمال التحديد والتحرير وصولًا إلى إجراء القيد الأول للوحدة العقارية، وذلك على خلاف العديد من الدول التي اتبعت ازدواجية الإجراءات فيما يتعلق بعملية التسجيل الأول للوحدة العقارية، فأوكلت إجراءات التسجيل إلى جهة إدارية، فإذا حدث نزاع أو اعتراض على قرارات الجهة الإدارية أو بخصوص عملية التحديد فإن النزاع أو الاعتراض يحال إلى جهة قضائية لتقوم بالفصل فيه، وقد خلف هذا التوجه الأخير العديد من المشاكل على صعيد التطبيق العملي خصوصًا فيما يتعلق بتداخل الاختصاصات بين الجهات الإدارية والقضائية (الحضري، ٢٠١٠)، لهذا أراد المنظم السعودي أن يتلافى مثل هذه الإشكالات من خلال الاشراف القضائي المباشر على عملية القيد الأول، وعلى أي حال فإن إجراء عملية التسجيل تتم من خلال مجموعة من الإجراءات يمكن أجمالها على النحو الآتي:

أولًا: يقوم القاضي المشرف على القيد الأول بإصدار الأمر ببدء أعمال التحديد والتحرير وفقًا لما جاء في المادة ١٦ من (نظام التسجيل العيني للعقار، ١٤٢٣)، فيقوم بدعوة ذوي الشأن في المنطقة العقارية المحددة وذلك للإرشاد عن أملاكهم وحقوقهم وتقديم مستنداتهم عن طريق تقديم طلب بذلك مرفق بما يؤيده من مستندات، ويعد الطلب المقدم بمثابة افتتاح لإجراءات التحديد والتحرير والتي يجب أن تبدأ بعد ٦٠ يومًا من تاريخ نشر قرار القاضي، وبما لا تجاوز ٩٠ يومًا من قرار الوزير المتعلق بتحديد المنطقة الخاضعة للتسجيل حسب ما نصت عليه المادة ١٦ من (اللائحة التنفيذية لنظام التسجيل العيني للعقار، ١٤٢٥).

ثانيًا: تبدأ عملية التحديد بقيام معاوني القاضي المكلفين من قبل دائرة المساحة والأراضي بإجراء العمليات المساحية واعداد الخرائط، وفي نفس الوقت يتسلم الوثائق المثبتة للحقوق التي ترد على الوحدة العقارية محل التسجيل، وهذه العملية تنتهي بقيد بيانات محضر التحديد والتحرير في صحيفة الوحدة العقارية بما يتضمن رقمها وحدودها وأطوالها ومساحتها والإنشاءات المقامة عليها وأسماء المالكين ومقدار حصصهم والوحدات العقارية المجاورة وبيان ما لها من حقوق وما عليها من التزامات وتاريخ نشأتها وأصحابها.

ثالثًا: تنتهي إجراءات التحديد والتحرير بتوقيع القاضي على محضر التحديد والتحرير الذي يتضمن عملية التحديد التي قامت بها الجهات المختصة بالإضافة إلى الإجراءات الأخرى التي قام بها القاضي والمتعلقة بتحديد أصحاب الحقوق من خلال الوثائق التي قُدمت وذلك قد يستوجب من القاضي اتخاذ بعض القرارات بهدف تحديد الوثائق المقبولة عند وجود تعارض بين صكوك الملكية المختلفة بحسب ما نصت عليه المادة ٢١ من (نظام التسجيل العيني للعقار، ١٤٢٣)، والتي حددت الصكوك التي تتمتع بالأولوية على غيرها.

رابعًا: وبعد قيد بيانات محضر التحديد والتحرير يقوم القاضي بإعلان ما تم قيده ويتضمن الإعلان دعوة ذوي الشأن للاطلاع على البيانات وإبلاغهم بحقهم بالاعتراض على نتيجة التحديد والتحرير خلال ٦٠ يومًا تاريخ الإعلان عن انتهاء الأعمال، وبعد انتهاء هذه المدة يصدر القاضي قراره باختتام أعمال التحديد والتحرير بصفة نهائية، وفي هذه المرحلة فإن القاضي يكون بصدد ممارسة سلطات إدارية فيما يتعلق بالقرارات التي يقوم بإصدارها إذ إن عمله هنا يقتصر على تطبيق نصوص قانونية دون أي سلطات تقديرية (الفوزان، ٢٠١٨).

خامسًا: بعد الإعلان عن نتيجة التحديد والتحرير فإن الأمر لا يخرج عن احتمالين، **الأول** عدم تقديم أي اعتراض على محضر التحديد والتحرير وفي هذه الحالة فإن القاضي إما أن يقوم بالتصديق على المحضر والأمر بقيد ما تضمنه في السجل العقاري بشكل مؤقت، وإما أن يأمر باستيفاء أوجه النقص أو إجراء ما يلزم من تحقيقات إضافية إذا وجد ما يستلزم ذلك وفي هذه الحالة الأخير له أن يأمر بالقيد بعد ذلك أو الرفض بقرار مسبب حسب ما نصت عليه المادة ٢٧ من (نظام التسجيل العيني للعقار، ١٤٢٣).

أما الاحتمال الثاني فهو أن تُقدم اعتراضات ممن لهم مصلحة على محضر التحديد والتحرير أو على القرار الذي قام القاضي باتخاذه في الحالة التي وقع فيها تعارض بخصوص صكوك الملكية التي قدمت إليه (اللائحة التنفيذية لنظام التسجيل العيني للعقار، ١٤٢٥)، وهنا يقوم القاضي أما بإصدار قراره مباشرة في الاعتراض أو يقوم بتشكيل لجنة للنظر في هذه الاعتراضات بشرط ألا يكون أعضاء اللجنة ممن سبق لهم وأن قاموا بإجراء عملية التحديد والتحرير حسب نص المادة ٢٦ من (اللائحة التنفيذية لنظام التسجيل العيني للعقار، ١٤٢٥)، وتقوم هذه اللجنة بإجراء ما يلزم ومن ثم تعد تقريرًا يقدم للقاضي خلال ٣٠ يوما من تاريخ وصول الاعتراض، والقاضي في النهاية هو الذي يصدر قراره بخصوص تلك الاعتراضات حتى لو خالف ما توصلت اليه اللجنة المشكلة وبحسب قناعته ليُجرى القيد المؤقت في السجل العقاري.

سادسًا: بخصوص القرارات التي يصدرها القاضي المشرف بإجراء القيد المؤقت سواء في حال عدم وجود اعتراضات أو بعد صدور تقرير اللجنة المكلفة بالبت في الاعتراضات كلها قابلة للاعتراض عليها خلال سنة من تاريخ القيد في السجل العقاري من طرف أي له مصلحة في ذلك وفقًا لما جاء في المادة ٢٨ من (نظام التسجيل العيني للعقار، ١٤٢٣)، وهذه القرارات تعد من قبيل الاعمال الولائية للقاضي المشرف وليست عملا قضائيا، ذلك أنها لا تصدر في إطار خصومة قائمة بالإضافة إلى كونها قابلة للاعتراض عليها (الشمري ع.، ٢٠١٥)، فالعمل الولائي يشمل كافة الطلبات التي لا تنطوي على خصومة ويصدرها القاضي المنوط به إصدار الحكم، والأمر الولائي لا يحوز حجية ويمكن الطعن فيه بالطرق التي

حددها القانون لذلك للحكم بصحة وملائمة إصداره (مجدي، ٢٠١٨)، إلا أن الإشكال يثار حول القرار الذي يتخذه القاضي بعدم إجراء القيد نهائيًّا وذلك في الحالة التي نصت عليه المادة ٢٧ من (نظام التسجيل العيني للعقار، ١٤٢٣) السابق الإشارة اليها، فالمشرع تطلب أن يكون القرار الذي يصدره القاضي في هذه الحالة مسببًا لكنه لم يبين مدى إمكانية الطعن في هذا القرار أو الجهة التي تنظر في هذا الطعن في حال إمكانية الطعن فيه، ولا يمكن القول بأنه يخضع للقاعدة العامة التي تجيز الاعتراض على قرارات القيد داخل أجل سنة ذلك أن الجهة المخولة بنظر تلك الاعتراضات هو القاضي المشرف نفسه، والاعتراضات التي أجازها المنظم سوف تكون أما في مواجهة طالب التسجيل، أو في مواجهة محضر التحديد الذي أعدته اللجنة، بينما الاعتراض على القرار بعدم القيد إن افترضنا وجوده سوف يكون موجهًا لنفس القاضي الذي ينظر فيه وهذا لا يستقيم قانونًا.

كما أنه من جهة أخرى لا يمكن القول أن القرار الذي يصدره القاضي في هذه الحالة لا يقبل الطعن فتطلب المنظم أن يكون القرار مسببًا يعني أنه يكون قابلًا للطعن فيه، والجهة التي تنظر في هذا الطعن سوف تراقب الأسباب التي بنى عليها القاضي المشرف قراره بعدم إجراء القيد، وبما أن طبيعة عمل القاضي في هذه المرحلة هو عمل ولائي خاضع لسلطته التقديرية لذلك فإننا نعتقد أن قراراه هنا يكون خاضعًا للطعن بالنقض أمام المحكمة العليا بحسب ما نصت عليه المادة ٣٣ من (نظام التسجيل العيني للعقار، ١٤٢٣) والتي جاءت عامة في صيغتها ولم تحدد الاحكام المقصودة والتي تخضع للتمييز بحسب تعبير تلك المادة.

المطلب الثاني: الحجية القانونية للقيد الأول للعقار في السجل العيني

كما قلنا سابقًا فإن القيد الذي يقوم به القاضي بعد الفصل في الاعتراضات المقدمة ضد محضر التحديد والتحرير يعد قيدًا مؤقتًا وليس نهائيًّا فلا يكتسب الحجية القاطعة ولا يصبح القيد نهائيًّا إلا بعد انقضاء مدة الاعتراض العادية والمحددة بسنة من تاريخ القيد، وخلال هذه الفترة أجاز المنظم لكل من يدعي حقًّا أو أي صاحب مصلحة أن يعترض على البيانات التي أُدرجت في السجل العقاري ويطلب من القاضي تغييرها حسب مقتضيات المادة ٢٨ من (نظام التسجيل العيني للعقار، ١٤٢٣)، وفي الدول التي تتبنى نظام التسجيل المزدوج (الإداري والقضائي) فإن الاعتراض هو الذي ينقل طلب التسجيل من مرحلته الإدارية إلى مرحلته القضائية (أولياس، ٢٠١٨) أما في النظام السعودي والذي أوكل التسجيل لجهة قضائية منذ البداية فإن طبيعة العمل الذي يقوم به القاضي المشرف على القيد الأول بنظر الاعتراضات التي تقدم داخل المدة القانونية تختلف بحسب نوع الاعتراض والشخص الذي قام بتقديمه.

فالعمل الذي يقوم به القاضي كما أسلفنا القول لا يعد دائمًا عملًا قضائيًا؛ لهذا فإذا ما كان المعترض هو طالب التسجيل نفسه فإننا لا نكون أمام خصومة وانما يتعلق الأمر هنا بطلب يسعى من خلاله المعترض إلى تعديل بعض البيانات الواردة في السجل العقاري اذا كان طلبه ليس له تأثير على حقوق غيره وبالتالي فإن عمل القاضي هنا يدخل في إطار سلطته الولائية بما أنه لا يؤدي إلى الفصل في خصومة (أبوغوش، ٢٠١٣)، أما اذا كان الاعتراض من شأنه التأثير على حقوق غيره فإن المعترض يكون مدعيًا وغيره الذي تتأثر حقوقه مدعى عليه ويكون الاعتراض بمثابة دعوى، وهو نفس ما عليه الحال إذا كان الاعتراض مقدمًا من طرف شخص آخر غير طالب التسجيل ففي هذه الحالة كذلك نكون بصدد منازعة اما ان تنصب على وجود أو مدى حق ملكية طالب التسجيل أو حدود العقار من اجل المطالبة بحق عيني أنكره طالب التسجيل عندما لم يشر إليه في طلبه (الكزبري، ١٩٨٧)،فيكون مقدم الاعتراض مدعيًا وطالب التسجيل مدعى عليه، وتعليل ذلك أن القيد الأول أنشأ مركزًا قانونيًا يمكن اعتباره بمثابة الثابت والمدعي هو من يدعي خلاف هذا الثابت وهو بالتالي المكلف بإثبات عكس ما جاء في بيانات القيد المؤقت.

لهذا فإن الاعتراض يعد بمثابة الطريق العادي للطعن في قرار القيد الصادر عن القاضي المشرف وهو إجراء مكمل لإجراءات القيد الأول فهو عبارة عن الطريقة القانونية لمنازعة طالب التسجيل والاحتجاج عليه، وهي وسيلة من وسائل تطبيق مبدأ التطهير في الدول التي تتبنى النظام العيني (حنو، ٢٠٠٦)، فهو لا يعتبر استثناءً من قاعدة الحجية المطلقة للقيد الواردة في المادة ٣ من (نظام التسجيل العيني للعقار، ١٤٢٣).

وتقديم الاعتراض يؤدي إلى وقف أثر القيد المؤقت ومن ثم يقوم القاضي بالبت في الاعتراضات على وجه السرعة ولو لم يحضر ذوو الشأن بعد التأكد من تبليغهم وفق القواعد المقررة في نظام المرافعات الشرعية حسب ما نصت عليه المادة ٣٠ من (اللائحة التنفيذية لنظام التسجيل العيني للعقار، ١٤٢٥)، وبعد إصدار القاضي لقراره في الاعتراض يقوم بتبليغ ذوي الشأن بنسخه من القرار، كما يقوم بإرسال نسخة من القرارات القطعية إلى إدارة التسجيل العقاري المختصة لتحديث بيانات السجل العقاري بحسب منطوق القرار، وتكون القرارات الصادرة عن القاضي نهائية وغير قابلة للطعن بالتمييز في حالتين، الحالة التي يكون فيها التغيير متفقًا عليه بين جميع ذوي الشأن الواردة أسمائهم في السجل، والحالة التي لا يمس فيها التغيير حق شخص من الأشخاص الواردة أسماؤهم في السجل، وفي غير هذه الحالات يكون القرار الصادر عن القاضي قابلًا للتمييز خلال ثلاثين يومًا من تاريخ النطق بالحكم وذلك إذا لم يبدي المحكوم عليه قناعته بالحكم الصادر عن القاضي حيث يسقط حقه في التمييز عندئذ (اللائحة التنفيذية لنظام التسجيل العيني للعقار، ١٤٢٥).

وبعد انقضاء مدة السنة دون تقديم اعتراضات أو بعد الفصل في الاعتراضات التي قدمت فإن القيد يصبح نهائيًّا ، وتنتهي مهمة القاضي المشرف على القيد الأول، والاصل وفقًا لنظام التسجيل العيني أن القيد متى أصبح نهائيًّا فإنه يكون ممثلًا لعين الحقيقة بالنسبة للأطراف والغير وحجيته تكون مطلقة ولا يمكن الطعن في بياناته، إلا أنه وان كان الامر كذلك في بعض الدول فإن المنظم السعودي قد اتخذ منهجًا مغايرًا، فقد سمح بإهدار حجية القيد الأول في أربعة حالات: منها حالتان خاصتان بالاعتراض على القيد الأول فقط؛ لذلك حدد لهما النظام مدة معينة وهما الحالة التي تظهر فيها وثائق أو أدلة جديدة لم يستطع صاحب الحق تقديمها أثناء سريان إجراءات التسجيل، والحالة الثانية هي التي يكون فيها صاحب الشأن قاصرًا أو فاقدًا لأهليته عند اجراء القيد، بالإضافة إلى حالتين يمكن الاعتماد عليهما للطعن في القيد الأول أو للطعن في القيود التالية وهما حالتا مخالفة الأصول الشرعية والتزوير، وتفاديًا للتكرار سوف نقوم بتناول حالتي مخالفة الأصول الشرعية والتزوير في المبحث الثاني من هذه الدراسة عند بحث حجية القيود التالية للقيد الأول.

فالمنظم السعودي أجاز الاعتراض على القيد الأول في حالة ظهور أدلة أو وثائق أو مستندات جديدة لم يكن بإمكان صاحب الحق تقديمها خلال مدة الاعتراض العادية أو أنه اعترض لكن الوثائق والأدلة ظهرت بعد أن صدر الحكم برفض اعتراضه، فالأصل أنه اذا رُفض الاعتراض أو انقضت مدة السنة دون تقديمه يصبح القيد نهائيًّا وغير قابل للطعن فيه، لكن مراعاة لمصالح أصحاب الحق أضاف المنظم في هذه الحالة الاستثنائية مدة إضافية يستفيد منها كل من توفرت فيه شروط معينة وذلك في المادة ٣٤ من (اللائحة التنفيذية لنظام التسجيل العيني للعقار، ١٤٢٥)، والحقيقة أن هذا الاعتراض يثير التساؤل حول مدى اعتباره جزءًا من إجراءات القيد الأول؟ فاعتباره من إجراءات التسجيل من عدمه له تأثير كبير على مبدأ الحجية المطلقة للقيد، فهو إما يعد استثناء على هذا المبدأ أو لا يعد كذلك.

من الواضح أن المنظم السعودي لم تكن غايته اعتبار هذا الاعتراض استثناء على مبدأ الحجية المطلقة للقيد، ذلك أنه اخذه بعين الاعتبار عند تقرير مبدأ الحجية المطلقة فقام بربط مدة الاعتراض بتاريخ إجراء القيد الأول، لهذا يرى (صالح، ٢٠٠٥) بأن المدة المنصوص عليها بخصوص هذا الاعتراض تدخل ضمن إجراءات التسجيل العادية، والحقيقة أننا نرى أن هذا الاعتراض لا يعد من ضمن إجراءات التسجيل ذلك أن المحكمة المختصة بنظره هي المحكمة التي يقع العقار في دائرتها، فهي الجهة المخولة بنظره والفصل فيه وليس القاضي المشرف على القيد الأول كون الدور الذي يقوم به هذ الأخير انتهى بانتهاء مدة الاعتراض على القيد المؤقت أو بإصدار الحكم في الاعتراضات المقدمة ضد هذا القيد وبالتالي ثُبت القيد، كما لا يمكن اعتباره استثناء حقيقيًّا على مبدأ الحجية المطلقة للقيد ذلك أنه محدد بمدة معينة تبدأ من تاريخ إجراء

القيد وكذلك فإن قبوله من طرف المحكمة يؤدي إلى تعديل قيود السجل العقاري بغض النظر عن حسن أو سوء نية أي طرف من أطراف العلاقة، لهذا يمكن القول إن هذا الاعتراض هو طريق غير عادي للاعتراض على قرار القيد المؤقت، وقد سمي هذا الاعتراض بغير العادي بالنظر لوجه الشبه بينه وبين التماس إعادة النظر بوصفها طريقة غير عادية من طرق الطعن (عبدالمطلب، ٢٠٠٩).

ويكون الاعتراض خلال سنتين من تاريخ القيد وهي مدة معقولة في الحالة التي يكون ظهور الأدلة الجديدة أو المستندات قد حصل بعد انتهاء مدة الاعتراض على القيد المؤقت حيث يتبقى للشخص مدة سنة أخرى لكي يبحث عما يثبت حقه من أدلة ووثائق، لكننا لا نعتبر أنها كافية في الحالة التي يكون فيها الشخص قد تقدم باعتراض وخسر دعواه، اذ إنه على الرغم من أن المنظم أوعز بان يُفصل بالاعتراضات على وجه السرعة لكن هذا لا يعني أن الدعوى لن تأخذ وقتًا قد يتعدى السنة للبت فيها من طرف القاضي المشرف، وبالتالي كان من المفترض أن تبدأ مدة السنة الإضافية بعد صدور الحكم في الاعتراض على القيد المؤقت وليس من تاريخ إجراء القيد كما ما نصت عليه المادة ٣٤ من (اللائحة التنفيذية لنظام التسجيل العيني للعقار، ١٤٢٥)، وعلى أي حال فإن الاعتراض الناتج عن ظهور وثائق أو أدلة جديدة يخضع للأحكام التي قررها المشرع بخصوص قيد الدعاوي التي من شأنها أن تؤثر على الحقوق التي يحتويها السجل العقاري، ذلك أن هذا الاعتراض من شأنه أن يؤثر على تلك القيود، كما أن الحكم الصادر في هذا الاعتراض يعد نهائيًّا ولا يقبل الطعن.

أما الحالة الثانية التي أجاز فيها المنظم السعودي الطعن في القيد الأول وهي الحالة يكون فيها صاحب الحق قاصرًا أو فاقدًا أهليته وقت إجراء القيد الأول، ويشترط حسب ما نصت عليه المادة ٣٥ من (نظام التسجيل العيني للعقار، ١٤٢٣) أن يكون الشخص قاصرًا أو فاقدًا للأهلية وقت إجراء القيد، فلو كان كامل الأهلية حينه ثم فقد أهليته بعد ذلك لا يمكنه الطعن وفقا لهذه المادة، كما يشترط أن يقدم طعنه خلال خمس سنوات من تاريخ اكتمال اهليته إذا كان قاصرًا وخلال سنتين من استرداداه أهليته إذا كان فاقدًا لها، وباستقراء الشروط والنصوص التنظيمية الواردة في اللائحة يمكن القول إن هذا النص يعد استثناء حقيقيًّا على مبدأ الحجية المطلقة للقيد وأن كان المشرع قد حدده بمدة معينة إلا أن هذه المدة لا تبدأ من تاريخ اجراء القيد وإنما من تاريخ لاحق له قد يطول بحيث يبقى القيد الأول في تهديد دائم ولا شك أن هذا يتنافى مع الغاية المرجوة من مبدأ الحجية المطلقة للقيد والتي سعت التشريعات إلى تكريسها لتدعيم الثقة في القيود العقارية على الرغم من محاولة المنظم السعودي التخفيف من وطأة هذا الاستثناء بالنص على عدم المساس بحقوق غير حسن النية والتي اكتسبها بعد إجراء القيد الأول وقبل الطعن فيه من قبل القاصر أو فاقد الأهلية مع حق المتضرر في المطالبة بتعويض عن الإضرار.

وعلى أي حال فبعد مرور المدد القانونية للاعتراضات العادية وغير العادية الواردة في النظام، أو بعد الفصل في الاعتراضات التي قدمت وصدور أحكام نهاية فيها وتسجيلها في السجل العقاري، فإن إجراءات القيد الأول تكون قد استكملت وانتقل العقار بالتالي إلى قائمة العقارات المسجلة وفقًا لنظام التسجيل العيني، ويترتب عن ذلك اعتبار السجل العيني ممثلًا للحقيقة المطلقة فيما يتعلق بوضعية العقار المادية والقانونية، فبعد انتهاء آجال الطعن السابقة تثبت لبيانات السجل العقاري الحجية القانونية في الإثبات، وفي هذا الصدد اعتبر (صالح، ٢٠٠٥) أن انقضاء آجال الطعن بالقيد الأول يؤدي إلى تطهير العقار من أي حقوق أو التزامات غير مسجله في قيوده ولا تعتبر بالتالي موجودة نهائيًا .

وقرار القيد يطهر العقار من الحقوق السابقة وغير الظاهرة وقت تحقيق الملكية ولو كانت مشروعة، كما يعترف في نفس الوقت بالوجود القانوني للحقوق الظاهرة ولو كانت غير مشروعة وهو النهج الذي تتخذه بعض التشريعات (عاشور، ٢٠٠٥)، لكن ما يلاحظ أن المنظم السعودي والذي لم ينص صراحة على الأثر المطهر للقيد الأول نص في المادة ٣ (نظام التسجيل العيني للعقار، ١٤٢٣) على مبدأ الحجية المطلقة والتي يمكن من خلاله استنتاج ان كل ما لم يرد في السجل العقاري يعد غير موجود قانونا بالنظر لانتهاء مدة التحديد والتحرير والاعتراضات، لكن المادة ٣ تنص كذلك على أنه يمكن الطعن بتلك القيود دائمًا في حالة التزوير أو مخالفة الأصول الشرعية، وهذا يعني أن الأثر التطهيري للسجل العقاري هو اثر نسبي وليس مطلق، فالقيد الذي تم بناء على وثائق مزورة أو مخالفة للأصول الشرعية لا يمكن الاحتجاج بقوته المطلقة أما في غير هذه الحالات فإن من وقع له ضرر نتيجة القيد يستطيع المطالبة بالتعويض عن الأضرار التي وقعت له، وسنقوم ببحث هذه الاستثناءات أكثر عند الحديث عن حجية القيود التالية للقيد الأول والتي ترد على العقارات المسجلة.

المبحث الثاني

قيد التصرفات التي ترد على العقار المسجل

بعد انتقال العقار إلى قائمة العقارات المسجلة وفقا لنظام التسجيل العيني للعقار، فإنه ذلك يعني أنه من المفترض أن يخضع لنظام خاص يختلف عن العقارات غير المسجلة، سواء من حيث كيفية إجراءات القانونية وترتيب الحقوق على هذا العقار أو من حيث الأثر القانوني لتلك الحقوق والتصرفات، فقد أسلفنا القول إن نظام التسجيل العيني يقوم على مجموعة من المبادئ من بينها مبدأ القيد المطلق والذي يتطلب قيد كافة التصرفات والوقائع التي ترد على العقار المسجل، ومبدأ الحجية المطلقة للقيد والذي يقوم على أن القيود لها حجية مطلقة فيما بين الأطراف وبالنسبة لغيره، وسنقوم في هذا المبحث بتناول كيفية تعامل

المنظم السعودي مع هذه المبادئ من خلال ماهية الحقوق الخاضعة للقيد (المطلب الأول) ثم الآثار المترتبة عن قيد تلك الحقوق (المطلب الثاني).

المطلب الأول: الحقوق الخاضعة للقيد في السجل العقاري

الفقرة الأولى: ماهية الحقوق والوقائع الواجبة التسجيل في السجل العقاري

لا يجب النظر إلى السجل العيني للعقار على أنه يتضمن ما يرد على هذا العقار من حقوق عينية وحسب وانما يجب النظر إليه باعتباره صورة طبق الأصل عن الواقع المادي والقانوني له بحيث يمكن من خلال الاطلاع عليه معرفة وضعيته الحالية بالإضافة إلى ما يحتمل أن يؤول اليه مستقبلًا اذا ما كان هناك نزاعات تتعلق ببعض مكوناته المادية أو القانونية؛ لهذا فإن التسجيل لا يرد فقط على الحقوق العينية وإنما يرد كذلك على بعض الحقوق الشخصية بالإضافة إلى بعض الوقائع التي تؤثر في وضعيته بالشكل الذي اسلفناه.

وقبل البحث في ماهية الحقوق والوقائع الواجبة التسجيل في السجل العقاري بحسب النظام السعودي لا بد من الإشارة إلى أن مصطلح التسجيل الذي غايته شهر التصرفات والوقائع التي تقع على العقار قد يكون من خلال القيد في السجل العقاري أو من خلال التأشير، والفرق بين القيد والتأشير أن القيد يكون بصدد حق ثابت وعملية القيد هي اظهار لهذا الحق لذلك فالقيد يرد على كل الحقوق الثابتة بموجب السندات التي اعترف بها النظام، أما عملية التأشير فهي تكون لغاية حماية أحد الحقوق المتنازع عليها أو الحقوق غير الثابتة بموجب سند معتد به نظامًا إلى حين الحصول على هذا السند فيثبت بالتالي الحق بأثر رجعي من تاريخ التأشير وليس من تاريخ القيد، وبالتالي فإن التأشير هو عبارة عن اجراء تحفظي ووقتي غايته حماية حق متنازع عليه، وقد نص المنظم السعودي على اختصاص القضاء المستعجل بخصوص طلبات محو أو شطب التأشير وذلك في المادة ٥٦ من (نظام التسجيل العيني للعقار، ١٤٢٣).

وقد نص المنظم السعودي على وجوب قيد كافة التصرفات التي ترد على العقار والتي يكون من شأنها إنشاء حق من الحقوق العينية العقارية أو نقله أو تغييره أو زواله بالإضافة إلى الاحكام النهائية المثبتة لشيء من ذلك في المادة ٣٦ من (نظام التسجيل العيني للعقار، ١٤٢٣)، والحقوق العينية العقارية هي سلطة مباشرة يقرها النظام لشخص أو أكثر على عقار معين تخوله التصرف فيه والاستئثار بمنافعه، وهي تنقسم إلى نوعين حقوق عينية أصلية وهي الحقوق المستقلة بذاتها غير المستندة إلى حق آخر ترد على استعمال الشيء محل الحق أو استغلاله أو التصرف فيه وهي في النظام السعودي حق الملكية والانتفاع والارتفاق والاستعمال والسكنى وحق الحكر (الزقرد، المزيد، و عبدالقادر، ٢٠١٣)، وحقوق عينية تبعية

وهي الحقوق التي تتقرر على العقار لضمان حق شخصي والحقوق العينية التبعية هي الرهن الذي يقع على العقار المسجل والاختصاص والامتياز، ويعد وجوب قيد كافة التصرفات التي ترد على العقار بمثابة التطبيق العملي لمبدأ الشهر المطلق في نطاق نظام التسجيل العيني.

والتصرفات المنشأة للحقوق العينية العقارية هي تلك التي تؤدي إلى إنشاء حق لم يكن موجودًا مسبقًا، ومثل هذه التصرفات لا ترد على حق الملكية بحد ذاتها في اطار القيود التالية للقيد الأول، إذ إن العقار المسجل تُؤكد من كيفية نشأة حق الملكية فيه من خلال ما قدمه صاحب الحق خلال مرحلة القيد الأول من وثائق تثبت كيفية اكتسابه لهذا الحق وفقًا لما نصت عليه المادة ٨ من (نظام التسجيل العيني للعقار، ١٤٢٣)، وعقد بيع العقار لا يعتبر منشئًا لحق الملكية وإنما ناقل له فهو تصرف لا يوجد الملكية ابتداء وإنما يؤدي إلى انتقالها من البائع إلى المشتري (زهدور، ٢٠١٣)، لهذا فإن هذه التصرفات ترد فقط على الحقوق العينية الأصلية المتفرعة عن حق الملكية كالارتفاق مثلًا والتي نصت الفقرة ٣ من المادة ٣٦ من (اللائحة التنفيذية لنظام التسجيل العيني للعقار، ١٤٢٥) أن تقييده يتم في صحيفة كل من العقارين المرتفق والمرتفق به، وترد هذه التصرفات كذلك على الحقوق العينية التبعية كرهن العقار المسجل.

وتكون محلا للتسجيل كذلك جميع التصرفات الناقلة للحقوق العينية، وهذه التصرفات تنصرف إلى الملكية سواء ملكية العين أو ملكية الحق وتنطوي على نقل ملكية العقار او أحد الحقوق الذي ترد عليه من شخص لآخر وهي تشمل جميع التصرفات الإرادية سواء كانت تصرفات تتطلب ارادتين كعقود البيع والهبة أو جاءت بموجب إرادة منفردة كالوصية والوقف (زهدور، ٢٠١٣)، وكذلك جميع القرارات الإدارية التي من شأنها أن تنقل الحق العيني من شخص لآخر كقرارات نزع الملكية، كما تكون محلًا للتسجيل جميع التصرفات التي من شأنها أن تعدل في الحق العيني والمقصود بتعديل الحق العيني أي تغيير في مداه أو نطاقه دون أن يؤثر التغيير على وجود الحق كأن يُجرى تعديل في حقوق الارتفاق بنقله من مكان إلى آخر على نفس العقار (بوعلاق، ٢٠١٦)، وبالإضافة إلى ذلك فإنه توجد بعض التصرفات التي لا تعتبر منشئة أو ناقلة أو معدلة على الحقوق العينية لكنها واجبة التسجيل كالقسمة، ففي حالة الشيوع يكون كل شريك مالك منذ أن تملك على الشيوع فالقسمة لا تؤدي إلى اكتساب الملكية وإنما تكشف عنها (العمروسي، ٢٠١٥).

وقد نص المنظم السعودي كذلك على ضرورة تسجيل جميع التصرفات التي تؤدي إلى زوال الحق العيني، وفي هذا الإطار يرى (الزبن، ٢٠١٩) ضرورة التمييز بين زوال الحق وانقضائه، فانقضاء الحق يرجع إلى أسباب إرادية تقتضيه حتمية كون الحقوق العينية –من غير حق الملكية– هي حقوق مؤقته مصيرها الانقضاء إما بالتوافق أو بانتهاء أجلها كما هو محدد مسبقًا، أما الزوال فهو نتيجة فساد التصرف الذي

أدى إلى نشوء الحق، وبالتالي فإن المنظم السعودي عندما نص على ضرورة تسجيل التصرفات التي من شأنها زوال الحق العيني قصد بذلك الحالات التي يكون فيها التصرف مخالفًا للأصول الشرعية، لكن هذا لا يعني أن المنظم أسقط ضرورة تسجيل التصرفات التي تؤدي إلى انقضاء الحق، فتسجيل هذه التصرفات يمكن استنتاجه من مضمون المادة ٣٦ من (نظام التسجيل العيني للعقار، ١٤٢٣) فهذه المادة أوجبت قيد التصرف الذي يوجد الحق وتسجيل انقضائه ما هو إلا تصرف إرادي عكسي، وهذا الرأي على رجاحته من حيث دقة التمييز بين الزوال والانقضاء إلا أننا لا نتفق معه من حيث النتيجة التي توصل اليها، فإثبات زوال الحق الناتج عن فساد التصرف أو بطلانه أو مخالفته للأصول الشرعية والنظامية لا يكون إلا بموجب حكم قضائي هو بدوره واجب التسجيل بموجب المادة ٤١ من (نظام التسجيل العيني للعقار، ١٤٢٣) والتي تنص على تسجيل الأحكام المثبتة للحقوق الواجبة التسجيل والتي كانت محل نزاع بين الأطراف، وبالتالي فالمنظم السعودي عندما استخدم مصطلح زوال الحق العيني وربطه بكونه تصرفًا كان من الواضح أنه قصد انقضاء الحق العيني.

وبالإضافة إلى ضرورة تسجيل الحقوق العينية الأصلية والتبعية وفقا لما سبق بيانه فقد نص المنظم السعودي كذلك على ضرورة قيد بعض الحقوق الشخصية التي ترد على العقار بالنظر لتأثيرها على الوضعية المادية والقانونية والقيمة المالية لهذا العقار، وهذه الحقوق بحسب ما نصت عليه المادة ٣٧ من (نظام التسجيل العيني للعقار، ١٤٢٣) تتمثل في عقود الإيجار والسندات التي ترد على منفعة العقار وتزيد مدتها عن ٥ سنوات، والمخالصات والحوالات بأكثر من أجرة ثلاث سنوات مقدمًا، بالإضافة إلى ضرورة قيد أي حكم نهائي يثبت شيء من ذلك، وهذه التصرفات وإن كانت لا تؤدي إلى نشوء حقوق عينية إلا أنها قد يكون لها أثر كبير على حقوق غير وكذلك على قيمة العقار نفسه لذا وجب إشهاره ، فمما لا شك فيه أن العلم بأن العقار مؤجر أو مثقل بمنفعة مترتبة لشخص غير مالكه لمدة تزيد عن خمس سنوات تدفع الشخص الذي ينوي التعامل فيه أو شراءه إلى التفكير كونه لن يستطيع الانتفاع به طوال مدة إيجاره، ونفس الشيء ينطبق على المخالصات والحوالات التي تزيد مدتها عن ٣ سنوات.

وإلى جانب الحقوق العينية وبعض الحقوق الشخصية فقد أوجب المنظم السعودي تسجيل الحق الثابت بالإرث إذا اشتمل على حقوق عينية عقارية، وحق الورثة بالتركة ينشأ من واقعة مادية وهي أوسع طرق نقل الملكية انتشارًا (السنهوري، الوسيط في شرح القانون المدني، ج٤، العقود التي تقع على الملكية، البيع والمقايضة، ١٩٦٤)، لذلك لا يمكن اعتباره من قبيل التصرفات الناقلة لحق الملكية لأنه لا يترتب إلا بعد وفاة الشخص، كما أنه لا يعد حقًّا شخصيًّا لأنه لا وجود لعلاقة الدائنية بين المورث والوارث، فأساس هذا الحق هو فكرة الاستخلاف (بوعلاق، ٢٠١٦)، والحق الثابت بالإرث واجب القيد في السجل

العقاري حتى يتسنى لغيره الاطلاع على الوضعية القانونية للعقار بعد وفاة مالكه فغايته إشهار انتقال ملكية العقار إلى الورثة من المورث، أما بالنسبة للديون التي تتضمنها التركة فإن انتقالها إلى الورثة لا يكون وفقًا لنظرية الاستخلاف نظرًا لأن الدين يكون مترتبًا على التركة وبالتالي يعد دينًا عينيًا يبقى متعلقًا بها لهذا فإن التركة تنتقل إلى الورثة بما يثقلها من ديون ويلتزم الوارث بتنفيذ الالتزام العيني ليس باعتباره خلفًا وانما باعتباره مالكًا للعقار المثقل بهذا الالتزام (الصغير، ٢٠١٦)، لهذا وحتى يوفق المنظم السعودي بين فكرة انتقال التركة إلى الورثة بمجرد الوفاء وحماية حقوق دائني التركة فقد أوجب التأشير بالمحررات المثبتة لدين من الديون العادية على المورث في السجل بعد ابلاغ الوارث بهذا الدين (صالح، ٢٠٠٥)، وحتى يحفظ حقوق الدائنين فقد أجاز للدائن أن يحتج بمن تلقى الحق من الوارث وحتى لو قُيد بوجود الدين وذلك إذا قام بالتأشير خلال سنة من تاريخ قيد الحق الثابت بالإرث لمصلحة الوارث (نظام التسجيل العيني للعقار، ١٤٢٣)، كما تخضع للتأشير جميع الدعاوي التي تقام على الورثة بصفتهم ورثة للمطالبة بدين من الديون العادية.

كما يجب التأشير بأي دعوى متعلقة بحق عيني عقاري أو بتصرف من التصرفات الواجب قيدها، ويكون التأشير بطلب من المحكمة إذا تضمنت هذه الدعوى طلب تغيير في بيانات السجل العقاري، وقد اعتبر المنظم السعودي وجود هذا التأشير شرطًا من شروط سماع الدعوى، حيث تقوم المحكمة كقاعدة عامة بالتواصل مع إدارة التسجيل العقاري لإجراء التسجيل وفي نفس الوقت يحق لأي شخص ذي مصلحة أن يطلب من إدارة التسجيل تزويده بما يفيد إجراء التأشير وفقًا لنص المادة، واذا ما صدر حكم نهائي في موضوع الدعوى فإنه يكون حجة على كل شخص ترتبت له حقوق على العقار بعد إجراء التأشير بشرط أن يُقيد الحكم خلال خمس سنوات من التاريخ الذي أصبح فيه نهائيًا وفقًا لما تنص عليه المواد ٤٠ و ٤١ من (نظام التسجيل العيني للعقار، ١٤٢٣)، ويقع على عاتق المحكمة المختصة واجب تزويد إدارة السجل العقاري بنسخة من الحكم النهائي لإجراء القيد بموجبها (اللائحة التنفيذية لنظام التسجيل العيني للعقار، ١٤٢٥)، والتأشير بالدعوى لا ينصرف فقط إلى الدعاوي التي تنظر فيها المحاكم العادية وإنما إلى أي دعوى أو مطالبة من شأن الحكم فيها أن يؤدي إلى تغيير في بيانات السجل العقاري حتى لو كانت منظورة أمام ديوان المظالم أو أمام أي لجنة مختصة وفقًا لأحكام النظام.

ومن خلال قراءة المواد أعلاه أن المنظم السعودي باعتباره التأشير شرطًا من شروط سماع الدعوى المتعلقة بالحقوق الواردة على العقار المسجل أو بأي تصرف من الواجب تسجيله قد رتب عدم قبولها في حال عدم القيام بالتأشير المذكور، كما رتب سقوط حق المحكوم له في مواجهة غيره إذا لم يتم قيد الحكم الصادر في الدعوى التي أُشر بها خلال مدة معينة، ومما لا شك فيه أن هذا التوجه يتناسب مع مبدأ القيد

المطلق للسجل العقاري وحجيته وكذلك الغاية المرجوة من نظام السجل العيني فالتأشير بالدعوى من شأنه أن ينبه غيره إلى كون العقار أو أحد مكوناته محل نزاع، لكن ما يلاحظ أنه على الرغم من أن المنظم جعل إجراء التأشير والقيد السابق الإشارة اليهما واجبًا من واجبات المحكمة التي تنظر أو التي أصدرت الحكم في الدعوى إلا أنه حمل الأطراف وزر عدم قيام المحكمة بواجبها القانوني في هذا الشأن، فعدم قبول الدعوى وهو دفع من الدفوع الشكلية التي تستطيع المحكمة إثارته من تلقاء نفسها هو ما يترتب عن عدم وجود ما يفيد إجراء التأشير وهذا لا يعد منطقيًّا من الناحية القانونية، فالمحكمة التي لم تقم بالإجراء الذي نص عليه القانون من حقها أن ترفض سماع الدعوى لعدم القيام بهذا الإجراء، ناهيك عن عدم وجود آلية قانونية تمكن من تعويض من تضرر نتيجة لعدم قيام المحكمة بواجباتها في هذا الشأن.

وأخيرًا أوجب المنظم التأشير بإعلان الرغبة بالأخذ بالشفعة على ان يتم رفع دعوى الشفعة خلال ١٥ يوما من تاريخ التأشير والا جاز لأي شخص له مصلحة أن يطلب من القضاء المستعجل محو التأشير، والملاحظ في هذا الصدد أن المنظم السعودي لم ينص على ضرورة التأشير بدعوى الشفعة، وإنما فقط بالرغبة بالأخذ بها (السنهوري، الوسيط في شرح القانون المدني، ج٤، العقود التي تقع على الملكية، البيع والمقايضة، ١٩٦٤) ويترتب على وجود التأشير أنه إذا تقرر حق الشفيع بموجب حكم قضائي نهائي فإنه يكون حجة على كل من تلقى الحق من صاحبه، بشرط أن يُقيد الحكم خلال خمس سنوات، وذلك حسب نص المادة ٤٢ من (نظام التسجيل العيني للعقار، ١٤٢٣)، وبالتالي فلا ينفذ في مواجهة الشفيع أي رهن أو بيع أو حق عيني رتبه المشتري للعقار أو ترتب ضده إذا كان هذا التصرف قد تم بعد التأشير بإعلان الرغبة بالشفعة.

الفقرة الثانية: شروط وإجراءات للتسجيل:

إن تسجيل الحق لا ينصرف على الحق بحد ذاته وإنما ينصرف إلى المصدر الذي أنشأ هذا الحق، باعتبار أن إثبات الحق لا يكون إلا بإثبات مصدره، ومصادر الحقوق أو الالتزامات متنوعة فهي أما أن تكون عبارة عن تصرفات قانونية أو إرادية قصد منها ترتيب آثار قانونية سواء جاءت على شكل توافق إرادتين كالعقود، أو على شكل إرادة منفردة، وإما أن تكون عبارة عن وقائع مادية أدت إلى إحداث أثر قانوني يتمثل بنشأة حق او التزام كما هو الحال بالنسبة للوفاة والتي يترتب عنه الحق في الميراث، وإما أن يكون القانون بحد ذاته هو المنشأ للحق كما هو الشأن بالنسبة للحالة التي ينص فيها القانون على نزع الملكية للمصلحة العامة، وعلى الرغم من أن نظام التسجيل العيني يقوم على مبدأ الشرعية أي إن الجهة المخولة بالتسجيل ينبغي عليها فحص الوثائق المقدمة بدقة لكي تتحقق من مدى سلامتها وصحتها، إلا

أن التشريعات احتاطت من المخاطر التي يمكن أن تنتج عن ترك مسألة تقدير قيمة المحرر أو الدليل المقدم بخصوص أحد الحقوق الواجبة الشهر لجهة التسجيل فنصت على شروط معينة في المحررات والسندات المثبتة للحقوق الواجبة التسجيل ونصت كذلك على الإجراءات الواجب اتباعها لإجراء عملية التسجيل، حتى لا يؤدي مبدأ القوة الثبوتية المطلقة للقيد في السجل إلى ضياع الحقوق، فلا يُجرى القيد إلا بعد التأكد تمامًا من مطابقة الحق الوارد في المستندات للحقيقة بحيث يكون القيد دليلًا حقيقيًّا على مشروعية الحق (بوشنافة، نظام الشهر العقاري وآثاره في القانون الجزائري، ٢٠٠٧).

وفي إطار نظام التسجيل السعودي وضع المنظم جملة من الشروط لإجراء عملية التسجيل غايتها تحقيق الحماية للملكية العقارية وتتضمن هذه الشروط بعض الإجراءات التي ينبغي على إدارة التسجيل اتباعها لإجراء عملية التسجيل بالإضافة إلى بعض الشروط الخاصة بالوثائق والمحررات المقبولة للقيد في السجل العقاري، وعملية التسجيل العقاري من الناحية الإدارية تتم على مراحل تبدأ المرحلة الأولى بعد قيام أصحاب الشأن بتقديم طلب القيد الذي يحتوى على كافة البيانات الخاصة ببيان شخصية الأطراف ومحل القيد وموضوعه ، ويُدوَّن هذا الطلب في دفتر ويسمى دفتر اليومية، ودفتر اليومية الذي تمسكه إدارة السجل العقاري هو عبارة عن مجموعة من الصفحات المتسلسلة تدون فيه جميع طلبات القيد وتثبت فيه كافة البيانات المتعلقة بهذا الطلب من تاريخ تقديمه وساعته ومحل القيد وموضوعه ويُقفل كل يوم، لهذا فإن له أهمية كبيرة في تحديد أولوية التسجيل في السجل العقاري، فقيد التصرفات يتم بناءً على تسلسلها كما وردت في الدفتر.

لكن بما أن الغاية من دفتر اليومية هو إثبات وقت تقديم الطلب وتاريخه، فقد يقوم بعض أصحاب الشأن بتقديم طلب التسجيل وتدوينه في الدفتر لحفظ اسبقيتهم دون أن يعززوا طلب القيد بالمستندات والوثائق المطلوبة؛ لهذا فقد منحهم المنظم مدة سنة واحدة قابلة للتمديد لسنة أخرى لكي يقوموا بتقديم ما يتطلبه إجراء القيد من وثائق ومستندات وفقًا لما نصت عليه المادة ٤٤ من (نظام التسجيل العيني للعقار، ١٤٢٣)، وقد يظهر أن المدة التي منحها المنظم لطالب القيد طويلة جدًا وقد تؤدي إلى تجميد التعامل بالملكية العقارية لكن في الحقيقة أن هذا النص يتحدث فقط عن الحالات التي لا يوجد فيها سوى طلب واحد للقيد، فحالة تحديد الأسبقية لا تثور إلا بصدد وجود أكثر من طلب قيد على وحدة عقارية واحدة ويوجد بينها تعارض أي يقع على نفس الحق، وفي هذه الحالة الأخيرة نص المنظم في المواد ٤٦ و ٤٧ من (نظام التسجيل العيني للعقار، ١٤٢٣) على ضرورة اتخاذ إدارة التسجيل لقرارها بشأن الطلب غير المعزز بالوثائق والمستندات، حيث إنه وبمجرد تقديم طلب آخر مستوف للشروط والوثائق والمستندات يخطر صاحب الطلب الأسبق بضرورة تلافي أسباب النقص في طلبه خلال ١٥ يومًا، فإذا لم يفعل يصدر رئيس

إدارة التسجيل العقاري قرارًا مسببًا إما برفض القيد أو بسقوط الأسبقية أو بإيقاف تسجيل الطلبات اللاحقة، ولأي شخص تأثرت حقوقه بأحد هذه القرارات أن يتظلم لدى رئيس الإدارة، وفي حالة رفض التظلم يجب على رئيس الإدارة إحالة التظلم خلال ٣ أيام إلى المحكمة المختصة لتنظر فيه بصفة مستعجلة، اما اذا قبل التظلم فإنه يأمر بالقيد.

وما يلاحظ من إجراءات معالجة الأسبقية في طلبات القيد أن المنظم السعودي منح رئيس إدارة التسجيل العقاري سلطات واسعة تتعارض مع طبيعة نظام التسجيل الذي اتبعه المنظم في مرحلة القيد الأول والتي كانت فيها الإجراءات قضائية بحته، بينما نجد أن حالة النزاع الناتجة عن كيفية تقرير أسبقية القيد هي خاضعة للسلطة التقديرية شبه المطلقة لمدير إدارة التسجيل، ويظهر ذلك جليًا في حالة قبول مدير إدارة التسجيل للتظلم وإصدار أمر القيد، فصدور هذا القرار في نزاع متعلق بالأسبقية سوف يؤدي بلا شك إلى الإضرار بأصحاب الطلبات الأخرى التي أسقطت أسبقيتها على حساب الطلب المقبول ليس فقط بسبب إسقاط الأسبقية وإنما كذلك بسبب إجراء القيد بحد ذاته حيث إن القيد يصبح نهائيًا ولا يمكن الطعن فيه حسب قواعد السجل العيني، فاذا كان المنظم نص على إمكانية الطعن في قرار رئيس إدارة التسجيل برفض طلب القيد أو سقوط الأسبقية أو وقف الإجراءات لدى قاضي الأمور المستعجلة فإنه لم يبين كيفية الطعن بالقرار الصادر بقيد الطلب والذي بديهيا يعني عدم قبول الطلبات الأخرى أو سقوط أسبقيتها، فهل يعني ذلك أن هذا القرار نهائي ولا يمكن الطعن فيه؟

في الحقيقة أن الإجابة عن هذا التساؤل مرتبطة بشكل كبير بتحديد المقصود بالحجية المطلقة للقيد في السجل العقاري والواردة في نص المادة ٣ من (نظام التسجيل العيني للعقار، ١٤٢٣) وسوف نقوم ببحث هذه النقطة في المطلب الموالي، لكن يمكننا أن نشير هنا إلى أن المنظم السعودي من خلال الاطار العام لنظام التسجيل كان يسعى دائمًا إلى حماية الملكية العقارية مع فتح المجال دائمًا لتحقيق العدالة وعدم ضياع الحقوق، والقرار الذي يتخذه رئيس إدارة التسجيل العقاري يجب أن يأخذ بعين الاعتبار مجموعة المبادئ التي يقوم عليها نظام التسجيل ومن بينها مثلًا المبدأ المنصوص عليه في المادة ٨/٣٦ من (اللائحة التنفيذية لنظام التسجيل العيني للعقار، ١٤٢٥) والمعروف بمبدأ الشهر المسبق، حيث لا تستطيع إدارة التسجيل العقاري تقييد أي حق لا يوجد له أصل ثابت في السجل العقاري، أي لا ينبني على حق موجود مسبقًا في السجل العقاري، والحقيقة أن هذا المبدأ من شأنه أن يجعل قيد جميع التصرفات الواردة على العقار إجباريًا فتقوم إدارة التسجيل بشهر التصرفات على الرغم من إرادة الأطراف في بعض الحالات كما هو الحال بالنسبة للأحكام القضائية أو تجبرهم على تقديم طلبات التسجيل كون التصرفات التي سوف يقومون بها لن تسجل إلا إذا سجلوا التصرفات السابقة (بوعلاق، ٢٠١٦).

ولتعزيز قوة السجل العقاري بشكل أكبر فقد اشترط المنظم السعودي شروطا خاصة في السندات أو المحررات التي تتضمن الحقوق واجبة التسجيل، فحدد ما يعد مقبولًا للتسجيل وما لا يعد كذلك منها وذلك في المادة ٤٨ من (اللائحة التنفيذية لنظام التسجيل العيني للعقار، ١٤٢٥)، وما يلاحظ من قراءة هذه المادة أن المنظم السعودي ميز بين مختلف أنواع التصرفات والوقائع التي تنشأ الحقوق واجبة التسجيل، واشترط أن تُثبت تلك الحقوق والوقائع بموجب سندات ووثائق معينة غالبيتها تتمتع بصفة الرسمية مثل قرار نزع الملكية والوثائق المثبتة للحق في الإرث وغيرها، إلا أنه وفي نطاق التصرفات القانونية ميز بين العقود و الوصية باعتبارها تصرفًا بإرادة منفردة ونص على ضرورة أن تكون العقود رسمية بينما لم يشترط ذلك بالنسبة للوصية ولعل ذلك مرده إلى كون قواعد الشريعة الإسلامية لا تشترط شكلًا معينًا في الوصية وكون إثباتها غالبا ما تتبع بشأنه قواعد نظام المرافعات الشرعية في حال وجود نزاع حولها.

وبالعودة إلى ما نصت عليه المادة ٤٨ من (اللائحة التنفيذية لنظام التسجيل العيني للعقار، ١٤٢٥) فقد جاء في الفقرة الأولى منها أنه لا يجوز تسجيل العقود إلا إذا كانت موثقة، وهذا يعني أن المنظم اشترط شكلًا خاصًا للتصرفات القانونية التي تتم بإرادتين وهذه الشكلية هي أن تكون موثقة، والتوثيق هو عبارة عن الإجراءات التي تكفل إثبات التصرف القانوني على وجه يصح الاحتجاج والتمسك به عند وجود نزاع وهو يتمثل في الكتابة، والحقيقة أن استخدام المنظم لمصطلح العقد الموثق هو بحد ذاته إشارة إلى تحديد الجهة التي تقوم بتحرير هذا العقد، وهي كتاب العدل وفقًا لما نصت عليه المادة ٧٤ من (نظام القضاء، ١٤٢٨) أو كل من يعهد إليه القيام بأعمالهم وفقًا لما حددته (لائحة الموثقين وأعمالهم، ١٤٤٠)، وبالتالي فإنه لا يكفي لتسجيل العقد أن يكون مكتوبًا وإما ينبغي أن تكون هذه الكتابة تتمتع بصفة الكتابة الرسمية.

وفي هذا الصدد يرى (الزبن، ٢٠١٩) أن المنظم السعودي من باب حرصه على سلامة التعاملات انتقل بالعقود التي ترد على العقارات من نطاق الرضائية إلى نطاق التوثيق معتبرًا أن التوثيق يعد ركنًا من اركان العقد، أي إنه لازم لتكوين العقد وانعقاده ومن دونه لا يكون العقد موجودًا لا بين الأطراف ولا بالنسبة لغيره، وذلك على خلاف القواعد العامة في الشريعة الإسلامية التي جاءت محررة للعقود من الشكليات ومقيمة إياها على أساس التراضي، فالقواعد العامة في النظام السعودي تقضي بانعقاد العقد وترتيبه لكافة آثاره القانونية دون اتباع شكل معين وبمجرد التراضي فيما بين المتعاقدين (أبودياب، ٢٠١٩)، ونحن من جهتنا نرى بأن المشرع عندما تطلب توثيق العقود لتسجيلها في السجل العقار لم يكن يقصد إضافة ركن جديد إلى إركان العقد، وإنما كانت غايته إثبات وجود هذا العقد لدائرة التسجيل أثباتنا من شأنه أن يقطع الشك حول وجود هذا التصرف وصحته تحقيقًا لمبدأ الشرعية بالأساس، فمن المعروف

أن شكلية الكتابة قد تكون شكلية انعقاد وهنا لا يكون العقد موجودًا إلا اذا كان مكتوبًا فالكتابة تعد ركنًا من اركان العقد إلى جانب التراضي والمحل والسبب كما هو الشأن بالنسبة لبعض العقود في النظام السعودي كعقد الشركة أو بيع السفينة أو الطائرة، وقد تكون الشكلية كذلك مطلوبة للإثبات فقط فيكون العقد صحيحًا ومنتجًا لآثاره ولو لم يكن مكتوبا لكن الأطراف أو أحدهم لا يستطيع إثبات وجوده إلا بالكتابة كما هو الحال بالنسبة لعقد العمل بالنسبة لرب العمل (السنهوري، الوسيط في شرح القانون المدني، ج١، مصادر الالتزام، م١، العقد، ١٩٦٤)، وبالتالي فإن تطلب العقد الموثق هو لغاية إثبات هذا العقد أمام دائرة التسجيل.

المطلب الثاني: الآثار المترتبة عن القيد في السجل العقاري.

سبق وأشرنا أن مبدأ الحجية المطلقة للقيد يعد من أهم المبادئ التي يقوم عليها نظام التسجيل العيني بشكل عام، غير أن الدول التي تبنت هذا النظام لم تأخذ اتجاهًا واحدًا بخصوص مدى تلك الحجية وطرق الطعن فيها، فبينما تميل بعض التشريعات إلى التشدد فتجعل من القيد عنوان الحقيقة، والموقف الذي تتخذه هذه التشريعات ينبني على تطبيق كامل لمبادئ التسجيل العيني فالتصرف الذي يُسجل يخضع لإجراءات تدقيق من طرف الجهة المخولة بالتسجيل وبالنتيجة فإن عملية الشهر هي ما تؤدي إلى نشوء الحق المترتب عن التصرف وليس التصرف بحد ذاته، وذلك يعني أن عملية التسجيل هي التي تؤدي إلى إنشاء الحق وليس التصرف وهذا ما يسمى بالأثر المنشأ للقيد، واذا كان التصرف معيبًا بحيث لا يكتشف هذا العيب أثناء عملية الفحص فذلك لا يؤثر على القيد لأن الحق نشأ بالتسجيل وليس بالتصرف، فالقيد يصحح ما يرد على التصرف من عيوب وهذا ما يطلق عليه الأثر المطهر للقيد، فالتصرف العيب لا يؤدي إلى إلغاء القيد ومن تضرر فله الرجوع بالتعويض على من تسبب بهذا الضرر أو من أفاد منه (السنهوري، الوسيط في شرح القانون المدني، ج٤، العقود التي تقع على الملكية، البيع والمقايضة، ١٩٦٤).

ومن جهة أخرى فإن بعض التشريعات الأخرى خرجت عن بعض مبادئ السجل العيني فخففت من حدة مبدأ القوة المطلقة للقيد واتبعت في ذلك اتجاهات مختلفة، فمنها من أخذ بمبدأ الأثر المنشئ للقيد ولم يأخذ بالأثر المطهر له بشكل مطلق كقانون الملكية العقارية الأردني والقانون الجزائري، ومنها من لم يأخذ بمبدأ الأثر المنشئ ولم يأخذ كذلك بمبدأ الأثر المطهر بشكل كامل، أما بخصوص النظام السعودي وعلى الرغم من نص المشرع على مبدأ القوة المطلقة للقيد صراحة في المادة ٣ من (نظام التسجيل العيني للعقار، ١٤٢٣)، فأنه يتضح وبعد قراءة نصوص هذا النظام أن المنظم السعودي لا يطبق هذا المبدأ لا من حيث أثره المنشئ أو المطهر للتصرفات التي تؤدي إلى إنشاء الحقوق على العقارات المسجلة أو نقلها أو

تعديلها أو إنهائها ؛ لذا فمبدأ الحجية المطلقة له طبيعة خاصة في النظام السعودي تتعلق باستخدام القيد بوصفه وسيلة إثبات فقط لا غير ولا تتعدى ذلك إلى ترتيب آثار لهذا القيد على التصرف الذي أدى إلى نشوء الحق الذي سُجل، وعليه سنتناول في هذا المطلب أثر القيد على وجود الحق بالنسبة للأطراف وغيرها في الفقرة الأول، ونتناول في الفقرة الثانية أثر القيد على صحة التصرف.

الفقرة الأولى: أثر القيد على وجود الحق محل التصرف:

يقوم التسجيل العيني على مجموعة من الإجراءات التي من شأنها تحقيق الطمأنينة لدى المتعاملين بالعقارات وتؤدي دورًا مهمًا في الائتمان العقاري، وتضمن ضبط الملكية العقارية بشكل يسمح بالتعرف بشكل دقيق على أصحابها وعلى كافة ما يترتب عليها من حقوق والتزامات، كما أن المنظم وضع من الوسائل القانونية ما يمكن دائرة التسجيل من التأكد من صحة التصرفات قبل قيدها ومن هذا المنطلق اعتبر (صالح، ٢٠٠٥) أن التسجيل في السجل العقاري هو عبارة عن مصدر قانوني تنشأ بموجبه الحقوق المسجلة، أي إن التصرف في حد ذاته سواء كان عقد أو إرادة منفردة لا يؤدي إلى نشوء الحق أي إن التسجيل له أثر منشئ للتصرفات والحقوق التي قُيدت حتى لو لم ينص المنظم السعودي صراحة على هذ المبدأ، فقيد التصرفات هو عبارة عن شكلية مطلوبة لوجود التصرف بحد ذاته، فإذا ما تعلق الأمر بعقد على سبيل المثال فإن التسجيل يمثل ركنًا في هذا العقد فلا ينعقد العقد ولا ينشأ الحق الذي يترتب عنه إلا بالقيد، وبالتالي فإن أي عقد لا يُسجل يكون البطلان هو مصيره، وهذا الشكل يسري على جمع التصرفات التي أوجب النظام تسجيلها فلا تنشأ ولا ترتب آثارها إلا بعد استيفاء هذا الركن، ووفقًا لهذا الاتجاه فإن عدم نص المنظم السعودي صراحة على الأثر المنشئ للقيد لا يطعن في وجود هذا المبدأ كونه يعد نتيجة حتمية لفكرة الشهر والقيد المطلق.

والحقيقة أن الاتجاه السابق إضافة إلى كونه يتضمن تناقضًا في اعتبار التسجيل مصدر الحق تارة واعتباره شكلية للعقد الذي يشكل مصدر الحق تارة أخرى، فإنه ينظر إلى نظام التسجيل العيني بشكل عام ويطبق قواعده على النظام السعودي متجاهلًا ما نص عليه المنظم السعودي بهذا الصدد، فكما أسلفنا القول اتبعت الدول مناهج مختلفة فيما يتعلق بأثر التسجيل على الحق، فمن التشريعات من اعتبرت أن الحق غير المسجل هو حق لا وجود له قانونًا، بمعنى أن التسجيل هو الذي ينشئ الحق وهنا يعتبر التسجيل ركنًا من اركان العقد ويترتب على تخلفه البطلان وهذا المنهج اتبعه قانون الملكية العقارية الأردني في المادة ٦٣، فيما نجد أن التسجيل في تشريعات أخرى لا يعد ركنًا من أركان العقد لكنه يعد ضروريًا لكي يرتب العقد آثاره فيما بين المتعاقدين والغير، بمعنى أن العقد غير المسجل هو عقد موجود ومرتب لبعض الآثار

الشخصية لكن لا يترتب عنه انتقال الملكية إلا بعد تسجيله وهذا الاتجاه هو ما يأخذ به المشرع المصري في قانون الشهر العقاري لعام ١٩٦٤ وفي هذا الإطار ظهرت عدة توجهات فقهية بعضها يجعل للتسجيل أثرًا فوريًا بخصوص انتقال الملكية وبعضها الأخر يرى أن التسجيل له أثر رجعي حيث تنتقل الملكية من تاريخ العقد لا التسجيل (بوشنافة، الاثر المنشيء للشهر و أثره على العقد كأحد أهم اسباب كسب الملكية العقارية، ٢٠١١)، واخيرًا اعتبرت تشريعات أخرى أن التسجيل ليس له أثر على صحة التصرف فيما بين أطرافه وإنما غايته هو فقط الإشهار وبالتالي فالعقد غير المسجل هو عقد صحيح ونافذ ومرتب لكافة آثاره فيما بين المتعاقدين لكنه غير نافذ في مواجهة غيره إلا بعد التسجيل وهذا بالضبط ما أخذ به المنظم السعودي صراحة في المادة ٣٦ من (نظام التسجيل العيني للعقار، ١٤٢٣) والتي نصت على أنه "يجب أن تقيد في السجل العقاري جميع التصرفات ...ولا يسري أثرها على غيره إلا من تاريخ قيدها".

فالمنظم السعودي خرج عن قاعدة الأثر الإنشائي للقيد معتبرًا أن العقد أو التصرف غير المسجل صحيح ونافذ فيما بين الأطراف، والتسجيل في السجل العقاري لا يضيف شيئًا لقيمة التصرف أو صحته، وهذا ما دفع (الزين، ٢٠١٩) إلى اعتبار أن المنظم السعودي تعامل مع حجية القيد العقاري وفقًا لنظام التسجيل الشخصي بالنسبة لأطراف التصرف على اعتبار أن القيد ليس له أثر في وجود التصرف وصحته وترتيبه لآثاره القانونية بين المتعاقدين، ومما لا شك فيه أن توجه المنظم السعودي جاء تماشيًا مع القواعد العامة في الشريعة الإسلامية التي تعتبر أن الأصل في العقود هي الرضائية (السنهوري، نظرية العقد، ج١، ١٩٩٨)، فالعقد في الفقه الإسلامي هو ارتباط الإيجاب بالقبول، والعقد في ذاته هو ما ينقل الملكية وليس كما يعتبر القانونين الفرنسي والمصري أن نقل الملكية هو أثر من آثار العقد (الفتلاوي، ٢٠٠٢)، لكن هذا التيسير في الفقه الإسلامي يقابله تشدد في وجوب تنفيذ الشخص لالتزاماته طوعًا وإلا أجبر على تنفيذها وفقًا لمبدأ الوفاء بالعهود، فالتصرف غير المسجل على الرغم من كونه يؤدي إلى نشوء الحق مباشرة أو نقله أو تعديله أو انقضائه إلا أن عدم التسجيل قد يمنع المتصرف إليه من الإفادة من الحق لذلك فمما يتوافق مع قواعد الشريعة الإسلامية هو حق المتصرف اليه في مطالبة المتصرف بإجراء عملية التسجيل وعدم وضع العراقيل أمامه في سبيل ذلك، وإن كان هذا الالتزام غير منصوص عليه صراحة في النظام السعودي لكنه يعد من المسلمات في الفقه الإسلامي والتي تستوجب حسن النية في التعامل.

وبالتالي فإنه وإن كان المنظم السعودي قد أوجب تسجيل التصرفات التي ترد على العقار إلا أنه لم يرتب على عدم التسجيل بطلان التصرف أو انعدام آثاره فيما بين المتعاقدين وإنما فقط نص على عدم سريانه في مواجهة الغير، لهذا فإن التصرف يعد صحيحًا وقائمًا ومنتجًا لآثاره فيما بين طرفيه، وقد أكد المنظم السعودي على هذه القاعدة في عدة نصوص قانونية نذكر منها على سبيل المثال المادة ٣٨ من

(نظام التسجيل العيني للعقار، ١٤٢٣) والتي نصت على أنه من غير الممكن قيد أي تصرف يقوم به الوارث قبل قيد الحق الثابت بالإرث، وهذا يعني أن المنظم اعترف بانتقال ملكية الحقوق من المورث إلى الوارث بمجرد الوفاء لا التسجيل لكنه منع من تسجيل أي تصرف يقوم به الوارث قبل تسجيل الحق الثابت بالإرث حفاظًا على مبدأ تسلسل القيود أو القيد السابق وهو نفس ما جاء في المادة ٨/٣٦ من (اللائحة التنفيذية لنظام التسجيل العيني للعقار، ١٤٢٥) بخصوص تعدد التصرفات على نفس العقار.

لهذا فإن التصرف ينشأ وينتج كافة آثاره القانونية بمجرد التراضي فيما بين أطرافه ولا يحتاج إلى شكل معين لترتيب هذه الآثار سواء كانت هذه الشكلية كتابة أم تسجيلًا، مما يمكن القول معه إن التسجيل وفقًا للنظام السعودي ليس له أي أثر منشئ بالنسبة لأطرافه فالذي ينشئ الحق أو ينقله أو يعدله أو ينهيه هو التصرف الذي قام به الأطراف وكافة الآثار القانونية بما فيها انتقال الملكية تترتب من وقت اجراء التصرف، وانتقال ملكية بالعقد لا التسجيل يترتب عليه آثار هامة من بينها خروج العقار من الذمة المالية للبائع ودخوله إلى ذمة المشتري، فلا يستطيع دائنو البائع التنفيذ عليه فيما يستطيع دائنو المشتري ذلك، كما تنتقل الملكية كذلك في حق ورثة كل من البائع والمشتري حتى لو كان البيع غير مسجل على اعتبار أن آثار العقد تنصرف إلى الخلف العام للمتعاقد ودائنيه (السنهوري، الوسيط في شرح القانون المدني، ج٤، العقود التي تقع على الملكية، البيع والمقايضة، ١٩٦٤).

لكن هذا التصرف لا تكون له حجية مطلقة إنما حجيته تقتصر فقط على أطرافه دون غيرهم، فلا تنصرف آثار التصرف غير المسجل لغيرهمً وفقا لما قرره المنظم السعودي فحتى تكون له الحجية المطلقة أي حتى يكون نافذًا في مواجهة غيره لا بد من تسجيله، وقيام المنظم السعودي بقصر الوظيفة التي يقوم بها قيد التصرفات في السجل العيني على الإشهار فقط يتماشى في حقيقة الأمر مع التوجه العام الذي اعتمده المنظم بخصوص عملية التسجيل بشكل عام، فقد كان وفيًا للنهج الذي سطره لنفسه بهذا الخصوص في القوانين الأخرى كنظام الرهن العقاري المسجل في المادة ١ منه، وكذلك نظام ١٤ من نظام الشركات والمواد ٥٩ و ٦٠ من نظام الطيران المدني والمتعلق ببيع الطائرة والتصرفات القانونية الني تقع عليها، مما يعني أن الهدف من التسجيل العيني في النظام السعودي هو إشهار التصرفات التي تقع على العقار كي يعلم غيرهم بها.

وإعلام غيرهم بالتصرفات التي تقع على العقار المسجل وفقًا لنظام التسجيل العيني يكون من خلال إجراء القيد لهذا التصرف، والقيد هو ما يجعلها حجة عليه وبغيره لا تكون موجودة بالنسبة اليه كقاعدة، فقد سبق وقلنا إن المنظم السعودي لم يجعل للقيد أثرًا منشئًا بالنسبة للتصرفات فيما بين الأفراد وهذا يعني أن التصرف يكون صحيحًا ومنتجًا لآثاره دون حاجة لقيده في السجل العقاري، فإذا قام مالك العقار

المسجل ببيعه لشخص آخر فإن البيع ينتج آثاره القانونية وتنتقل الملكية للمشتري بموجب العقد حتى لو لم يُسجل في السجل العقاري، لكن إذا اعتمد شخص آخر من غير البائع والمشتري على القيود الواردة في السجل العقاري لكي يقوم بإجراء تصرف معين على نفس العقار، ففي هذه الحالة يعد البيع غير المسجل غير موجود بالنسبة إليه ولا تتأثر حقوقه بهذا البيع، فاذا كان التصرف هو عقد بيع واشترى العقار من مالكه المقيد في السجل العقاري ومن ثم قام بتسجيل العقد فإن الملكية تنتقل بالتالي إليه بموجب العقد كذلك باعتبار أن العقد السابق لا يعد موجودًا بالنسبة إليه وتُثبت الملكية بالتسجيل، ولا يملك المشتري الأول للعقار أي وسيلة سوى الرجوع إلى البائع بالتعويض.

وبالتالي فإن مفهوم غيره الذي لا يسري التصرف غير المسجل في مواجهته في إطار نظام التسجيل العقاري لا يتطابق بشكل كامل مع مفهوم غيره وفقًا لنسبية أثر عقد، حيث إن مبدأ نسبية أثر العقد يبحث في فكرة سريان العقد من حيث الأشخاص، فمن لم يكن طرفًا في العقد أو خلفًا عامًا لأحدهم لا يكسب حقًا أو يتحمل التزامًا من العقد المبرم هذا غيره بحسب الأصل ملزم باحترام الاتفاقات ولا يجوز له القيام بأي عمل من شأنه منع تنفيذها أو المساس به لأنه يكون بذلك متعديًا على حقوق غيره، بينما غيره في إطار التسجيل العقاري فهو كل شخص له مصلحة في انعدام وجود التصرف غير المسجل إذ إن مصالحه تتأثر بوجود هذا التصرف أو عدم وجوده ، فالقيود في السجل العقاري هي مصدر المعلومات الذي يستند إليه غيره عند تعامله بالعقار وأي تصرف غير وارد في هذه القيود لا يعد موجودًا بالنسبة إليه على افتراض حسن نية هذا بطبيعة الحال وهو الامر الذي كان على المنظم السعودي إضافته إلى النص القانوني السابق، إذ اعتبار التصرف القانوني هو مصدر الحق والسبب الذي يرتب آثاره قد يفتح الباب أمام إمكانية التواطؤ بين المتصرف وغيره للإضرار بالمتصرف إليه، فإذا باع شخص عقاره ولم يقم بتسجيله ثم باعه لشخص آخر وسجله فإن هذا الأخير ينبغي أن يكون حسن النية أي على الأقل لا يعلم بوجود التصرف الأول حتى يستفيد من مبدأ عدم سريان التصرف الأول في مواجهته، لهذا اعتبر (السنهوري، الوسيط في شرح القانون المدني، ج٤، العقود التي تقع على الملكية، البيع والمقايضة، ١٩٦٤) أن غيره هو من يثبت له على العقار المتصرف به حق عيني قائم على سبب صحيح وكان حسن النية.

وبالتالي فغيره سيء النية الذي كان على علم بوجود حق سابق لم يُقيد لكنه مع ذلك سارع إلى قيد حقه إضرارًا بصاحب الحق غير المقيد يجب أن يعامل بنقيض قصده ويفضل بالتالي صاحب الحق غير المقيد عليه أي يعد التصرف غير المسجل ساريًا في مواجهته لوجود سوء النية، لكن علم الشخص بوجود الحق السابق ينبغي أن يكون قبل نشوء حقه على نفس العقار وإلا فإنه يكون قد مارس حقًا يخوله له القانون ،

فعندما يكون الشخص حسن النية عند نشوء حقه وعلم نشوء هذا الحق بوجود حق سابق على حقه فإن قيامه بتسجيل حقه لحمايته لا يجعل منه سيء النية (بنشريف، ٢٠٢٠).

الفقرة الثانية: أثر القيد على صحة التصرف:

من أهم المبادئ التي كرسها نظام التسجيل العيني هو مبدأ الحجية المطلقة للقيد فالحقوق التي قُيدت في السجل العقاري لها حجية مطلقة فيما يتعلق بوجودها وصحتها، وبالتالي لا يمكن الطعن فيها بأي وسيلة من وسائل الطعن، فالقيد هو الذي يؤدي إلى نشوء الحق بحسب مبدأ الأثر المنشئ، وطالما أن القيد هو الذي يؤدي إلى وجود التصرف فإن أي خلل أو عيب في التصرف بحد ذاته لا يؤدي إلى إهدار حجية هذا القيد، بمعنى آخر فإن تمام القيد يؤدي إلى تطهير التصرف القانوني من أي عيب أو خلل شابه وهذا ما يعرف بالأثر المطهر للقيد في السجل العقاري، ومع أن الكثير من الفقه لم يميز بين القيد الأول والقيود التالية للقيد الأول بخصوص الأثر التطهيري (صالح، ٢٠٠٥) فإن هناك فارقًا كبيرًا بينهما، فمبدأ الأثر المطهر للقيد الأول يتعلق الامر بتطهير العقار نفسه من أي حقوق غير واردة في السجل العقاري بعد انقضاء آجال الطعن التي نص عليها المنظم، أما الأثر المطهر للقيود التالية للقيد الأول فهي تتعلق بتطهير التصرف الذي قُيد من أي خلل أو عيب يمكن أن يؤدي إلى الغاء القيد كبطلان التصرف أو إبطاله أو فسخه حفاظًا على استقرار الملكية العقارية ودعمًا للائتمان العقاري (بوشنافة، نظام الشهر العقاري وآثاره في القانون الجزائري، ٢٠٠٧).

وفي هذا الصدد اتجهت بعض التشريعات نحو التشدد في مبدأ القوة المطلقة للقيد واعتبرت أن القيد هو عنوان للحقيقة المطلقة والتي لا يجوز نقضها بأي وسيلة كانت، أي إن القيد في السجل العقاري هو قرينة قانونية قاطعة لا تقبل إثبات العكس على وجود الحق وصحته، فالغاية هي حماية الائتمان العقاري وتحقيق بيئة عقارية آمنة وهذا يتطلب أن يكون السجل العقاري محميًّا من أي نزاع مستقبلي بخصوص التقييدات التي يتضمنها فهذه التقييدات تنقل الحقوق خالصة من أي شائبة أو عيب يتضمنها حتى لو كان التصرف الذي أُعتمد عليه لإجراء القيد هو تصرف باطل أو معيب، لهذا يرى (صالح، ٢٠٠٥) أنه هذا المبدأ يعد من الخصائص البارزة لنظام التسجيل السعودي فاعتبار القيد هو وحده مصدر الحق المسجل يعني أن القانون يرتب على التصرف المعيب نفس آثار التصرف الصحيح والسبب هو حماية الوضع الظاهر الذي اطمئن غيره إليه مما جعله يستحق الحماية القانونية على الرغم من مخالفته للحقيقة.

والحقيقة أن السجل العيني وإن كان من أهم ما يقوم عليه هو الحجية المطلقة للقيود فإن التشريعات لم تتخذ موقفًا موحدًا بخصوص هذا المبدأ ، وكذلك الآثار المترتبة عنه، فبعض التشريعات كالتشريع

الجزائري على سبيل المثال أخذ بالأثر المنشئ للقيد لكنه لم يأخذ بالأثر المطهر له حيث أجاز الطعن بالتصرفات المشهرة بالإلغاء أو الابطال أو الفسخ، وقد انتقد (بوشنافة، نظام الشهر العقاري وآثاره في القانون الجزائري، ٢٠٠٧) هذا التوجه على اعتبار أنه يعد خروجًا عن مبادئ التسجيل العيني الذي تبناه المشرع ويتناقض مع حقيقة اعتماده لمبدأ الشرعية في التقييدات والتي تبرر تطهير أي تصرف مما يشوبه، لذلك فإن اعتماد أي نظام قانوني للسجل العيني لا يعني بالضرورة كما أسلفنا في أكثر من مناسبة تقريره لكافة القواعد والمبادي التي يقوم عليها هذا السجل، فالتشريعات المختلفة تأخذ بعين الاعتبار عند تقريرها لأحكام أي قانون عدم تعارضه مع مبادئها القانونية العامة ونظامها العام، لهذا أثار هذا المبدأ الكثير من الجدل الفقهي في الدول التي اعتمدت عليه حول دستوريته من جهة أو مدى تعارضه مع قواعد الشريعة الإسلامية من جهة أخرى.

فالقول بالأثر التطهيري للقيد في السجل العقاري يمنح القيد قوة مطلقة ولو كان هذا القيد قائمًا على تصرف غير صحيح أو غير مشروع، وصحيح أن استقرار المعاملات وثبات الملكية العقارية وتأمينها يعد من أهم المصالح التي تجب مراعاتها عند وضع نظام لحماية هذه الملكية، لكن ذلك يجب ألا يؤدي إلى إهدار الحقوق أو يكون على حساب تحقيق العدالة التي تسعى الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية إليها، فالأثر المطهر وإن كانت غايته إزالة أي اضرار متوقعة فإن في تطبيقه ضرر محقق على من فقد حقه نتيجة لقيد بني على تصرف مزور أو باطل (عبدالحميد، ٢٠١٩)، كما أنه يعد مما يخالف قواعد العدالة التي تبنتها معظم دساتير العالم تحصين أي قرار أو عمل من رقابة القضاء ومنع الطعن فيه بشكل نهائي (لزعر، ٢٠١٢)، وبناءً على الاعتبارات السابقة وبالنظر للنصوص الواردة في نظام التسجيل العيني السعودي يتضح أن المشرع لم يأخذ بالأثر المطهر للقيد في السجل العقاري على إطلاقه، ليس فقط لتفادي ما يحمله هذا الأثر من تعارض مع قواعد الشريعة الإسلامية وإنما كذلك لكون الأفكار التي تنادي بهذا الأثر بشكل مطلق لم تعد مقبولة فقهًا وقضاء حتى على مستوى الدول التي اعتنقته بشكل صريح (عبدالحميد، ٢٠١٩).

وبالتالي فإن المنظم السعودي حاول التوفيق بين متطلبات استقرار الملكية العقارية وعدالة قواعد الشريعة الإسلامية فنص على كون القيود الواردة في السجل العقاري غير قابلة للتغيير والتعديل من حيث الأصل إلا بطلب من صاحب الحق أو بموجب حكم قضائي نهائي وذلك في المادة ٥٠ من (نظام التسجيل العيني للعقار، ١٤٢٣)، فنص هذه المادة يدل على وجود حالات يمكن من خلالها الطعن في القيود الواردة في السجل العقاري، أي إنه لا يتمتع بالثبات المطلق مما يجعلها بمثابة تلطيف لمبدأ الحجية المطلقة للسجل العقاري، وقد ورد النص على الاستثناءات التي تلطف من هذا المبدأ في المادة ٣ من (نظام

التسجيل العيني للعقار، ١٤٢٣) حيث اعتبرت أن الحجية المطلقة لا ينقضها سوى حالة التزوير وحالة مخالفة الأصول الشرعية، وهذه الحالات هي حالات عامة كما تنطبق على القيد الأول، فإنها تنطبق كذلك على القيود التالية له، وذلك بالإضافة إلى حالة القاصر وفاقد الأهلية والمنصوص عليها في المادة ٣٥ والتي وان كانت تتعلق فقط بالقيد الأول إلا أنها تمثل استثناءً على مبدأ الأثر المطلق للقيد كون مدة الطعن بواسطتها تبدأ من تاريخ بلوغ سن الاهلية بالنسبة للقاصر أو استرجاعها بالنسبة لفاقدها وليس من تاريخ القيد الأول.

والمنظم السعودي في نص المادة ٣ تحدث بالأساس عن قيود السجل العقاري، فنص على أنه لا يمكن الطعن فيها إلا إذا كانت مزورة ومما لا شك فيه أن هذا الأمر ينسحب كذلك على التصرف القانوني الذي نشأ القيد بناء عليه، فالتزوير هو تغيير للحقيقة الواقعية والقيد هو الحقيقة القانونية التي توصلت دائرة التسجيل العقاري من خلال ما قدمه طالب التسجيل من مستندات مثبتة للحق، وإذا كانت هذه المستندات مزورة، فإن الحقيقة القانونية لا تكون متطابقة مع الحقيقة الواقعية لهذا يجب التشطيب على القيد الذي تم بناء على تزوير ولا يكون للقيد أي أثر مطهر للتصرف الذي زُور، فما بني على باطل فهو باطل (عبدالحميد، ٢٠١٩)، ومما لا شك فيه أن التزوير هو واقعة محددة ومعلومة قد تتم بطرق مادية أو معنوية وهي واقعة تمس بمبدأ الثقة العامة في السجلات العقارية لهذا أطلقها المنظم السعودي ولم يحددها سواء من حيث المحررات أو المستندات التي تضمنها أو من حيث الأشخاص الذي قاموا بهذا الفعل، فمتى ما بني القيد على تزوير مادي أو معنوي، من الأطراف أنفسهم أو غيرهم أو حتى من الموثق أو الشخص الذي يتولى عملية التسجيل فإن القيد يكون عرضة للإلغاء حماية للمصلحة العامة والمتمثلة بالثقة التي تبغي أن تتوفر في السجلات ليس فقط بوصفها سجلات رسمية وانما لطبيعة الحقوق والأموال التي تتضمنها والتي تقتضي من المنظم حماية خاصة.

أما الاستثناء الثاني لمبدأ الحجية المطلقة للقيد وهو الأكثر أهمية فهو مخالفة القيد لمقتضى الأصول الشرعية، ففي حقيقة الامر أن هذا الاستثناء هو استثناء واسع وغير محدد كحالة التزوير فهو يشمل جميع الحالات التي يخالف فيها القيد وبالتالي الوسيلة أو المحررات والوثائق التي أُنشئ بواسطتها القواعد الشرعية، والقواعد الشرعية المقصودة هنا هي جميع القواعد المتعلقة بإجراءات التسجيل أو بأطراف عملية التسجيل أو بمحل التسجيل أو سببه وغيرها من العناصر التي تؤدي مجتمعة إلى نشوء القيد، والذي يهمنا في هذا الصدد أن مصطلح مخالفة الأصول الشرعية يشمل جميع حالات بطلان أو فسخ أو إبطال التصرف القانوني، وهذا يعني أن النظام السعودي لم يعترف بتاتًا بالقاعدة التي تقول بأن القيد يطهر التصرف القانوني مما شابه من عيوب، بل الأكثر من ذلك أن نص المنظم السعودي على هذا الاستثناء جعل

الأصل وهو مبدأ الحجية المطلقة كما تعرفه أنظمة التسجيل العيني المقارنة بمثابة العدم، فإعطاء صلاحية تحديد المقصود بمخالفة الأصول للشرعية للقاضي من خلال ما نصت عليه الفقرة ٥ من المادة ٣ من (اللائحة التنفيذية لنظام التسجيل العيني للعقار، ١٤٢٥) يفتح مجالًا لإلغاء القيود في السجل بناءً على ما يراه القاضي مخالفا لتلك الأصول.

لهذا فإننا نرى أن مبدأ الحجية المطلقة الذي نص عليه المنظم السعودي لم يقصد به كون القيد غير قابل للمساس به أو أنه يؤدي إلى نشوء الحق أو تطهيره كما هو متعارف عليه في نظام التسجيل العيني، وإنما يقصد به أن البيانات الواردة في السجل العقاري تعبر حجة في الاثبات دون حاجة إلى تقديم دليل إضافي، وهذه الحجة تماثل إلى حد بعيد الحجية التي اعترف بها المنظم السعودي للمحررات الرسمية في نظام المرافعات، ومن المعروف أن القاضي السعودي غير ملزم باعتماد الدليل حتى لو جاء على شكل محرر رسمي فلديه دائما إمكانية طرحه وعدم الأخذ به بمجرد الشك أو الاشتباه في صحته وفقًا لما ورد في المادة ١٥٤ من (نظام المرافعات الشرعية، ١٤٢١)، لهذا فإن وجهة نظر المنظم السعودي لمبدأ الحجية المطلقة متلائمة في حقيقة الأمر مع القواعد العامة ومع الاتجاه العام الذي يتطلب أن تكون جميع الأنظمة متوافقة مع مبادئ الشريعة الإسلامية الغراء وقواعدها ، وعلى الرغم من العمومية التي اتسمت بها المادة ٣ السابق الإشارة إليها فقد وجد (الزبن، ٢٠١٩) أن الحجية المطلقة للقيد شرعت فقط لمصلحة الشخص حسن النية، بمعنى أن أي تغيير في القيد أو شطبه نتيجة للأسباب التي أوردها المنظم السعودي يجب ألا تؤثر في حقوق غيره حسن النية على اعتبار أن التزوير ومخالفة الأصول الشرعية ما هو إلا دليل على سوء النية، ويترتب عن ذلك أن القيد إذا تم نتيجة تزوير ثم انتقل الحق إلى شخص آخر حسن النية فإن شطب القيد الأول يجب ألا يؤدي إلى شطب القيد الثاني؛ لأن صاحبه حسن النية، وإنما يتم تعويض من تضرر بناءً على ما نص عليه المنظم في المادة ٥٩ من (نظام التسجيل العيني للعقار، ١٤٢٣)، وذلك قياسًا على الحالة التي يطعن فيها ناقص الأهلية أو فاقدها في القيد والواردة في المادة ٢/٣٥ من (اللائحة التنفيذية لنظام التسجيل العيني للعقار، ١٤٢٥) حيث اعتبر المنظم أن الطعن يجب ألا يؤثر حقوق غيره حسن النية مع حق المتضرر بالتعويض.

والحقيقة أننا نرى أن التفرقة بين حسن أو سوء النية ليست محل اعتبار فيما يتعلق بحجية القيود الواردة في المادة ٣، فهذه المادة وضعت أسس معينة للطعن في القيود لغاية تدعيم الثقة بها وحماية الملكية العقارية والائتمان العقاري وهذه الغاية هي اسمى من المصالح الشخصية للأفراد حتى لو كانوا حسني النية، هذا بالإضافة إلى كون التزوير أو مخالفة الأصول الشرعية قد لا يكون صادرًا من طرف أحد أصحاب العلاقة بل قد يكون صادرًا من طرف الموثق أو الموظف المسؤول في إدارة التسجيل، ومع عدم نص المنظم

السعودي صراحة على آلية مسائلة الإدارة في هذه الحالات عن أي أخطاء أو تجاوزات فإن القول بالحجية المطلقة لصاحب القيد حسن النية سوف يؤدي إلى ضياع الحقوق من أصحابها هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن التشريعات التي نصت على مبدأ الحجية المطلقة للقيد نصت صراحة على أن شطب القيود يجب ألا يؤثر على حقوق غيره حسن النية، وهو الأمر الذي لم يفعله المنظم السعودي ولا يمكن استنتاج مثل هذا الحكم باستخدام القياس على حالات استثنائية كحالة القاصر وفاقد الأهلية المنصوص عليها في المادة ٣٥ خصوصًا وأنها حالة خاصة تتعلق بالطعن بالقيد الأول، وبالإضافة إلى ذلك يستنتج من قراءة المواد ٣ و ٤٠ و ٥٠ من (نظام التسجيل العيني للعقار، ١٤٢٣) أن المنظم السعودي فتح المجال واسعا أمام اللجوء للقضاء بشأن تغيير القيود الواردة في السجل العقاري دون أن يضع حدودًا لذلك، ولا يعني نص المادة ٥٩ التي تتيح للمتضررين من القيد في السجل العقاري المطالبة بالتعويض متى ثبت أنه تم دون وجه حق عدم إمكانية الطعن في تلك القيود، فهذه المادة تضع مبدأً عامًا للتعويض عن الضرر بشكل عام سواء شُطب القيد أم لم يتم ذلك، فالضمانات التي وضعها المنظم السعودي لا تمنع من خسارة الحق أو وقوع الضرر بشكل أو بآخر لهذا أقر مبدأ التعويض (الجمل، ٢٠١٥).

الخاتمة:

تناولنا في هذه الدراسة نظام التسجيل العيني للعقار في المملكة العربية السعودية من خلال تتبع الإجراءات القانونية والإدارية الواردة ضمن نصوصه لتسجيل العقار والتصرفات التي ترد عليه، ومحاولين إبراز ما يقوم عليه من مبادئ وأسس والآثار القانونية التي يمكن أن تترتب عنها عند التطبيق العملي للنظام، كما حاولنا في إطار هذه الدراسة الحث عن أي خصوصية تميز هذا النظام عن أنظمة التسجيل العيني المتعارف عليها على صعيد التشريعات المقارنة، وفي ختام هذه الدراسة سوف نستعرض أهم ما توصلنا اليه من نتائج نتبعها بما يمكن طرحه من توصيات.

النتائج

–النظام القانوني للملكية العقارية حاليًا في المملكة العربية السعودية هو نظام مزدوج يقوم على وجود نوعين من العقارات، العقارات الخاضعة لنظام التسجيل العيني والعقارات غير الخاضعة لهذا النظام، وهذا أمر طبيعي في ظل التطبيق التدريجي لنظام التسجيل العيني والذي يحتاج إلى متطلبات مادية وقانونية وإدارية كبيرة نظرًا للمساحة الجغرافية الواسعة للملكة.

–أن غاية المشرع من وضع نظام التسجيل العقاري لعام ١٤٢٣ كانت تحقيق الاستقرار والثبات للملكية العقارية، وحفظ حقوق الافراد وحماية المعاملات دون التقيد بنظام معين من أنظمة التسجيل المتعارف

عليها، فعلى الرغم من أنه قام بتسمية القانون "نظام التسجيل العيني " إلا أنه لم يعتمد على نفس المبادئ التي يقوم عليها نظام التسجيل العيني كما هو متعارف عليه، بل إنه أدرج بعض أحكام التسجيل الشخصي ضمن نصوص النظام.

– أن نظام التسجيل العيني السعودي في حقيقته هو نظام لا يقوم على مبادئ التسجيل العيني كما هي معروفة بشكل مطلق، إنما هو نظام خاص يأخذ بعين الاعتبار خصوصية النظام القانوني السعودي المتمثلة باعتماده على القواعد التي قررتها الشريعة الاسلامية واختلافه عن الأنظمة الأخرى المقارنة.

–مبدأ الحجية المطلقة للقيد في السجل العقاري سواء القيد الأول أو القيود التالية للقيد الأول لا يقصد به نفس المفهوم المتعارف عليه في أنظمة التسجيل العيني الأخرى، وإنما يقصد به أن له حجية الورقة الرسمية المنصوص عليها في نظام المرافعات بحيث أنه يكون كافيًا لإثبات ما يتضمنه من حقوق والتزامات دون حاجة إلى دليل آخر، مع العلم أن القاضي غير ملزم باعتماده إذا ثار الشك حول صحته، كما أنه يمكن الطعن فيه بالتزوير ولمخالفة الأصول الشرعية.

– لم يؤثر نظام التسجيل العيني للعقار على مبدأ الرضائية الذي تقوم عليه المعاملات العقارية، وبالتالي فقيد التصرفات في السجل العقاري ليس له أي أثر على صحة التصرف ونفاذه فيما بين المتعاقدين، إلا أن هذا التصرف لا يكون له أي اثر في مواجهة غيره إلا بعد تسجيله في السجل العقاري، وبالتالي فإن أساس نظام التسجيل العيني في السعودية هو إشهار التصرفات.

–لا يؤدي القيد في السجل العقاري إلى تطهير التصرف القانوني المنشئ للحق من العيوب والشوائب التي يمكن أن تؤدي إلى بطلانه أو ابطاله أو فسخه، فحتى بعد القيد يبقى التصرف قابلًا للإبطال أو البطلان أو الفسخ لمخالفة الأصول الشرعية وهذا ما يتماشى مع التوجه العام للنظام السعودي والذي يقوم على تطبيق قواعد الشريعة الإسلامية.

التوصيات:

–يتعين على المنظم السعودي إعادة النظر في المادة ٧ من نظام التسجيل العيني والتي تنص على وجوب إدراج فهرس شخصي ضمن السجلات العقارية، فكما أشرنا عند تناول هذه النقطة فإن هذا الفهرس لا غاية ولا فائدة منه في ظل اعتماد المنظم على نظام التسجيل العيني، وإذا كان يقصد المنظم من ورائه إجراء عمليات إحصائية فإن معلومات السجل العقاري من شأنها أن تحقق هذه الغاية.

-يتعين كذلك على المنظم السعودي أن يتخذ من الإجراءات ما من شأنه تسريع عملية الانتقال بالعقارات في المملكة إلى نظام التسجيل العيني، وذلك للقضاء على ازدواجية النظام العقاري؛ ولتحقيق الأهداف المسطرة لنظام التسجيل العيني، وذلك من خلال وضع مدة زمنية محددة لتقسيم المناطق العقارية وادراج العقارات التي تحتويها ضمن نظام التسجيل العيني.

-ينبغي كذلك الاهتمام بالكادر البشري القائم على عملية التسجيل من موظفي وزارة الشؤون البلدية والقروية وكتاب العدل والقضاء، من خلال التدريب المستمر وإقامة ورش العمل واللقاءات؛ لبحث ما يعيق عمليات التسجيل والتعرف على كيفية مواجهتها.

-لا بد كذلك من إعادة النظر في المدد القانونية التي نص عليها النظام لتقديم الاعتراضات على محاضر التحديد والتحرير وكذلك الاعتراضات على القيد الأول مع الاخذ بعين الاعتبار استخدام التكنلوجيا ووسائل الاتصال الحديثة في عمليات الإشهار والتبليغ التي ينص عليها النظام.

-لا بد من إعادة النظر فيما نصت عليه المواد ٤٠ و ٤١ من نظام التسجيل العيني من إقرارها لجزاء عدم سماع الدعوى وسقوط الحق في مواجهة الغير وذلك في حالة عدم التأشير بالدعوى التي تتضمن حقا من الحقوق الواجبة التسجيل أو عدم تسجيل الحكم الصادر بالدعوى، نظرًا لأن عملية التأشير وتسجيل الحكم اعتبرها المنظم من واجبات الجهات القضائية والإدارية واختصاصاتها وليس من واجبات أطراف النزاع.

-كذلك يتعين على المشرع إعادة النظر في الإجراءات المنصوص عليها في المواد ٤٦ و ٤٧ من نظام التسجيل العيني للعقار ولائحته التنفيذية، والمتعلقة بأسبقية القيد، بحيث يستطيع الشخص الذي أسقطت أسبقيته أو تأثرت حقوقه نتيجة لقبول الطلب الذي تقدم به غيره من الطعن في قرار رئيس التسجيل أمام القضاء.

- لا بد كذلك من النص على إلزامية التسجيل في السجل العقاري في المناطق التي تُحدد لتطبيق النظام عليها، فغياب صفة الإلزام من شأنه أن يؤدي إلى إفراغ القانون من محتواه وكذلك يبقي على الطابع المزدوج للنظام العقاري في المملكة بدل توحيده.

-وأخيرًا ندعو المنظم السعودي إلى جمع شتات الأنظمة المتعلقة بالملكية العقارية ضمن نظام واحد خاص بالملكية العقارية.

والحمد لله رب العالمين

قائمة المصادر المراجع:

إبراهيم اليحيى. (٩، ٢٠١٢). نظام التسجيل العيني للعقار وآفاق مستقبلية. *مجلة العدل، ع٤٤* ، صفحة ٢٩٥.

أحمد الزقرد، مزيد المزيد، و اشرف عبدالقادر. (٢٠١٣). *الحقوق العينية الأصلية في النظام السعودي، ط١* . الرياض: مكتبة الرشد.

أحمد العميرة. (٢٠١١). *نوازل العقار*. الرياض: دار الميمان للنشر والتوزيع.

أحمد ضيف. (٢٠٠٧). الشهر العيني بين النظرية والتطبيق في التشريع الجزائري، رسالة ماجستير في القانون الخاص. تلمسان، الجزائر: كلية الحقوق-جامعة ابي بكر بلقايد.

أحمد عبدالحميد. (أغسطس، ٢٠١٩). القوة المطلقة للقيد في السجل العقاري بين الرفض والتأييد. *المحلة الجامعة، م٥، ع٢١* ، الصفحات ٩١-١٣٢.

ادوارد عيد. (١٩٩٦). *الانظمة العقارية: التحديد والتحرير-السجل العقاري، ط٢* . بيروت: د.ن.

إنجي زهدور. (ديسمبر، ٢٠١٣). التصرفات الخاضعة للشهر العقاري: الحقوق العينية والحقوق الشخصية. *مجلة الفقه والقانون، ع١٤* ، الصفحات ٢٠٠-٢٢٨.

أنور العمروسي. (٢٠١٥). *الموسوعة الوافية في شرح القانون المدني، ط٥* . القاهرة: دار العدالة.

إيهاب عبدالمطلب. (٢٠٠٩). *اشكالات التنفيذ وطلب اعادة النظر، ط١* . القاهرة: المركز القومي للاصدارات القانونية.

جمال بوشنافة. (يناير، ٢٠٠٧). اختلاف أنظمة الشهر العقاري وموضع نظام الشهر العقاري الجزائري منها. *مجلة العلوم القانونية والاقتصادية، جامعة عين شمس، مج٤٩، ع١* ، الصفحات ١٤٥-١٦٤.

جمال بوشنافة. (يوليو/ديسمبر، ٢٠٠٧). نظام الشهر العقاري وآثاره في القانون الجزائري. *مجلة حقوق حلوان للدراسات القانونية والاقتصادية، ع١٧* ، الصفحات ١٩٨-٢٦٩.

جمال بوشنافة. (يناير، ٢٠١١). الاثر المنشيء للشهر و أثره على العقد كأحد أهم اسباب كسب الملكية العقارية. *دفاتر السياسة والقانون، ع٤* ، الصفحات ١١٠-١٣٦.

حابس الشمري. (١ يناير، ٢٠١٩). التوثيق العقاري واهميته في الفقه الاسلامي والقانون. *مجلة العلوم الاجتماعية، مركز الامتياز للعلوم والابحاث*، الصفحات ٦٣-٨٩.

الحسن أولياس. (٢٠١٨). التعرض ضد مطالب التحفيظ. مجلة الحقوق، *سلسلة المعارف القانونية والقضائية، ع٦٠* ، الصفحات ١٣٧-١٥٣

حسين حمدان. (٢٠٠٣). *نظام السجل العقاري، ط١* . بيروت: منشورات الحلبي الحقوقية.

.خالد الربيش. (١٣ ٧، ٢٠٠٨). *تاريخ التوثيق العقاري.. من نظام تملك العقار في الحجاز إلى التسجيل العيني*. تم الاسترداد من جريدة الرياض، ع١٤٦٢٩ تم الاسترجاع بتاريخ بتاريخ ٢٠٢٠/٦/٢٢:
http://www.alriyadh.com/358797

رياض الجمل. (٢٠١٥). حماية الغير فى إجراءات التسجيل والتحيين العقارى. *مجلة بحوث ودراسات قانونية، ع١٠* ، الصفحات ١٧٩-٢٨٥.

زبن الزبن. (ايار، ٢٠١٩). انقضاء الحق العيني وفقًا لنظام التسجيل العيني السعودي. *دراسات، علوم الشريعة والقانون، م٤٦، ع٢* ، الصفحات ١٩٥-٢٢٠.

سعاد عاشور. (٢٠٠٥). *حجية التسجيل وفق نظام التحفيظ العقاري المغربي، ط١* . مراكش: المطبعة والوراقة الوطنية.

سماح ورتي. (يونيو، ٢٠١٧). نظاما الشهر العقاري وموقف التشريعات المغاربية منهما. *دراسات، ع٥٥*، الصفحات ٣٠٩-٣٢١.

سنوسي بوعلاق. (٢٠١٦). التصرفات العقارية الواجبة الشهر. *رسالة لنيل الماستر في القانون العام المعمق*. مستغانم، الجزائر: جامعة عبد الحليم ابن باديس، كلية الحقوق والعلوم السياسية.

صاحب الفتلاوي. (٢٠٠٢). التنفيذ العيني الجبري لعقود بيع العقارات غير المسجلة. *مؤتة للبحوث والدراسات - سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، م١٧، ع٨*، الصفحات ٣٤٧-٣٧٧.

طارق العصفور. (٢٠١٤). النظام القانوني للتسجيل العقاري دراسة في القانون الكويتي. *رسالة ماجستير في القانون الخاص*. عمان، الاردن: كلية الحقوق ، جامعة الشرق الاوسط.

طلحة غليسي. (٢٠١٤). الشهر العقاري كآلية لحماية الملكية في التشريع الجزائري. *رسالة ماستر في القانون الاداري*. بسكرة، الجزائر: كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة محمد خيضر.

عبد الحميد صالح. (فبراير، ٢٠٠٥). الحجية المطلقة للقيد في نظام التسجيل العيني للعقارات: دراسة للنظام في المملكة العربية السعودية. *مجلة الادارة العامة، معهد الادارة العامة، الرياض، م٤٥، ع١* ، الصفحات ٣-٣٩.

عبدالرزاق السنهوري. (١٩٦٤). *الوسيط في شرح القانون المدني، ج١ ، مصادر الالتزام، م١ ، العقد*. بيروت: دار احياء التراث العربي.

عبدالرزاق السنهوري. (١٩٦٤). *الوسيط في شرح القانون المدني، ج٤، العقود التي تقع على الملكية، البيع والمقايضة*. بيروت: دار احياء التراث العربي.

عبدالرزاق السنهوري. (١٩٩٨). *نظرية العقد، ج١* . بيروت: منشورات الحلبي الحقوقية.

عبدالعزيز الحضري. (ابريل، ٢٠١٠). قواعد نزاعات التحفيظ العقاري. *مجلة الحقوق، سلسلة المنازعات والانظمة العقارية، ع٢* ، الصفحات ١٥-٢٩.

عبدالعزيز الصغير. (٢٠١٦). *حقوق الدائنين في التركة في ضوء الشريعة الإسلامية، ط١* . القاهرة: المركز القومي للاصدارات القانونية.

عبدالمنعم لزعر. (ديسمبر، ٢٠١٢). الحجية المطلقة لقرار التحفيظ بين ثوابت قانون التحفيظ العقاري ومستجدات دستور ٢٠١١. *المجلة المغربية للدراسات القانونية والاقتصادية،ع٩* ، الصفحات ١٧-٣٥.

علي أبودياب. (٢٠١٩). نقل ملكية العقار في النظام السعودي: دراسة مقارنة بين القانون المدني المصري والنظام السعودي. *مجلة كلية الشريعة والقانون بطنطا، جامعة الأزهر، ع٣٤، ج٣* ، الصفحات ١٥٠ - ٢٤٧.

علي الشمري. (٢٠١٥). *تسبيب الاعمال القضائية في الدعوى المدنية*. المنصورة: دار الفكر والقانون للنشر والتوزيع.

عمر سعد. (نوفمبر، ٢٠١٧). مؤسسة الحيازة ونظام السجل العيني (حتمية الصدام وفرص التعايش): دراسة تحليلية مقارنة. *مجلة الفقه والقانون، ع٦١* ، الصفحات ٤٤-٦١.

اللائحة التنفيذية لنظام التسجيل العيني للعقار. (١ ٩، ١٤٢٥). *رقم ٤٤٧٩ وتاريخ ١٤٢٥/٦/١٤* . جريدة ام القرى، ع٤٠١٤.

لائحة الموثقين وأعمالهم. (١١ ٣، ١٤٤٠).

مأمون الكزبري. (١٩٨٧). *التحفيظ العقاري والحقوق العينية الاصلية والتبعية في ضوء التشريع المغربي، ط٢* . الرباط: شركة الهلال العربية للطباعة والنشر.

مجموعة الاحكام القضائية. (١٤٣٥). مجموعة الاحكام القضائية. *١ ، رقم القرار: ٣٥٣٢٥٣٩٣ تاريخه: ٢٢ / ٠٧ /*. الرياض: وزارة العدل.

المحفوظ بنشريف. (يناير، ٢٠٢٠). حجية تقييدات الغير حسن النية في الرسم العقاري. *مجلة القانون والأعمال، جامعة الحسن الأول، ع٥٢*، الصفحات ٢٨٠-٢٩٥.

محمد الفوزان. (٢٠١٨). *مبادىء المرافعات الادارية،ط١* . الرياض: مكتبة الاقتصاد والقانون.

محمد حنو. (اكتوبر، ٢٠٠٦). التعرضات على مسطرة التحفيظ. مجلة *رسالة الدفاع*، ع٦ ، الصفحات ٢٧-٤٩.

محمد شنب. (١٩٩٩). *دراسات في قانون السجل العيني المصري والمقارن، ط١* . القاهرة: دار النهضة العربية.

نظام التسجيل العيني للعقار. (١ ١، ١٤٢٣).

نظام القضاء. (١٩ ٩، ١٤٢٨).

نظام المرافعات الشرعية. (١ ١، ١٤٢١).

نورالدين أبوغوش. (٢٠١٣). *الوجيز في الخصومة وفقا لأحكام القانون، ط١* . عمان: مركز الكتاب الاكاديمي للنشر والتوزيع.

هدى مجدي. (٢٠١٨). *النظام القضائي وقواعد المرافعات المدنية والتجارية، ط١* . الجيزة: مركز الجراسات العربية للنشر والتوزيع.

وزارة العدل السعودية. (٢٠ ٦، ٢٠٢٠). تم الاسترداد من موقع وزارة العدل السعودية:
https://www.moj.gov.sa/ar/Ministry/Departments/DocAgency/Pages/AeneRegAgency.aspx

ياسين غانم. (١٩٩٤). *القضاء العقاري، ط٢* . دمشق: مطبعة كرم.

جامعة الجوف
Jouf University

8

دور السياسة المالية في تحقيق التنمية الاقتصادية في المملكة العربية السعودية خلال الفترة ٢٠٠٠م-٢٠١٧م

د. سعد بن علي الوابل
أستاذ مشارك - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية
قسم الأعمال المصرفية

"يشكر الباحث عمادة البحث العلمي
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
في المملكة العربية السعودية
لتمويلها هذا المشروع في عام ١٤٤١هـ برقم (٠٠١-١١-١٢-١٩)".

المستخلص

يستهدف البحث دراسة دور السياسة المالية في تحقيق التنمية الاقتصادية في المملكة العربية السعودية خلال الفترة ٢٠٠٠م-٢٠١٧م، وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، و التحليل الكمي القياسي لبيانات الدراسة.

توصل الباحث لمجموعة من النتائج وهي عدم معنوية العلاقة بين الإنفاق الحكومي ومعدل نمو الناتج المحلى خلال الفترة ٢٠٠٠م-٢٠١٧م، وجود علاقة تكامل بين الإنفاق الحكومي ومعدل نمو الناتج المحلي الإجمالي؛ مما يعني إمكانية تطبيق أسلوب متجه تصحيح الخطأ، عدم معنوية العلاقة بين معدل الضرائب ومعدل نمو الناتج المحلي، وجود علاقة تكامل بين معدل الضرائب ومعدل نمو الناتج المحلي الإجمالي؛ مما يعني إمكانية تطبيق أسلوب متجه تصحيح الخطأ، عدم وجود تأثير معنوي للسياسة المالية على التنمية الاقتصادية.

وقد أوصت الدراسة بضرورة اتباع المملكة العربية السعودية لسياسة مالية أكثر فاعلية يمكن من خلالها إحداث تأثير على التنمية الاقتصادية، و زيادة معدلات الإنفاق الحكومي على القطاعات التي تساعد في إحداث التنمية الاقتصادية بشكل سريع، و الإفادة من ارتفاع أسعار النفط في إحداث تغييرات على السياسة المالية لجعلها أكثر فاعلية مما يزيد من تأثيرها على المتغيرات الاقتصادية التي تساعد في تحقيق تنمية اقتصادية حقيقية في المملكة العربية السعودية وتساعد في تحقيق أهداف رؤية المملكة ٢٠٣٠، و إعادة النظر في معدلات الضرائب المفروضة على الشركات وخاصة أنها لم تؤت ثمارها بشكل ملحوظ والعمل على تخفيف الأعباء الاقتصادية علي الشركات من أجل تشجيعهم على العمل وزيادة معدلات الإنتاج مما يساعد على تحقيق التنمية الاقتصادية المطلوبة، والعمل على تنويع مصادر الإيرادات وعدم الاعتماد بشكل أساس على عائدات النفط، وذلك من أجل تكوين اقتصاد قائم على التنوع يستطيع مواجهة أي تغيرات سلبية قد تحدث في أسعار النفط.

الكلمات المفتاحية: السياسة المالية – التنمية الاقتصادية– الإنفاق الحكومي– الضرائب– المملكة العربية السعودية.

Abstract

The research aims to study the role of fiscal policy in achieving economic development in the Kingdom of Saudi Arabia during the period 2000-2017 AD. The researcher used the descriptive analytical approach, and quantitative analysis of the study data.

The researcher reached a set of results, which are the insignificance of the relationship between government spending and the rate of GDP growth during the period 2000-2017 AD, and the existence of a complementary relationship between government spending and the rate of GDP growth; Which means the possibility of applying the error correction vector method, the insignificance of the relationship between the tax rate and the rate of GDP growth, the existence of an integral relationship between the tax rate and the GDP growth rate; which means the possibility of applying the error correction vector method, the absence of a significant effect of fiscal policy on economic development.

The study recommended the need for the Kingdom of Saudi Arabia to follow a more effective fiscal policy through which it can have an impact on economic development, increase government spending rates on sectors that help in rapid economic development, and benefit from high oil prices in bringing about changes to the fiscal policy to make it more effective. Which increases its impact on the economic changes that help achieve real economic development in the Kingdom of Saudi Arabia and help achieve the goals of the Kingdom's 2030 vision, reconsidering the tax rates imposed on companies, especially as they did not bear fruit significantly, and working to reduce the economic burdens on companies in order to encourage them to work and increase production rates, which would help achieve the required economic development, work to diversify sources of revenue and not rely primarily on revenues oil, in order to create a diversified economy that can face any negative changes that may occur in oil prices.

- **Keywords: Fiscal Policy - Economic Development - Government Expenditure - Taxes - Saudi Arabia.**

المقدمة:

تؤدي السياسة المالية دورًا مهمًا في السياسة الاقتصادية نظرًا لقدرتها على تحقيق الأهداف ال يرمي إليها الاقتصاد الوطني، وتعتبر أدواتها من الأدوات الاقتصادية الرئيسة التي تحقق النمو الاقتصادي وتذلل العقبات التي تعترض الاستقرار الاقتصادي، بالإضافة إلى آثارها التوزيعية والمتخصصة؛ فإن للسياسة المالية تأثيرات محفزة للاستقرار مثل الإنفاق الحكومي والضرائب التي تؤثر على الطلب الكلي، وبالتالي تؤثر على المتغيرات الاقتصادية الشاملة والنمو الاقتصادي، وقد اكتسبت السياسة المالية مكانة بارزة خلال الأزمة الاقتصادية العالمية الأخيرة، عندما تدخلت الحكومات لدعم الأنظمة المالية وبدء النمو والتخفيف من تأثير الأزمة على الفئات الضعيفة. ومن هذا المنطلق يسعى هذا البحث لدراسة دور السياسة المالية في تحقيق التنمية الاقتصادية في المملكة العربية السعودية خلال الفترة ٢٠٠٠م-٢٠١٧م لتعزيز مكانتها الاقتصادية.

المشكلة البحثية:

تسعى المملكة العربية السعودية من خلال تطبيق السياسة المالية وأدواتها المختلفة إلى تحقيق معدلات مرتفعة من النمو والتنمية الاقتصادية للوصول إلى أفضل مستوى اقتصادي واجتماعي ممكن لأفراد المجتمع وفق رؤية المملكة ٢٠٣٠.

وتكمن مشكلة البحث في أنه يسعى لمعرفة مدى الدور الذي تؤديه السياسة المالية في تحقيق التنمية الاقتصادية في المملكة العربية السعودية من خلال أدوات السياسة المالية المختلفة المتمثلة في الإنفاق الحكومي والضرائب.

يسعى البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

١- تحديد دور السياسة المالية في تحقيق التنمية الاقتصادية في المملكة العربية السعودية خلال الفترة ٢٠٠٠م-٢٠١٧م.

٢- التعرف على أثر أدوات السياسة المالية المتمثلة في الإنفاق الحكومي، معدل الضرائب على معدل نمو الناتج المحلي في المملكة العربية السعودية خلال فترة الدراسة.

٣- الوصول إلى نتائج وتوصيات يمكن أن تسهم في تحقيق أفضل إفادة من السياسة المالية.

- **فرضية البحث :**

يوجد تأثير معنوي للسياسة المالية على تحقيق التنمية الاقتصادية في المملكة العربية السعودية خلال الفترة ٢٠٠٠م-٢٠١٧م.

- **منهجية البحث:**

استخدم الباحث المنهج الوصفي لتوافقه مع موضوع البحث؛ والذي استخدم لوصف المتغيرات التي تُدرس والتعرف عليها، كما استخدم الباحث المنهج التحليلي القياسي من خلال استخدام الأساليب والطرق القياسية لتحليل البيانات عن طريق الاستعانة ببرنامج قائم على النظام يعرف باسم E-Views للتحليل القياسي والإحصائي للبيانات وتم ذلك باستخدام اختبار ديكي- فولر الموسع واختبار التكامل المشترك لاختبار العلاقة بين المتغيرات، وكذلك نموذج تصحيح الخطأ لمعرفة نوع العلاقة بين المتغيرات للوصول إلى نتائج وتوصيات يمكن الإفادة منها في تحقيق أفضل استخدام ممكن للسياسة المالية في المملكة العربية السعودية.

- **مصادر البيانات:**

اعتمدت الدراسة على مصادر البيانات الثانوية المنشورة، في الكتب والرسائل العلمية والدوريات وأوراق العمل المقدمة في المؤتمرات، وتقارير مؤسسة النقد العربي السعودي، ونشرة البيانات، و أعداد متفرقة ٢٠٠٠م-٢٠١٧م.

- **حدود البحث:**

أُطِّرت الدراسة بالحدود الآتية:

الحدود الموضوعية: تتناول الدراسة دور السياسة المالية في تحقيق التنمية الاقتصادية في المملكة العربية السعودية خلال الفترة ٢٠٠٠م-٢٠١٧م.

الحدود الزمنية: خلال الفترة ٢٠٠٠م-٢٠١٧م.

الحدود المكانية: المملكة العربية السعودية.

أولًا: الإطار النظري:

١- المصطلحات والمفاهيم البحثية:

- **مفهوم السياسة المالية:**

هي النهج الذي تقوم الحكومة باتخاذه من أجل الوصول إلى أعلى معدل ممكن من الكفاءة في إدارة الأنشطة المالية للدولة من أجل الوصول إلى الأهداف الاقتصادية والاجتماعية المطلوبة مع توفير وسائل التمويل المناسبة لتلك الأنشطة خلال مدة معينة من الزمن (سلامة، ٢٠١٥م، ٢٢٢-٢٢٣).

وتتمثل أدوات السياسة المالية في الإنفاق الحكومي ومعدلات الضرائب أو بالمزج بينهما معًا ؛ لذا تختلف السياسة المالية استجابة لتغير المؤشرات الاقتصادية، وبالتالي يُستخدم نهج توسعي عندما يتباطأ الاقتصاد أو يدخل في حالة ركود وترتفع البطالة، وفي ظل هذه الظروف، يحاول صانعو السياسة تحفيز النشاط الاقتصادي عن طريق زيادة الإنفاق أو خفض الضرائب أو بالقيام بهما معًا، وتضع هذه الإستراتيجيات المزيد من الأموال في أيدي المستهلكين والشركات. إلا أنه ومن الجانب الآخر عندما يكون هناك عمالة عالية وطلب قوي من المستهلكين، تميل الأسعار إلى الارتفاع؛ ويمكن أن يقفز معدل التضخم، في ظل هذه الظروف، يعكس صناع السياسة المالية التوسعية ويقلصون الإنفاق أو يرفعون الضرائب من أجل تحقيق توازن يعزز النمو الاقتصادي المستدام وسوق عمل قوي دون تضخم مفرط أو عجز كبير (عايب، ٢٠١٠م، ٩٨-٩٩).

الهدف الأساس للسياسة المالية هو التعامل مع الضرائب والإنفاق الحكومي، في جميع البلدان، يؤثر الإنفاق الحكومي على التضخم. وبالتالي، فإن السياسة المالية هي وسيلة لزيادة التضخم أو خفضه ، وهي أداة للسيطرة على العجز المالي، ولإدارة الاقتصاد، لذلك هناك حاجة إلى سياسة مالية مناسبة (Najaf، ٢٠١٦م، ٥٩).

– مفهوم التنمية الاقتصادية:

يشير مصطلح التنمية الاقتصادية إلى السياسات والبرامج التي تدعم الوظائف المحلية وتعزز النمو المستدام، إن الهدف من سياسات التنمية الاقتصادية يتمثل في تعزيز فرص العمل المحلية؛ ودعم الاحتفاظ بالوظيفة؛ والتأكد من أن القوى العاملة المحلية مناسبة لفرص العمل المحلية، ويمكن تحقيق ذلك من خلال الكفاية والكفاءة والتكافؤ (الإنصاف) بين أفراد المجتمع، ومن خلال تحسينات الاستثمارات في البنى التحتية والخدمية (مصطفي وسانية، ٢٠١٤م، ١٨-٢٨).

٢– الدراسات السابقة:

دراسة رمول، (٢٠١٢): بعنوان "دور السياسة المالية في تحقيق التوازن الاقتصادي في ظل برنامج الإصلاح الاقتصادي دراسة حالة الجزائر خلال الفترة (١٩٩٤م–٢٠٠٩م)":

استهدفت الدراسة التعرف على الدور الذى تؤديه السياسة المالية في تحقيق الاستقرار والتوازن الاقتصادي، اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي في وصف وتعريف السياسة المالية والتوازن الاقتصادي. كما اعتمدت على المنهج التاريخي لتناول مراحل تطور السياسة المالية، والمنهج الاستنباطي في تحليل البيانات. وقد توصلت الدراسة إلى أن هناك دورًا هامًا للسياسة المالية من خلال ادواتها في تحقيق الاستقرار والتوازن الاقتصادي، وإنه يجب حدوث تنسيق بين السياسة المالية والسياسة النقدية لتفادي

حدوث تضارب فيما بينهما؛ مما يقلل من قدرتهم على الوصول للأهداف المطلوبة، كما أوضحت الدراسة ضعف تأثير السياسة المالية على الاقتصاد الجزائري خلال فترة الدراسة، وأن الاقتصاد الجزائري يعتمد بشكل أساس على الدخل المحقق من النفط مما يوضح ضرورة العمل على وجود مصادر دخل بديلة لتفادي التعرض لأى مشكلات مالية في حالة حدوث انخفاض في أسعار النفط في الأسواق العالمية، وقد أوصت الدراسة بضرورة العمل على إعادة توجيه الإنفاق الحكومي وتشجيع الاستثمارات، ومحاولة تحقيق أفضل ترشيد ممكن من الإنفاق الحكومي، وضرورة السعي إلى زيادة الوعي الضريبي لدى أفراد المجتمع، مع البحث عن مصادر دخل بديلة ومتنوعة.

دراسة Najaf، (٢٠١٦م): بعنوان "تأثير صدمات السياسة المالية على الاقتصاد الهندي":

هدفت الدراسة إلى تحليل تأثير السياسة المالية على اقتصاد الهند خلال الفترة من ١٩٨١ إلى ٢٠١٠. اعتمدت الدراسة على المنهج التحليلي باستخدام اختبار التكامل المشترك ونموذج تصحيح الخطأ ونموذج تحلل التباين، وتوصلت النتائج أن هناك ارتباطًا طويل المدى بين السياسة المالية والاقتصاد في الهند وأن هناك صدمات خارجية بين المتغيرات. وأوصت الدراسة إلى الحاجة لسياسة مالية مناسبة لتنمية الاقتصاد، كما أوصت أنه يجب على صانعي السياسات التركيز على السياسة المالية قبل اتخاذ أي قرار.

دراسة محمد وعبد القادر، (٢٠١٧م): بعنوان "دور السياسة المالية في تحقيق الاستقرار الاقتصادي الكلي في الجزائر خلال الفترة ٢٠٠١م –٢٠١٦م":

استهدفت الدراسة تحليل دور السياسة المالية في تحقيق الاستقرار الاقتصادي الكلي في الجزائر خلال الفترة ٢٠٠١م –٢٠١٦م، وذلك من خلال تحليل مكونات السياسة المالية (الإيرادات العامة، والنفقات العامة، والميزانية العامة للدولة) مع وضعية المؤشرات الكلية (معدل النمو، و البطالة، والتضخم وميزان المدفوعات الدولية). اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي وذلك لجمع البيانات وتحليلها، وقد توصلت الدراسة إلى وجود دور كبير ومهم للسياسة المالية في تحقيق الاستقرار الاقتصادي الكلي، وأن هذا الدور يرتبط بأسعار النفط؛ ولذلك يجب على الدولة السعي على إيجاد مصادر تمويل أخرى للاقتصاد الجزائري وتحقيق التنوع في مصادر الإيرادات.

دراسة Hlongwane، (٢٠١٨م): "تحليل تأثير السياسة المالية على النمو الاقتصادي في جنوب إفريقيا: نهج نموذج تصحيح الخطأ المتجه":

بحثت الدراسة في تأثير السياسة المالية على النمو الاقتصادي لجنوب إفريقيا من عام ١٩٦٠م إلى عام ٢٠١٤م من خلال نهج نموذج تصحيح الخطأ المتجه. اعتمدت الدراسة على المنهج التحليلي وذلك

باستخدام طريقة الانحدار التلقائي المتجه والتي تشمل اختبار الاستقرارية وتحليلات جوهانسن للاندماج المشترك ونموذج تصحيح الخطأ المتجه بالإضافة إلى مصفوفة الارتباط الزوجي وفحص حالة استقرار تصحيح الخطأ المتجه. كشفت الدراسة أن إيرادات الضرائب الحكومية لها تأثير إيجابي ومهم طويل المدى على النمو الاقتصادي، في حين أن تكوين رأس المال الثابت الإجمالي للحكومة وعجز الميزانية لهما تأثير سلبي على الناتج المحلي الإجمالي الحقيقي، وقد أوصت الدراسة بضرورة تعزيز بعض تدابير السياسة المالية التوسعية لأنها تؤدي دورًا مهمًا للغاية في الاقتصاد لتحقيق هدف الحكومة في رؤية خطة التنمية الوطنية لعام ٢٠٣٠.

دراسة .Morakinyo et al، (٢٠١٨م): " تأثير أداة السياسة المالية على النمو الاقتصادي في نيجيريا":

بحثت الدراسة تأثير أداة السياسة المالية على النمو الاقتصادي في نيجيريا باستخدام بيانات السلاسل الزمنية السنوية من ١٩٨١م-٢٠١٤م والتي تشكل ٣٤ عامًا من الملاحظات. اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي للبيانات الثانوية التي حُصل عليها من النشرة الإحصائية السنوية للبنك المركزي النيجيري. تم ربط أداة السياسة المالية بالنفقات الحكومية المتكررة، والإنفاق الرأسمالي الحكومي، والدين المحلي العام، والدين الخارجي العام، بينما كان النمو الاقتصادي مقارنا بالناتج المحلي الإجمالي. حُللت البيانات باستخدام طريقة المربعات الصغرى العادية وآلية تصحيح الخطأ المتجه. وقد توصلت الدراسة إلى أن الإنفاق المتكرر والدين المحلي العام لهما علاقة سلبية في حين أن الإنفاق الرأسمالي والدين الخارجي يمارسان علاقة إيجابية على المدى الطويل على النمو الاقتصادي، وفي المدى القصير فإن المتغيرات بأكملها لها تأثير إيجابي باستثناء النفقات المتكررة على النمو الاقتصادي (الناتج المحلي الإجمالي). وقد أوصت الدراسة بضرورة قيام الحكومة بوضع استراتيجيات فعالة لإدارة الديون ومحاربة مشكلة الفساد لأنه دون الحد من مستوى الفساد في البلاد، لن تحقق مكونات السياسة المالية المستوى المطلوب من النمو الاقتصادي في نيجيريا.

دراسة محيي الدين ورفيق، (٢٠١٨م): بعنوان " دور السياسة المالية في تحقيق التوازن الاقتصادي حالة الجزائر ما بين ٢٠٠٠م – ٢٠١٠م":

استهدفت الدراسة التعرف على دور السياسة المالية في تحقيق التوازن الاقتصادي حالة الجزائر ما بين ٢٠٠٠م – ٢٠١٠م، اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي والمنهج التحليلي، أُعتمد على برنامج E-Views لتحليل بيانات الدراسة واختبار فرضياتها وذلك باستخدام اختبار جذور الوحدة، اختبار ديكي- فولر الموسع واختبار التكامل المشترك لاختبار العلاقة بين المتغيرات، وكذلك أُستخدم نموذج

تصحيح الخطأ لمعرفة نوع العلاقة بين المتغيرات، كما أُستخدم اختبار السببية، وقد توصلت الدراسة إلى أنه يوجد تكامل مشترك بين السياسة المالية والمتمثلة في أدواتها (الإيرادات، النفقات) والمؤشرات الكلية و ذلك على المدى الطويل، وأن الدولة تسعى إلى تنفيذ مجموعة من السياسة التي يمكن أن تسهم في زيادة إيراداتها، أما في إطار تحليل السببية ففي حالة التغير في الإيرادات يسبب التغيير في معدلات البطالة، وأنه توجد علاقة سببية في اتجاه واحد، وقد أوصت الدراسة بضرورة العمل على إقامة مشروعات تساعد في زيادة الإيرادات، وتشجيع القطاع الخاص على الاستثمار في المجالات الاقتصادية المتاحة؛ والسعي إلى إيجاد سياسة متكاملة وشاملة.

دراسة Ayoub and Mukherjee، (٢٠١٩م): "ضريبة القيمة المضافة والنمو الاقتصادي: دراسة تجريبية لمنظور الصين":

بحثت الدراسة دور ضريبة القيمة المضافة في النمو الاقتصادي في الصين. البيانات التي استخدمت في الدراسة عبارة عن سلسلة زمنية للفترة من ١٩٨٥م–٢٠١٦م. اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي للبيانات الثانوية التي تُحصل عليها من البنك الدولي والمكتب الوطني للإحصاء باستخدام طريق الانحدار التلقائي للتأخر الموزع للكشف عن العلاقة بين المتغيرات. استخدمت الدراسة الناتج المحلي الإجمالي بوصفه متغيرًا تابعًا ، بالنسبة للمتغيرات المستقلة، استخدمت الدراسة إجمالي السكان، والأشخاص العاملين، ومؤشر أسعار المستهلك، وضريبة القيمة المضافة. أشارت نتيجة الاختبار إلى وجود علاقة إيجابية بين الناتج المحلي الإجمالي والمتغيرات المستقلة ضريبة القيمة المضافة في كل من المدى الطويل والقصير. وقد أوصت الدراسة بضرورة تنويع مصادر الإيرادات التي تسهم في التنمية الاقتصادية في الصين.

دراسة Stoilova and Patonov، (٢٠٢٠م): " السياسة المالية والنمو في اقتصاد ناشئ صغير: حالة بلغاريا":

هدفت الدراسة إلى تحليل تأثير السياسة المالية على النمو الاقتصادي في بلغاريا للفترة ١٩٩٥م–٢٠١٨م. استخدمت الدراسة المنهج التجريبي لمعرفة الاتجاهات العامة في السياسة المالية وهيكل الضرائب. تمت دراسة تأثير الإنفاق الحكومي والضرائب على النمو الاقتصادي من خلال استخدام تحليل الانحدار على بيانات السلاسل الزمنية. توصلت الدراسة إلى أن الإنفاق الحكومي في بلغاريا لا يسهم بشكل كبير في زيادة معدل نمو الناتج المحلي الإجمالي السنوي. بينما الضرائب تعتبر أداة أكثر ملائمة للسياسة المالية من الإنفاق العام ، والتي تبدو حالة نموذجية من حيث اقتصاد السوق الناشئة الصغيرة المفتوحة. كما توصلت الدراسة إلى أن الاستثمارات العامة لها تأثير سلبي على النمو الاقتصادي، مما يشير إلى انخفاض إنتاجية الإنفاق الاستثماري. كما أوضحت أنه من العوامل ذات الأهمية الكبرى مستوى الفساد المرتبط بقوة

بالاستثمارات الحكومية ولكنه يضر بكفاءتها. وأوصت الدراسة بالحاجة لسياسة مالية مناسبة لتنمية الاقتصاد.

دراسة .Dilawar et al، (٢٠٢٠م): "تأثير السياسة المالية على معدل نمو الناتج المحلي الإجمالي: حالة باكستان":

بحثت الدراسة في تأثير السياسة المالية على النمو الاقتصادي في حالة باكستان باستخدام بيانات السلاسل الزمنية من ١٩٨١م إلى ٢٠١٦م. استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، و التحليل الكمي باستخدام مجموعة من الاختبارات القياسية مثل اختبار ديكي- فولر الموسع واختبار التكامل المشترك لاختبار العلاقة بين المتغيرات، وكذلك أستخدم نموذج تصحيح الخطأ لمعرفة نوع العلاقة بين المتغيرات، كما أستخدم برنامج E-Views لتحليل البيانات. وتشير النتيجة إلى أن إجمالي الإنفاق القومي والقيمة المضافة للصناعة ترتبط بعلاقة إيجابية مع معدل النمو؛ لأن ارتفاع الإنفاق الإنتاجي ينتج عنه ارتفاع في النمو الاقتصادي ولقطاع الصناعة تأثير قوي على معدل نمو الناتج المحلي الإجمالي.

أوجه الشبه والاختلاف بين هذه الدراسة والدراسات السابقة:

لاحظ الباحث أن كل الدراسات السابقة والتي جاءت تحت جزئيات مختلفة، قد اتفق أغلبها في أن لأدوات السياسة المالية تأثيرات مختلفة على الناتج الإجمالي المحلي في تحقيق التنمية الاقتصادية.

معظم الدراسات السابقة التي عُرضت والمتوفرة في المكتبة السعودية ذات صلة بموضوع الدراسة تقيس وتحلل أثر أدوات السياسة المالية على الناتج المحلي الإجمالي بدرجات مختلفة. واختلفت الدراسة عن الدراسات السابقة في أنها تتناول دور السياسة المالية في تحقيق التنمية الاقتصادية في المملكة العربية السعودية لسنوات حديثة خلال الفترة ٢٠٠٠م-٢٠١٧م باستخدام برنامج قائم على النظام يعرف باسم E-Views للتحليل القياسي والإحصائي للبيانات.

- **ثانيًا: الإطار التطبيقي:**

يسعى البحث إلى التعرف على العلاقات التي تربط السياسة المالية بالتنمية الاقتصادية في المملكة العربية السعودية؛ من خلال دراسة تأثر أدوات السياسة المالية والمتمثلة في الإنفاق الحكومي، الضرائب على معدلات نمو الناتج المحلي بوصفه مقياسًا يمكن من خلاله التعرف على مستوى التنمية الاقتصادية المحقق في المملكة العربية السعودية خلال الفترة ٢٠٠٠م- ٢٠١٧م.

١- دراسة تطور أدوات السياسة المالية ومعدل نمو الناتج المحلي في المملكة العربية السعودية خلال الفترة (٢٠٠٠م -٢٠١٧م):

أ- إجمالي الإنفاق الحكومي:

من دراسة البيانات الواردة في جدول (١) تبين أن إجمالي الإنفاق الحكومي في المملكة العربية السعودية خلال الفترة ٢٠٠٠م –٢٠١٧م، قد تراوح بين حدين بلغ أدناهما حوالى ١٥٤.١٨ مليار دولار في عام ٢٠٠٠م، وحد أقصى بلغ نحو ٦٨٩.٥٣ مليار دولار عام ٢٠١٥م كما يوضحه الشكل رقم (١)، وقد بلغت قيمة المتوسط السنوي لإجمالي الإنفاق الحكومي خلال فترة الدراسة نحو ٣٩٤.٢١ مليار دولار.

وبتقدير معادلة الاتجاه الزمنى العام لإجمالي الإنفاق الحكومي في المملكة العربية السعودية خلال الفترة ٢٠٠٠م –٢٠١٧م تبين من جدول (٢) أن إجمالي الإنفاق الحكومي قد أخذ اتجاها تصاعديًا بمقدار تغير بلغ حوالي ٣٦.٥٦ مليار دولار، وبلغ معدل التزايد السنوي حوالي ١٠.٤% لإجمالي الإنفاق الحكومي في المملكة العربية السعودية عند مستوى معنوية ٠.٠١.

جدول (١)

تطور قيمة الإنفاق الحكومي ومعدل الضرائب ومعدل نمو الناتج المحلى في المملكة العربية السعودية خلال الفترة (٢٠٠٠م –٢٠١٧م)

السنوات	أجمالي الإنفاق الحكومي (مليار دولار)	معدل الضرائب %	معدل نمو الناتج المحلي %
٢٠٠٠	١٥٤.١٨	٢٠	٥.٦٣
٢٠٠١	١٥٥.٢٢	٢٠	١.٢١
٢٠٠٢	١٥٦.٧٩	٢٠	٢.٨٢
٢٠٠٣	١٦٨.٦٠	٢٠	١١.٢٤
٢٠٠٤	١٨٩.١٧	٢٠	٧.٩٦
٢٠٠٥	٢٢٢.٧٠	٢٠	٥.٤٢
٢٠٠٦	٢٦٤.٥٤	٢٠	٤.٢٩
٢٠٠٧	٣١١.٧٢	٢٠	٤.٥٥
٢٠٠٨	٣٧٣.٦٣	٢٠	٣.٩٢
٢٠٠٩	٣٨٩.١١	٢٠	٢.٨٧
٢٠١٠	٤٤٠.٥٨	٢٠	٢.٥١
٢٠١١	٤٩٢.٩٩	٢٠	٢.٦٢
٢٠١٢	٥٥١.٧٦	٢٠	٤.٣٢
٢٠١٣	٥٨٨.٩٠	٢٠	٤.٥٥
٢٠١٤	٦٥٧.١٩	٢٠	٥.٢٢
٢٠١٥	٦٨٩.٥٣	٢٠	٤.٣٢
٢٠١٦	٦٤٢.١٩	٢٠	٣.١٢
٢٠١٧	٦٤٦.٨٩	٢٠	١.٩٣
المتوسط	٣٩٤.٢١	٢٠	٤.٣٦

* المصدر: مؤسسة النقد العربي السعودي، نشرة البيانات، أعداد متفرقة ٢٠٠٠م–٢٠١٧م.

شكل رقم (١)

تطور إجمالي الإنفاق الحكومي في المملكة العربية السعودية خلال الفترة (٢٠٠٠م –٢٠١٧م)

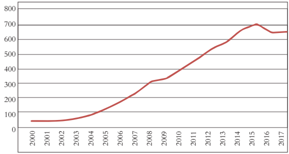

* المصدر: من إعداد الباحث بالاستناد إلى بيانات الجدول (١)

جدول (٢):

نتائج التحليل الاحصائي لتطور أدوات السياسة المالية ومعدل نمو الناتج المحلي في المملكة العربية السعودية خلال الفترة (٢٠٠٠م –٢٠١٧م)

البيان	المعادلة	T	R^2	F	معدل التغير السنوى %
إجمالي الإنفاق الحكومي	$= 46.89 + 36.56X_i{}^\wedge Y_i$	١٩.٨٥**	٠.٩٦	٣٩٤.٠٤**	١٠.٤**

(*) معنوي عند مستوى 0.05

(**) معنوي عند مستوى 0.01

المصدر: جمعت وحسبت بواسطة الباحث من خلال بيانات جدول (١) بالدراسة باستخدام برنامج SPSS.22

ب– معدل الضرائب:

وعند دراسة معدلات الضرائب التي تقوم الحكومة السعودية بفرضها على الشركات خلال الفترة ٢٠٠٠م –٢٠١٧م، نجد أن معدلاتها ثابتة عند مستوى ٢٠ % كما يوضح شكل رقم (٢) بالاعتماد

على جدول رقم (١)، وبتقدير معادلة الاتجاه الزمنى العام لمعدل الضرائب في المملكة العربية السعودية خلال الفترة ٢٠٠٠م –٢٠١٧م، تبين عدم معنوية معدل الضرائب عند مستوى معنوية ٠.٠٠٥.

شكل رقم (2)

تطور معدلات الضرائب في المملكة العربية السعودية خلال الفترة (٢٠٠٠م –٢٠١٧م)

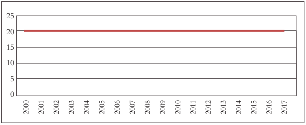

* المصدر : من إعداد الباحث بالاستناد إلى بيانات الجدول (١)

ج– معدل نمو الناتج المحلي:

من دراسة البيانات الواردة في جدول (١) تبين أن معدل نمو الناتج المحلي في المملكة العربية السعودية خلال الفترة ٢٠٠٠م –٢٠١٧م قد تراوح بين حدين بلغ أدناهما حوالى ١.٢١ % في عام ٢٠٠١م، وحد أقصى بلغ نحو ١١.٢٤ % عام ٢٠٠٣م، وقد بلغت قيمة المتوسط السنوي لمعدل نمو الناتج المحلي خلال فترة الدراسة نحو ٤.٣٦ % كما يوضحه الشكل رقم (٣).

وبتقدير معادلة الاتجاه الزمنى العام لمعدل نمو الناتج المحلي في المملكة العربية السعودية خلال الفترة (٢٠٠٠م –٢٠١٧م) تبين عدم معنوية معدل نمو الناتج المحلي عند مستوى معنوية ٠.٠٠٥.

شكل رقم (٣)

تطور معدلات نمو الناتج المحلي في المملكة العربية السعودية خلال الفترة (٢٠٠٠م – ٢٠١٧م)

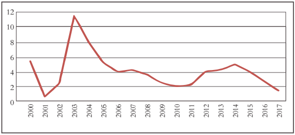

* المصدر: من إعداد الباحث بالاستناد إلى بيانات الجدول (١)

٢- العلاقات القياسية بين أدوات السياسة المالية ومعدل نمو الناتج المحلي في المملكة العربية السعودية خلال الفترة (٢٠٠٠م -٢٠١٧م):

من أجل قياس وتحليل أثر أدوات السياسة المالية على تحقيق التنمية الاقتصادية خلال الفترة ٢٠٠٠م -٢٠١٧م تم حساب العلاقات القياسية بين مكونات السياسة المالية (الإنفاق الحكومي، الضرائب) على معدل نمو الناتج المحلي كمؤشر للتنمية الاقتصادية في المملكة العربية السعودية خلال مدة الدراسة، وأستخدم مجموعة من الاختبارات القياسية مثل اختبار ديكي - فولر الموسع واختبار التكامل المشترك لإختبار العلاقة بين المتغيرات، وكذلك أستخدم نموذج تصحيح الخطأ لمعرفة نوع العلاقة بين المتغيرات في الأجل الطويل والقصير باستخدام برنامج E-Views.

أ- النموذج القياسي للعلاقة بين الإنفاق الحكومي ومعدل نمو الناتج المحلي:

- **اختبار جذر الوحدة:**

لقياس مدى استقرار متغيرات النموذج أُستخدم اختبار ديكي- فولر المطور (ADF) وتبين من جدول (٣) عدم استقرار سلسلة الإنفاق الحكومي (X1) عند مستواها وحدث الاستقرار بعد أخذ الفرق الثاني وبذلك تصبح السلسلة متكاملة من الدرجة الثانية، وكذلك تبين عدم استقرار سلسلة معدل نمو الناتج المحلى (Y) عند مستواها وحدث الاستقرار بعد أخذ الفرق الأول وبذلك تصبح السلسلة متكاملة من الدرجة الأولى؛ ولأن السلسلتين غير متكاملتين عند نفس الدرجة فإنه يُستخدم التكامل المشترك من أجل إجراء اختبار التكامل المشترك بينهما (Dickey D. and Fuller W.، ١٩٧٩م، ٤٢٧-٤٣٠) (ADF)

جدول (٣)

نتائج اختبار ديكي –فولر المطور (ADF) للعلاقة بين الإنفاق الحكومي ومعدل نمو الناتج المحلى

اختبار الاستقرار									
Variables	Level			1st Difference			2nd Difference		
	ADF	Sig.	Result	ADF	Sig.	Result	ADF	Sig.	Result
X1	-2.335	0.394	No stationary	-2.358	0.384	No stationary	-4.706	0.012	stationary
Y	-2.780	0.222	No stationary	-4.285	0.019	Stationary			

* المصدر: نتائج حسابات برنامج **Eviews١٠**

- **اختبار التكامل المشترك اختبار التكامل المشترك Bounds Test بين الإنفاق الحكومي ومعدل نمو الناتج المحلي:**

عند إجراء اختبار التكامل المشترك (Pesaran, M. H.، ٢٠٠١م، ٢٨٩-٣٢٦) يتبين من جدول (٤) نجد أن هناك تكامل مشترك بين سلسلتي الإنفاق الحكومي ومعدل نمو الناتج المحلي عند مستوى معنوية ٠.٠١.

جدول (٤):

اختبار التكامل المشترك للإنفاق الحكومي ومعدل نمو الناتج المحلي

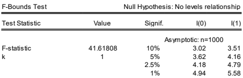

```
F-Bounds Test                       Null Hypothesis: No levels relationship

Test Statistic          Value        Signif.          I(0)          I(1)

                                         Asymptotic: n=1000
F-statistic          41.61808          10%            3.02          3.51
k                           1           5%            3.62          4.16
                                      2.5%            4.18          4.79
                                        1%            4.94          5.58
```

* المصدر: نتائج حسابات برنامج **Eviews١٠**

- **اختبار عدد فترات التباطؤ الزمني:**

يتبين من جدول (٥) أن العدد الأمثل لفترات التباطؤ الزمني (Narayan، ٢٠٠٥م، ٣٧) هو أربع فترات زمنية للمتغير المستقل (X1) وفترتين زمنيتين للمتغير التابع (Y).

جدول (٥):

اختبار فترات التباطؤ الفترة الكلية

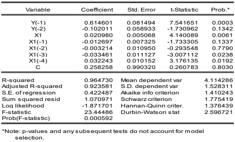

```
      Variable         Coefficient    Std. Error    t-Statistic    Prob.*

       Y(-1)            0.614601      0.081494      7.541651      0.0003
       Y(-2)           -0.102011      0.058933     -1.730962      0.1342
        X1              0.020980      0.005068      4.140089      0.0061
       X1(-1)          -0.012697      0.007325     -1.733305      0.1337
       X1(-2)          -0.003214      0.010950     -0.293548      0.7790
       X1(-3)          -0.033461      0.011127     -3.007112      0.0238
       X1(-4)           0.032243      0.010152      3.176135      0.0192
         C              0.258258      0.990320      0.260783      0.8030

R-squared               0.964730    Mean dependent var          4.114286
Adjusted R-squared      0.923581    S.D. dependent var          1.528311
S.E. of regression      0.422487    Akaike info criterion       1.410243
Sum squared resid       1.070971    Schwarz criterion           1.775419
Log likelihood         -1.871701    Hannan-Quinn criter.        1.376439
F-statistic             23.44486    Durbin-Watson stat          2.596721
Prob(F-statistic)       0.000592

*Note: p-values and any subsequent tests do not account for model
     selection.
```

* المصدر: نتائج حسابات برنامج **Eviews١٠**

• نموذج متجهات تصحيح الخطأ للعلاقة بين الإنفاق الحكومي ومعدل نمو الناتج المحلي في الأجل الطويل والأجل القصير:

من أجل تحديد قيمة معلمات العلاقة في الأجل الطويل والأجل القصير يتطلب ضرورة تقدير متجهات تصحيح الخطأ (.Pesaran, M. H، ٢٠٠١م، ٣٧١-٤٢٣) ويتبين من جدول (٦) أن معامل تصحيح حد الخطأ بلغت قيمته ٠.٤٨٧٤ وهو معنوي عند مستوى معنوية ٠.٠١ أي إن هناك تصحيحًا من المدى القصير للمدى الطويل بسرعه ٠.٤٨٧٤، بينما تشير معادلة الأجل الطويل أن ليس هناك أثر للتصحيح في الأجل الطويل لأن X1 غير معنوية عند مستوى معنوية ٠.٠٥.

جدول (٦)

نتائج اختبار متجهات تصحيح الخطأ للعلاقة بين الإنفاق الحكومي ومعدل نمو الناتج المحلي

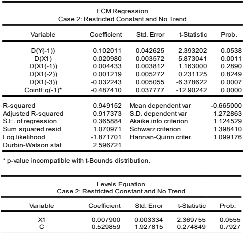

```
                     ECM Regression
      Case 2: Restricted Constant and No Trend

   Variable       Coefficient  Std. Error  t-Statistic   Prob.

   D(Y(-1))        0.102011    0.042625    2.393202    0.0538
    D(X1)          0.020980    0.003572    5.873041    0.0011
  D(X1(-1))        0.004433    0.003812    1.163000    0.2890
  D(X1(-2))        0.001219    0.005272    0.231125    0.8249
  D(X1(-3))       -0.032243    0.005055   -6.378622    0.0007
 CointEq(-1)*     -0.487410    0.037777   -12.90242    0.0000

R-squared            0.949152   Mean dependent var    -0.665000
Adjusted R-squared   0.917373   S.D. dependent var     1.272863
S.E. of regression   0.365884   Akaike info criterion  1.124529
Sum squared resid    1.070971   Schwarz criterion      1.398410
Log likelihood      -1.871701   Hannan-Quinn criter.   1.099176
Durbin-Watson stat   2.596721

* p-value incompatible with t-Bounds distribution.

                     Levels Equation
      Case 2: Restricted Constant and No Trend

   Variable       Coefficient  Std. Error  t-Statistic   Prob.

      X1           0.007900    0.003334    2.369755    0.0555
      C            0.529859    1.927815    0.274849    0.7927
```

* المصدر: نتائج حسابات برنامج Eviews١٠

ب- النموذج القياسى للعلاقة بين الضرائب ومعدل نمو الناتج المحلي:

- **اختبار جذر الوحدة:**

لقياس مدى استقرار متغيرات النموذج تم استخداماختبار ديكي- فولر المطور (ADF) وتبين من جدول (٧) عدم استقرار سلسلة معدل الضرائب (X2) عند مستواها وحدث الاستقرار بعد أخذ الفرق الأول وبذلك تصبح السلسلة متكاملة من الدرجة الأولى، وكذلك تبين عدم استقرار سلسلة معدل نمو الناتج المحلى (Y) عند مستواها وحدث الاستقرار بعد أخذ الفرق الأول وبذلك تصبح السلسلة متكاملة من الدرجة الأولى، ولأن السلسلتين متكاملتان عند نفس الدرجة فإنه يُستخدم التكامل المشترك من أجل إجراء اختبار التكامل المشترك بينهما (Dickey D. and Fuller W.، ١٩٧٩م، ٤٢٧-٤٣٠) (ADF).

جدول (٧)

نتائج اختبار ديكي –فولر المطور (ADF) للعلاقة بين معدل الضرائب ومعدل نمو الناتج المحلى

اختبار الاستقرار

Variables	Level			1st Difference			2nd Difference		
	ADF	Sig.	Result	ADF	Sig.	Result	ADF	Sig.	Result
X2	-2.862	0.197	No stationary	-5.225	0.004	stationary			
Y	-2.780	0.222	No stationary	-4.285	0.019	stationary			

* المصدر: نتائج حسابات برنامج **Eviews١٠**

• اختبار التكامل المشترك اختبار التكامل المشترك **Bounds Test** بين معدل الضرائب ومعدل نمو الناتج المحلي:

عند إجراء اختبار التكامل المشترك (.Pesaran, M. H، ٢٠٠١م، ٢٨٩-٣٢٦) يتبين من جدول (٨) نجد أن هناك تكاملًا مشتركًا بين سلسلتي معدل الضرائب ومعدل نمو الناتج المحلي عند مستوى معنوية ٠.٠٠١.

جدول (٨):

اختبار التكامل المشترك لمعدل الضرائب ومعدل نمو الناتج المحلي

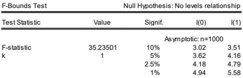

F-Bounds Test		Null Hypothesis: No levels relationship		
Test Statistic	Value	Signif.	I(0)	I(1)
			Asymptotic: n=1000	
F-statistic	35.23501	10%	3.02	3.51
k	1	5%	3.62	4.16
		2.5%	4.18	4.79
		1%	4.94	5.58

* المصدر: نتائج حسابات برنامج **Eviews١٠**

• اختيار عدد فترات التباطؤ الزمني:

يتبين من جدول (9) أن العدد الأمثل لفترات التباطؤ الزمني (.Narayan, P. K، ٢٠٠٥، ٣٧) هو ثلاث فترات زمنية للمتغير المستقل (X2) وأربع فترات زمنية للمتغير التابع (Y).

جدول (9):

اختبار فترات التباطؤ الفترة الكلية

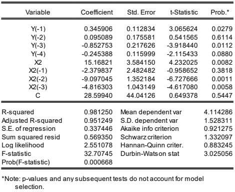

```
Variable            Coefficient   Std. Error   t-Statistic   Prob.*

Y(-1)                 0.345906     0.112834     3.065624     0.0279
Y(-2)                 0.095089     0.175581     0.541565     0.6114
Y(-3)                -0.852753     0.217626    -3.918440     0.0112
Y(-4)                -0.245388     0.115999    -2.115433     0.0880
X2                    15.16821     3.584150     4.232025     0.0082
X2(-1)               -2.379837     2.482482    -0.958652     0.3818
X2(-2)               -9.097045     1.352184    -6.727666     0.0011
X2(-3)               -4.816303     1.043149    -4.617080     0.0058
C                     28.59940     44.04126     0.649378     0.5447

R-squared             0.981250   Mean dependent var      4.114286
Adjusted R-squared    0.951249   S.D. dependent var      1.528311
S.E. of regression    0.337446   Akaike info criterion   0.921275
Sum squared resid     0.569350   Schwarz criterion       1.332097
Log likelihood        2.551078   Hannan-Quinn criter.    0.883245
F-statistic           32.70745   Durbin-Watson stat      3.025056
Prob(F-statistic)     0.000668

*Note: p-values and any subsequent tests do not account for model
     selection.
```

* المصدر: نتائج حسابات برنامج **Eviews١٠**

- **نموذج متجهات تصحيح الخطأ للعلاقة بين الإنفاق الحكومي ومعدل نمو الناتج المحلي في الأجل الطويل والأجل القصير:**

من أجل تحديد قيمة معلمات العلاقة في الأجل الطويل والأجل القصير يتطلب ضرورة تقدير متجهات تصحيح الخطأ (Pesaran, M. H.، ٢٠٠١م، ٣٧١-٤١٣) ويتبين من جدول (١٠) أن معامل تصحيح حد الخطأ بلغت قيمته ١.٦٥٧١ وهو معنوي عند مستوى معنوية ٠.٠١ أي إن هناك تصحيحًا من المدى القصير للمدى الطويل بسرعه ١.٦٥٧١ بينما تشير معادلة الأجل الطويل أن ليس هناك أثر للتصحيح في الأجل الطويل لأن X2 غير معنوية عند مستوى معنوية ٠.٠٥.

جدول (١٠)

نتائج اختبار متجهات تصحيح الخطأ للعلاقة بين معدل الضرائب ومعدل نمو الناتج المحلي

ECM Regression
Case 2: Restricted Constant and No Trend

Variable	Coefficient	Std. Error	t-Statistic	Prob.
D(Y(-1))	1.003053	0.115815	8.660852	0.0003
D(Y(-2))	1.098141	0.139431	7.875893	0.0005
D(Y(-3))	0.245388	0.088040	2.787227	0.0386
D(X2)	15.16821	2.318438	6.542429	0.0012
D(X2(-1))	13.91335	1.647506	8.445098	0.0004
D(X2(-2))	4.816303	0.840884	5.727665	0.0023
CointEq(-1)*	-1.657147	0.136223	-12.16499	0.0001

R-squared	0.972968	Mean dependent var	-0.665000
Adjusted R-squared	0.949798	S.D. dependent var	1.272863
S.E. of regression	0.285194	Akaike info criterion	0.635560
Sum squared resid	0.569350	Schwarz criterion	0.955089
Log likelihood	2.551078	Hannan-Quinn criter.	0.605982
Durbin-Watson stat	3.025056		

* p-value incompatible with t-Bounds distribution.

Levels Equation
Case 2: Restricted Constant and No Trend

Variable	Coefficient	Std. Error	t-Statistic	Prob.
X2	-0.678860	1.268193	-0.535297	0.6154
C	17.25822	25.36223	0.680469	0.5264

* المصدر: نتائج حسابات برنامج Eviews۱۰

٣- أثر السياسة المالية على التنمية الاقتصادية في المملكة العربية السعودية خلال الفترة (٢٠٠٠م -٢٠١٧م):

وللتعرف على تأثير السياسة المالية على التنمية الاقتصادية في المملكة العربية السعودية خلال الفترة ٢٠٠٠م -٢٠١٧م حُسبت معادلة الانحدار المتعدد بين كلٍّ من الإنفاق الحكومي، و معدل الضرائب (المتغيرات المستقلة) ومعدل نمو الناتج المحلى (المتغير التابع) وكانت النتائج على النحو الآتي :

$$Y = 167.301 - 0.001\,X_1 - 8.150\,X_2$$

$$(1.56\text{٣}) \quad (-0.310) \quad (-\text{١.٥٠٨})$$

$$F = \text{٢.١٧٣} \qquad R^{\text{٢}} = 0.\text{٢٢٥}$$

حيث:

Y= معدل نمو الناتج المحلى

X۱= الإنفاق الحكومي

معدل الضرائب =X2

يتضح من المعادلة السابقة عدم معنوية النموذج ككل، حيث إن قيمة F غير معنوية عند مستوى ٠.٠٥. كما اتضح أن المتغيرات الداخلة في النموذج تفسر ٢٢.٥ % من التغيرات التي تحدث في معدل نمو الناتج المحلى، بينما ترجع باقي التغيرات لعوامل أخرى لم تدخل في النموذج المستخدم، وهى نسبة ضعيفة للغاية، مما يشير إلى وجود تأثير ضعيف للغاية للسياسة المالية على التنمية الاقتصادية في المملكة العربية السعودية، مما يدل على عدم صحة افتراض الدراسة. يتماشى ذلك مع دراسة رمول (٢٠١٢م) الذي اكتشف ضعف تأثير السياسة المالية على الاقتصاد الجزائري خلال فترة الدراسة، وأن الاقتصاد الجزائري يعتمد بشكل أساس على الدخل المحقق من النفط. ولا يتماشى ذلك مع دراسة Najaf (٢٠١٦م) الذي اكتشف أن هناك ارتباطًا طويل المدى بين السياسة المالية والاقتصاد في الهند وأن هناك صدمات خارجية بين المتغيرات.

وتبين عدم معنوية تأثير الإنفاق الحكومي في المملكة العربية السعودية على معدل نمو الناتج المحلى عند مستوى معنوية ٠.٠٥، يتماشى ذلك مع دراسة Stoilova and Patonov (٢٠٢٠م) التي توصلت إلى أن الإنفاق الحكومي في بلغاريا لا يسهم بشكل كبير في زيادة معدل نمو الناتج المحلي الإجمالي السنوي. وكذلك اتضح عدم معنوية تأثير معدل الضرائب على معدل نمو الناتج المحلى عند مستوى معنوية ٠.٠٥، مما لا يتماشى مع دراسة Hlongwane (٢٠١٨م) الذي اكتشف أن إيرادات الضرائب الحكومية لها تأثير إيجابي ومهم طويل المدى على النمو الاقتصادي في جنوب إفريقيا، كما لا يتماشى ذلك مع دراسة Ayoub and Mukherjee (٢٠١٩م) التي أشارت إلى وجود علاقة إيجابية بين الناتج المحلي الإجمالي وضريبة القيمة المضافة في كل من المدى الطويل والقصير، ولا يتماشى مع دراسة Stoilova and Patonov (٢٠٢٠م) التي توصلت إلى أن الضرائب لها تأثير عال على التنمية الاقتصادية في بلغاريا، والتي تبدو حالة نموذجية من حيث اقتصاد السوق الناشئة الصغيرة المفتوحة.

وتوضح النتائج السابقة عدم وجود تأثير للسياسة المالية على التنمية الاقتصادية في المملكة العربية السعودية مما يوضح عدم صحة فرضية الدراسة وكذلك يوضح ذلك ضرورة قيام الحكومة السعودية بتعديل سياستها المالية بشكل أكثر فاعلية من أجل أن تكون لها تأثير إيجابي على التنمية الاقتصادية.

- **الاستنتاجات:**

توصل الباحث لمجموعة من النتائج وهى:

١- عدم معنوية العلاقة بين الإنفاق الحكومي ومعدل نمو الناتج المحلى في المملكة العربية السعودية خلال الفترة (٢٠٠٠م -٢٠١٧م).

٢- توجد علاقة تكامل بين الإنفاق الحكومي ومعدل نمو الناتج المحلي الإجمالي في المملكة العربية السعودية خلال مدة الدراسة مما يعني إمكانية تطبيق أسلوب متجه تصحيح الخطأ.

٣- عدم معنوية العلاقة بين معدل الضرائب ومعدل نمو الناتج المحلي في المملكة العربية السعودية خلال الفترة (٢٠٠٠م -٢٠١٧م).

٤- توجد علاقة تكامل بين معدل الضرائب ومعدل نمو الناتج المحلي الإجمالي في المملكة العربية السعودية خلال فترة الدراسة مما يعني إمكانية تطبيق أسلوب متجه تصحيح الخطأ.

٥- عدم وجود تأثير معنوي للسياسة المالية على التنمية الاقتصادية في المملكة العربية السعودية خلال فترة الدراسة.

- **التوصيات:**

١- ضرورة قيام المملكة العربية السعودية بوضع سياسة مالية أكثر فاعلية يمكن من خلالها إحداث تأثير على التنمية الاقتصادية.

٢- زيادة معدلات الإنفاق الحكومي على القطاعات التي تساعد في إحداث التنمية الاقتصادية بشكل سريع مع ضمان استمرارية معدلات التنمية المحققة.

٣- الإفادة من ارتفاع أسعار النفط في إحداث تغييرات على السياسة المالية للمملكة العربية السعودية لجعلها أكثر فاعلية مما يزيد من تأثيرها على المتغيرات الاقتصادية التي تساعد في تحقيق تنمية اقتصادية حقيقية في المملكة العربية السعودية وتساعد في تحقيق أهداف السياسة الاقتصادية المطلوب تحقيقها وفقًا لرؤية المملكة ٢٠٣٠.

٤- إعادة النظر في معدلات الضرائب المفروضة على الشركات وخاصة إنها لم تؤت بثمارها بشكل ملحوظ، والعمل على تخفيف الأعباء الاقتصادية علي الأفراد والشركات من أجل تشجيعهم على العمل، وزيادة معدلات الإنتاج مما يساعد على تحقيق التنمية الاقتصادية المطلوبة.

٥- العمل على تنويع مصادر الإيرادات للمملكة العربية السعودية وعدم الاعتماد بشكل أساس على عائدات النفط وذلك من أجل تكوين اقتصاد قائم على التنوع يستطيع مواجهة أي تغيرات سلبية قد تحدث في أسعار النفط.

قائمة المصادر و المراجع

- **أولًا : المراجع باللغة العربية:**

- رمول، حليمة (٢٠١٢م). "دور السياسة المالية في تحقيق التوازن الاقتصادي في ظل برنامج الإصلاح الاقتصادي دراسة حالة الجزائر خلال الفترة (١٩٩٤-٢٠٠٩)"، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية، وعلوم التسيير، جامعة العربي بن مهيدي، الجزائر.
- سلامة، محمد سلمان (٢٠١٥م). الإدارة المالية العامة. دار المعتز للنشر والتوزيع: عمان، الأردن.
- عايب، وليد عبد الحميد (٢٠١٠م). الآثار الاقتصادية الكلية لسياسة الإنفاق الحكومي: دراسة تطبيقية قياسية لنماذج التنمية الإقتصادية. مكتبة حسن العصرية للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت، لبنان.
- محمد، راتول وعبد القادر، روشو (٢٠١٧م). "دور السياسة المالية في تحقيق الإستقرار الاقتصادي الكلي في الجزائر خلال الفترة ٢٠٠١ – ٢٠١٦". كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وعلوم التسيير، جامعة الشلف، الجزائر.
- محي الدين، بوري ورفيق بشوندة (٢٠١٦م)." دور السياسة المالية في تحقيق التوازن الاقتصادي حالة الجزائر ما بين ٢٠٠٠م – ٢٠١٠"، رسالة دكتوراة، كلية العلوم الاقتصادية وتجارية وعلوم التسيير، جامعة جلالي اليابس –سيدي بالعباس–، الجزائر.
- مصطفي، عبد اللطيف وسانية، عبد الرحمان (٢٠١٤م). دراسات في التنمية الاقتصادية. مكتبة حسن العصرية للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت، لبنان.

■ ثانيًا : المراجع الأجنبية:

- Ayoub, Z. – Mukherjee, S. (2019). "Value Added Tax and Economic Growth: An Empirical Study of China Perspective." **Signifikan: Jurnal Ilmu Ekonomi.** Vol. (8). No. (2). Pp. 235–242.
- Dickey D. and Fuller W. (1979). "Distribution of the estimators for Autoregressive Time Series With a unit Root." **Journal of the American Statistical Association.** Vol. (74). No. (366). Pp. 427-431.
- Dilawar S. and Ud Din. A. Javaid. A. Hussain. S. Ambreen. A. (2020). " Impact of Fiscal Policy on GDP Growth Rate: a Case of Pakistan." **International Journal of Management, Accounting and Economics.** Vol. (7). No. (4). Pp. 213–229.
- Hlongwane, T. M. (2018). "Analysis of the Impact of Fiscal Policy on Economic Growth in South Africa: VECM Approach." **Journal of Economics and Behavioral Studies.** Vol. (10). No. (2). pp. 231-238.
- Morakinyo, F. O, David, J. O. and Alao, J. A. (2018). "Impact of Fiscal Policy Instrument on Economic Growth in Nigeria." **International Journal of Economics and Financial Management.** Vol. (3). No. (1). Pp. 14-29.
- Najaf R (2016). "Impact of Fiscal Policy Shocks on the Indian Economy." **Journal of Hotel & Business Management.** Vol. (5). No. (1). Pp. 59-68.
- Narayan, P. K. (2005). "The saving and investment nexus for china: evidence from counteraction tests." Applied Economics
- Pesaran, M. H. (٢٠٠١). "An autoregressive distributed-lag modelling approach to cointegration analysis." Econometric Society Monographs.
- Stoilova D. and Patonov N. (2020). "Fiscal policy and growth in a small emerging economy: The case of Bulgaria." **Society and Economy.** Vol. (42). No. (4). Pp. 386–402.

■ ثالثًا : التقارير السنوية:

- مؤسسة النقد العربي السعودي، نشرة البيانات، أعداد متفرقة ٢٠٠٠م-٢٠١٧م.

تم بحمد الله

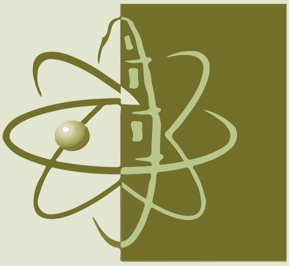

جامعة الجوف

Jouf University

مجلة جامعة الجوف للعلوم الإنسانية

Jouf University Humanities Journal

مجلة علمية محكمة

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم

جامعة الجوف
Jouf University

مجلة جامعة الجوف للعلوم الإنسانية
Jouf University Humanities Journal

مجلة علمية محكمة

مركز النشر بجامعة الجوف
Jouf University Publishing Center